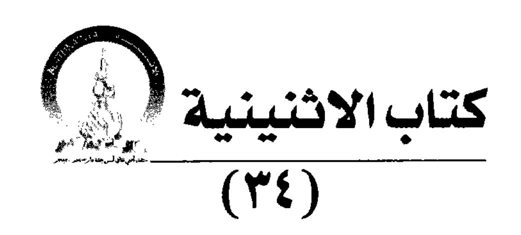


(٣٤)

الأعمال الكاملة

للأديب الأستاذ

أحمد قنديل

الجزء الأول

الشعر

الناشر

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

جدة

ⓒ عبدالمقصود خوجه ، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

قنديل ، أحمد

الأعمال الكاملة ./ أحمد قنديل .- جدة ١٤٢٧هـ

(٦ مج ٣٤٣٢ ص) الجزء الأول ٥٢٨ ص ؛ ١٧×٢٤سم (كتاب الاثنينية ٣٤)

ردمك ٥-٥٦٤-٥٦-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٥٦٥-٥٦-٩٩٦٠ (ج١)

١ - الأدب العربي - السعودية - مجموعات أ- العنوان

ديوي ٨١٠,٨٠٠٩٥٣١ ١٤٢٧/٥٥١٤

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٥٥١٤

ردمك : ٥-٥٦٤-٥٦-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٥٦٥-٥٦-٩٩٦٠ (ج١)

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

صدرت هذه الأعمال بمناسبة "مكة المكرمة" عاصمة الثقافة الإسلامية

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدة

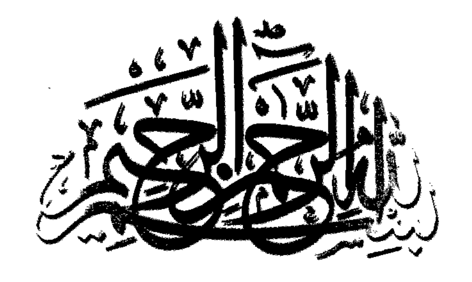


الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ

أحمد قنديل

الجزء الأول

الشعر


بسم الله الرحمن الرحيم



الأديب الأستاذ أحمد قنديل



الإهداء

بمناسبة اختيار

مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية

لعام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م،

أهدي هذا العمل لمؤلفي

"وحي الصحراء":

والدي

محمد سعيد عبدالمقصود خوجه

ورفيق دربه

عبدالله عمر بلخير

- يرحمهما الله -



فهرس

الأعمال الكاملة

المقدمة ١١

كلمة الناشر ١٥

اصدارات الاثنينية ٢١

السيرة الذاتية ٢٢

الجزء الأول / الشعر

الزهراء ملحمة إسلامية – مشاعر وشاعر – الأبراج – الأصداء
أغاريد – شمعتي تكفي .... ٤١ – ٥٢٨

الجزء الثاني / الشعر

قريتي الخضراء – الأصداف – المركاز – قمر العصافير –
مكتبتي فيلتي – أنا القطار .... ٥ – ٥٧٦

الجزء الثالث / الشعر

عروس البحر احزاين أول وثاني) – قاطع الطريق – نار –
الراعي والمطر – لوحات – أوراقي الصفراء .... ٥ – ٧٢٠

الجزء الرابع / الشعر
كما رأيتها – أبو عرام والبشكة – دهليز – متفرقات .... ٥ – ٥٨٤
الجزء الخامس / النثر
القناديل .... ٥ – ٤٦٤
الجزء السادس / النثر
الجبل الذي صار سهلاً – يوم وراء يوم .... ٥ – ٥٦٠

المقدمة

لقد ازدهرت «الاثنينية» وواصلت مسيرتها وهي تمتح من معين النور في مكة المكرمة مستلهمة فضائل أم القرى من موقع انعقاد فعالياتها بجدة «بوابة الحرمين الشريفين».. وكان لا بد لهذا القرب الجغرافي من إلقاء ظلاله على ما يمكن أن يقدمه هذا المنتدى في مناسبة تاريخية مثل اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، وإن كانت مكة المكرمة دائماً وأبداً موئل العطاء وإشعاع الثقافة والفكر منذ نزول «اقرأ» بغار حراء على سيد الخلق وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ.

والحمد لله الذي ألهمني التوجه إلى بر والدي، وصديق عمره معالي الشيخ عبد الله بلخير «رحمهما الله»... ذاكراً فضل معاليه عليَّ بالتوجيه والرعاية في دروب الحياة المختلفة.. فقد غرسا في نفسي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حب الكتاب... وكانت البذرة التي أخرجت ما تيسر من السنابل والحبوب كتابهما القيم (وحي الصحراء) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٣٥٥هـ، بصفته أول عمل أدبي معاصر يرصد جانباً من نتاج أدباء الحجاز بتراجمهم ونماذج من أعمالهم.. وقد أعادت «تهامة» طباعته للمرة الثانية عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

وكان من فضل الله بما أفضلت به «تهامة» في قمة عطائها إصدار كتاب «محمد سعيد عبد المقصود خوجه حياته وآثاره» للأستاذ الدكتور محمد بن

سعد بن حسين، من سلسلة الكتاب العربي السعودي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.. ثم شرفت بإصدار سلسلة [كتاب الاثنينية] كرافد يوازي [سلسلة أمسيات الاثنينية] وتحت مظلته صدر كتاب «عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية» للأستاذ محمود رداوي، في طبعاته: الأولى عام ١٤١١هـ/١٩٩١م، والثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، والثالثة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.. وأردف بكتاب «عبد الله بلخير يتذكر» للدكتور خالد باطرفي (ط١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ثم كتاب «الغربال» للأستاذ حسين الغريبي (ط١ ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).. ثم كتاب «الأعمال الكاملة للشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي» الذي صدرت طبعته الأولى في ستة أجزاء (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).. وكتاب «المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي محمد سعيد عبد المقصود خوجه» للأستاذ حسين الغريبي (ط١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ـ وبين هذه الإصدارات وبعدها ـ أصدر [كتاب الاثنينية] مجموعة أخرى، إلا أن التي نوهت عنها ذات ارتباط مباشر بكتاب «وحي الصحراء» الذي استلهمت منه فكرة الأعمال الكاملة لكل أديب أسهم فيه بأنموذج من أعماله.

وبدأت مرحلة شاقة من البحث، وحصر الأعمال، التي كان معظمها متناثراً أو لدى الورثة الأفاضل الذين حافظوا عليها مشكورين، واستجابوا للإعلانات التي نشرتها في مختلف الصحف، إلى أن تجمعت حصيلة طيبة خضعت لمعايير صارمة من المراجعة والتدقيق أثناء مراحل الطباعة المختلفة... وقد أكرمنا الله عز وجل بطباعة هذه الكتب التي تقدمها «الاثنينية» بكل اعتزاز بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية ما بين عامين وعام من المناسبة المذكورة، وظلت في المستودعات لترى النور وتتلازم مع هذه الفعاليات.. ويسعدنا تقديم:

- الأعمال الكاملة للأستاذ حسين سراج (١٠ أجزاء).
- أخبار مكة للأزرقي (جزءان في مجلد واحد).

- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي (جزء واحد).
- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحميد عنبر (جزء واحد).
- الأعمال الشعرية والنثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي (جزء واحد).
- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء (٥ أجزاء).
- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي (جزء واحد).
- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان (٧ أجزاء).
- الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الأستاذ محمد صالح باخطمة (جزء واحد).
- الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأستاذ محمد إسماعيل جوهرجي (٥ أجزاء).
- الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي (٤ أجزاء).
- الأعمال الشعرية الكاملة للأستاذ مصطفى زقزوق (جزء واحد).
- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ إبراهيم أمين فودة (٤ أجزاء).
- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد عمر عرب (جزء واحد).
- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الله عبد الرحمن الجفري (٦ أجزاء).
- الأعمال الكاملة للشاعر والأديب الأستاذ علي حسن أبو العلا (جزأين).
- الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ أحمد قنديل (٦ أجزاء).
- عكاظ لندن (جزء واحد).

ويلاحظ القارىء الكريم أن هناك أعمالاً لم تكن ضمن كتاب «وحي الصحراء» إلا أن أصحابها الأفاضل لهم ريادة وعلاقة وثيقة بهذا

التوجه... أي إنها تنصهر كلها في بوتقة حب مكة المكرمة زادها الله تشريفاً وتعظيماً.

سائلاً الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها المسلمين ويجعلها خيراً يسهم في إثراء مكتبتنا العربية والإسلامية.

والله الموفق وهو من وراء القصد،

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

كلمة الناشر

بقلم: عبد المقصود محمد سعيد خوجه

إن ولع الناس بشعر أي مبدع، وانكبابهم على تداوله ودراسته، يعود في المقام الأول إلى ملامسة ذلك النتاج الإبداعي لمشاعرهم، ومدى توافقه مع خواطرهم وأحاسيسهم.. ومن هذا المنطلق نجد أبياتاً يتيمة من الشعر تعيش وتخلد، بينما تندثر مطولات نظراً لأن الأولى استطاعت أن تُعبِّر بصدق عن مشاعر الناس - أينما كانوا - بينما تلاشت الأخرى لكونها تهويمات لا تتعدى منظور قائلها وأفقه الخاص.

وفي هذا الإطار نلاحظ أن إبداعات شاعرنا الكبير الأستاذ أحمد قنديل «يرحمه الله» وهو أحد رواد كتاب «وحي الصحراء» قد تجاوزت مدى الشاعر لتعبر بكثير من الصدق والشفافية عن حضور قوي بين المتلقين رغم تفاوت الأزمنة وتفرق الأمكنة.. فالشعر الذي يأخذ مكانته بين سواد الناس ويتأثر ويؤثر في علاقاتهم الاجتماعية، ويعيش بعض معاناتهم الاقتصادية وتعقيدات الحياة التي لا تخلو من منغصات، وفي ذات الوقت لا تبخل بنوافذ الفرح والسرور بين آونة وأخرى، يظل كامناً في الوجدان وينطلق مع كل التفاتة برشاقة وهدوء حيث يدلف مع مكونات

الحياة اليومية في دائرة تتسع لتشمل الإيجابيات والسلبيات، الخير والشر، الفرح والترح، وغيرها من العلاقات الإنسانية التي تنتظم مسيرة الفرد والمجتمع.

لقد استطاع الشاعر الكبير أحمد قنديل «يرحمه الله» أن يوظف الكلمة «الدارجة» لأداء مهمة معينة ضمن رسالته الإبداعية، وأبحر في عالم الشعر «الحلمنتيشي» حين رآه الأقرب إلى ذائقة القراء، والأكثر تعبيراً عما يجيش في نفسه، في الوقت الذي كان قادراً على التعبير بأقوى الألفاظ الفصحى، وأحسب أنه حاول تبرير هذا اللون الشعري الذي خضب الكثير من قصائده و(خماسياته) بقوله:

وأنظم الشعر شعبياً . . وأرسله من وسط قلبي فنياً . . بلا عقد

واستبيح لنفسي . . دونما عقد . . إني أقول لها . . ما دار في خلدي

فما ترى يا أخانا ؟

قال: من جهتي . . لا بأس لكن سيبقى الرأي . . للعمد !!

الشاعر يعلنها صريحة . . أنه استباح لنفسه هذا المركب حتى يتواصل من خلاله مع المتلقي بيسر وسهولة. . وربما كان له الحق في ذلك مع مراعاة أن كل من يخاطبهم ينبغي أن يتفاعلوا مع أسلوبه وتراكيب جمله وصوره وفق البيئة التي عاشها. . غير أن هذا اللون متى ما نقل من تربته فقد لا يزهر في تربة أخرى لاختلاف العادات والتقاليد والمفردات التي تسهم في تأطير الصور التي اختارها. . إنه أسلوب أو إن شئت سمه سلاحاً ذي حدين. . قد يطرب «ابن الأرض» وبطبيعة الحال سوف يؤثر في أحاسيس ومشاعر «الآخر» بطريقة مختلفة، ورد فعل ربما يتباطأ حد

العدم.. وتلك إشكالية الإغراق في المحلية، التي يراها البعض مفتاحاً للعالمية.

وأحسب من المواقف الطريفة ما تعرضت له أبيات الشعر التي أطلق عليها (قناديل) على يدي مصحح صحيفة (عكاظ) التي نشر بها معظم نتاجه في ٩٦/١٣٩٥هـ، فقد كان المصحح يجتهد في القراءة، ويعدل النص وفق ما يراه مناسباً ومفهوماً بالنسبة لخلفيته الثقافية، الأمر الذي لم يعجب شاعرنا فقال مخاطباً المصحح:

قل للمصحح في عكاظ .. يا أخـــي		فَتِّـح .. وراجـع مـا تـراه مُسـطَّـرا
دي .. كلها .. يا ابن القريبة .. خمسة		مـن هـذه الأبـيـات لـيسـت أكـثـرا
إيش حالـها لـو أنـها في حجمهـــا		طـالـت كـبوزك بـيـن شـغـلـك كـشـرا
قد نبه الجفـــري عليك أمامنـا		كـم مـرة مـن دون مـسـك الـمَسْطَـرا

كل الذي قرأ القناديل اشتكى..

أما أنا..

فسئمت هادي المصخرا !!

غير أن هذا الفن المحبب لدى الشاعر، والذي له كثير من عشاقه ومريديه بين المتلقين .. لم يشغل شاعرنا الكبير بالكلية عن التحليق بكل جدارة واقتدار، مرفرفاً بالجناح الآخر، جناح الفصحى التي أشاد بها حدائق ذات بهجة، أدخلت السرور، ولم يزل لها (أرج تحيا وتعيش به المهج).

وعندما لا تستوعب سوانح الشعر خواطر الشاعر المبدع، نراه يميل إلى النثر، خاصة التراث الأدبي الذي تذخر به أمهات الكتب، فينهل منها

ويغوص في أعماقها، ثم يخرج على القارئ بأقصوصة أو حكاية ذات طابع فكاهي إلا أنها لا تخلو من مغزى يربط الماضي بالحاضر، منعكساً على واقع الحال، بطريقة بعيدة عن المواعظ المباشرة، أو التلقين والتكرار المملين.. فجاءت مجموعة كتاباته النثرية التي نشرها على صفحات «عكاظ» تحت عنوان (يوم «ورا» يوم) إضمامة من الورود المتنوعة، وكأنه جال خلال بساتين التراث وقطف من كل بستان زهرة، ورشف من كل نبع قطرة، ثم تمثل كل ذلك وأنجزه أدباً مختلفاً ألوانه، يسر الخاطر ويحلق بالوجدان في عوالم متنوعة، ولا يخلو من ابتسامة عريضة في كثير من الأحيان.. بالإضافة إلى ذلك كتب أديبنا الكبير بعض القصص التي استشف خطوطها من بيئته وطرزها بأبيات من الشعر الذي يجري بالسليقة على لسانه ويفرض نفسه في كثير من المواقف المناسبة.

والجدير بالذكر، أنه في الوقت الذي دخل فيه هذا العمل مراحل متقدمة في عملية الطباعة، حصلنا على رائعة من إبداعات شاعرنا الكبير بعنوان (الزهراء .. ملحمة إسلامية) ضمها «المجلد الأول لبحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين» الذي عقد في مكة المكرمة تحت مظلة جامعة الملك عبدالعزيز في الفترة ما بين ١-٥ ربيع الأول ١٣٩٤هـ الموافق ٢٤-٢٨ مارس ١٩٧٤م.. وقد جاءت هذه الملحمة (الهائية) في ١٢٤٢ بيتاً (ألف ومائتين واثنين وأربعين بيتاً) تجمعها وحدة الموضوع، بالرغم من تشعبها في سبعة أقسام، وما تفرع عن كل قسم من عناوين جانبية قد تصل إلى ثمانية عشر عنواناً، وظلت متماسكة البنيان، قوية السبك، جياشة المعاني، تطوف بالمتلقي من العصر الجاهلي، وصدر الإسلام، وأحداثه الجسام، ومعالم السيرة النبوية، مروراً بتأسيس المملكة العربية

السعودية، ثم ينثني على السيرة النبوية العطرة مستلهماً مآثرها الخالدة، ليخلدها بدوره درراً يشرق بها الشعر، وتهدهد الوجدان، وكلها بلغة عالية تختلف جذرياً عن السائد في القصائد «الشعبية» التي أشتهر بها شاعرنا الكبير «رحمه الله».. كما أعقب كل قسم تعليقاً بعنوان (بيان بعض الكلمات والشروح لمن قد يحتاج إليها)، وأحسب أن من يتأملها يجد فيها الكثير من الفوائد بجانب شروحات اللغة، فهي مليئة بإيماءات تاريخية، ولمحات مهمة، لا تخفى على فطنة القارئ.

لقد استغرق هذا العمل الكثير من الوقت والجهد، لا سيما أن معظمه لم ينشر من قبل، والذي نشر كان في أرشيف الصحف، وجريدة (عكاظ) على وجه التحديد، ويطيب لي أن أزجي الشكر والتقدير لإدارة ومنسوبي هذه الصحيفة الرائدة، والشكر موصول للأساتذة الأفاضل ورثة شاعرنا الكبير على تعاونهم المبرور الأمر الذي أدى إلى ظهور هذا العمل بالصورة التي بين أيديكم.

وإنه لمن دواعي سروري أن تأتي الأعمال الكاملة لأديبنا وشاعرنا أحمد قنديل في مناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.. إسهاماً متواضعاً مع بقية الإصدارات التي أكرمنا بها الله بهذه المناسبة التي هي أهل لكل جميل ونفيس.

والله الموفق .. وهو من وراء القصد.

جدة: شعبان ١٤٢٦هـ ـ سبتمبر ٢٠٠٥م



إصدارات كتاب الاثنينية

١ ـ ديوان (الأعمال الكاملة).

لمعالي الأستاذ أحمد بن محمد الشامي، (رقم ١) الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢ ـ كتاب (عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية).

لمؤلفه الأستاذ محمود رداوي، (رقم ١/١) الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣ ـ ديوان (عاصفة الصحراء).

للشاعر الأستاذ محمود عارف، (رقم ١/ ٢) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٤ ـ ديوان (الأربعون).

للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ، (رقم ١/ ٣) الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٥ ـ ديوان (قلبي على وطني)

للشاعر العراقي الأستاذ يحيى السماوي، (رقم ١/ ٤) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٦ ـ كتاب (جرح باتساع الوطن).

للشاعر الأستاذ يحيى السماوي، (رقم ١/ ٥) الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٧ ـ ديوان (حصاد الغربة)

للشاعر العراقي الدكتور زاهد محمد زهدي، (رقم ١/٦) الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٨ ـ ديوان (الأعمال الكاملة)

للأستاذ الراحل زكي قنصل، (رقم ٢) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٩ ـ كتاب (البهاء زهير)

للأستاذ المرحوم محمد إبراهيم جدع، (رقم ٣) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠ ـ كتاب (التوازن معيار جمالي)

للأستاذة غادة بنت عبد العزيز الحوطي، (رقم ٤) الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١١ ـ كتاب (سوانح وآراء)

للأستاذ الدكتور بدوي طبانه، (رقم ٥) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٢ ـ كتاب (ترجمة حياة)

لمعالي الأستاذ محمد حسن فقي، (رقم ٦) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٣ ـ ديوان (قوس قزح)

لفضيلة معالي الدكتور الشيخ أحمد الزرقاء، (رقم ٧) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٤ ـ كتاب عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (الجزء الأول).

للأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب، (رقم ٨) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٥ ـ كتاب عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (الجزء الثاني)

للأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب، (رقم ٨) الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦ ـ ديوان الأعمال الكاملة (الجزء التاسع)

لمعالي الأستاذ محمد حسن فقي، (رقم ٩) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٧ ـ ديوان (أوراق من هذا العصر)

للشاعر الدكتور خالد محي الدين البرادعي، (رقم ١٠) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٨ ـ ديوان (زمن لصباح القلب)

للشاعر فاروق بنجر، (رقم ١١) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٩ ـ الشعراء في إخوانياتهم

للأستاذ خالد القشطيني، (رقم ١٢) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٠ ـ عبد الله بلخير يتذكر

للأستاذ خالد باطرفي، (رقم ١٣) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢١ ـ كتاب (الغربال)

للأستاذ حسين عاتق الغريبي، (رقم ١٤) الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٢ ـ ديوان (حلم طفولي)

للأستاذ سعد البواردي، (رقم ١٥) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٣ ـ كتاب (الأعمال الشعرية الكاملة وأعمال نثرية)

للشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي، (رقم ١٦) الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٤ ـ المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي الراحل محمد سعيد عبد المقصود خوجه

إعداد وتقديم الأستاذ حسين عاتق الغريبي (رقم ١٧) الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٥ ـ الأعمال الكاملة للشاعر والأديب الكبير حسين عبد الله سراج رقم (١٨)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٦ ـ أخبار مكة للأزرقي رقم (١٩)، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

٢٧ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحميد عنبر رقم (٢٠)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٨ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي رقم (٢١)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٩ ـ الأعمال الشعرية والنثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي رقم (٢٢)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٠ ـ الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأستاذ محمد إسماعيل جوهرجي رقم (٢٣)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣١ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان رقم (٢٤)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٢ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي رقم (٢٥)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٣ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء رقم (٢٦)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٤ ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الأستاذ محمد صالح باخطمة رقم (٢٧)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٥ ـ الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي رقم (٢٨)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٦ ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأستاذ مصطفى زقزوق رقم (٢٩)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٧ ـ الأعمال الكاملة للأستاذ إبراهيم أمين فودة رقم (٣٠)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٨ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد عمر عرب رقم (٣١)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٩ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الله عبد الرحمن الجفري رقم (٣٢)
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م.

٤٠ ـ الأعمال الكاملة للشاعر والأديب الأستاذ علي حسن أبو العلا رقم (٣٣)

الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م.

٤١ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ أحمد قنديل رقم (٣٤)

الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م.

٤٢ ـ عكاظ لندن رقم (٣٥)

الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م.



السيرة الذاتية

نسبه: [١]

حياة القنديل في سنيها الأولى يكتنفها الغموض، شأنه في ذلك شأن الكثير من معاصريه، الذين ولدوا وشبوا قبل اكتمال الوعي، وازدهار الحضارة في العصر الحديث، ومن ثم لم يكن التأريخ له في مقتبل عمره بالأمر الهيّن، فالمراجع صامتة، وأكثر من يوثق بهم، ويعتمد عليهم من آله وذويه هم الآن في ذمة التاريخ.

وقصارى ما نأتي به ههنا، إن هو إلا نتف نتصيدها من بعض المراجع، أو نتلقفها من أفواه معاصريه، ونحن مضطرون إلى أن نقنع بها حتى يجود الزمان بمن أو بما يلقي على بداية حياته مزيداً من الضوء. وبالله التوفيق.

وعلى كل فهو أحمد بن صالح بن أحمد العبيدي الملقب بالقنديل نسبة لقنديل الحي[٢].

مولده ونشأته:

في (العلوي) من محلة اليمن بجدة، وفي ذلك البيت الشعبي الكبير،

---

(١) أحمد قنديل: حياته وشعره، فاطمة سالم عبد الجبار طبعة ١٤١٩هـ ـ ص ٥٣ ـ ٦٢.

(٢) أصل لقب هذه الأسرة (عبيد) ولكن جد الشاعر (أحمد) لقب بالقنديل لأنه ولد بعد عشرة أشهر عند إضاءة قنديل في مزار العلوي (حسب قول صالحة صالح قنديل) أخت الشاعر.

رزق مدرس القرآن الشيخ صالح أحمد قنديل بابنه الثاني[١] أحمد فشب هذا الطفل في بيئة دينية شعبية، إذ إن والده كان من أشهر المقرئين بمدرسة الفلاح، ومن أبرز المأذونين الشرعيين في جدة. وهذا ما جعله يعمل على غرس الروح الدينية في نفوس أبنائه، وقد تمثّل ذلك في فهم القرآن وحفظه، وتكرار تلاوته، وفي المحافظة على فرائض الدين، وأدائها على أكمل وجه، وفي حسن المعاملة والمودة مع الناس عامة، ومع أفراد الأسرة بصفة خاصة[٢].

أما بيت القنديل فيقع في حي شعبي مشهور، يحيط به سوق العلوي، وتحف به بيوت شعبية خاصة بالطبقة الوسطى من المجتمع، يغلب على أهلها الطيبة والتبسط والتآزر، حتى غدا أهل ذلك الحي كأنهم أسرة واحدة[٣].

أما بالنسبة لسنة مولده، فقد اختلف بعض المؤلفين فيها اختلافاً يسيراً، فمنهم من يذكر أواخر عام ١٣٢٩هـ[٤] تاريخاً لميلاده، ومنهم من جعل ميلاده سنة ١٣٣٠هـ[٥]، ومنهم من يقول إنه ولد سنة ١٣٣٢هـ[٦]. ومن المرجح أن أصوب تاريخ لميلاده هو التاريخ الأول، وذلك لأنه التحق بمدرسة الفلاح سنة ١٣٣٦هـ، ولم تكن من عادة الآباء في تلك الفترة

---

(١) أبناء الشيخ صالح بالترتيب كالتالي (يوسف ـ أحمد ـ صالحة ـ عبد العزيز).

(٢) مقابلة شخصية مع أخت الشاعر (صالحة قنديل). يوم السبت ١٤٠٧/٢/١هـ الساعة الثامنة مساءً.

(٣) محمد علي مغربي/أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة ١٤٠١هـ، تهامة ـ جدة، المملكة العربية السعودية ص ٢٨ بتصرف.

(٤) محمد سعيد عبد المقصود، وعبد الله بلخير في كتابهما (وحي الصحراء)، وقد اتفق معه في ذلك التاريخ علي عبد الحليم محمود في كتابه (النصوص الأدبية تحليلها ونقدها).

(٥) عبد السلام الساسي، الموسوعة الأدبية ص ٢٤٥.

(٦) صفحة الغلاف الأخيرة من ديوان/قاطع الطريق ـ أحمد قنديل.

إلحاق أبنائهم بالمدارس في سن مبكرة دون السابعة، وسنرى فيما يلي كيف كانت نشأته العلمية.

عندما بلغ القنديل السابعة من عمره ألحقه والده بمدرسة الفلاح كما ذكرنا، تلك المدرسة التي تلقى فيها علومه الأولى، وفيها نمت مداركه بألوانها المختلفة، لغوية، ودينية، واجتماعية، زهاء تسع سنين حيث تفتحت فيها مواهبه، وتأصلت ثقافته وهذا القول موثوق به على الرغم مما ذكره عنه صديقه الحميم حمزة شحاتة إذ قال:

(وحظ قنديل متواضع مثله، وفيه دليل على أنه مظلوم النشاط والكفاءة، والذنب في هذا ذنب إمعانه في بلديته، وذنب استسلامه واطمئنانه فقد كان حين كان تلميذاً راضياً بقسمته، وراضياً عن حكم أساتذته فيه، قد يقضي في الصف الدراسي أعواماً، ما تندت من فمه كلمة اعتراض، أو احتجاج، أو تظلّم، حتى تدفعه الصدف إلى صف غيره، أو تدحرجه درجة. ولا أحسب أن تلميذاً أبلى من عمره في الدراسة مثلما أبلى من عمره في الدراسة، فقد دفعه أهله إليها قبل أن تنبت أسنانه، وغادرها بلحية تسترسل على صدره، تفترش معظمه وسائره)[١].

وهذه السطور تعتبر لوناً من الدعابة والتندر من صديق لصديقه، ولا يقصد بها أي معنى مما يوحي به ظاهر الألفاظ، فهذه مغالطة خفيفة الظل لا يراد بها إلا الفكاهة البريئة بالتصوير الكاريكاتوري، وآية ذلك أن القنديل قد أمضى في مدرسته السنوات المعتادة، ولم يغادرها بلحية تسترسل على صدره ـ كما قال عنه صديقه ـ وفي هذه المقالة إشارة إلى شعبية الشاعر، وبلديته كما ذكر.

---

(١) حمزة شحاته/حـار حمزة شحاتة، من مقالة بعنوان أستاذ ص ٤١.

ثقافاته:

للثقافة أثر كبير في صقل المواهب واتساع المدارك، مما له أكبر الأثر في تجويد الشعراء.

ولكي نلقي الضوء على ثقافة القنديل لا بد من الإشارة إلى المنهل الذي استقى منه معارفه، ونبدأ بالمدرسة التي تلقى فيها علومه الأولى وهي (مدرسة الفلاح الأهلية) التي كانت هي ومثيلاتها من المدارس الأهلية ـ كالمدرسة الصولتية ١٢٩٢هـ، والمدرسة الفخرية ١٢٩٦هـ ـ منهلاً للعلوم هيأ للبلاد خيرة الرجال المثقفين، الذين كانوا هم الطليعة التي اعتمدت عليها المملكة العربية السعودية في نهضتها[١].

قام محمد علي زينل بتأسيس هذه المدرسة في جدة في ٩ شوال عام ١٣٢٣هـ، الموافق ٧ ديسمبر عام ١٩٠٥م، ثم أسس بعد ذلك بست سنوات تقريباً فلاح مكة عام ١٣٣٠هـ، الموافق ١٩١٢م. وما شاركه في هذا إلا نفر قليل من صفوة الأصدقاء أمثال محمد صالح جمجوم، ومحمد حامد أحمد الحسين، وعبد الرؤوف جمجوم، أولئك الذين ساعدوه في تأسيس (فلاح جدة). ولكن عبء الإنفاق، وتوفير احتياجات المدارس، كان مقتصراً على نفقة المرحوم محمد علي زينل، اعترافاً بنعمة الله تعالى عليه من تجارة اللؤلؤ. وكان الهدف من تأسيسها ما أشار إليه الأستاذ محمد أحمد الشاطري بقوله: (لقد كان مؤسسها يرمي إلى إنشاء جيل مسلم جديد، يخدم وطنه، ويطبق تعاليم دينه، ورفع مستوى التعليم عموماً. ويهدف أيضاً إلى تخريج علماء إسلاميين، يقومون بنشر الدعوة الإسلامية، ويدفعون عنه الشبهة التي ترد عليه، ويحفظون للإسلام علومه ومبادئه، ويحملون شريعته، ويطبقون أخلاقه، ويجددون شبابه)[٢].

---

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية/بكري شيخ أمين ص ١٨٤ بتصرف.

(٢) محمد أحمد الشاطري، محمد علي زينل رائد نهضة وزعيم إصلاح ومؤسس مدارس الفلاح/ ص ٧٦.

أما المنهج الدراسي لهذه المدارس التي انعقدت عليها الآمال، فهو ما ذكره الدكتور محمد الشامخ بقوله: (كانت الدراسة في مدرسة الفلاح تتكوّن منذ عام/١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥م حتى عام/١٣٣٤هـ الموافق ١٩١٦م من ثلاث مراحل، ومدة كل منها ثلاث سنوات، وهي: المرحلة التحضيرية، والمرحلة الابتدائية، والمرحلة الرشدية.

وكانت المواد والمقررات التي تدرس بها حينئذ تشمل المواد التالية:

الهجاء، والقرآن الكريم حفظاً وتجويداً، والتفسير، والفقه كل على مذهبه، والحديث، والتوحيد، والسيرة، والإملاء والخط، والنحو والصرف، والبلاغة والإنشاء، والمحفوظات والتاريخ، والجغرافية، والحساب، ومسك الدفاتر متدرجة من مرحلة إلى مرحلة مع أعمار الطلاب. وقد أحاط بذلك الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ في كتابه (التعليم في مكة والمدينة)[١].

هذه المواد المركزة التي درسها الشاعر كان لها أكبر الأثر في تكوين ثقافاته وصقل مواهبه، واتساع مداركه، وخاصة القرآن الكريم لما لها من بالغ الأثر في تقويم اللسان، ونصاعة البيان، ونمو اللغة، وتهذيب الأساليب. وهذا ما نلحظه في بلاغة الجيل المنصرم، جيل السباعي والغزاوي، وفي مصر جيل المنفلوطي، والرافعي، والزيات، وأحمد أمين، وفي سوريا ولبنان جيل الحصري والخطيب فضلاً عن أمير البيان شكيب أرسلان.

أما ميول القنديل الأدبية فقد غرستها ونمتها في نفسه مطالعاته الواسعة، وقراءاته الخاصة، فقد كان شغوفاً منذ نعومة أظفاره بقراءة القصص، والسير الشعبية كسيرة عنترة، وأبي زيد الهلالي، وسيف بن ذي يزن، وغيرها[٢]. كما كان ميّالاً إلى الإلمام بأحداث التاريخ، وأساليب المنطق، وقواعد

---

(١) انظر د/محمد عبد الرحمن الشامخ، التعليم في مكة والمدينة ص ٤٥ ـ ٥٥.

(٢) مقابلة شخصية مع (صالحة قنديل) أخت الشاعر.

النحو، محباً لآداب اللغة العربية، فقد درس المتنبي وابن الرومي والبحتري، ولم يفته قراءة التراجم العديدة لبعض أدباء الغرب كشكسبير، وبايرون، وجيته، ومولبير، ونيتشه، وغيرهم[(١)].

وكان يتابع بحرص وشغف الحركات الأدبية في مصر والمهجر، ويلمّ بإنتاج الأدباء في هذه وتلك. ولهذا كان واسع الأفق، غزير المعارف، وقد أكّد ذلك أحد معاصريه وهو الأستاذ محمد علي مغربي. فحينما سألته أن ينشر لنا من صفحاته المطوية ما يعلم، قال: (أحمد قنديل هو من الجيل الثاني من روّاد الأدب في الحجاز، تلقى تعليمه في مدرسة الفلاح بجدة، ثم عمل أستاذاً بها، وكان كثير القراءة والاطلاع، يتابع الإنتاج الأدبي لأدباء عصره، وكانت الزعامة الأدبية في ذلك الوقت قد استقرت في مصر، فكان يتابع ما ينشر لأدبائها أمثال العقاد، والمازني، وطه حسين، وأحمد أمين، وشوقي، وحافظ، والمطران، وغيرهم. كما كان لديه اطلاع على الأدب القديم. وأذكر أنه كان يحتفظ بنسخة من كتاب الكشكول، الذي يحتوي على كثير من الطرائف في الأدب العربي القديم، وكان يقرأ كذلك الكتب والقصص المترجمة عن الآداب الغربية، فهو واسع الثقافة)[(٢)].

وقد رغب في تعلم اللغة الإنجليزية بعد كبره، فالتحق في أثناء وجوده في مصر بـ (فكس سكول) فترة، ثم انقطع عنها. ورغم قلة حصيلته في هذا المجال فقد كان يأتي ببعض القصص الإنجليزية، ويحاول ترجمتها[(٣)]. وهكذا كان يطلب لنفسه الكمال الأدبي ما استطاع إليه سبيلاً، ومما ساعده على الإفادة من تلك الثقافة، قوة حافظته، وميوله لأدب التراث، ذلك الأدب

---

(١) عبد السلام الساسي، الموسوعة الأدبية، ص ٢٤٥، بتصرف.

(٢) من رسالة لمحمد علي مغربي إجابة على بعض أسئلة أرسلتها إليه.

(٣) مقابلة شخصية مع ابن الشاعر (أمل قنديل). في منزله بجدة يوم الأحد ١٤٠٧/٢/٩هـ الساعة السادسة وخمس وأربعون دقيقة.

الأصيل، الذي حفظ منه الكثير عن ظهر قلب[١]، والذي أمده بثروة لغوية وجمالية، ساهمت في تنمية موهبته الشعرية.

شيوخه وتلاميذه وأصدقاؤه:

أما أساتذة القنديل الذين تلقى على أيديهم العلوم في مدرسة الفلاح، فأشهر من عرفنا منهم:

أحمد سرحان[٢]، ومحمد المرزوقي[٣]، والشيخ أحمد يوسف[٤]، والشيخ أحمد حصري[٥]، والشيخ حسين مطر[٦]، وعمر حفني[٧]، وعبد الوهاب نشار[٨]، وأحمد أبو ريا[٩]، والشيخ صالح قنديل والد الشاعر.

---

(١) من مكالمة هاتفية مع الأستاذ عمر عبد ربه صديق الشاعر الحميم. تمت يوم الخميس ٢٧/٢/١٤٠٧هـ الساعة التاسعة مساءً.

(٢) وهو مصري هاجر إلى جدة قديماً، وكان أستاذاً لتجويد القرآن وللعلوم الدينية كالفقه، ولعلّه من متخرجي الأزهر، أو إحدى الكليات الدينية في مصر، وقد عاش ومات في جدة.

(٣) من رجال التعليم في الحجاز، وأصل أسرته من مكة، وكان يدرس النحو والبلاغة والفقه، ثم انتقل إلى سلك القضاء، فعيّن قاضياً في مدينة جدة.

(٤) كان قارئاً مشهوراً حسن الصوت في جدة، وكان يعلم التلاميذ القرآن.

(٥) كان يعلم التلاميذ القرآن الكريم أيضاً.

(٦) مدير مدرسة الفلاح بجدة، وكان من علماء الأزهر الشريف، وكان يلقي دروسه في الفصول الغليا في المدرسة، وفي الدروس الدينية خاصة وكانت له حلقة للدرس في مساجد جدة في بعض الأحيان، وهو من أفاضل الرجال.

(٧) كان وكيلاً لمدرسة الفلاح، وعمله إداري أكثر منه في التدريس، وكان يلقي بعض الدروس في النحو بعد مراجعتها على الشيخ حسين مطر.

(٨) كان من أعظم أساتذة الفلاح وأكثرهم جدية، وكان يتولى التدريس في الفصول العليا في المدرسة، وخاصة في الفقه والحساب والنحو وغيرها. وقد ترك العمل في أواخر أيامه. وبعد أن كبرت سنه تفرّغ للتجارة، التي كان يمارسها وهو يقوم بعمل التدريس، وهو من أهل جدة.

(٩) وهو أزهري استقدم إلى جدة، وكان يدرس الفقه والدروس الدينية، في مدرسة الفلاح، هذه المعلومات أخذت من رسالة للمغربي أرسلت إلينا بعد استفسارنا عن هؤلاء.

وهـم شيـوخ أفاضل على قدر كبير من الثقافة والعلم والخلق القويم.

أما تلاميذه فكثيرون، ومن هؤلاء، محمد إبراهيم مسعود[١]، أحمد جمجوم[٢] وحسن نصيف[٣]، وغيرهم. وقد وصل هؤلاء في الوقت الحالي إلى أعلى المراتب والدرجات.

وأما أصدقاؤه، فعديدون وكان ألصقهم به الشاعر حمزة شحاتة وعمر عبد ربه، وعمر هزازي، ومحمد سعيد عتيبي، ومن أصدقائه الذين شاركوه رحلاته: سليمان الدخيل، ويوسف عابد، وسراج زهران، وغيرهم.

رحــلاته:

كان القنديل من المغرمين بالرحلات، لذا فقد رحل إلى مصر وبيروت وأوروبا واليونان وإيطاليا وسنغافورة والصين وفيما يلي تفصيل ذلك.

رحل الشاعر إلى مصر رحلات متكررة، لأغراض متعددة وكانت أخراها رحلة إقامة.

أما أولاها فكانت للعلاج، وذلك في السادس من ربيع الآخر سنة ١٣٤٦هـ حيث أقام هناك مع صديقه الشاعر حمزة شحاتة، ولما عاد سجل

---

(١) شغل منصب وكيل وزارة الخارجية لمدة طويلة، وهو الآن وقت كتابة هذه السطور ٩ شعبان ١٤٠٦هـ عضو مجلس الوزراء السعودي يشغل منصب وزير دولة بمجلس الوزراء السعودي وهو المشرف العام على مؤسسة البلاد للصحافة وللنشر.

(٢) وزير التجارة الأسبق، من بيت تجاري كبير، بيت صلاح وتقوى وفضل ويعتبر من المثقفين الإسلاميين المتزنين، وهو المدير العام لمؤسسة المدينة للصحافة سابقاً.

(٣) كان وزير الصحة الأسبق وهو أديب ذو روح مرحة، وله بضع مؤلفات منها مذكرات طالب ـ تسالي وهو ينظم الشعر العامي.

(للمعلومات الخاصة بتلاميذ القنديل أستعين على معرفة بعضها من الأستاذ عبد الله الجبار).
أسماء تلاميذ وشيوخ وأصدقاء القنديل عرفت من عمر عبد ربه، عن طريق مكالمة هاتفية أجريت استفساراً عن هذا الأمر.

مشاهداته عن مصر في كتاب أطلق عليه (كما رأيتها) وكذلك كانت رحلته الثانية، فقد سافر إليها سنة ١٣٦٨هـ.

أما رحلته الثالثة إليها فكانت عام ١٣٧٠هـ ومنها سافر إلى لبنان، ومكث بها بضعة أشهر مع بعض زملائه، حيث تفرّغ خلال تلك الفترة لطباعة بعض دواوينه، وهي ديوان (أصداء) و (أغاريد) و (الأبراج) التي طبعت بدار المكشوف، وقد مكث في بيروت إلى ١٦ رجب من العام نفسه.

أما رحلاته الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة إلى مصر فكانت على التوالي في الأعوام ١٣٧٢هـ و١٣٧٤هـ، و١٣٧٥هـ، و١٣٧٧هـ، و ١٣٧٨هـ، وفي رحلته الأخيرة أسس شركة مكة التجارية. وفد رحل الشاعر سنة ١٩٦٠م إلى الإسكندرية، ومنها إلى القاهرة حيث استقر بها فترة من الزمن.

وفي حديثنا عن مصر أشرنا إلى بعض رحلاته إلى لبنان وكان قد رحل إليها في السابع من ذي الحجة ١٣٧٣هـ للعلاج مع عائلته.

وسافر الشاعر إلى السودان في الثالث من ذي الحجة عام ١٣٦٥هـ حيث أقام في الخرطوم ثلاثة أشهر ثم رحل إلى (بورسودان) في الثالث من ربيع الأول ١٣٦٦هـ.

كذلك كانت له رحلتان إلى أوروبا بغرض الترفيه، وكانت الأولى في الثاني عشر من جمادى الآخرة عام ١٣٧٢هـ، وقد رافقه في رحلته هذه صديقه عمر عبد ربه، وقصدا إيطاليا وسويسرا وفرنسا وإنجلترا، ومنها عاد إلى لبنان، ثم إلى مصر، ثم إلى الحجاز في السادس من رمضان ١٣٧٢هـ. أما رحلته الثانية إليها، فقد كانت في الرابع عشر من أكتوبر ١٩٥٤م مع بعض أصدقائه. ثم عادوا بعد جولة في فرنسا وإنجلترا وألمانيا في الرابع عشر من نوفمبر ١٩٤٥، ومنها اتجهوا إلى مصر، ثم جدة عام ١٣٧٤هـ.

وفي عام ١٩٦٠م قام مع عمر عبد ربه برحلة إلى اليونان، ومنها عاد إلى الإسكندرية في العام نفسه[١].

شخصيته وصفاته:

لقد أورد المغربي وهو من أصدقاء القنديل المقربين بعض صفاته الجسمية، التي اتسم بها، إذ كان معتدل القامة، أقرب إلى القصر، أسمر اللون شديد السمرة، ممتلئ الجسم، واسع العينين، مرسل الشعر[٢].

أما صفاته العقلية والخلقية فمن أبرزها الذكاء، وظرف المعشر، ودماثة الخلق، والتواضع، فهو يخاطب الصغير والكبير، والغني والفقير، والمتعلم والجاهل، بأسلوب سلس كلاً على قدر عقله ومن ثم نراه يأسر قلوبهم، وينال محبتهم.

وشاعرنا وفيّ بكل معنى الوفاء، يعرف معنى الصداقة ويحرص عليها، فلا يتقاعس عن واجباته تجاه أصدقائه، فيصلهم ليطمئنّ على أخبارهم، وقد شهد له بهذا الوفاء ابنه أمل، ونفز من أصدقائه الخلّص أمثال عمر عبد ربه، وعمر هزازي وغيرهم.

وهو منظم في حياته، دقيق في مواعيده، لا يزور ولا يزار إلا بموعد يحرص على المحافظة عليه. ثم إنه يميل إلى الصراحة، وقد تجلى ذلك في نقده للحياة والمجتمع. وشاعرنا أيضاً صاحب نكتة طريفة، ورثها عن أبيه تظهر في حديثه، وفي كتاباته الشعرية والنثرية، فهو يحب تقليد اللهجات سواء مع السودانيين أو اليمنيين في مهارة وطرافة، وهذا ما وطد صلته بهم فأحبوه وقدروه.

---

(١) من مفكرة جيب للشاعر أحمد قنديل نظر إليها بواسطة ابنه أمل.

(٢) محمد علي مغربي، أعلام للحجاز ص ١٩ بتصرف.

ولتواضعه وخفة روحه ومحبته للناس كان شاعراً شعبياً بالمعنى الدقيق للكلمة كما يقول الأستاذ المغربي فقد نشأ في بيئة متواضعة حيث كان بيته يقع في حي شعبي، تحيط به بيوت الطبقة الوسطى كما أسلفنا. وقد ورث شاعرنا كل هذا عن أسرته، وانعكس على شعره فجاء تعبيره عن بيئته الشعبية طريفاً دقيقاً مليئاً بالنقد الاجتماعي.

والقنديل في أبوته يسلك طريقة حديثة في تربية أبنائه، فهو يبتعد عن التربية التقليدية القائمة على فرض الرأي، ومحو الشخصية ذلك لأنه لم يكن متعنتاً في رأيه، بل كان يفتح باب النقاش بينه وبين أبنائه، ليعطيهم حرية إبداء آرائهم، مع الحفاظ على التوجيه وإسداء النصح.

وكان يحرص على تعليمهم، وتشجيعهم على القراءة والاطلاع، بل إن بينه وبينهم رسائل متبادلة، وهم يقطنون في بيت واحد. ولعلّ السر في ذلك هو رغبته في صقل أسلوبهم، وحرصه على متابعة أعمالهم، والكشف عن بواطن أفكارهم.

كما قام بغرس الخصال الحميدة في نفوسهم كالقناعة والتعاون والمودة والصدق، لذا فإن ابنه أمل يعده أباً مثالياً ويحذو حذوه في تربية أبنائه.

كذلك كانت علاقته بأخوته علاقة يسودها الود والتعاطف.

وللقنديل أيضاً هواياته ومشاربه، ومن أبرزها حب القراءة، التي امتدت جذورها في نفسه، وتشعبت منذ أن كان طفلاً، ينكّب على قراءة القصص والسير الشعبية.

كذلك كان محباً للرياضة والسير على الأقدام كل أصيل. وهذا ما رواه عنه ابنه أمل، وصديقه عمر ربه، يقول الأخير متحدثاً عن ذكرياته معه: (كنا نتمشى بعد العصر على الأقدام إلى أن نصل إلى تل في أوائل البغدادية، وبعد صلاة المغرب ـ إذا كانت تلك الليلة قمراء ـ فإن القنديل يستوحي

الشعر، ومقدرته على الحفظ تجعله لا ينسى ما نظمه حيث يقوم بتدوينه في المنزل)[١].

كذلك فقد كان يهوى الترحال والسفر كما سبق وأشرنا إلى ذلك في حديثنا عن رحلاته، ويهوى لعبة الشطرنج ويجيدها، وفي شعره الشعبي إشارة إلى هذا.

كما أنه كان ينظم الشعر للمنشدين، الذين جرت العادة أن يقدموا أناشيدهم في حفلات الأعراس، لذا كانوا جميعاً يلجأون إليه لينظم لهم تلك الأناشيد[٢].

وفاته:

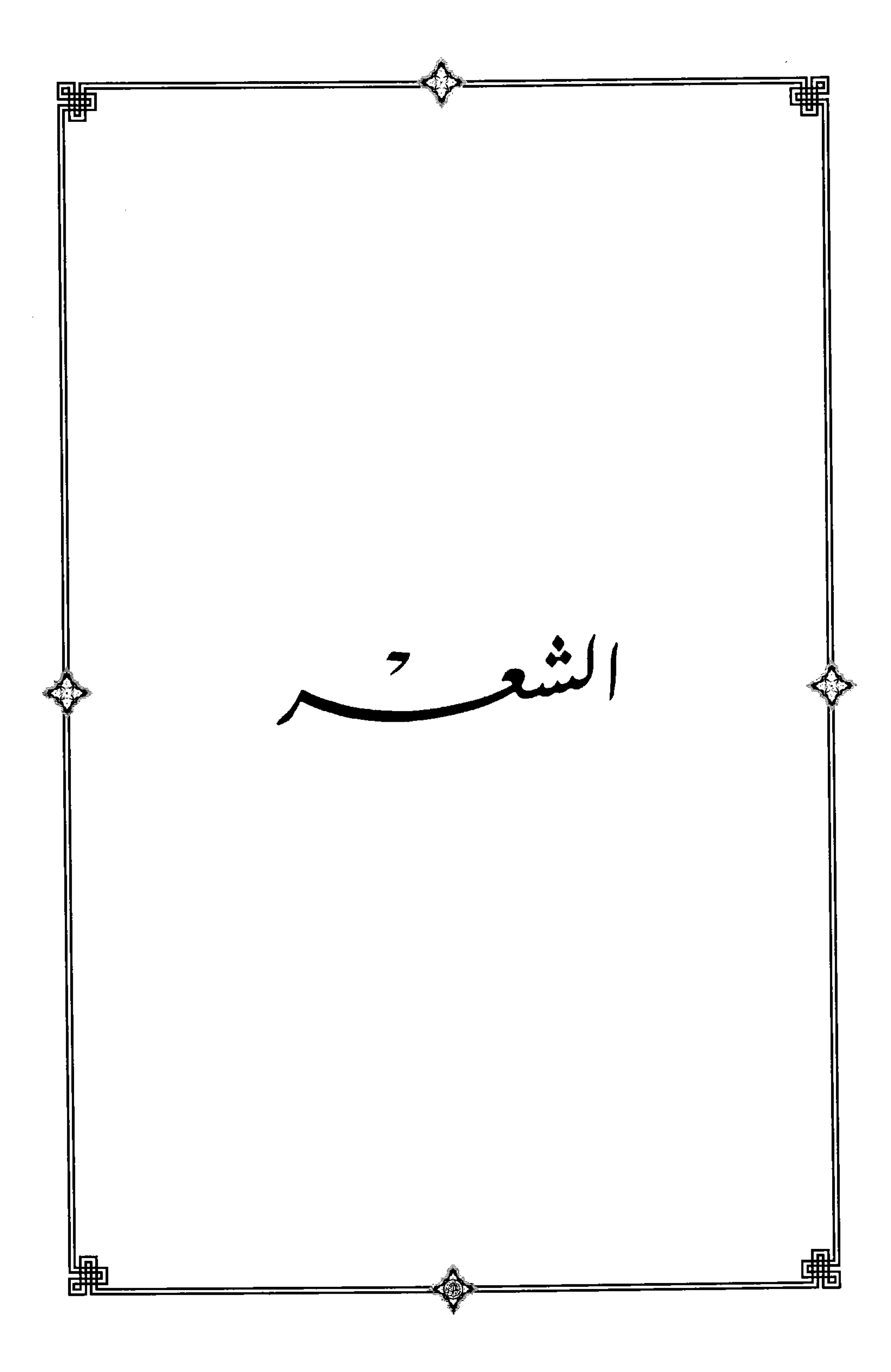
توفي أحمد قنديل صباح يوم الجمعة الثاني عشر من شهر شعبان ١٣٩٩هـ وقد شارك كثير من الناس في مواساة ابنائه وأفراد اسرته.

كما قامت بلدية جدة بإطلاق اسمه على الشارع المؤدي إلى منزله بجدة تخليداً لذكراه، عدا الذكرى العطرة التي خلدها الشعراء والأدباء في رثائه وتأبينه كما سنرى.

---

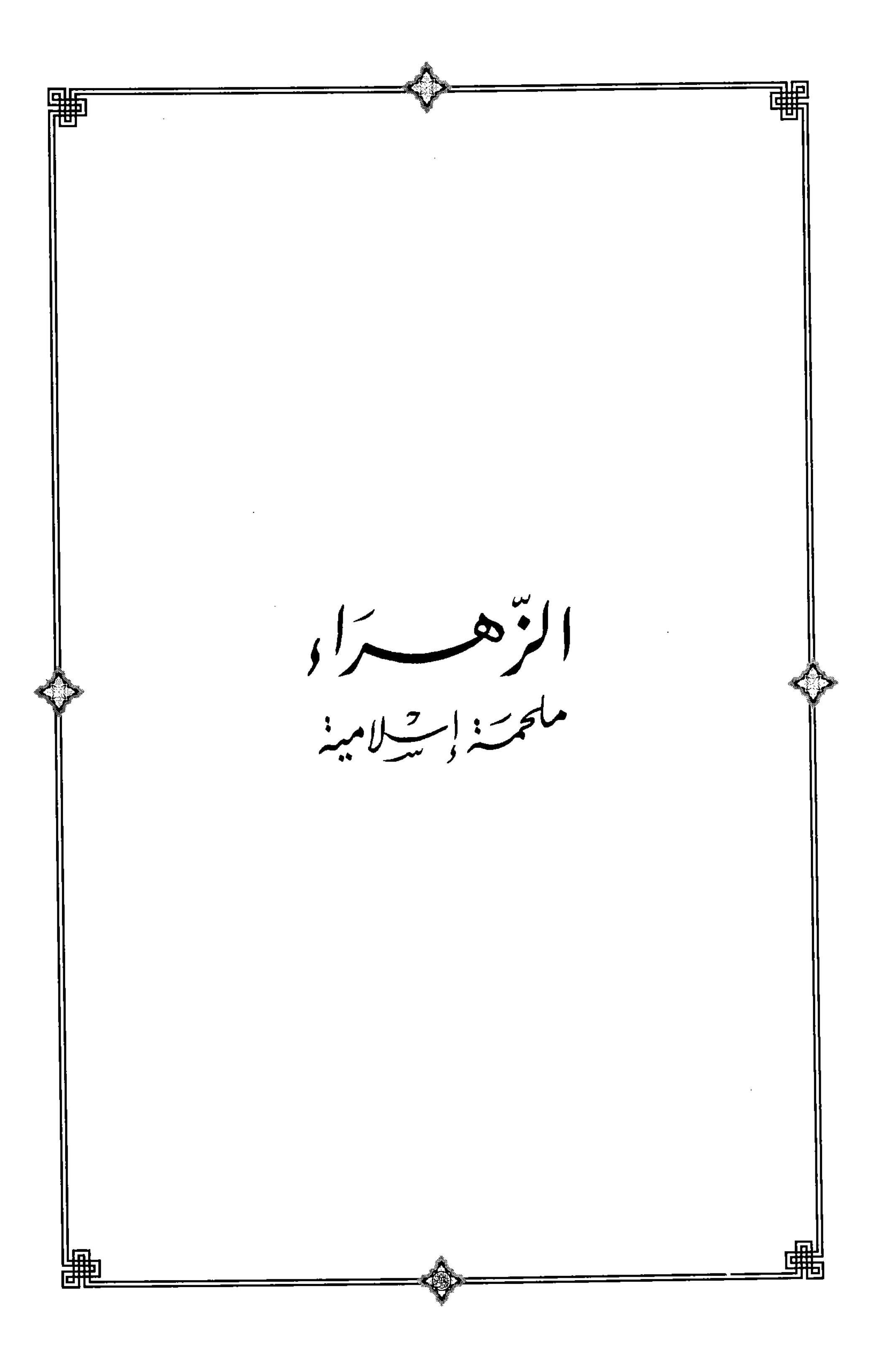
(١) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز ص ٢٩.

(٢) من مكالمة هاتفية مع عمر عبد ربه.



الشعر





الزّهراء

ملحمة إسلامية



القسم الأول

فَوَاتِحُ . . وَمَعَابِر . .

الْمَرَاقِي الْخُضْر . .

أَنْتَ يَا رَبّ . .

يَا أَخَا الدَّرْب . .

أَيُّهَا الْقَلْب . .

دُنْيَا الْجَزِيرَة . .

وَأْدُ الْبَنَات . .

الْحَرْبُ . . وَالْغَيْب . .

الْمَلْهَاةُ . . وَالْقَطِيع . .

الْيَوْمُ . . وَالْحِلْف . .

مَآسٍ . . وَظَلاَمٌ . . وَحِكْمَة . .

المَرَاقِي الْخُضْر

أيُّهَا الْعَابِرُ السَّبِيلَ إلَى الدَّوْحَةِ كُبْرَى.. مَحْفُوفَةً بِرِضَاهَا(١)

وَالمُغِذُّ الْمَسِيرَ لِلْقَبَسِ الأنْوَرِ.. رُوحاً مَا مِثْلُهَا في ضِيَاهَا(٢)

غُضَّ طَرْفَ الْجَلاَلِ.. تَاقَ إلَى السِّدْرَةِ.. يَسْمُو عَنْ لَحْظِهِ مُنْتَهاهَا

إنَّما أنْتَ فِي الْمَرَاقِي أضَاءَتْ بِالسَّنَا.. بِالسَّنَاءِ فِي مَرقَاهَا(٣)

فِي مَمَاشِي الجَمَالِ.. وَسْطَ وَرِيفٍ مِنْ ظِلاَلٍ.. تَفَيَّأتْ مَمْشَاهَا

فَلَدَى الْمَفْرَقِ الْبَهِيِّ.. إلَى الْمَطْلَعِ مِنْ دَرْبِهَا الْمُنيرِ حِمَاهَا

قِفْ عَلَى هَامَةِ الطَّرِيقِ.. وَكَبِّرْ فِي الرَّوابِي الْخَضْرَاءِ مِنْ مَغْنَاهَا

وَتَظَلَّلْ بالرَّوْقِ.. فِيهَا.. هَجِيراً وَتَنَوَّرْ.. مِنْ لَيْلِهَا.. قَمرَاهَا(٤)

وَتَرَشَّفْ بِالرُّوحِ.. بالقَلْبِ مَا انْدَسَّ.. خَفِيًّا.. بِرُوحِهَا لَنْ تَرَاهَا

تَتَعَرَّفْ كَوْنَ الْجَزِيرَةِ.. مَا زَالَ كَمَا كَانَ فِي مَدَى بَطْحَاهَا

---

(١) الدوحة ج دوح.. وج أدواح: الشجرة العظيمة المتسعة ـ المظلة العظيمة.

(٢) أَغَذَّ إغذاذاً السير وفي السير: أسرع.. والقبس: الشعلة تؤخذ من معظم النار.

(٣) السنا.. بالقصر: الضياء.. والسَّنَاءُ: العلاء ـ والرفعة.

(٤) الروق هنا: الفسطاط ـ الخيمة.. والهجير: شدة الحر.. وتنوَّر: أضاء.. تَبَصَّرَ من بعيد.

ذَاكَ سِرُّ الصَّحْرَاءِ.. لَمْ تُودِعِ السِّرَّ مَصُوناً إلاَّ إلَى أَبْنَاهَا
فَتَقَدَّمْ لَهَا.. وَكُنْ كَبَنِيهَا وَاحْيَ أَحْلاَمَهَا.. وَعِشْ بِهَوَاهَا
تَقَرَّى بِهَا الصَّلاَبَةَ وَاللِّينَ. وَمَا شِئْتَ عَالِقاً.. بِثَرَاهَا
تَتَلَمَّسْ مَعْنَى الرِّسَالَةِ فِيهَا أَثَراً مَا انْتَهَى.. وَحَدًّا تَنَاهَى
... أَيُّهَا السَّالِكُ الدُّرُوبَ مِنَ الكَوْنِ. تَرَامَتْ أَشْتَاتُهَا أَشْبَاهَا
عَدِّ عَن غَيْرِهَا.. وَلُذْ بِهَوَاهَا واهْنَ بِالذِّكْرَيَاتِ فَاحَ شَذَاهَا
وَتَنَسَّمْ عِطْرَ النُّبُوَّةِ .. وَحْياً سَرْمَدِيًّا. يَضُوعُ مِلْءَ رُبَاهَا[1]
وَأَرْعَ.. والسَّائِقَ الطَّرِيقَ بِلَحْظٍ سَبَقَ الْحِسَّ حُبُّهُ. فَرَآهَا[2]
إِنَّهَا طَيْبَةٌ وَحَسْبُكَ مِنْهَا.. إِنَّهَا طَيْبَةٌ.. وَمَهْجَرُ طَاهَا
أَيُّهَا الْقَلْبُ.. قَدْ أَظَلَّكَ.. والشَّوْقُ مُلِحٌّ. مَا لاَحَ مِنْ أَفْيَاهَا[3]
إِتْبِعِ الطَّرْفَ.. فِي الْمَسَالِكِ.. بِالطَّرْفِ حَنِيناً مُتَابِعاً مَسْرَاهَا[4]

---

(١) تَنَسّم الريح: تشممها ووجد نسيمها.. وسرمدياً: السرمد ما لا أول له ولا آخر. ـ والمعنيُّ به كلام الله وهو الوحي.. ويضوع: وتضوع المسك: انتشرت رائحته.

(٢) المراد بالسائق هنا: سائق السيارة.. من ساق «عكس قاد» الحديثة بمعنى الجلوس خلف أداتها المحركة للسير ـ كما أن المضمون في البيت ـ هو تصور الشيء المتملك للحس ورؤياه قبل الوصول إليه ورؤيته العيانية من اللهفة والشوق ـ وكثيراً ما يحدث للأشياء المعروفة ـ أو الأماكن المعلومة ـ أو المتخيلة.

(٣) الملحّ: المواظب المستمر.. والأفياء: ج الفيء. وهو ما كان شمساً فيزيله الظل ـ وسمي كذلك لرجوعه من جانب إلى آخر.

(٤) المسالك ج المسلك: وهو الطريق.

وَتَحَسَّسْ مَا شِئْتَ.. مَا كانَ.. فَالْكَوْنُ خِضَمٌّ مُوَشَّحٌ بِضِيَاهَا[(١)]
وَتَنَعَّمْ.. هذِي الْحَيَاةُ. إلَى الرُّوحِ مِنَ الرُّوحِ: حَظُّهَا.. مَجْلاَهَا
فَارْقَ مِعْرَاجَهَا.. اسْتَطَالَ بِهِ الْوَجْدُ.. دُرُوباً مَوْصُولَةً لِلِقَاهَا[(٢)]
خَفْقَةً.. خَفْقَةً.. وَذِكْرَى فَذِكْرى مَا دَرَى نِعْمَةَ الْهَوَى مَنْ سَلاَهَا
إنَّمَا تَعْمُرُ الْقُلُوبُ مِنَ الْحُبِّ بِحُبِّ النَّبِيِّ.. لَيْسَ يُضَاهَى
إنَّهَا طَيْبَةٌ يُلاَحِقُ مَرْآكَ عَلَى الدَّرْبِ سَابِقاً.. مَرْآهَا
فِي شَتِيتٍ مِنَ الْمَفَاتِنِ قَدْ ذَهَّبَ سِحْرَ الْجَلاَلِ سِحْرُ رُؤاهَا[(٣)]
مِلْؤهَا الْحَبُّ.. وَالْهُدَى.. وسَنَا الْحُسْنِ مُطِلاًّ فِي أرْضِهَا وَسَمَاهَا
وَالْبطولاَتُ.. وَالْمَفَاخِرُ .. وَالتَّارِيخُ.. صَرْحاً مُشَيَّداً كَعُلاَهَا
وَحَيَاةُ النَّبِيِّ.. تَرْفُلُ فِي الْخُلْدِ.. حَيَاةً طَابَتْ لَدَى مَوْلاَهَا
فَتَطَلَّعْ لِلْحَقِّ.. لِلْجَاهِ.. لِلشَّأْوِ عَلِيًّا.. لِلَّهِ جَلَّ إلهَا[(٤)]

---

(١) الخضم: الجواد المعطاء ـ البحر العظيم.. ووشحه: ألبسه الوشاح: وتوشح بسيفه: تقلده.. وبثوبه: لبسه.. أو أدخله تحت إبطه فألقاه على منكبه ـ والوشاح: السيف ـ وذو الوشاح: سيف عمر بن الخطاب ـ والوشاح: بفتح الواو ـ والوشاح: شبه قلادة من نسج عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكتفها.. والموشح: ضرب من الشعر ينظم على تقاطيع وقوافٍ معلومة.. وهو من اختراع الأندلسيين، وسمي بذلك لأنه يشبه الوشاح بأشكاله.. وتسمى القصيدة موشحة ج موشحات.

(٢) المعراج: السلم ـ والمصعَد. والوجد: الحب الشديد.. المحبة..

(٣) ذهّب ـ بتشديد الهاء المفتوحة: الشيء موّهَهُ بالذهب.. ورؤاها ـ الرؤى: ـ مفردها الرؤية: النظر بالقلب أو بالعين.. والرؤيا ج رؤى ايضاً: ما تراه في المنام.

(٤) الجاه: القدر ـ والشرف ـ وعلو المنزلة ـ والشأو: الأمد ـ الغاية.

مُسْتَمِدًّا مِنْ نُورِهِ فَلَقَ الْحِسِّ. . عِيَاذاً مِنْ فِتْنَةٍ تَخْشَاهَا[١]
هَاتِفاً. . هَاتِفاً بِمَا أَضْمَرَ الْقَلْبُ. . بِأَعْمَاقِهِ. . اسْتَحَرَّ نِدَاهَا[٢]

أنْتَ يا رَبّ

أَنْتَ يَا رَبِّ. . قَدْ أرَدْتَ . . وَقَدَّرْتَ لِخَيْرِ الأَنَامِ . . خَيْرَ هُدَاهَا
فَاصْطَفَيْتَ الْمُخْتَارَ مَنْ صَانَ . مَنْ بَلَّغَ أَغْلَى رِسَالَةٍ . . أَدَّاهَا
وابْتَعَثْتَ الْقَوِيمَ فِي الْحَقِّ . . مَا حَادَ عَنِ الْحَقِّ: وِجْهَةً وَاتِجَاهَا[٣]
الأَمِينَ الّذِي اجْتَبَيْتَ . . وَأَعْلَيْتَ . . فَأَعْلَى قَدْرَ الأَمَانَةِ جَاهَا[٤]
وَرَسُولَ الْهُدَى . . مَنَارَ سَلَامٍ صَارَعَتْهُ الأَهْوَاءُ هَانَ هَوَاهَا
وَنَبِيَّ التَّقْوَى. . دَعَائِمَ كَوْنٍ زَلْزَلَتْهُ الأَجْيَالُ . مَا أَغْوَاهَا
وَالْبَشِيرَ الزّاكِي الْبِشَارَةِ . . أَضْوَاءَ طُيُوفٍ. . مُخَلَّدٌ مَثْواهَا[٥]
فِي الْفَرَادِيسِ . . قَدْ أَطَافَ بِهَا الرُّوحُ . . وَعَنْ زَلَّةِ الْعُقُولِ زَوَاهَا[٦]

---

(١) الفلق: الصبح: بيان الحق بعد أشكال ـ والعياذ: الملجأ من اللجوء والاعتصام بالله.

(٢) اضمر: الأمر أخفاه. . وفي نفسه شيئاً عزم عليه واستحر: من استحر القتال: أي اشتد.

(٣) الوجهة ـ بكسر الواو أو ضمها: الجانب والناحية ـ وما اتجهت إليه ـ أو توجهت. . والاتجاه: نوعية الوجهة كالمدلول أو المفهوم الشائع. .

(٤) اجتباه: اختاره ـ واصطفاه.

(٥) الطيف: الخيال الطائف في النوم . . وعلمياً: هو الصورة تحدث عن مرور الضوء في منشور لِيُحَلَّ إلى ألوان بسيطة حسب ترتيبها ـ ويتألف عادة من بضعة خطوط.

(٦) الفراديس ج الفردوس: الجنة ـ البستان ـ الروضة. والزلَّة: السقطة ـ والسقوط أو الانحراف عن الحق والصواب ـ وهي المرة من زل بمعنى السقطة ـ وزوى الشيء: ـ نحاه ـ ومنعه ـ وزوى عنه الشر: طواه وصرفه.

وَالنَّذِيرَ اللاَّحِي انْدِفَاعَ قُوَى الشَّرِّ .. ضَلاَلاً .. تُطِلُّ مِنْهُ كُوَاهَا[١]

وَالْغَضُوبَ الْمُقِيمَ فِي الْحَقِّ صُوَى شِرْعَةٍ أَنَارَ صُوَاهَا[٢]

وَالْحَبِيبَ الذَّاري غِرَاسَ هَوَى الْخَيْرِ .. بِأَرْضٍ .. حَيَاتُها حَرَمَاهَا[٣]

رَحْمَةً حُلْوَةً مِنَ اللَّه .. كُبْرى لَقَفَتْهَا الآلامُ .. فِي بَلْوَاها[٤]

وَرَجَتْهَا الآنَامُ بَلْسَمَهَا اللاَّمِسَ أَدْوَاءَهَا .. فَكَانَتْ دَوَاهَا[٥]

إنَّهَا نَفْحَةُ الكَرِيم .. تَوَالَتْ نَفَحَاتٍ غَرَّاءَ فِي آلاهَا

إِنَّهَا فِي دُنَى الْجَزِيرَةِ بِالأَمْسِ.. كَمَا الْيَوْمِ .. لِلْحَيَاةِ حَيَاهَا

هِبَةُ اللّهِ .. وَاصْطِفَاءُ جلاَلٍ قُدُسِيِّ الرَّحْمَاتِ .. جَلَّ عَطَاهَا

يَا أَخَا الدَّرْب

يَا أَخَا الدَّرْب .. هَاجَهُ مِنْهُ مَا هَاجَ فُؤَادِي .. صَبَابَةً .. أَصْلاَهَا

بَيْنَ وَجْدٍ مُرَقْرَقِ الْوَجْدِ طُيُوفُ الذِّكْرَى .. وَمَا أَحْلاَهَا

وَهُيَامٍ مُؤَجَّجِ الشَّوْقِ .. أَذْكَتْهُ تَبَارِيحُهُ .. وَمَا أَقْسَاهَا[٦]

---

(١) اللاحي: اللائم ـ والعاتب. والكوى: ج كوة: الخرق في الحائط.

(٢) الشرعة: الطريقة إلى الماء ـ والشرعة هنا: الشريعة: ما شرع الله لبعاده من السنن والأحكام، والصوى: الأحجار تكون دليلاً في الطريق.

(٣) ذرى: الحنطة وسواها: نقاها في الريح، والغراس: ما يغرس من الشجر وقت الغرس ـ المغروس.

(٤) لقف الشيء: تناوله بسرعة. والبلوى: المصيبة ـ والاختبار.

(٥) البلسم: مادة صمغية تداوى بها الجراح.

(٦) الهيام: الجنون من العشق.. أشد العطش.. والتباريح: كلف المعيشة في المشقة والشدة ـ وتباريح الشوق: توهجه واضطرامه.

إنَّنِي .. إنَّنِي إلَيْهَا مِنَ اللَّهْفَةِ .. حِسٌّ قَدْ تَاهْ بَيْنَ رُؤَاهَا
عِشْتُ أَهْوَاءَهَا طَوِيلاً .. وَقَدْ عُدْتَ خَيَالاً في جَوِّهَا.. وَجَوَاهَا
أَفَأنْسَى .. بالأَمْسِ .. مَا كَانَ؟ هَيْهَاتَ !! فَلاَ كَانَ وَاجِدٌ يَنْسَاهَا
بَاعَدَتْنِي الأَيَّامُ عَنْهَا .. عَلَى غَفْلَةِ نَفْسٍ .. شَيْطَانُهَا أَغْوَاهَا
وَأَرَتْنِي الأَعْوامُ .. طَالَتْ .. مَدَى الفَقْدِ .. مَدَى جَذْبِها وَطُول شَقَاهَا
قَدْ تَوالَتْ عَسْرَاءَ بالشَّظَفِ الشَّاحِبِ .. أَضْنَتْ وِجْدَانَنَا لأَوَاهَا[1]
واسْتَسَرَّتْ فِي مُهْجَةِ الْغَيْبِ تَسْتَامُ هَبَاءً مِنْ بَعْضِهَا دَعْواهَا[2]
فَلَو انزاحَ مَا مَضَى .. مُسْتَعَاراً لأَذَقْتُ النَّوىَ مَرِيرَ نَوَاهَا
بَيْدَ أَنِّي وَقَدْ لَقِيتُ عَزِيزاً مِنْ عِزازِ الآمَالِ.. فِي مَلْقَاهَا
غَيْرَمُلْقٍ فِي سَاحِها الرَّحْبِ .. فِي يَوْمِيَ .. بَالاً لِلأَمْسِ .. فِي مَجْرَاهَا

* * *

أَيُّهَا القَلْب ..

أَيُّهَا الْقَلْبُ خَافِقاً .. بَلَغَ الصَبْرُ مَدَاهُ .. لَقَدْ بَلَغْتَ مَدَاهَا
هذِهِ طَيْبَةُ الْحَبِيبَةُ لاَحَتْ كَالأَمَانِي تَزَيَّنَتْ بِحُلاهَا

---

(١) الشظف: الضيق والشدة .. والشاحب: المهزول المتغير اللون ـ والوجدان: بكسر الواو: النفس وقواها الباطنة.. واللأواء: المحنة والشدة .. والمعنى بكل ذلك هنا الحياة الروحية ـ لا المادية.

(٢) استسرت: توارت ـ واختفت .. واستام: السلعة سأل تعيين ثمنها ـ أو غالى بها .. والهباء: الغبار ـ رقائق التراب ساطعة ومنثورة على وجه الأرض ـ والفكرة في البيت وما تلاه.. تفاهة الحياة المادية وبالأخص في هذا العصر الذي تعرّت دنياه ـ والذي شاعت العدوى به في كل ممارسة حسية منكرة.

وَتَرَاءَتْ نَهْبَ الصَّدِيِّ لَدَى الْمَنْهَلِ .. أَطْفَى مِنَ الضُّلُوعِ لَظَاهَا[١]
وَأَطَلَّتْ فِي طَلْعَةِ الْكَوْنِ كَالْبَسْمَةِ يُغرِي الْقُلُوبَ سِحْرُ بَهَاهَا
وَتَبَدَّتْ لِلْعَيْنِ .. فِي الْفَجْرِ .. كالْفَرْحَةِ .. رَفَّتْ فِي سِرِّهَا .. وَسَنَاهَا
فَارْحَمِ الشَّوْقَ .. وابْعَثِ الْوَجْدَ .. وَاسْتَسْقِ بِهَا النَّبْعَ زَاكِياً أرْوَاهَا
وَتَخَطَّ الزَّمَانَ .. وَاسْتَرْجِعِ الْعَصْرَ: قُرُوناً تَتَابَعَتْ ذِكْرَاهَا
وارْوِ لِلْحَقِّ .. فِي صَرَاحَةِ قَلْبٍ عَوَّدَتْهُ نَبْضَاتُهُ أنْ يَرَاهَا[٢]

* * *

دُنْيَا الْجَزِيرَة ..

كَيْفَ كَانَتْ دُنُيا الْجَزِيرَةِ بِالأَمْسِ سَحِيقاً .. قَدْ لَفَّهَا .. وَطَوَاهَا[٣]
فِي دُجَى لَيْلِهِ ثَوَتْ .. وَتَوَارَتْ بَيْنَ طَخْيَائِهَا .. وَجَوْفِ ثَرَاهَا[٤]
هَمُّهَا الْعَيْشُ: هَامِداً وَزَهِيداً قَانِعاً بِالزَّهِيدِ .. قَدْ أَرْضَاهَا
فِي شَتِيتٍ مِنَ الرَّخِيصِ مِنَ الأَمْرِ .. رَتِيباً .. مَلَّتْ بِهِ دُنْيَاهَا[٥]
فَتَنَاءَتْ: قَبِيلَةً .. وَعَشِيراً فِي الصَّحَارَى .. تَدَانَتَا أَشْبَاهَا

---

(١) نهب هنا: بمعنى مبذولة كالغنيمة المنهوْبة .. والصدِيُّ: العطشان عطشاً شديداً.
(٢) النبضة: الكلمة .. يقال ما سمعت له نبضة أي كلمة ـ وهي هنا بمعنى دقة القلب أي تحسسه شعوره.
(٣) والمقصود العام بدنيا الجزيرة: كل ما اشتملت عليه حياتها اليومية ـ المعاشية ـ النفسية ـ الاجتماعية ـ والعامة بمدلولها العام.
(٤) الطخياء: الليلة المظلمة.
(٥) الرتيب: الدائم الثابت على وتيرة واحدة.

وَتَغَطَّتْ بالرَّمْلِ فِي الْقَاعِ رُوحاً   حَائِراً .. ضَاقَ بِالرِّمَالِ وَتَاهَا
كَرَمَادٍ مُبَعْثَرٍ فِي هَبَاءِ   تَشْتَكِي الْعُدْمَ وَالْمَلاَلَ .. مَتَاهَا
تَتَراءَى مثْلَ الْجَواهِرِ ضَاعَتْ   حِينَمَا غَابَ فِي الْهَبَاءِ ضِيَاهَا

وَأْدُ الْبَنَات

وَهَوَاهَا ـ يَا بِئْسَ مَا كَانَ هَواهَا فِي الْقَصْدِ .. ضَلَّ اتِّجَاهَا
إنَّ وَأْدَ الْبَنَاتِ خَشْيَةَ عَارِ   فِي احْتِمَالِ الأَيَّام .. فِي مَأْتَاهَا[1]
عَادَةٌ .. مَسْلَكٌ مُشِينَانِ هَانَا   فَأَهَانَا .. فِي الْمُسْتَوى .. مُسْتَوَاهَا
مَا ارْتَضَتْهُ الْعَجْمَاءُ أُمًّا غَيُوراً   وَأَباً مَدَّ .. والْبَنَاتِ .. الشِّفَاهَا[2]
لارْتِشَافِ الْحَيَاةِ حَقًّا لِحَيٍّ   طَالَمَا جَاءَ .. رَاغِماً .. وَأَتَاهَا
رَفَضَتْهُ طَبْعاً عَتِيًّا .. غَلِيظاً هَانَ فِي الْحِسِّ .. فِي الْغَرِيزَة شَاهَا[3]

---

(١) كان وأد البنات ـ وهو دفن البنت حية ـ عادة شائعة شائنة في جاهلية الجزيرة ـ وقد أبطلها الإسلام ـ قال تعالى ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨ ـ ٩) ولقد كانت أكبر سبة.. وأفظع عادة في الجزيرة العربية ـ مهما كان الدافع إليها ـ فالحياة أساساً حق للمخلوق لا يحق أن ينازعه فيه ـ أو ينتزعه منه أحد إلا في حق واقتصاص. ولا يسري هذا بالنسبة للوليدة لا عقاب ولا قصاص عليها كذلك.

(٢) العجماء: البهيمة، وفي الحديث «جرح العجماء جُبار» أي أن جرحها هدر لأنها لا تقاص عليه بما فعلت ـ وهي مع ذلك لم تنحدر إلى هذه الفعلة الشنعاء!!

(٣) العتي: قاسي القلب ـ الجبار ـ غير الليِّن .. والحس: الإدراك بالقوة النفسية المدركة.. والغريزة: الطبيعة.. والجبلة من الإنسان.. وشاه: قبح لعدم توافق عمله مع الطبيعي.

أَفَكَانَتْ رُؤْيَا الْبَهَائِمِ أَصْفَى مِنْ رُؤَى النَّاسِ .. لَمْ يَرَوْا رُؤْيَاهَا

كَمْ قُلُوبِ تَحَجَّرَتْ بِنُفُوسٍ نَامَ فِيهَا ضَمِيرُهَا .. وَحِجَاهَا[١]

لِمَ عَاقَتْ دُنْيَا الْجَزِيرَةِ صَوْتاً مِنْ بَنِيهَا نَهَاهُمُو .. وَنَهَاهَا

فَأَعَاقَتْ مَسِيرَةَ الْحَيِّ .. عُمْراً لِحَيَاةٍ طَمَّ الثَّرَى أَحْلاَهَا

رُبَّمَا طِفْلَةٍ عَلَى مَفْرَقِ الدَّرْبِ .. طَوِيلاً .. فَاقَتْ لَدَيْهِ أَخَاهَا

* * *

الْحَرْبُ ـ وَالْغَيْب ..

رُبَّ شُغْلٍ بِمَرْتَعٍ .. بِكَثِيبٍ بِغَدِيرٍ .. بِالْبِئْرِ فِي مَطْوَاهَا

بَيْنَ سَاحٍ مِنَ الْحِمَى قَامَ حَدًّا مِثْلَ سَدٍّ بَيْنَ الْقُرَى مِنْ قُرَاهَا[٢]

قَدْ حَمَاهُ عَنْ كُلِّهِ البَعْضُ قَسْراً فِي نِزَالٍ عَلَى الْمَدَى مَا تَنَاهَى

شَغَلَ النَّاسَ بِالْجَزِيرَةِ حَرْباً وَاقْتِتَالاً .. وَفِتْنَةً .. فَلَهَاهَا

رُبَّ ذِي فِكْرَةٍ يُقَلِّبُهَا الرَّأْيُ مَعَ النَّفْسِ .. سَائِلاً إِيَّاهَا

أَفَكَانَتْ تِلْكَ الْحُرُوبُ دُرُوساً دُرْبَةً .. شَاءَهَا الْقَضَا .. وَارْتَآهَا[٣]

---

(١) تحجَّر: تصلب فأصبح كالحجر .. والضمير: باطن الإنسان المتأثر بنوازعه سلباً وإيجاباً .. والحجى: ج أحجاء: العقل والفطنة.

(٢) الحمى: هو ما يختص به أحدهم ليحميه ويمنعه عن الآخرين.. وذلك ما كان متبعاً في الجاهلية كأساس للإقطاعية الفردية ضد الجماعة ـ والمجموع..

(٣) الدربة: العادة.. والجرأة على الحرب وعلى كل أمر والتمرس عليه.. والفكرة في البيت وما تلاه: افتراض أن حروب الجاهلية الطويلة والمستمرة إنما كانت بمثابة تدريب وتحضير للمعارك الإسلامية المقبلة وفتوحاتها ـ كما أن البداية الإسلامية كانت ممثلة في=

قَدَراً لاَزِباً يُحَرِّكُهُ الْغَيْبُ .. خَفِيًّا .. لِحِكْمَةٍ قَدْ رَآهَا
لِلْمَيَادِينِ .. لِلْمَعَارِكِ كُبْرَى سَوْفَ تَأْتِي .. فَلِلْجِهَادِ اقْتَضاهَا
مِثْلَمَا جَاءَتِ السَّرَايَا ابتِلاءً كَمَا قَضَى مُنْتَهَاهَا
رُبَّمَا .. رُبَّمَا .. فَلِلْغَيْبِ بِالأَمْسِ عُيُونٌ فِي الْيَوْم صَحَّتْ رُؤَاهَا

❊ ❊ ❊

الْمَلْهَاةُ ـ وَالْقَطِيع ..

أَمْ تُرَاهَا كَمَا بَدَتْ فِي الْمَضَامِينِ تَدَنَّتْ إرْباً .. فَخَسَّ لِقَاهَا[١]
شُغْلَةَ الْعَصْرِ جَاهِلِيًّا تَوَالَتْ بِمَغَانِيهِ .. فَاكْتَوَى بِلَظَاهَا
فِي دِيَارٍ .. قَدْ عَدَّهَا الْعَصْرُ .. لَمْ يَخْطُ إلَيْهَا .. مَجَاهِلاً مَا دراها[٢]
أمْ هِيَ الْحَرْبُ مِثْلَمَا هِيَ دَهْراً غَايَةٌ .. يَخْتَبِي النُّفُوذُ وَرَاهَا
دَبَّرَتْهَا سِيَادَةٌ تَتَعَالَى كُلَّمَا دَارَتِ الْوَغَى بِرَحَاهَا
فَاشْتَهَتْهَا الأَعْرَافُ مَرْكَزَ عِزٍّ وَارْتَضَتْهَا الأَعْرَافُ .. لاَ تَأْبَاهَا[٣]
فَلَهَا الْفَارِغُونَ فِيهَا رِجَالاً وَمَجَالاً .. إذْ أكْبَرُوا مَلْهَاهَا

= السرايا الصغيرة والغزوات لم تصل لحد المعارك الفاصلة ـ والغيب: السر ـ وما غاب عنا وأتى من موضع لا نراه.. والمقصود به هنا القدرة الإلهية المسيِّرة للكون وللناس ولتصرفاتهم، واللازب: الثابت الشديد ـ والمحتم الوقوع.

(١) الإرب: ج آراب: الحاجة والمطلب .. وخسّ: رذل ونقص في القدر فهو خسيس.

(٢) المجاهل: الأماكن التي لا تزال مجهولة من الكرة الأرضية كما كانت الجزيرة آنذاك بالنسبة لمداولات العصر ـ ومبادلاته الحياة العامة.

(٣) الأعراق: ج عرق: وهو أصل كل شيء ـ والمقصود بها هنا أصحاب المراكز والنفوذ. والأعراف: ج عرف: وهو الاصطلاح .. والتخوم ج تخم: وهو الحد.

كَقَطِيعٍ مَا هَامَ بِالْعُشْبِ لِلْعُشْبِ .. كَمَا هَامَ بِالنِّطَاحِ رَفَاهَا

غَافِلاً عَنْ مَدَارِكِ الْحَيِّ تَعْلُو حَيْثُ يَعْمَى الإِدْرَاكُ عَنْ مَرْآهَا[١]

مُغْفِلاً دَبَّةَ الذِّئَابِ تَتَالَتْ وَتَمَادَتْ .. تَيَّاهَةً .. فِي خُطَاهَا

دَاعِسَاتٍ عَلَى الْجِوَارِ .. مُبَاحاً وَاطِئَاتِ الأَكْنَافِ .. أَوْ مَا تَلاَهَا

وَاغِلاَتٍ بَيْنَ التُّخُوم .. أَقَامَتْ مَنْ أَقَامَتْهُ حَارِساً لِحِمَاهَا

رَفَعَتْ فَوْقَهُ الْقَيَاصِرَةُ الْبَنْدَ .. مُدِلاً .. بِالرُّوم .. رَفَّ .. وَتَاهَا[٢]

وَسَطَتْ بَيْنَهَا الأَكَاسِرُ عَزَّتْ فِي الْمَغَانِي .. بِالْفُرْسِ .. قَدْراً .. وَجَاهَا[٣]

حِينَ غَابَتْ قُوَى الْجَزِيرَةِ .. ذَابَتْ بِبَنِيهَا «بَعْضاً» أَذَلَّ الْجِبَاهَا

فَبَنُونَا مِنَ الْغَسَاسِنَةِ الزُّرْقِ .. تَبَارَوْا مَبَاذِلاً .. تَتَلاَهَى[٤]

وَبَنُوهَا مِنَ الْمَنَاذِرَةِ الْحُمْقِ .. كَثِيراً مَا أَهْدَرُوهَا سَفَاهَا[٥]

---

(١) المدارك: الحواس الخمس من سمع وبصر وشم وذوق ولمس ـ والإدراك: القوة المدرّكة المكتشفة للشيء حيث كان التناطح غاية في ذاته.. والرَّفاه: لين العيش.

(٢) القياصرة .. ج قيصر: لقب كل ملك من ملوك الروم ـ والبند: هو العلم الكبير .. وكانت القيصرية تمثل إحدى القوتين العظيمتين آنذاك!!

(٣) الأكاسر: مفردها كسرى: لقب ـ أو اسم ملك من ملوك الفرس وكانت الكسروية تمثل إحدى القوتين العظيمتين حينذاك!!

(٤) الغساسنة: ملوك الشام ـ بالنيابة عن الإمبراطورية الرومانية كولاة من قبلها.. وهم من أصل عربي يمني .. والزرق: ج الأزرق العدو شديد العداوة وقد أومئ بذلك لهؤلاء.. لإطلاق العرب على الروم والديلم هذا الوصف لزرقة عيونهم باعتبارهم ولاة للروم.

(٥) المناذرة: ملوك الحيرة بالعراق ـ بالنيابة عن الإمبرطورية الفارسية كولاة لهم وهم كذلك من أصل عربي من اليمن، حيث أن العرب كأصل إنما ترجع أنسابهم له.

فِي سَدِيرٍ مُمَرَّدٍ جَاوَرَ الصَّرْحَ تَنَاهَى خَوَرْنَقاً .. وَتَبَاهَى[١]

الْيَومُ ـ وَالْحِلفْ ..

وَمَعَ اللَّيْلِ وَالظَّلامِ كثيفَيْنِ أطَلَّتْ إشْرَاقَةٌ .. بِبَهَاهَا
فَألاَحَتْ بِهَا الْجَزِيرَةُ تَخْتَالُ مَلِياً بَيُومِهَا أَزْهَاهَا
يَوْمَ هَبَّتْ شَيْبَانُ هَبَّةَ لَيْثٍ مُشْمَخِرٍّ الْعَرِينِ لَنْ تَنْسَاهَا
فَأَعَادَتْ إِلَى الأكَاسِرَةِ الْعَقْلَ صَوَاباً .. مُصَحِّحاً أخْطَاهَا
حِينَ صَانَتْ .. بِكَسْرِهَا أمْرَ كِسْرى حِرْزَ «نُعْمَانِهِ» وَأعْلَتْ عُلاَهَا
وَدَعَتْ أَهْلَهَا اسْتَجَابُوا لِيَوْمٍ عَرَبِيٍّ .. أَغْلَى الْوَغى .. وَرَدَاهَا
فَالْتَقَتْ عِنْدَهُ الْعُرُوبَةُ .. ذَوداً عَنْ حِيَاضٍ عَزَّتْ بِهَا مَغْنَاهَا

* * *

يَوْمَ «ذِي قَارَ» أَنْتَ رَمْزٌ لِفَخْرٍ خَلَّدَتْهُ الأَيَّامُ فِي ذِكْرَاهَا[٢]

---

(١) السدير: قصر في الحيرة قريب من الخورنق ـ اتخذه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم.. والخورنق: قصر النعمان اللخمي أعدّه لبني ساسان ـ والممرد: البناء الممرد أي المملس المصقول ـ ولشعراء الجاهلية أشعار وقصائد وإشارات كثيرة لهذين القصرين ـ على أساس ارتيادهم لهما للحصول على البذل والعطاء.

(٢) يوم ذي قار: من وقائع العرب وأيامها المشهورة .. وهو لبني شيبان على كسرى .. وسببه أن النعمان بن المنذر استودع أهله وسلاحه بني شيبان برئاسة هانئ بن مسعود قبل أن يعود لكسرى إثر خلاف نشب بينهما ـ فقتله كسرى ثم طالب بني شيبان بالسلاح فأبوا ـ فسير إليهم جيشاً كبيراً فتجمع عرب الجزيرة وألحقوا الهزيمة بجيش كسرى، والإيماض: لمع البرق الخفيف ـ والإشارة الخفية والإرهاص: التأسيس.. وأول صف من الحائط.

فَلَقَدْ كُنْتَ لِلْجَزِيرَةِ إيمَاضَ حَيَاةٍ .. تَخْتَالُ .. في مَحْيَاها
مِثْلَمَا أنْتَ لِلنُّبُوَّةِ إرْهَاصُ نَبِيٍّ أهْدَاكَ عِطْر ثَنَاهَا
صِنْوَ «حِلْفِ الْفُضُولِ» طِبْتَ فَطَابَتْ فِيكُمَا .. الدَّهْرَ .. سِيرَةٌ وَصَدَاهَا
إنَ حِلْفَ الْفُضُولِ مَعْنًى بِهِ الْفَرْدُ تَسَامَى جَمَاعَةً .. وَتَبَاهَى[1]
بِالمَضامِينِ .. تَرْفَعُ الْحَيْفَ .. قَدْ طَالَ مَدَاه .. ظُلاَمَةً .. وَتَناهَى
فَإلَيْهِ دَعَتْ قُرَيْشُ لِدَارِ لابْنِ جُدْعَانَ مُسْرِفاً فِي قِرَاهَا
وَعَلَى بَابِهَا .. وَفِيهَا تَهَادَتْ خَطَوَاتُ الْمُخْتَارِ مَنْ أبْهَاهَا

(١) حلف الفضول: قال ابن هشام ـ صاحب السيرة.. نقلاً عن سواه.. قال: تَدَاعت قبائل من قريش إلى حلف ـ فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ولسِنّه ـ فكان حلفهم عنده: بنو هاشم ـ وبنو المطلب ـ وأسد بن عبد العزى ـ وزهرة بن كلاب ـ وتيم بن مرة ـ ولم تحضره أمية ـ فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها.. وغيرهم.. ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ـ وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته.. فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ـ وسببه فيما يقال حرب الفجار ـ وقد شهدها النبيُّ ﷺ .. وكان يبري فيها النبل لأعمامه.. وهش: تبسم وخف للمعروف والدعوة: الحلف. والأوصاب: الأمراض والأوجاع الدائمة وقد قال رسول الله بشأن هذا الحلف بعد التبليغ والرسالة: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أُحِبُّ أنَّ لي به حُمْر النعم ـ ولو أُدْعَى به في الإسلام لأجبت .. والحيف: الجور والظلم .. والظلم: انتقاص الحق والجور .. أما حرب الفجار بالمناسبة: فهي كما قال ابن هشام: هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة ـ وبين قيس عَيْلان ـ وكان الذي أهاجها أن عروة الرحّال أجار قافلة للنعمان بن المنذر ـ فقال له البراض ـ من كنانة ـ أتجيرها على كنانة؟! قال نعم وعلى الخلق كلها ـ وقد قتل البراض عروة في الشهر الحرام ـ ولذلك سمي «الفجار» وقد حضرها الرسول وهو شاب وكان يرد على أعمامه نبل عدوهم إذا رموهم به. وفيما يقال إن يوم ذي قار وحلف الفضول: إنما كان بمثابة إرهاص وإشارة للنبوة ولعزة العرب فيهما ونظن أن الأمر من باب التفاؤل وتعليل الأمور أو ردّها لذلك بعد حدوثها!!

وَالَّذِي هَشَّ لِلْكَرَامَةِ .. لِلْفِكْرَةِ .. حِلْفاً .. أَطْرَاهُ إِذْ أَطْرَاهَا
قَائِلاً: لَوْ دُعِيتُ .. يَوْمي .. إِلَى الدَّعْوَةِ هذي لَما رَفَضْتُ دُعَاهَا
رُبَّ فِعْلٍ بِهِ الْجَزِيرَةُ تَزْهُو رَغْمَ أَوْصَابِهَا .. وطُوُولِ ضَنَاهَا
صَانَ مَا هَانَ مِنْ مَهَازِلَ رَثَّتْ بَيْنَ أَبْنَائِهَا .. بِقَلْبِ حِمَاهَا

❊ ❊ ❊

مَآسٍ .. وَظَلامٌ .. وَحِكْمَة ..

رُبَّ قَوْلٍ .. لَمْ يَعْرِفِ الْفِعْلَ فَذًّا فِي طُمُوحٍ نَحْو الْمَعَالي ابْتَغَاهَا
وَقَفَ الْفَخْرُ عِنْدَهُ .. يَحْسِبُ الْفَخْرَ .. قَصِيداً .. قَوافِياً .. سَوَّاهَا
حَلَّقَتْ حَوْلَهُ الْجَزِيرَةُ تَرْوِي مَا ازْدَهَاهُ .. مِمَّا رَوَى .. وَازْدَهَاهَا
أَوْ تَرَى الْعَارَ كَاشِفاً سَوْءَةَ الْعَارَ .. مَتَى مَسَّ عَادَةً .. أَوْ أَبَاهَا
نَعْرَةً .. وَكْدُهَا التَّبَاهِي تَعِيساً فِي الْمَفَاهِيمِ .. مُهْدِراً أَغْلاهَا[1]
وَاحْتِرَاباً عَلَى الْمَدَى تَافِهَ الْغَايَةِ .. ضَلَّتْ مَدَارَهَا .. وَمَدَاهَا
مِنْ كُلَيْبٍ .. لِدَاحِسٍ .. لِكَثِيرٍ مِنْ مَآسٍ .. قَلِيلُهَا أَغْنَاهَا[2]

---

(١) النعرة: المرة من نعر: أي صاح وصوت بخيشومه ـ دلالة على الكبر والخيلاء ـ ومهدراً من الإهدار: وأهدر دم فلان أبطله وأباحه: وكذلك ذهاب المال أو السعي باطلاً والوكد: القصد والسعي والجهد.

(٢) كليب: المراد به كليب بن ربيعة التغلبي قاتل ناقة الشاعرة الجاهلية البسوس التي يقول المثل العربي «أشأم من بسوس» وهي خالة جساس قاتل كليب .. وسببها حمية كليب لدخول الناقة «حماه» وحرب البسوس هذه دامت حوالي أربعين سنة!! وداحس: ويقال «حرب داحس والغبراء» فسببها أن داحساً ـ وهو فرس لقيس بن زهير ـ أجراه في سباق مع فرس لحذيفة بن بدر ـ ويقال لها «الغبراء» فدسّ حذيفة قوماً ليضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقاً فضربوا =

فِي عِقَالٍ . . فِي نَاقَةٍ . . أَوْ لِثَأْرٍ أَرْخَصَتْ . . بِالدِّمَاءِ . . فِيه دماهَا

فِي ظَلاَمٍ عَمَّ الْجَزِيرَةَ حَارَتْ فِي دُجَاهُ . . وَأَظْلَمَتْ مُقْلَتَاهَا

فَاسْتَكَنَّتْ قَعِيدَةً . . حِلْسَ دَارٍ قَدْ تَلاَقَى خُوَاؤُهُ بِخُوَاهَا[1]

وَاسْتَكَانَتْ إِلَى الْمَصِيرِ عَذَاباً وَارْتِقَاباً . . كِلاَهُمَا أَيْأَسَاهَا

فِي وُجُودٍ مُمَزَّقِ الْحِسِّ خَابٍ أَسْلَمَتْ فِيهِ يَأْسَهَا لِرَجَاهَا

فَعَنَتْ لِلْحَيَاةِ . . تَعْبِسُ صُغْرى فِي كِيَانٍ مُزَلْزَلٍ . . أَضْوَاهَا

* * *

هَلْ تُرَاهَا كَانَتْ بِمَا كَانَ . . أَوْ هَانَ . . صِرَاطاً مُهَيئاً عُقْبَاهَا

مَدَّهُ الأَمْسُ خَيْبَةً . . لاَ قُنُوطاً لِغَدٍ مُشْرِقِ الرَّجَاءِ . . تَلاَهَا

رُبَّمَا . . رُبَّمَا . . فَيَا رُبَّ يَأْسٍ كَانَ دَرْباً إِلَى الأَمَانِي . . ارْتَجَاهَا

حِكْمَةٌ لِلسَّمَاءِ: أَنْ يُصْبِحَ اللَّيْلُ طَرِيقاً لِلْفَجْرِ . . حِينَ تَنَاهَى

* * *

= لسبقه الغبراء ـ فلما جاء فارس داحس ـ أي الجوكي راكبها أي من يقوم بإجرائها عند السباق أخبر قيساً ـ فوثب أخوه مالك فلطم وجه الغبراء ـ فقام حمل بن بدر فلطم مالكاً ـ ثم لقي أبو الجنيدب العبسي عوف بن حذيفة فقتله ـ ثم لقي رجل من بني فزارة مالكاً فقتله . . فوقعت الحرب بين عبس وفزارة.

(١) وعلى العموم: فهذه حالة تظهر ما كانت عليه العرب وقبائلها قبل مجيء الإسلام ـ استكن: استتر ـ أو رجع إلى كِنِّه ـ والحلس: الملازم الذي لا يبرح ـ فيقال «فلان حلس بيته» ـ أي ملازم له لا يبرحه . . وهو للذم ـ والخواء: الفراغ ـ والخلو ـ المراد بالبيت والأبيات بعده: أنه ربما كانت هذه الحالة البائسة . . اليائسة . . تمهيداً في بؤسها ويأسها المعلقين بالرجاء . . إلى غد مشرق وحياة أفضل ـ وكما يقال من أن النور يخرج من بطن الظلام ـ فربما كانت تلك لحكمة سماوية تشبه خلق الفجر من سواد الليل وظلامه!!

الْقِسْمُ الثَّانِي
الْفَجْرُ الْجَدِيدْ . .

الْفَجْرُ . . وَالْفَرْحَةْ . . وَمَوْلِدُ النُّوْر . .

صَبَاحٌ . . وَنَبْعٌ . . وَبِطَاحْ . .

إشْرَاقَةُ الرُّوحْ . .

الرِّسَالَةُ . . وَالْقُدْوهْ . .

حَكَايَا التَّارِيخْ . .

الأُمَّةُ . . وَالدُّوَّارْ . .

الإِسْلاَمُ . . والسَّيْفْ . .

أُمَّةُ السَّلاَمْ . .

سَجَايَا . . وَخِلاَلٌ . . وَعَقِيدَة . .

الْفَجْرُ وَالْفَرْحَةُ وَمَوْلِدُ النُّور

وَأَتَى الْفَجْرُ .. صَادِقاً .. ذَاتَ لَيْلٍ يَهْزِمُ اللَّيْلَ .. مُشْرِقاً .. تَيَّاهَا

زَفَّ فِيهِ الْوَادِي الْمُهَلِّلُ عُرْساً قَدْ جَلَتْهُ السَّمَاءُ .. فِي عَلْيَاهَا

وَتَنَادَتْ لَهُ الْمَلائِكُ .. بُشْرَى بِالْبَشِيرِ الْهَادِي الْخَلائِقِ .. طَاهَا

فِي ضِيَاءٍ .. أَنْهَارُهُ عَمَّتِ الْكَوْنَ .. فَسَادَتْ أَرْجَاءَهُ .. ضِفَّتَاهَا

نَاشِرَاتٍ بِالنُّورِ .. أَجْنِحَةَ النُّورِ .. رَفِيفاً أَزَانَهَا .. وَرَهَاهَا[1]

فَالرَّوَابِي الْخَضْرَاءُ .. مَالَ بِهَا الْغُصْنُ .. شَجِيًّا .. لِلْغُصْنِ مَاسَ .. وَتَاهَا

رَفْرَفَ الزَّهْرُ فِي سَنَاهَا .. مُطِلاًّ بِفَمِ الْوَرْدِ .. بَسْمَةً .. وَشِفَاهَا

وَتَجَارَتْ أَحْلَى الْعَصَافِيرِ .. تَرْوِي زَقْزَقَاتٍ .. أَهْدَتْ لَهَا أَحْلاَهَا

وَتَغَنَّتْ قُمْرِيَّةُ الدَّوْحِ .. شَدْواً ذَابَ فِي حَبَّةِ الْقُلُوبِ .. شَجَاهَا

رَدَّدَتْهُ حَمَائِمُ الْبَيْتِ فِي الْبَيْتِ .. هَدِيلاً بِهِ اسْتَفَاضَ جَوَاهَا

وَالْبِطَاحُ الْفِسَاحُ مَاجَ بِهَا الْبِشْرُ طَرُوباً .. طَلْقَ الْمُحَيَّا .. احْتَوَاهَا

فَأَشَارَتْ إِلَى الْمَسِيلِ بِطَرْفٍ لاَمِعِ اللَّحْظِ: بَهْجَةً .. وَرَفَاهَا

---

(١) رها الطائر: نشر جناحيه.

فَجَرَى هَانِئاً . . يُصَفِّقُ بِالْمَوْجِ . . يُلاَغِي صَفَاتَهَا . . وَحَصَاهَا[١]

وَاسْتَوَى الرَّمْلُ ـ يَضْحَكُ الرَّمْلُ بِالْقَاعِ . . نَدِيًّا . . مُعَانِقاً حَصْبَاهَا

وَهَفَا الزَّرْعُ رَاقِصاً . . بَاسِمَ الْفَرْعِ . . وَرِيقاً . . فِي غِبْطَةٍ حَيَّاهَا

بَيْنَ رَيْحَانِهِ . . تَنَفَّسَ عِطْراً وَخُزَامَاهُ . . هَفْهَفَتْ بِشَذَاهَا[٢]

***

وَالْجِبَالُ الشَّمَّاءُ . . عَاجَ بِهَا الزَّهْوُ . . يُحَيِّي هَامَاتِهَا . . وَالْجِبَاهَا[٣]

فَتَعَالَتْ . . وَقُورَةً . . عَنْ تَعَالٍ ذَخَرَتْهُ . . لِيَوْمِهَا . . خُيَلاَهَا

قَامَ مَا بَيْنَهَا . . خَطِيباً . . قُبَيْسٌ فِي دُنَى مَكَّةٍ . . يَرُجُّ حِوَاهَا[٤]

وَتَرَنَّى بِهَا حِرَاءٌ . . وثَوْرٌ كَحَبِيبَيْنِ بَاهَيَا مَنْ تَبَاهَى[٥]

---

(١) لاغاه: أي هازله وباسطه ـ والصفاة: الحجر الصلد الضخم والحصاة: صغارها..

(٢) الريحان: من النباتات الزكية الرائحة ـ وكذلك الخزامى: وهما فيما نظن مما تمتاز به الجزيرة.

(٣) أشم الجبل: ارتفع أعلاه ورأسهُ للشموخ والأنفة وعاج: على المكان.. مال وعطف والزهو.. الفخر ـ التيه والكبر ـ وذخرته ـ في البيت التالي: أي حفظته وادخرته ولم ترض به في حينها ـ انتظاراً لأيامها الخالدة القادمة ـ وهي تحنث الرسول في حراء وجهره بالدعوة لدى أبي قبيس ـ واختفاؤه في ثور عند الهجرة.

(٤) إشارة إلى اختيار الرسول جهته يوم جهره بالدعوة فيما بعد ـ والحواء: ج أحوية جماعة البيوت المتدنية.

(٥) ترنَّى: أدام النظر إلى من يحبه ـ وغار حراء: حيث كان رسول الله يجاور فيه شهراً من كل سنة ـ ويرجح أن الشهر رمضان حيث نزل فيه القرآن ـ وغار ثور: وثور اسم الجبل ـ ويقال له النور إشارة لما حدث فيه ـ وهو الغار الذي اختبأ به الرسول مع رفيقه أبي بكر الصديق في طريقه للهجرة تجنباً لمطاردة قريش.. والإشارة في البيت والبيتين بعده: إنهما تهللا وفرحا في انتظار أيامهما القريبة الموعودة.

يَرْمُقَانِ السَّمَاءَ في نَظْرَةِ الْحَمْدِ .. تَنَدَّتْ في عينِهَا، دَمْعَتَاهَا
يَرْقبانِ الأَيَّامَ .. هَلَّتْ مَعَ الْفَجْرِ .. وَحَلَّتْ بِصُبْحِهَا .. بِضُحَاهَا

***

إنَّهَا فَرْحَةُ الطَّبِيعَةِ .. كُبْرَى سَبَّحَتْ .. بَيْنَ آلِهَا .. آلاَهَا[1]
مَوْلِدٌ وَشَّحَ الْعَوَالِمَ بِالنُّورِ: رِضَاءً .. وَالكَائِنَاتِ رَفَاهَا
فَرْحَةٌ، تَغْمُرُ، الوُجُودَ احْتَوَاه مَوْلِدُ، المُصْطَفَى.. سَنَاً، فَاحْتَوَاهَا
كَرَّمَ اللَّهُ بَيْتَهُ حَيْثُ، شَعَّتْ بَيْنَ، وَادِيهِ طَلْعةٌ لَنْ تُضَاهَى
فَازْدَهَى الْبَيْتُ .. وَاكْفَهَرَّتْ مِنَ الرُّعْبِ .. وَأَحْنَتْ أَوْثَانُهُ أَقْفَاهَا[2]
خَانِعَاتٍ .. ذَلِيلَةً .. رَاعَهَا الأَمْرُ دَهَاهَا مِنْ، رَوْعِهِ مَا دَهَاهَا
كَالِحَاتِ الْوُجُوهِ .. قَدْ هَالَهَا الْخَطْبُ .. غَشَاهَا مِنْ هَوْلِهِ مَا غَشَاهَا

***

وَأَطَلَّ الْوَادِي يُكَبِّرُ لِلَّهِ .. وَقَدْ مَازَ أَرْضَهُ .. وَاجْتَبَاهَا
فَاسْتَنَارَتْ أُمُّ الْقُرَى وَأَنَارَتْ طَلْعَةَ الْكُوْنِ .. مَفْرِقاً وَجِبَاهَا
حِينَ فَاقَتْ مِنْ نَوْمِهَا، وَأَصَاخَت بَعْدَ، لأَي .. إِلَى النِّدَاءِ دَعَاهَا
يَوْمَ هَبَّتْ مُهْتَزَّةَ الْعِرْقِ بِالْفَتْحِ .. وَأَصْغَتْ مُعْتَزَّةً بِفَتَاهَا

(١) الآل: الأهل ولا تقال إلا لكرام الأسر والعوائل ـ والآلاء: ج إلى ـ النعمة ـ
(٢) اكفهر: أظلم. الرجلُ: عبس ـ والمكفهر: المنقبض الكالح لا يرى فيه أثر بشر أو مرح ـ والأقفاء: ج قفا: وهو مؤخرة العنق.

قَائِلاً: إذْهَبُوا . . فَأَنْتُمْ جَمِيعاً   بَيْنَ، سَاحَاتِهَا . . بِهَا طُلَقَاهَا[١]

صَبَاحٌ . . وَنَبْعٌ . . وَبِطَاحْ . .

وَمَضَى الْفَجْرُ مَاحِقاً دُجْيَةَ اللَّيْلِ . . تَوَلَّى مُسْتَدْبِراً . . أَوَّاهَا[٢]

فَاشْرَأَبَّتْ، دُنْيَا الْجَزِيرَةِ تَرْنُو   لِلضِّيَاءِ الْمُمْتَدِّ . . يَمْحُو دُجَاهَا

لِصَبَاحِ الإسْلامِ أَشْرَقَ شَمْساً   قَدْ أَطَلَّتْ مِن أُفْقِهَا بِعُلاَهَا

وأَلاَحَتْ آيَاتُهُ الْبِيضُ تُتْرَى   بِبِطَاحٍ تَأَلَّقَتْ بِضُحَاهَا

دَفْقَةً . . دَفْقَةً مِنَ النُّورِ قَدْ فَاضَ بِصَحْرَائِهَا، وَفَوْقَ سَمَاهَا

سَاطِعاً . . سَارِياً . . كَمَا الْبَرْقِ . . قَدْ جَالَ لَدَى خِدْرِهَا بقَلْبِ خِبَاهَا[٣]

كَالنَّمِيرِ الصَّافِي . . تَفَجَّرَ طَلْقاً   بَيْنَ أَحْجَارِهَا . . وَصَلْدِ صَفَاهَا

فَجَرَى بِالرِّمَالِ . . حَيْثُ تَغَنَّتْ   وَمَشَى بِالْبِطَاحِ . . حَيْثُ مَشَاهَا

وَعَلاَ بِالنُّجُودِ . . وَاعْتَنَقَ السَّهْلَ، . .   وَحَيَّا جِبَالَهَا . . وَرُبَاهَا

سَلْسَبِيْلاً عَذْباً . . تَرَقْرَقَ، رِيّاً   لِلنُّفُوسِ الظِّمَاءِ طَالَ ظَمَاهَا

---

(١) إشارة إلى موقف الرسول يوم فتح مكة . . حين نادى في المسجد ـ وقد التفت حوله قريش بعد هزيمتها . . قائلاً: أيها الناس ماذا تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً . . أخ كريم!! وابن أخ كريم!! فقال: اذهبوا . . فأنتم الطلقاء!!

(٢) محق: محق الشيء ابطله . . ومحاه . . والدُّجْيَة: ج دُجىً: الظلمة أو هي مع غيم . . والأوَّاه: الكثير التأوه.

(٣) الخدر: ستر يعد للجارية في ناحية البيت ـ أو ما يفرد للجارية من السكن . . والخباء: ما يعمل من وبر أو صوف للسكن فيه.

والمقصود بالطبع: الإشارة إلى تغلغل الإسلام في الجزيرة بكل جزء منها ـ والإقبال الكلي عليه.

صَافِياً . . رَائِقاً تَرَسَّلَ، دَفْقاً بَيْنَ أَكْبَادِهَا الْعِطَاشِ . رَوَاهَا
فَاسْتَقَتْهُ دُنْيَا الْجَزِيرَةِ نَبْعاً طَابَ مَجْرًى . . مُغَيِّراً مَجْرَاهَا

* * *

إِشْرَاقَةُ الرُّوح . .

رَأَتْهُ فَجْراً جَدِيداً تَبَدَّى مَاحِياً كَرْبَهَا . . مُزِيلاً أَسَاهَا
قَدْ جَلاَ . . وَاجْتَلَى حَثِيثاً عَلَى الدَّرْبِ . . وَمِنْ رُوحِهَا السَّحِيقِ . . قُوَاهَا
لَمَعَتْ كَالضِّيَاءِ . . كَالسَّيْفِ . . كَالْبَرْقِ . . وَهَبَّتْ كَالرِّيحِ فِي مُعْتَلاَهَا
كَالشَّذَا . . كَالنَّسِيمِ بِالرُّوْضِ . . كَالدَّوْحَةِ . . فَجْراً . . تَكَلَّلَتْ بِنَدَاهَا
كَالَّلآلِي . . فَرِيدَةً مَا زَهَا الْحِذْقُ بَصِيراً، بِجَوْهَرٍ . . أَغْلاَهَا[١]
مَعْدِناً نَادِراً . . وَأَصْلاً، كَرِيماً عَزَّ فِي خِيمِهِ الأَصِيلِ . . وَتَاهَا[٢]
لَمْ تُزِلْهُ الأَزْمَانُ عَسْرَاءَ مَرَّتْ لَمْ تُذِبْهُ الأَيَّامُ فِي لأْوَاهَا
عَاشَ فِي مَنْجَمِ الْجَزِيرَةِ . . لاَقَتْ بَعْدَ ضَرَّائِهَا . . بِهِ . . سَرَّاهَا
فَتَهَادَتْ فِي صُبْحِهِ بِحُلاَهَا وَاسْتَنَارَتْ بِضَوْئِهِ فِي مَسَاهَا
دُرَّةً حُرَّةً تَكَشَّفَ فِيهَا بِبَهَاءِ الإِسْلاَمِ . . كُلُّ بَهَاهَا

* * *

وَتَعَالَى الْفَجْرُ الْجَدِيدُ تَوَالَتْ كُلَّ يَوْمٍ آيَاتُهُ . . قَدْ تَلاَهَا

---

(١) ماز الشيء: فرزه عن غيره ـ فضّله عن سواه . . والحذق: المهارة في العمل.
(٢) الخيم: الطبيعة ـ والسجية . .

فَتَسَامَتْ لَهُ الْجَزِيرَةُ .. تَرْقَى فِي مَعَارِيجِهَا .. بِهِ مَرْقَاهَا
وَاصْطَفَتْهُ دِيناً حَنِيفاً تَعَالَتْ بِذُرَاهُ .. عَلَى الأنَام .. ذُرَاهَا
إنَّهُ الْحَقُّ سَاطِعاً لاَ يُمَارَى إنَّهُ الصِّدْقُ رَائِعاً لاَ يُضَاهَى
جَاءَهَا بالْحَيَاةِ .. تَزْخَرُ كُبْرى لَمْ تَنَلْهَا فِي أمْسِهَا أَوْ تَرَاهَا
يَتَحَرَّى لَهَا الْيَقِينَ .. مَآباً عَزَّ إيمَانُهَا بِهِ .. وَإبَاهَا[1]
قَدْ رَأَتْ فِيهِ نَفْسَهَا .. فَرَوَتْهَا وَارْتَوَتْ مِنْهُ مَنْهَلاً .. فَرَوَاهَا[2]
وَسْطَ بَرْدٍ مِنَ الرِّضَا نَقَعَتْ فِيهِ وَفِي لَهْفَةِ الْغَلِيلِ .. صَدَاهَا[3]
مُذْ أَتَاهَا يَا حُسْنَ مَا قَدْ أَتَاهَا بِالسَّجَايَا تَنَزَّهَتْ عَنْ خَطَاهَا
بِمَفَاهِيمِهِ الْكِبَارِ .. تَلاَقَتْ بِمَفَاهِيمِهَا الَّتِي أذْكَاهَا
فَتَسَامَتْ بِهَا الْمَدَارِكُ قَصْداً لِلْمَعَانِي .. تَلَمَّسَتْ مُبْتَغَاهَا
دُونَمَا زُخْرُفٍ لَهَاهَا عَنِ الْقَصْدِ وَعَنْ نَهْجِهِ السَّوِيِّ لَوَاهَا
وَاسْتَعَزَّتْ بِهَا الْبَسَاطَةُ طَبْعاً عَزَّهُ .. عَزَّهَا الْهُدَى .. وَجَلاَهَا
فِي سَمَاحٍ أغْلَى السَّمَاحَةَ أَعْلَى بِالتُّقى شَأْوَهَا .. فَرَقَّ صَفَاهَا

* * *

(١) تحرى: طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظن ـ أو طلب أحرى الأمرين أي أوْلاهما .. وتحرى الأمر: قصده وفصله والإباء: الترفع عنْ الدنايا ورفض الضيْم.
(٢) روتها .. من الروية .. أي الإعراب عن النفس والحكاية عنها. ورواها: بل ظمأها.
(٣) نقع الماء العطش: سكَّنه وخففه ـ والغليل: العطشان عطشاً شديداً ـ وكذلك: العطش الشديد ـ والصَّدى: العطش الشديد.

الرِّسَالَةُ . . وَالْقُدْوَة . .

هَـكَـذَا عَـاشَـتِ الْـجَـزِيـرَةُ عُـمـراً   هَامِداً . . يَشْتَكِي الضَيَّاعَ . . مَتَاهَا

وَكَذَا عَـادَتِ الْـجَزِيـرَةُ . . رُوحـاً   نَابِضاً . . يَصْنَعُ الْحَيَاةَ . . ارْتَجاهَا

مُـذْ تَـلَـقَّـتْ رِسَـالَـةَ الْـوَحْـي آيـاً   وَاضِحَ الآي . . مُعْجِزاً . . أحْيَاهَا

تَـقْـتَـدِي بِـالـنَّـبِـيِّ مَـسْـلَـكَ فَـذٍّ   لاَ يُبَارَى سُلُوكُهُ . . لاَ يُضَاهَى

قُـدْوَةً حَـيَّـةَ الْـمـآثِـرِ صَـاغَـتْ   أُمَّـةً حَـيَّـةً . . وَعَـتْـهَـا اكْـتِـنَـاهَـا

وَرِجَالاً . . كَانُوا الْمِثَالَ عَلَى النَّهْجِ لِمَنْ خَطَّهُ: خُطَى . . وَاتِّجَاهَا

سَطَّرَتْ . . سَطَّروا حُرُوفاً مِنَ النُّورِ بِأسْفَارِهَا . . بِهِمْ . . تَتَبَاهَى

إنَّ فِـي الْـقُـدْوَةِ الـنَّـبِـيـلَـةِ وَعْـظـاً   لَـمْ يَـكُ الْـوَعْـظُ بَـالِـغـاً أَمْـدَاهَـا[١]

* * *

حكَايَا التَّارِيخ . .

أَيُّـهَـذَا الْـمُـصِـيـخُ سَـمْـعـاً لِـمَـا قِـيـلَ . . حَـكَـايَـا . . تَـوَاتَـرَتْ أَنْـبَـاهَـا[٢]

قَـدْ رَوَتْـهَـا الأَسْـفَـارُ . . أوْ دَوَّنَـتْـهَـا مَـائِـلاَتِ الْـهَـوَى لَـدَى مَـهْـوَاهَـا[٣]

---

(١) رؤيتنا في هذا البيت: إن للقدوة الشخصية السلوكية الفعلية من الراعي أو القائد أو الزعيم أو المسؤول أثراً حياً مؤثراً أكبر وأقوى من الوعظ الكلامي . . والقدوة: ما اقتديت وتسنَّنْت به ـ الأسوة . . يقال (لي بك قدوة) أي أسوة.

(٢) أضاخ له: أصغى واستمع. . وتواترت الأشياء: تتابعت مع فترات بينها ـ أنباها: ج النبأ: وهو الخبر لأنه يأتي من مكان إلى آخر.

(٣) الأسفار . . ج سفر: الكتاب الكبير . . والفكرة في البيت: إن الأخبار تدوّن في =

سِيَراً تُجْتَلَى عَلَى الْبُعْدِ .. وَالْقُرْبِ .. تُحَاذِي صَوَابَهَا أَخْطَاهَا
لاَ تَسَلْني عَنِ الْجَزِيرَةِ .. دُنْيَا قَدْ تَوَارَتْ مَلْفُوفَةً بِثَرَاهَا
جَاهِلِيَّ التُّراثِ .. قَدْ فَاضَ بالرَّائِعِ فِيهَا .. أَزْهَاهُ مَا أَزْهَاهَا
مِثْلَمَا اكْتَظَّ بِالْمَعِيبِ مِنَ الشَّائِنِ ضَاقَتْ بِشَيْنِهِ دُنْيَاهَا[1]
لَمْ يُلاَئِمْ بالأَمْسِ بَيْنَهُمَا الْحِسُّ صَرِيحاً، فِيمَا زَهَا . حَيْثُ شَاهَا
أَوْ يُوَائِمْ بِالقِسْطِ بَيْنَهُما السِّتْرُ رَقِيقاً .. شَفِيفُهُ أعْرَاهَا[2]
فَتَوَأَلَتْ كما يَقُولُ .. رَثِيثاً نَصُّ أُسْلُوبِهَا الَّذِي وَالاَهَا[3]
عُجَراً لاَ تُحَلُّ .. في بُجَرٍ بَانَ قَذَاهَا .. كِلاَهُمَا سَايَرَاهَا[4]
شَأْنَهَا في الْوُجُودِ شَأْنَ لِدَاتٍ عَبَرَتْ فِي الدُّنَى إِلَى مَثْوَاهَا

= الكتب أو تروى إنما تكون حسب ميل المدوّن أو الراوي لها يحكمه هواه الذاتي في ذلك.. إلا فيما ندر جداً بحيث لا يكون أو يصبح هو القاعدة.

(١) اكتظ: امتلأ. والشائن: ما يزري بالإنسان. وقد كان في حياة الجزيرة ما يعيبها مثل الوأد والاقتتال في التوافه. و.. و.. كما كان فيها ما هو رائع وسام .. الطبيعة في الفرد العربي: صريحة جداً بحيث تبرز ما هو شائه بنفس القدر الذي تبرز فيه ما هو حسن ومحمود وقد هذبها الإسلام: وذلك بالنهي عن الجهر بالسوء وطلب الاستتار كما نص على ذلك الكتاب: «لا يحب الله الجهر بالسوء» والسنة: إذا بليتم فاستتروا.

(٢) واءم: وافق وناسب. والقسط هنا: العدل والشفيف: الرقيق لا يستر ما وراءه وأعرى: جعلها عارية ينزع ما عليها.

(٣) الرثيث: القديم البالي: والاها: تابعها ورافقها وسار معها.

(٤) العجر ج العجرة: وهي العقدة والبجر: ج بجرة: وهي العيب. ومن أمثال الجزيرة «ذهب بعجره وبجره» أي عيوبه. ظاهرها وباطنها، اللدات ج لدة: أي الترب النديد الذي يولد أو يتربى أو يعيش مع سواه ـ والمقصود باللدات هنا طبعاً: الأمم التي عايشت أمة الجزيرة العربية في جاهليتها.

حَيْثُ غَابَتْ لاَ تَمْلِكُ الأَمْرَ . .　　　فَالْحُكْمُ عَلَيْهَا مُوَكَّلٌ بِسِوَاهَا

لِحَكَايَا التَّارِيخِ . . قَالَ: فَضَاعَتْ　　　أَوْ أَضَاءَتْ . . بِقَوْلِهِ . . ذِكْرَاهَا

* * *

الأُمَّةُ . . والرُّوَّادْ . .

أَيُّهَا الْمُصِيخُ . . حَسْبُكَ مَا فَاتَ عَنِ الأَمْسِ . . قَصَّةً . . قَدْ رَوَأْهَا

قَدْ نَصَاهَا التَّارِيخُ بِالْقَوْلِ . . بِالْحَدْسِ . . بِرُوحِ التَّمْحِيصِ فِي فَحْوَاهَا[١]

تَنْطَوِي بَيْنَهُ الْجَزِيرَةُ . . دُنْيَا　　　وَسِعَتْ مَا حَوَى الْمَدَى مِنْ مَدَاهَا

فِي الرِّوَايَاتِ . . فِي الْحَدِيثِ تَدَانَى　　　أَوْ تَنَاءَى . . أَصَابَ أَمْ أَخْطَاهَا

دُونَهُ . . دُونَهَا الْحَقَائِقُ ظَلَّتْ　　　تَنْشُدُ الْعِلْمِ . . بَاحِثاً . . نَقَّاهَا[٢]

لاَ تَسَلْنِي عَنْهَا . . حَدِيثَ يَرَاعٍ　　　أَوْ رُؤَى شَاعِرٍ سَبَتْهُ رُؤَاهَا[٣]

---

(١) نصاها: قصدها. واتصل بها والحدس: الظن والتخمين. والتمحيص: الاختبار والكشف، والفحوى: المذهب والمعنى.

(٢) المقصود بالعلم العلم الحديث بمعناه المفتن مثل علم الآثار وعلم الاجتماع ـ والجزيرة العربية في حياتها القديمة بحاجة ملحّة إلى التنقيب ـ والدراسة والتحليل ـ والعلوم القائمة على التجربة والتنقيب الحسي بواسطة هيئات علمية لغربلة وتصحيح ودراسة كل مقوّماتها العامة.

(٣) شأى القوم: سبقهم. وسبته: أسرته بحبها والرؤى هنا: تخيلات الشاعر والمعارف: محاسن الوجه والقسمات: مرائي الجمال والرداء: حسن المنظر وماء الوجه والبصمات (من كلمات العامة) العلامة. والاسم المتروك من مؤثر. وقد شاعت في الأداء الحديث للدلالة على ما يتركه المرء من أثر على الأشياء والمعالم ج معلم: وهو ما يستدل به على الطريق.

بَلْ فَسَلْنِي عَنِ الْجَزِيرَةِ كَوْناً قَدْ شَأَى الْعَصْرَ وَالْعَوَالِمَ جَاهَا
مُشْرِقَ الْوَجْهِ بِالْمَعَارِفِ ضَاءَتْ قَسَمَاتٍ تَلأْلأَتْ بِرُوَاهَا
بَصَمَاتٍ .. مَعَالِماً قَدْ خَطَا الدَّرْبُ طَوِيلاً .. مُسْتَهْدِياً بِخُطَاهَا
ذَلِكَ الْكُوْنُ كَوْنُهَا عَرَبِيًّا عَالَمِيًّا فِي هَدْيِهِ كَهُدَاهَا
قَدْ تَرَاءَتْ بِهِ الْحَيَاةُ تَوَارَى خَلْفَهَا الأَمْسُ مَاحِقاً مَحْيَاهَا
وَأَلاَحَتْ بِالْيَوْمِ فِيهَا جَدِيداً نَصَّ مِنْ رُوحِهَا الْجَدِيدِ قُوَاهَا
تَتَنَادَى فِيهِ عَرِينَ لُيُوثٍ عِنْدَمَا بَانَ .. وَاسْتَبَانَ ضُحَاهَا
مُذْ نَضَاهَا الإِسْلاَمُ .. سَيْفاً مِنَ الْغِمْدِ وَفِي الْكَفِّ لِلنِّضَالِ جَلاَهَا
فَإِذَا الأُمَّةُ الْكَرِيمَةُ بِالدِّينِ بَهِيَّ الآيَاتِ .. فِي سِيمَاهَا[1]
أُمَّةٌ تَصْنَعُ الْحَيَاةَ: حَيَاةً لِبَنِيهَا .. لِلْكَوْنِ عَمَّ سِوَاهَا
خَصَّهَا اللَّهُ بالرِّسَالَةِ .. فَاخْتَارَ نَبِيَّ الإِسْلاَمِ مِنْ بَطْحَاهَا
وَتَوَالَتْ آلاَؤهُ عَزَّ مَنْ أَسْبَغَ فَضْلاً لآلِهَا .. لِحِمَاهَا
فَأَشَادَ الْكِتَابُ تَنْمُو مَزَايَاهُ .. مَزَايَا سَخِيَّةٌ فِي نَمَاهَا
كُنْتُمُو خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .. أَصْلاً عَزَّتْ بِهِ تَقْوَاهَا[2]
فَتَعَالَى مَنْ صَاغَهَا مِثْلَمَا شَاءَ .. كَمَا شَاءَ فَضْلُهُ .. وَبَرَاهَا

---

(١) الآيات هنا: العلامات والسيماء: الهيئة والشكل.

(٢) تضمين جزئي لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠) وصاغها: هيأها على مثال مستقيم وبراها: خلقها من العدم ومنه البارئ: الخالق والبرية.. ج برايا: الخلق.

قَـدْ حَـبَـاهَـا بِـالآيِ هَـدْيـاً وَبِـالـسُّـنَّـةِ عِـزًّا .. وَرِفْـعَـةً لِـعُـلاَهَـا
بِالسَّجَايَا .. بِالأَمْرِ بِالعُرْفِ .. بالنَّهْيِ عَنِ الْمُنكَرِ الْمُشِينِ بَهَاهَا
دُونَـمَـا غِـلْـظَـةٍ .. فَـلِـلأُمَّـةِ النُّصْـحُ .. كَـمَـا أَنَّ لِـلـسَّـوَامِ عَـصَـاهَـا[1]
فَـلَـقَـدْ قَـالَـهَـا الـرَّحِـيـمُ تَـعَـالَـى لِـنَـبِـيِّ الأَخْـلاَقِ مَـنْ أَغْـلاَهَـا
فِي نِـدَاهُ: «لَـوْ كُـنْـتَ فَـظًّـا غَـلِـيـظَ الْـقَـلْـبِ» راهَـى مَـنْ جَـاءَهُ يَـتَـرَاهَـى
لَتَوَلَّى .. وانْفَضَّ عَنْكَ .. سَوَاءٌ فِي الْمَغَانِي .. ضَعِيفُهَا .. وَفَتَاهَا

* * *

تِـلْـكُـمُـو أُمَّـةُ الْـجَـزِيـرَةِ لِـلْـخَـيْـرِ .. بِإِيـمَـانِـهَـا .. سَـعَـتْ مَـسْـعَـاهَـا
فَعَلَى أَرْضِهَا .. وَفِي الْعَالَمِ الرَّحْبِ .. تَنَادَى الرُّوَّادُ مِنْ أَبْنَاهَا[2]
فِي فِدَاءٍ .. أَسْمَى الْفِدَاءَ تَجَلَّى صُـوَراً فَـذَّةً لِـمَـنْ أحْـصَـاهَـا
بَـيْـنَ حُـبٍّ لِـلْـحُـبِّ .. أَزْجَـوْهُ لِـلَّـهِ .. دُعَـاةً لِـدَعْـوَةٍ أَعْـلاَهَـا
بَـسَـطُـوهَـا لِـمَـنْ أَرَادَ . وَقَـدْ عَـزَّ .. فَـأَخْـزَى إِسْـلاَمُـهُ مَـنْ عَـصَـاهَـا
وَجَلَوْهَا بِالرُّوحِ .. بِالدَّمِ حُرًّا بِعَطَاءٍ .. فِي بَذْلِهِ .. أَغْنَاهَا

---

(١) السوام: الماشية. والإبل الراعية وراهي مراهاة الرجل: قاربه واجتمع به وتراهى القوم: تعاملوا برفق ودعة، وفي الأبيات تضمين لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

(٢) الروّاد ج رائد في الأصل من ارتاد الشيء: أي طلبه والرائد: الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه ـ والروّاد بالمفهوم الحديث، هم الأوائل في كل علم أو فن سبقوا في الاكتشاف والمعالجة وخلفوا لمن بعدهم ما يدل على ما عانوه أو سجلوه كمسلك أو كجسر يعبرون عليه.

بِبَيَانِ .. الإعْلاَمِ .. مَا عَرَفْتَهُ بِاسْمِهِ الْيَوْمَ .. صَادِقاً بِلُغَاهَا[١]

بَلْ بِآيَاتِهِ الْحِسَانِ تَوَالَتْ فِي الْمَعَانِي .. بِالْحَرْفِ مِنْ مَعْنَاهَا

فِي طِرَازٍ مُمَرَّدٍ نَصَّهُ الْهَدْيُ مَرَايَا .. تَجَرَّدَتْ مِنْ طِلاَهَا

صِيغَةً سَمْحَةَ الْمَنَاهِجِ غَرَّاءَ .. تَنَاهَتْ فِي صَفْوِهَا وَصَفَاهَا

يَتَلاَقَوْنَ فِي النِّدَاءِ لَدَيْهَا كَتَلاَقِي النُّجوم .. وَسْطَ سَماهَا

رُكَّعاً .. خُشَّعاً .. يَزُفُّونَهَا الْعُمْرَ سِرَاعاً لاَ يَأْلَفُونَ الرَّفَاهَا

لاَ يُمَارُونَ فِي الْحَقِيقَةِ إلاَّ مَنْ تَجَنَّى .. مُكَابِراً .. جافَاهَا

لا يَضِيقُونَ فِي النِّقَاشِ بِرَأْيٍ أَوْ يَكُمُّونَ دُونَهُ الأَفْوَاهَا

يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ فِي اللَّيْلِ دَوَّتْ فِيهِ أَصْوَاتُهُمْ تَشُقُّ فَضَاهَا

وَيُسَوُّونَ فِي الصَّبَّاحِ صُفُوفاً تَسْتَطِيبُ الرَّدَى وَلاَ تَخْشَاهَا

فَهُمُو فِي الْمَسَاءِ رُهْبَانُ لَيْلٍ حَبَسُوا النَّفْسَ فِي الْمُصَلَّى احْتبَاهَا

وَهُمُو في النَّهَارِ فُرْسَانُ حَرْبٍ أَلِفُوا صُنْعَهَا .. وَعَاشُوا وَغَاهَا

قَدْ أَشَادُوا بِهَا السَّلاَمَ طَرِيقاً مَهَّدَ النَّصْرُ دَرْبَهَا .. أَمْلاَهَا

لَمْ يُرَأُوا الطُّغَاةَ مَهْمَا اسْتَبَدُّوا لَمْ يَخَافُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ جَاهَا

قَدْ نَمَاهُمْ إلى الْجَزِيرَةِ أَصْلٌ رَاسِخُ الأَصْلِ .. ثَابِتاً أَرْسَاهَا

---

(١) المقصود بهذا البيت وما يليه: إن المسلمين الأوائل الروّاد من أبناء الجزيرة عرفوا فن الإعلام بمعناه الحديث كتطبيق فعلي دون تسميته بهذا الاسم المقرر والمتداول اليوم والعرب بصفة أساسية وعامة: قد برزوا قبل وبعد الإسلام في هذا المجال بالرواية، والحق والدعوة لما يستهدفونه بشتى الأساليب والطرق البيانية وهو بحث جدير بالاهتمام به.

وَحَدَاهُمْ لَدَى الْمَرَامِي ابْتَغَوْهَا هَدَفٌ وَاحِدٌ نَصَا مَرْمَاهَا

وَحَدَتْهُمْ عَقِيدَةٌ .. وَحَدَتْهَا وَاصطَفَاهُمْ إِسْلاَمُهُمْ وَاصْطَفَاهَا

فَإِذَا الْكُلُّ فِي الْمَرَاقِي سَوَاءٌ وَإِذَا الْكُلُّ في الْعُلاَ أَشْبَاهَا

* * *

الإِسْلاَمُ .. وَالسَّيْف

أَيُّهَا السَّائِلُ الْمُشِيرُ بِطَرْفٍ لِظُنُونٍ طَالَتْ .. لِرَيْبٍ تَلاَهَا(١)

أَيُّهَا الْبَاحِثُ الْمُلِحُّ عَنِ الأَمْرِ .. تَوَارَى حَقِيقَةً .. لاَ يَرَاهَا

كَذَبَ الزَّاعِمُونَ فِيمَا أَشَاعُوا وَأَذَاعُوهُ فِتْنَةً وَسَفَاهَا

وَافْتِئَاتاً عَلَى الْحَقِيقَةِ لاَحَتْ مِثْلَ شَمْسِ الضُّحَى بِرَأْدِ ضُحَاهَا(٢)

---

(١) في البيت وما تلاه من أبيات: مناقشة ومناهضة فكرية شعرية لما دأب على تكراره والإصرار عليه المستشرقون ومن نحا نحوهم من المشككين المتشككين. والقائلين بأن الإسلام إنما قام على حد السيف. وبالسيف ليس إلا.. وهم ينسون أو يتناسون الدعوات الفكرية والعلمية والمنطقية التي جاء بها. والتي حفلت بها الآيات الكريمة. والأحاديث الشريفة. والتي أفسحت المجالات الفكرية والعقلية مما استدعى نشوء علوم كثيرة تقوم أساساً على المناقشة ومقارعة الحجة بالحجة. ولقد كان طبيعياً استعمال السيف: على أساس المقابلة بالمثل مسايرة للقانون الأزلي القائل بالدفاع عن النفس أو المبدأ والمقارعة بنفس سلاح الخصم فضلاً عن أن إبلاغ أية دعوة واجبة التبليغ إنما تقتضي الحماية بعد العرض والتعرض لما ينشأ عنه.

(٢) الافتئات: اختلاق الباطل. والاستبداد بالرأي. رأد ورائد الضحى: وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء وغاله: قتله خديعة واغتيالاً ولَظَّ الشيء وبه: لازمه وثابر عليه وألحّ والعقوق: شق عصا الطاعة وترك الشفقة والإحسان. والاستخفاف بالشيء وقلاها: أبغضها وجفاها الهدف: الغرض الذي يُرمى أو يُسعى إليه والشارة: الهيئة ـ المخبر والمنظر والشعار: النداء المخصوص يعرف به القوم العلامة المميزة في الحرب والسلام.

إنَّ سَيْفَ الإِسْلاَمِ مَا كَانَ يَوْماً ... سَاطِياً بِالْحَيَاةِ .. غَالَ بَقَاهَا
جَاهِلِيًّا .. يَسْتَهْدِفُ الْحَرْبَ لِلْحَرْبِ .. غَرَاماً بِلَظِّهَا .. بِلَظَاهَا
وَعُقُوقاً بالآدَمِيَّةِ .. مِنْهَا ... وَإِلَيْهَا .. إنْسَانُهُ .. مَا قَلاَهَا
إِنَّهُ فِي يَدِ الْجَزِيرَةِ سَيْفٌ ... صَاغَ أَهْدَافَهَا وصَانَ حِمَاهَا
مُؤْمِناً بِالسَّلاَمِ مَا شَهَرَتْهُ ... بُغْيَةٌ لِلرَّدَى بِهَا يُمْنَاهَا
بَلْ لِدَفْعِ الشِّرْكِ الْمُنَاهِضِ أَلْقَى ثِقْلَهُ فَوْقَهَا .. يُرِيدُ فَنَاهَا
أَوْ لِمَحْوِ الضَّلاَلِ .. زَاحَمَ بالسَّيْفِ سُرَى نَهْجِهَا .. وَسَيْر هُدَاهَا
عَائِقاً دَعْوَةَ الْهِدَايَةِ لِلْحَقِّ .. مُعِيقاً سَبِيلَهَا .. إِكْرَاهَا

* * *

أُمَّةُ السَّلاَمِ ..

إِنَّهَا أُمَّةُ السَّلاَمِ ارْتَضَتْهُ ... هَدَفاً .. شَارَةً .. شِعَاراً زَهَاهَا
قَدْ بَلاَهَا السَّلاَمُ بِالأَمْسِ .. وَالْكَوْنُ تَلَظَّى أَتُّونُهُ .. وَتَنَاهَى[1]
وَابْتَلاَهَا لَدَى الْمَوَاقِفِ كُبْرَى ... قَدْ تَسَامَتْ مَعْنًى بِهَا مَعْنَاهَا
يَتَرَوَّى مُوَازِناً .. لاَ مُطِيلاً ... بَيْنَهَا .. رَأْيَهُ .. وَبَيْنَ سِوَاهَا
فَارْتَضَاهَا لِنَفْسِهِ مُسْتَعِيذاً ... فِي لَظَاهُ .. مِنْ غَيْرِهَا .. وَانْتَقَاهَا
مُسْتَعِيداً مَوَاقِفَ الرُّومِ .. وَالْفُرْسِ تَوَالَتْ إِزَاءَهُ .. وَإِزَاهَا

(١) بلاها: اختبرها امتحنها جربها وتلظى: تلهّب واغتاظ والأتون: موقد النار وتناهى: بلغ النهاية وابتلى الشيء: اختبره وعرفه.

فِي حُرُوبٍ بِهَا الْجَزِيرَةُ نَادَتْ وَتَنَادَتْ لِلسِّلْمِ قَلْباً .. وَفَاهَا

فِي افْتِدَاءٍ .. فِي جِزْيَةٍ .. أَوْ بِعَفْوٍ رَفَّ فِيهِ إِسْلامُهَا .. تَيَّاهَا

كُلُّ تَكْبِيرَةٍ أَرَنَّ بِهَا الصَّوْتُ جَهِيراً .. بِحِسِّهِ قَدْ وَعَاهَا

كُلُّ تَهْلِيلَةٍ يُرَدِّدُهَا الْفَجْرُ نَدِيًّا .. بِرُوحِهِ قَدْ رَعَاهَا

أَفَيَنْسَى السَّلامُ دَارَاتِ عِزٍّ لَمْ يَنَلْهَا مِنَ الْحُرُوبَ بَلاَهَا..؟؟

فَاسْتَظَلَّتْ بِعِزِّهَا .. وَأَظَلَّتْ مَنْ هَفَا صَوْبَهَا .. وَمَنْ وَالاَهَا[1]

أَفَيَنْسَى «بِالْقُدْسِ» آياتِ فَخْرٍ لَمْ تَزَلْ تَعْبُرُ الْمَدَى ذِكْرَاهَا[2]

بَيْنَ مَمْشَى أَحْبَارِهَا .. يَتَلاَقَى بِمَمَاشِي «الْفَارُوقِ» فِي مَغْنَاهَا؟؟

عَاطِرَاتٍ .. فَوَّاحَةً .. يَقْتَفِي السِّلْمُ لَدَى أُمَّةِ السَّلامِ خُطَاهَا

* * *

إِنَّهَا أُمَّةُ السَّلاَمِ تَلاَقَى فِي مُسَمَّاهُ .. إِسْمُهَا .. وَسُمَاهَا

لَمْ تُفَرِّقْ مَا بَيْنَهُ .. خَارِجَ الْبَيْتِ .. طِلاَباً .. وَبَيْنَهُ فِي حِمَاهَا[3]

ذَاكِراً مَوْقِفَ الرَّسُولِ بِبَدْرٍ وَقُرَيْشاً .. إذ نَفْتَدِي أَسْرَاهَا

---

(١) روَّأ في الأمر: نظر فيه وتفكر. في ظروفه وفي عواقبه بأناة وتمهل ووازن بين الشيئين: نظر أيهما أوزن أي قابل وحاذى.

(٢) هفا: مال. وذهب في أثر الشيء وصوبها: جهتها ـ والصواب ضد الخطأ ـ ويقال «فلان مستقيم الصوب» إذا لم يمل عن قصده يميناً أو شمالاً.

(٣) في البيت وما تلاه: إشارة لاستجابة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لطلب أحبار ووجهاء بيت المقدس لأن يكون تسليم مفتاح المدينة إليه ـ فكان كريماً بكل ما فعل وما سنّ سواء بحسن معاملتهم. أم بصلاته خارج الكنيسة لتكريس حق أهلها بها، إلى غير ذلك.

فَاكِراً وَقْفَةَ النَّبِيِّ مِنَ الْبَيْعَةِ .. رُؤْيَا لِلْفَتْحِ جَلَّتْ رُؤَاهَا[١]
شَهِدَتْ يَوْمَهَا الْحُدَيْبِيَةُ الْعَهْدَ سُطُوراً وَضَّاءَةً أَمْلاَهَا
حَقَنَتْ .. بِالرِّضَا .. الدِّماءَ طَوِيلاً فَتَحَسَّى السَّلاَمُ بَرْدَ رِضَاهَا

* * *

سَجَايَا .. وَخِلاَلٌ .. وَعَقِيدَه ..

إِنَّهَا أُمَّةُ السَّلاَمِ .. قَدِيماً وَحَدِيثاً .. أَعْلَتْهُ قَدْراً .. وَجَاهَا
الْمُسَاوَاةُ عِنْدَهَا دَعْوَةُ الْحُرِّ زَهَاهَا .. بِطَبْعِهِ .. وَحَبَاهَا
فَرَضَتْهَا عَقِيدَةٌ .. لَمْ تُفَرِّقْ بَيْنَ جِنْسٍ وَآخَرٍ فِي نِدَاهَا
لَمْ تُمَيِّزْ لَدَى التُّقَى عَرَبِيًّا عَنْ سِوَاهُ .. فِي دارِها .. أَوْ سِوَاهَا
لَمْ تُوَازِنْ بَيْنَ الرِّسَالاَتِ .. وَالرُّسْلِ .. اتِّقَاءً لِفِتْنَةٍ تَأْبَاهَا

* * *

التَّحِيَّاتُ بَيْنَهَا أُلْفَةُ الْقَلْبِ .. سَلاَماً .. لِلْقَلْبِ .. أَنَّى بَدَاهَا
فِي مُصَلاَّهُ .. خَاشِعاً يَتَأَنَّى أَوْ بِمَمْشَاهُ .. لِلْوَرَى أَفْشَاهَا

* * *

(١) المقصود بخارج البيت: خارج الجزيرة العربية ـ أما الموقف ببدر والافتداء: فيتلخص في أن بعض كبار الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب كانوا يرون قتل الأسرى وعدم الاحتفاظ بهم لافتدائهم من قومه بينما كان الرسول ﷺ وبعض كبار الصحابة ومنهم أبو بكر يرون غير ذلك وقد انتصر الرأي الأخير. مع ما نزل فيما بعد من القرآن مؤيداً «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة» علماً بأنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ (محمد: ٤). وفي ذلك ما فيه للسلام .

وَالسَّجَايَا رَفِيعَةُ الْقَدْرِ شَأْواً ... وَصِفَاتٍ مَرْمُوقَةً .. فِي صَفَاهَا

قَدْ رَعَاهَا الإِسْلامُ نَبْتاً زَكِيًّا ... وَغِرَاساً بِرَاحَتَيْهِ سَقَاهَا

فَنَضَاهَا طَبِيعَةً .. نَصَّ مِنْهَا ... مَا نَمَا زَاهِياً .. وَمَجَّ غُثَّاهَا[١]

* * *

وَالْمُرُوءَاتُ .. وَالشَّهَامَةُ .. وَالنَّجْدَةُ: أَصْلٌ بِعِرْقِهَا .. بِدِمَاهَا

وَالنَّدَى .. وَالْوَفَاءُ وَعْداً .. وَعَهْداً وَالْقِرَى .. وَالْجِوَارُ: رَمْزُ حِمَاهَا[٢]

تِلْكَ فِي أُمَّةِ الْجَزِيرَةِ آيَاتُ خِلاَلٍ ... قَدْ صَانَهَا مَغْنَاهَا

وَجَلاَهَا الإِسْلاَمُ .. قَدْ فَكَّ عَنْهَا بِالْهُدَى .. أَسْرَهَا .. وَحَلَّ عُرَاهَا[٣]

كَاشِفاً عَنْ غِطَائِهَا مَا تَدَسَّى بَيْنَ أَطْمَارِهَا .. وَتَحْتَ غِطَاهَا

فَأَلاَحَتْ عَلِيَّةَ الشَّأْنِ فِي الْكَوْنِ .. حَفِيًّا بِحُلْوِهَا .. بِحُلاَهَا[٤]

---

(١) وكذلك الحال بالنسبة لبيعة الرضوان فصلح الحديبية الذي كان مقدمة بين يدي الفتح الأعظم. فتح مكة. حيث عاهد الرسول قريشاً وسخّر البدن وعاد إلى المدينة. فكأنَّ في ذلك نصراً للسلام.. إذ قبل الرسول ﷺ العودة من الحديبية بعد أن جاء ومن معه محرمين بالعمرة وأبت قريش دخولهم مكة إلى آخر القصة. وحقن دمه: صانه ولم يرقه.. وتحسى: شرب الماء أو سواه شيئاً بعد شيء.

(٢) نضا السيف من غمده: سلّه.. والثوب عنه: جرده .. نزعه خلّصه ونض الشيء: رفعه وأظهره .. ومجّ الشيء: قذفه ورمى به. والغثاء: البالي من ورق الشجر المخالط لزبد السيل الزبد. الرديء الفاسد .

(٣) النَّدى: الجود. الفضل، الخير، الكرم. والقرى.. بكسر القاف هو ما يقدم للضيف. والجوار: الأمان والعهد وإعطاء الرجل ذمة فيكون بها جاره فيجبره.

(٤) الأسر: القبض على الشيء أو الرجل فأخذه أسيراً. والعرى: ج عروة: ما يدخل فيه الزر عند شده. وتدسى: اختبأ. واختفى. والأطمار: الثياب البالية.

وَبَدَتْ لِلْعِيَانِ كَالْكَوْكَبِ السَّاطِعِ .. فِي أُفْقِهَا .. وَفِي مَجلاَهَا

وَاعْتَلَتْ ذِرْوَةَ الزَّمَانِ مَدِيداً قِمَّةً .. يَطْلُبُ الزَّمَانُ رِضَاهَا

فِي عُصُورٍ تَفَرَّدَتْ هِيَ بِالْجَاهِ.. لَدَيْهَا: نَبَاهَةً .. ونَبَاهَا[1]

فَأَمَازَتْ مَعْنَى الْحَضَارَةِ قَدْراً شَامِخاً فِي الْعَلِيِّ مِنْ مَبْنَاهَا

تَتغَنَّى بِهَا الْعَوَالِمْ .. شَتَّى فِي أَهَازِيجِ صُبْحِهَا .. وَمَساهَا[2]

(١) ألاح: بدا وظهر، والحفيُّ: العارف الشيء حق معرفته والحلو: ضد المر. والحلي: الحجارة الكريمة. ومصوغات المعادن للزينة. والعيان: مصدر وج عُيُن وأعْيِنَة: الشخص فيقال لقبه أو رآه عياناً. أي مشاهدة لم يشك في رؤيته إياه. والذروة: أعلى الشيء. المكان المرتفع. والقِمَّة: ج قمم: أعلى كل شيء.

(٢) والعصور: ج عصر. الرهط والعشيرة. والزمن والدهر ومنه العصري المنسوب إلى العصر والسائر على نهج عصره. والنباهة: الشرف والاشتهار. والفطنة والنَّبَاهُ: ارتفاعُ الشرف والفطنة. وأماز: وميز الشيء: فرزه عن سواه. فضّله عن غيره. والحضارة: في الأصل: الحضر. أي القرى والأرياف والمنازل المسكونة فهي خلاف البدو والبداوة والبادية. الإقامة في الحضر.. التمدن.. وهي بالمعنى الحديث كل ما شمل والتصق بازدهار الحياة بشتى صوره العمرانية. والاجتماعية والعلمية و.. و.. مما هو ضمن المفهوم الحديث .. معنوياً وأدبياً .. لها. والشامخ: العالي.. والأهازيج: ج أهزوجة: ما يُهْزَجُ به من الأغاني.. من هزج المغني: أي ترنم وطرَّب في غنائه. أو في قراءته.



القسم الثالث

المحمدان والدعوة

الأُفُولْ

زَوْرَةُ الطَّيْف

الْمُحَمَّدَانِ . . وَالدَّعْوَة

الْغَالِيَة

عَاهِلُ الْجَزِيرَة

أَمَانٍ . . وَإِيمانٌ . . وَتُرَاث . .

الأُفُــول . .

وَاسْـتِـدَارَ الـزَّمَـانُ . . فَـرَّةَ كَـوْنٍ عِبْرَة فِي الْحَيَاةِ . . لَنْ تَنْسَاهَا[(١)]

فَـكَـمَـا تُـخْـسَـفُ الْـبُـدُورُ لِـحِـيـن لَـمْ يَقِسْ حِينَـهُ الْـمَدَى بِـمَـدَاهَـا

وَكَـمَا تَغْرُبُ الشُّـمُـوسُ . . كَـلاَلاَ أَوْ مَـلاَلاً مِـنَ الْـعُـيُـونِ . . تَـرَاهَـا

قَدْ خَبَا الضَّوْءُ فِي الْجَزِيرَةِ . . قَدْ مَالَ . . فَأَغْشَتْ . . بِمَيْلِهِ . . مُقْلَتَاها[(٢)]

فِي إِسَارٍ . . أَطَالَ بالصَّفْدِ . . قَدْ طَالَ . . أَسَاهَا . . وَامْتَصَّ فَضْلَ ذَمَاهَا

وَسَفَتْ فِي خُطَاهُ . . لَمْ تُنْكِرِ الْقَيْدَ ثَقِيلاً . . عَلَى الْمَدى . . قَدَمَاهَا

بَـيْـنَ لَـيْـلٍ مِـنَ الـتَّـنـاحُـرِ . . دَاجٍ وانْـحِـرَافِ عَـنْ رُشْـدِهـا . . وَهُـدَاهَـا

فِي نُكُوصٍ عَنْ مَهْيَعِ الدِّينِ مُزْرِ وَارْتِدَادٍ . . كَمَا الصُّبُوءِ . . دَهَاهَا[(٣)]

مَـزَّقَـتْـهَـا بِـهِ الأَبَـاطِـيـلُ . . شَـاعَـتْ بِدْعَةً . . مُنْكَراً أَعَابَ . . وشَاهَا

(١) فرة كون: من الفرار . . أي إدبار الزمان بعد إقباله . . والعبرة: العظة.

(٢) خبا . . خبت النار أو الحدة. خمدت ـ وسكنت ـ وطفئت وأغسى: من أغسى الليل: أي أظلم والصَّفْد . . صفده صفداً: أوثقه وقيده بالحديد أو غيره. وأساها: الأسى . . الحزن . . والذَّماء: بقية الروح ـ ورسفت: مست مشي المقيّد.

(٣) النكوص: الرجوع ـ والارتداد ـ والمهيع: الطريق الواسع البيِّن . . والصُّبُوء: صبأ صبوءاً: خرج من دين إلى آخر ـ ويتداهى: يتكلّف الدهاء ويتصنعه.

فَاسْتَطَالَتْ بِهَا الْخُرَافَاتُ تَعْلُو هَامَةَ الْعَقْلِ .. عَاجِزاً .. يَتَداهَى
وَدَهَتْهَا أَهْوَاؤُهَا نَصَّبَ الْفَرْدُ هَوَاهُ بِهَا .. فَكَانَ هَوَاهَا[١]
فَتَهَاوَتْ فَرِيسَةَ الزَّيْغِ قَدْ رَانَ عَلَى قَلْبِهَا .. وَفِي أَحْشَاهَا
وأَسْتَنَامَتْ عَلَى الضَّلال .. فَنَامَتْ فِي ظَلامٍ مِنْ لَيْلِهَا .. مِنْ دُجَاهَا
تَشْتَهِي الصُّبْحَ مَطْلَعاً .. قَدْ أَبى الصُّبْحُ عَلَيْهَا .. رَغْمَ الضَّنَى مُشْتَهَاهَا

* * *

زَوْرَةُ الطَّيْف ..

.. وتَهَادَى الزَّمَانُ ماشَتْهُ فِي الدَّهْرِ عُصُورٌ .. تَخْتَالُ فِي مَمْشَاهَا
يَتَجَافىٰ عَنِ الْجَزِيرَةِ .. قَدْ فَرَّ بَعِيداً فِي الْكَوْنِ .. مُنْذُ اجْتَوَاهَا[٢]
يَأْتَلِي فِي مَسِيرِهِ .. يَنْقُلُ الْخَطْوَ بَطِيئاً .. وَبُطْؤُهُ أَشْقَاهَا
قَاطِعاً فِي الْمَدَى الطَّوِيلِ قُرُوناً أَسْلَمَتْهَا إِلَى الْمَصِيرِ .. طَوَاهَا
وَكَمَا تُنْبِتُ الْحُبُوبُ غِرَاساً يَانِعَاتِ الأَثْمَارِ .. فِي مَجْنَاهَا
وَكَمَا تُزْهِرُ الْبُذُورُ .. وَتَحْلُو فِي وُرُودٍ تَفَتَّحَتْ شَفَتَاهَا
لاَحَ فِي تُرْبَةِ الْجَزِيرَةِ نَبْتٌ طَابَ فِي الْغُصْنِ مُورِقاً بِثَرَاهَا

---

(١) نصَّب: رفع .. أي جعل هواه فوق كل شيء.. وتهاوت: سقطت من أعلى لأسفل ـ والفريسة: ما يفترسه الأسد ونحوه .. والزيغ: الميل عن الحق ـ الشك، وران: اشتد في هوله وغمه، واستنام: طلب النوم ـ أو تظاهر به كذباً ..

(٢) تجافى عنه: لم يلزم مكانه ـ ولم يطمئن حيث تباعد ـ واجتوى البلد: كره المقام به ويأتلي: يبطئ ويقصر في مسيره.

رَاقَـهُ مَـطْـلَـعُ الـنَّـهَـارِ .. تَـأَنَّـتْـهُ مَـلِـيًّـا .. إِشْـرَاقَـةٌ .. تَـتَـلاَهَـى[(١)]

بَـيْـن تَـهْـوِيـمَـةِ الـصَّـبَـاحِ زَهَـتْـهُ وَعَـلَـى مَـفْـرَقِ الـصَّـبَـاحِ زَهَـاهَـا

فَـدَنَـتْ نَـحْـوَهِ الْـجَـزِيـرَةُ بِـالـلَّـحْـظِ خَـفِـيـضـاً أَذواهُ طُـولُ كَـرَاهَـا[(٢)]

يَـتَـرَاءَى لَـهَـا الـصَّـبَـاحُ مُـطِـلاً نَـاعِسَ الطَّرْفِ .. زَائِراً قَدْ أَتَاهَا

يَشْبِهُ الطَّيْفَ عَابِراً فِي دُنَى الْحُلْمِ .. تَرَجَّتْهُ .. واقِعاً .. دُنْيَاهَا

مَـا تَـبَـدَّى لَـهَـا .. قَـلَـتْـهُ زَمَـانـاً بِـيـدُ صَـحْـرَائِـهَـا .. وَقَـفْـرُ خَـلاَهَـا

تَـسْـمَـعُ الْـهَـمْـسَـةَ الـرَّقِـيـقَـةَ مِـنْـهُ رَدَّدَتْـهَـا آهـاً تُـرَادِفُ آهـا

لِـتَـبِـيـتَ الـلَّـيْـلَ الـطَّـوِيـلَ تُـنَـاجِـيـهِ بِـقَـلْـبٍ مُـمَـزَّقٍ أَضْـوَاهَـا ..

* * *

الْمُحَمَّدَان .. وَالدَّعْوَة[(٣)]

.. وآنـجَـلَـى الـصُّـبْـحُ فِـي الـنِّـهَـايَـةِ يَـعْـلُـو فَـوْقَ آفَـاقِـهِ إِلَـى مُـنْـتَـهَـاهَـا

(١) تأنى: تأناه: لم يُعْجِلْهُ .. أي استمهل .. وتنظَّر .. والمليُّ: مدة العيش الطويل من الزمان ـ وتلاهى بالشيء: اشتغل به وتلاعب والتهويمة: هزّ الرأس من النعاس ـ والنوم قليلاً.

(٢) خفيضا .. خفض. غض .. وأذْوَى: أذبل الكرى: السهر ـ أي إن طول السهر قد أذبل لحظها ـ وغض منه ـ.

(٣) المحمدان: هما: محمد بن سعود .. من آل مقرن .. العنزي ـ رأس الأسرة السعودية المالكة .. وقد احتضن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومبادئها السلفية من مركز رئاسته .. ومكان ولادته ـ في الدرعية ـ والشيخ الإمام محمد بن عبد الوهَّاب بن سليمان ـ وقد سماه أبوه محمداً تيمناً باسم النبي ﷺ ـ وكان قد لجأ بعد إخراجه من العيينة إلى المؤسس محمد بن سعود في الدرعية ـ وتعاهدا وتعاقدا وتبايعا على نصرة الدعوة التي أمضيا أكثر من عشرين عاماً في نشر مبادئها السلفية ـ وفي ترسيخها في الجزيرة ـ وسط طوائف شتى من البدع والضلالات والخرافات والشرك =

فِي الأَعَالِي مِنْ قَلْبِ نَجْدٍ مُطِيفاً بِسَرَاةِ الْحِجَازِ .. فِي مُعْتَلاَهَا
يَتَهَادى عَلَى الْجَزِيرَةِ .. رَهْواً بَيْنَ أَرْهَائِهَا .. وَفَوْقَ سَمَاها[1]
بالأَقَاصِي مِنْ سَاحِهَا .. أيْنَمَا كَانَ .. تَقَصَّى دَارَاتِها وَفَلاَهَا
بِابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ يَخْطُو .. وَئِيداً فَبَعِيداً بَيْنَ الْفَيَافِي طَوَاهَا
جَاهِداً .. مُجْهَداً .. رَفِيقَ مَبَادٍ قَدْ جَفَاهَا ضَلاَلَةً مَنْ جَفَاهَا[2]
مُسْتَعِيناً .. بَعْدَ الْمَطَافِ طَوِيلاً بِسَمِيٍّ .. أَعْطَى الْعُلاَ أَسْمَاهَا
وَسْطَ «دِرْعِيَّةٍ» أَطَلَّتْ كَمَا النَّجْمِ سَنَاء لِلطَّالِبِينَ سَنَاهَا
بِالْمُشِيدِ الصَّرْحَ .. الْمُقِيمِ عَلَى الدَّرْبِ صُرُوحاً للأَكْرَمِينَ جِبَاهَا
لِلْغَوَالِي .. لِلصِّيدِ آلِ سُعُودٍ مَنْ أَقَامُوا لِلصَّالِحَاتِ بِنَاها
لَمْ يُطِلْيوا .. بِالصَّبْرِ حِيناً .. وَبِالْقَسْرِ مُلِحًّا .. لِلْمُنْجَزَاتِ مَدَاهَا
فَتَلاَقَى الْمُحَمَّدانِ عَلَى الدَّعْوَةِ إلاَّ .. وَذِمَّةً رَاعَيَاهَا[3]

= بالله تحت الشعار الإسلامي الخالد «لا إله إلا الله» .. هذا وكتب السير والتاريخ غنية بالتفاصيل عن كل منهما. وعن جوهر الدعوة ذاتها.

(١) الرهو: السير السهل ـ والأرهاء: الجوانب ـ والأرجاء .. وتقصى: ـ بلغ الغاية في البحث عن الشيء ـ وفلاها: ج فلاة: وهي الصحراء الواسعة والفيافي: ج الفيفَاة .. والفيفي: المفازة لا ماء فيها ـ (والمفازة الفلاة لا ماء فيها وهي مأخوذة من فوزَ أي مات لأن المفازة مظنة للموت لخلوها من الماء).

(٢) الجاهد: السهران والمجهد: البالغ الجهد ـ والمتعب محملاً نفسه فوق الطاقة والسمِيّ: المسمى باسم الآخر.. وقد رأينا استعمالها هنا رغم عدم نص الفصحى عليها لكونها أدق أداء ـ ونقصد بسميّ الإمام المؤسس فكلاهما اسمه «محمد».

(٣) الألُّ: العهد .. والذمة: الضمان والعهد ـ ورهاها: من رها: رفق يقال «لم يره على نفسه» أي لم يرفق بها.

وَمَضَى الشَّيْخُ فِي الصَّبَاحِ مُثِيراً وَمُشِيراً لِلتِّيهِ .. طَالَ .. تَنَاهَى

صَامِداً في عَزِيمَةٍ مَا نَضَاهَا وَبِنَفْسٍ صَبُورَةٍ مَا رَهَاهَا

صَائِحاً يَزْجُرُ الضَّلالَةَ وَالشِّرْك .. رُجُوعاً لِلَّهِ جَلَّ إِلهَا

نَائِباً لِلْكِتَابِ فَصَّلَهُ الْحَقُّ تَعَالَى حَقَائِقاً .. لِنَرَاهَا[1]

وَإِلَى السُّنَّةَ الْكَرِيمَةِ تَسْمُو بِنَبِيِّ الإِسْلاَمِ .. فَهْماً وَعَاهَا

كَلِمَاتُ التَّوْحِيدِ فِي شَفَتَيْهِ طَلَقَاتٌ قَدْ أَخْرَسَتْ أَفْوَاهَا

* * *

الْغَالِيَة[2]

.. وَبِأَعْلَى الْحِجَازِ مِنْ دارَةِ الْعِزِّ بِسَاحَاتِهَا اسْتَعَزَّ فِنَاهَا[3]

صَدَحَتْ فِي رُبَى الْجَزِيرَة تُصْغِي لِتَرَانِيمِهَا .. لِرَجْعِ صَدَاهَا

(١) نائباً من ناب: إلى الله أي لزم طاعته ـ ورجع إلى كتابه .. وسنة رسوله ﷺ ـ والتوحد مختصراً: اعتقاد وحدانية الله تعالى ـ ووحد الله توحيداً: أي قال: لا إله إلا الله ـ.

(٢) غالية الوهَّابية: «ت ١٨١٤» من بادية ما بين الحجاز ونجد .. أرملة من أغنياء «البقوم» ـ قرب الطائف ومن سكان «تربة» وكان أهل تربة أسبق أهل الحجاز إلى دعوة الوهابيين .. شهرت في حروب نجد ضد الترك والهاشميين ـ وكانت لها بطولة رائعة.. أرادت أن تكون مقاومة تربة أشد مقاومة عرفها الترك في تلك المنطقة ـ أنفقت من ثروتها الطائلة على الحرب وجندت بمالها الكثيرين من أهل العشائر ـ هزمت الجيش المصري بقيادة طوسون (١٨١٣) .. منقولة عن الموسوعة العربية الميسرة .. صفحة ١٢٥١.

(٣) الساحات .. ج ساحة: الناحية ـ أو فضاء بين دور الحيِّ لا بناء فيه ولا سقف والفناء بكسر الفاء: الساحة أمام البيت..

حُـرَّةٌ . . تَـبْـذُلُ الـعَـطَـاءَ وَفِـيـراً رَهْـنَ غَـايَـاتِـهَـا زَكَـتْ بِـعَـطَـاهَـا

فَبَسَتْ مِنْ بَصِيرَةِ الشَّيْخِ نُوراً فَـإِذَا الـنُّـورُ: نَـارُهَـا وَلَـظَـاهَـا

تِلْـكَ مِنْـهَـا لِلْـمَـجْـدِ «غَـالِـيَـةٌ» الْـمَـجْـدِ أَهَـابَـتْ بِـقَـوْمِـهَـا . . نَـضَـاهَـا

وَتَـلاَقَـتْ فِـيـهَـا الْـجَـزِيـرَة رُوحـاً نَـصَّ مِـنْـهَـا رِجَـالَـهَـا فَـنِـسَـاهَـا

❊ ❊ ❊

عَاهِلُ الْجَزِيرَة . .

وَمَـشَـى الـصُّـبْـحُ أَبْـلَـجَ الْـوَجْـهِ مـاشَتْهُ ذُكَاءُ في سَمْتِهَا وَسَمَاهَا[1]

في الرِّيَاضِ الْغَنَّاءِ . . قَدْ نَمْنَمَ الْفَرْحَةَ . . بَعْثاً إلَى الْحَياةِ . . جلاَهَا

في البَرَى . . في الرِّمَالِ . . في بَاطِنِ الأَرْضِ . . كُنُوزاً مَخْبُوءَةً بَثَراهَا[2]

فـي الـرَّوابـي خَـضْـرَاءَ رَفَّ بِـهَـا الـزَّهْـرُ: وُجُـوداً مُـعَـبِّـراً بِـشَـذَاهَـا

في الْكَيانِ النَّامي تَسَامَقَ مَعْنَى في الْمَعاني في «وَحْدَةٍ» جَلاَّهَا

صَاغَها فِكْرَةً . . فَكَانَتْ وُجُوداً فَحَيَاةً . . عَبْدُ الْعَزِيزِ ارْتَجَاهَا

عَاهِلٌ هَبَّ في الْجَزِيرَةِ لِلَّهِ . . لأَمْـجَـادِهَـا . . يُـعِـيـدُ بِـنَـاهَـا

مُـؤْمِـنـاً بِـالْـعَـزِيـزِ بِـالْـحَـقِّ رَبَّـا وَبِـرُوحِ الإِسْـلاَمِ دِرْعـاً وقـاهَـا

---

(١) العاهل: الملك الأعظم ـ وذكاء: اسم علم للشمس غير منصرف «إلا لضرورة الشعر» والكلمة مشتقة من ذكت النار . . وابن ذكاءَ: الصبح لأنه من ضوء الشمس وسمتها: السمت: الطريق ـ الهيئة ـ ونَمْنَمَ: زخرف ـ ونقش ـ وزيَّن ونمنمت: خطت وتركت أثراً شبه الكتابة ـ.

(٢) البَرَى: التراب والكنوز المخبوءة في باطن الأرض: المقصود بها الطاقة ـ البترول.

قَدْ هَفَتْ نَحْوَهُ الْجَزِيرَةُ صَوْباً وَصَواباً لِلْيَوْمِ ما زَايَلاَهَا[١]

صَفَحَاتُ التَّارِيخِ بَيْنَ يَدَيْها بِيَدَيْهِ لَمَّا تَزَلْ تَقْرَاهَا

لَمْ تَزَلْ كالضُّحى مَغَازِيهِ في السَّعْيِ لِتَوْحِيدِهَا صُوى بِصُوَاهَا

* * *

أَمَانٍ . . وَإِيمَانٌ . . وَتُرَاث . .

وَازْدَهَى الصُّبْحُ . . يَمْلأُ الأَرْضَ بِالْحُبِّ: حَيَاةً أَحَبَّهَا فَازْدهَاهَا[٢]

سَاطِعاً في دُنَى الْجزيرَةِ . . حَيَّتْهُ . . اغْتِباطاً . . سُهُولُهَا . . وَرُبَاهَا

عَابِراً يَوْمَهَا الأَغَرَّ حَفِيلاً بِأَمَانِيِّهِ لَهَا . . أَزْجَاهَا

وَشَهِيداً عَلَى الْمَحَامِدِ فِيهَا لَمْ تُخَيِّبْ رَجَاءَهُ أَوْ رَجَاهَا

فَأَلاَحَتْ لَهُ الْجَزِيرَةُ بِالْيَوْمِ عَرِيضاً . . في حَاضِرٍ قَدْ زَهَاهَا

بِالأَمَانِي تَطَلَّعَتْ لِلْغَدِ الرَّامِقِ أَهْدَافَهَا . . وَقَدْ زَكَّاهَا

فَالْهُدَى دَرْبُهَا الْوَضِيءُ أَدَاء وَقِوَاماً في عَزْمِهَا في خُطَاهَا[٣]

قَدْ بَلَتْهُ بِالأَمْسِ دِيناً حَنِيفاً وَابْتَلَتْهُ في الْيَوْمِ مَا أَخْزَاهَا

---

(١) هفت: أسرعت.. والصوب: الاتجاه لا يخطئ والصواب: ضد الخطأ .. والأمر اللائق.

(٢) ازدهاها: استفزها طرباً ـ واغتباطاً: من الغبطة ـ وهي حسن الحال .. والمسرة .. وتمنى النعمة على ألاَّ تحول عن صاحبها «بعكس الحسد» .. وأزجاها: ساقها .. ودفعها برفق.

(٣) الأداء: قضاء الشيء .. والقِوَامُ: قوام الأمر: نظامه وعماده وما يقوم به ..

بَيْنَ دُنْيَا تَطَوَّرَتْ في الْمَفَاهِيمِ .. وَأَرْضٍ تَطَلَّعَتْ لِفَضَاهَا[١]
تَتَرامَى بِهَا الْمَذَاهِبُ شتّى يتَرامى أَصْحَابُهَا أشْباها
قُلْ لِغَاوٍ مُقَلِّدٍ .. لِضَلِيلٍ قَدْ لَهَتْهُ الْحَيَاةُ عَنْ عُقْبَاهَا[٢]
يَتَرَجَّى لِشَعْبِهِ «الْغَرْبَ» مَنْحَى أَوْ يَرَى «الشَّرْقَ» قِبْلَةً واتِجَاهاً
تَعِسَتْ أُمَّةٌ .. تَرَدَّتْ عَلَى الدَّرْبِ .. إِذَا مَا اكْتَسَتْ بِغَيْرِ كِسَاهَا
سَتَعِيشُ الْحَيَاةَ حَيْرَى .. عَلَى الْهَامِشِ مِنْهَا حَيَاتُهَا وَبَقَاهَا
كَمَرَايَا لِغَيْرِهَا .. أَوْ كَظِلٍّ مَا رَأْتْ فِيهِ نَفْسَهَا .. بَلْ سِوَاهَا

***

وَسَمَا الصُّبْحُ في الْجَزِيرَةِ يَعْلُو في مَعَارِيجِهِ الْوِضَاءِ ارْتَقَاهَا
يَتَنَادَى بِهِ الأَخِلاَّءُ .. أَهْلاً وَعَشِيراً .. عَلَى الطريق .. تَرَاهَى[٣]
مَنْهَجٌ وَاضِحُ الْمَعَالِم مَنْ سَارَ عَلَيْهِ مَا ضَلَّ يَوْماً .. فَتَاهَا
قَدْ دَحَاهُ الإِسْلامُ لِلْعَيْنِ: مِرْآةَ قُلُوب .. إِيمَانُها قَدْ هَدَاهَا

---

(١) وأرض تطلعت لفضاها: إشارة إلى القيام بغزو الفضاء ـ والمذاهب: إشارة للمعتقدات السياسية والاجتماعية ـ من شيوعية إلى اشتراكية الخ..

(٢) الغاوي: المنقاد للهوى .. والضَّلِيلُ: الكثير الضلال .. ومنحى: من نحا نحو فلان أي قصده واقتفى أثره.. ويترجى الشيء: يؤمِّل به.. والمقصود «بالغرب» هنا وبالشرق: الاصطلاح السياسي الحاضر والحديث .. من حيث تقسيم النفوذ العالمي إلى شرقي ـ وغربيّ!!

(٣) تنادى القوم: نادى بعضهم بعضاً والأخلاّء: ج خليل: وهو الصديق المختص ـ والعشير: ج عشراء: الصديق ـ القريب ـ القبيلة .. ويتراهى: تراهى القوم: أي تعاملوا برفق وبوداعة.

فِي خِلاَلٍ عِطْرِيَّةِ النَّفْحِ حَفَّتْ بِالسَّجَايَا رَقَّتْ وفَاضَ بِهَاهَا
يَتَحَلَّى شَعْبُ الْجَزِيرَةِ بِالأَمْثَلِ مِنْهَا .. أَغْلاهُ مَا أَغْلاهَا
بَيْنَ عَادَاتِهَا الأَصِيلَةِ زَانَتْ بِطِبَاعٍ تَزَيَّنَتْ بِحُلاهَا
فَعَسَاهَا تَبْقَى عَلَى الأَصْلِ والوَصْلِ كَعَادَاتِهَا الْحِسَانِ .. عَسَاهَا

القسم الرابع
الكيـــــان . .

الْكِيانُ . . وَالْفَيْصَل
التَّضَامُنُ الإِسْلاَمِيّ
الشَّرَارَةُ . . وَالجَزِيرَة
وَرَاءَ الْحُدُود . .
الْجَزِيرَةُ: إسْلاَمٌ . . وَعُرُوبَة
الْجَزِيرَةُ . . وَيَهُوذَا . .
أَصْدَاء . . وَمَرَايَا . .

الْكيانُ . . وَالْفَيْصَل(١)

أَيُهَذَا الْمُطِلُّ صُبْحاً بِهِ الصُّبْحُ . . وَفـي وثْـبـةِ الـجَـزِيـرَةِ . . تَـاهَـا

في وُجُودٍ . . مَعَ الزَّمَانِ . . جَدِيداً مَا تَرَاخَى عَزْماً . . وَلاَ صَالَ جَاهَا

---

(١) الكيان: من كان ـ الحدوث والوجود والصيرورة ـ والمقصود به الذاتية والحيثية المتمثلة في المملكة العربية السعودية ـ كوجود ـ ووحدة ـ والفيصل: بأل التعريفية . . لغة ج فياصل . . ومعناه الحاكم ـ والقاضي . . وكذلك القضاء بين الحق والباطل وما يفصل بين الأمور . . إلى بقية المعاني التي سنفصلها في مواضعها ـ.

والفيصل: عاهل الجزيرة العربية اليوم . . وملك المملكة العربية السعودية في سطور مشرفة ـ وإلمامة لا تحيط بكل جوانبه الهامة والمتعددة: ـ

ـ ولد في شهر صفر عام ١٣٢٤هـ ١٩٠٦م في مدينة الرياض ـ يوم ذبحة ابن الرشيد.

ـ وفي عام ١٩١٩م. أرسله والده في مهمة سياسية إلى الغرب وكان في الرابعة عشرة من عمره.

ـ وفي عام ١٩٢٠م. عيّنه والده قائداً للجيش النجدي الزاحف إلى عسير فعاد بالنصر المؤزر للرياض.

ـ وفي أول عام ١٩٢٦م. اختير رئيساً للحكومة في الحجاز ونائباً عاماً للملك. ورئيساً لمجلس الشورى.

ـ وتولى وزارة الخارجية عام ١٩٣٠م.

ـ وفي عام ١٩٣٢م. اختير الفيصل رئيساً لمجلس الوكلاء.

ـ وفي عام ١٩٥٣م. اختير نائباً لرئيس الوزراء.

ـ وفي نوفمبر ١٩٥٣م. بويع الفيصل وليًّا للعهد.

ـ وفي أغسطس ١٩٥٤م. تولى رئاسة مجلس الوزراء.

=

قِفَ لَدَى سَاحِهَا النَّضِيرِ . . وَضِيئاً مُشْرِقاً بِالْوُجُوهِ . . أَنَّى تَرَاهَا
فِي كِيَانٍ . . عَلَى الْمَدَى . . يَتَجَلَّى عَالِيَ الشَّأْوِ . . مَا زَهَا . . مَا تَباهَى
وَاكَبَ الْعَصْرَ مَا تَخَلَّفَ عَنْهُ أَوْ تَحَامَاهُ . . وِجْهَةً . . وَوِجَاهَا[1]
في صُرُوحٍ بِهَا الْمَعَاني اسْتَطَالَتْ في الْمَغاني . . وَطَاوَلَتْ مَبْنَاهَا

= ـ وفي أوائل ذي القعدة ١٣٨٣ هجرية اختير وصيًا على العرش.

ـ وفي ٢ نوفمبر ١٩٦٤م. ٢٧ جمادى الآخر ١٣٨٤ نودي بالفيصل ملكاً على المملكة وإماماً للمسلمين وبويع بالإجماع.

ـ وقد عبر الشيخ حسن آل الشيخ وزير المعارف ومن أعلام النهضة الفكرية والدينية بالمملكة عن أن الفيصل فوق الألقاب بقوله: إن كل لقب ووصف سيظل متدانياً أمام ما يشعر به نحوك كل أبناء شعبك من الحب والإجلال والتقدير . . فأنت تشرف الألقاب ولا تشرفك.

ـ كما أشار معالي الشيخ حمد حجيلان في مقدمته على كتاب «المملكة العربية السعودية. . في مرآة الصحف العالمية» عن سمعة الفيصل العالمية بقوله «لقد استقطب العهد الفيصلي منذ طلوع فجره قدراً كبيراً من الاهتمام العالمي الذي يستقي مما للفيصل العظيم: أميراً وولياً للعهد . . ونائباً للملك . . ورئيساً للوزراء . . ثم ملكاً من مقام عالمي تدعمه الإنجازات الإصلاحية التي اقترنت باسمه ـ وعززت شهرته كرجل سلام ـ وكحاكم حريص على قيم العدالة والإنسانية.

ـ وألقابه: ملك المملكة العربية السعودية ـ وإمام المسلمين ـ وهو لقب مستمد من لقب آبائه وأجداده لجمعهم بين الزعامتين الدينية والدنيوية ـ وخادم الحرمين الشريفين. لرعايته لأمور الحج ولتعهده للأماكن المقدسة ـ وشهرته العالمية الحاضرة أكبر من أن توصف.

ـ «نقلاً واقتباساً من كتاب الدكتور منير العجلاني «(فيصل) تاريخ مملكة في سيرة زعيم».

(١) واكب: رافق العصر وسار معه. وتحاماه: اجتنبه وتوقاه والوجهة ما توجهت إليه ـ والوجاه المعاينة وجهاً لوجه . . كعوان: العوان الحرب التي قوتل فيها مرة بعد الأخرى ـ وهي أشد الحروب والمقصود هنا بها طبعاً معركة بناء مملكة وشعب والصلي: وقود النار ـ النار أو العظيم منها والأشهب: الأمر الصعب ويوم أشهب ذو ريح وصقيع.

قَـدْ رَعَـاهَـا .. وَصَـاغَـهَـا الْـفَـيْـصَـلُ الْـفَـذُّ: حَـيَـاةً .. وَعِـزَّةً .. وَرَفَـاهَـا
هَـمُّـهَـا .. شُـغُـلُـهُ .. فَـمَـا شَـغَـلَـتْـهُ   أَيُّ دُنْـيَـا .. عَـنْ هَـمِّـهَـا .. وَهَـوَاهَـا
يَـصْـطَـلِـيـهَـا .. بِـشَـعْـبِـهِ .. كَـعَـوانٍ   مَـا اتَّـقَـاهَـا .. مَـا حَـادَ عَـنْ مُـصْـطَـلاهَـا
مُـسْـتَـعِـيـنـاً بِـالـلَّـهِ رَبّـاً .. وَبِـالـدِّيـنِ مَـلاذاً فـي الْـمُـنْـجَـزَاتِ .. قَـضَـاهَـا
بَـيْـنَ إِخْـوَانِـهِ الْـكِـرَامِ .. يَـخُـوضُـونَ وَغَـاهَـا .. بِـحَـرِّهَـا .. بِـصَـلاهَـا
قَـدْ تَـوَلَّـى قِـيَـادَهَـا .. مَـا تَـأَنَّـى   أَوْ تَـوَانَـى عَـنْ شَـجْـوِهَـا .. وَشَـجَـاهَـا
دَائِـبـاً .. أَجْـهَـدَ الْـمَـسِـيـرَةَ رَكْـبـاً   بِـخُـطَـاهُ .. فِـيـهَـا اسْـتَـمَـرَّتْ خُـطَـاهَـا
حِـيـنَ لَـبَّـى .. لِـلْـحِـقِّ .. دَعْـوَةَ حَـقٍّ   فَـرَضَـتْـهَـا .. حَـتْـمـاً .. عَـلَـيْـهِ رُؤَاهَـا

* * *

التَّضامُنُ الإِسْلامِيّ

فَـمَـعَ الـلَّـيْـلِ طَـاخِـيـاً .. مَـدَّهُ الأُفْـقُ اسْـتَـسَـرَّتْ نُـجُـومُـهُ .. وَضِـيَـاهَـا
رَفَـعَـتْ طَـرْفَـهَـا الْـجَـزِيـرَةُ .. تَـرْنُـو   لِـبَـعِـيـدٍ عَـنْ أُفْـقِـهَـا .. عَـنْ مَـدَاهَـا
يَـتَـنَـادَى إِسْـلامُـهَـا .. يَـرْمُـقُ الإِخْـوَةَ..   أَيّـاً كَـانُـوا .. وَكَـانَـتْ لُـغَـاهَـا
وَمَـعَ الْـخَـطْـبِ صَـاعِـقـاً أَذْهَـلَ الأَنْـفُـسَ عَـنْ هَـدْيِـهَـا .. وَسِـرٍّ هُـدَاهَـا
قَـدْ غَـدَا الْـمُـسْـلِـمُـونَ مِـنْـهُ حَـيَـارَى   فـي شَـتَـاتٍ .. فـي فُـرْقَـةٍ تَـتَـنَـاهَـى
وَمَـضَـتْ كَـالـشِّـهَـابِ فـي سَـاحَـةِ الْـفَـيْـصَـلِ .. لَـبَّـى إِيـمَـاضَـهَـا .. وَمَـضَـاهَـا
تِـلْـكَ كَـانَـتْ فـي يَـوْمِـهَـا الأَشْـهَـبِ   الأَصْـعَـبِ ذِكْـرَى لِـمَـنْ يَـرَى ذِكْـرَاهَـا
دَعْـوَةُ الْـحَـقِّ قَـدْ أَحَـاطَ بِـهِ الْـبَـاطِـلُ .. كَـيْـداً .. شَـتِـيـتُـهُ أَوْهَـاهَـا

فَزَهَتْ فِكْرَةً .. وَمَعْنىً .. وُروحاً   صَاغَهَا رُوحُ فَيْصَلٍ .. وَجَلاَهَا
مُذْ دَعَا دَعْوَةَ التَّضامُنِ لِلَّيْلِ:   ضِيَاءً .. لِلْمُسْلِمِينَ: انْتِقَاهَا[1]
جَائِلاً .. طَائِراً مَعَ الرِّيحِ .. في الْجَوِّ تَلاَقَتْ عَلْيَاهُ في عَلْيَاهَا
في دِيَارِ الإِسْلاَمِ شَرْقاً وَغَرْباً   جَابَ أَقْطَارَهَا .. وَعَبَّى قُوَاهَا[2]

* * *

قُلْ لِمَنْ لَمْ تَصْعَدْ بِهِ رِحْلَةُ الخَيْرِ إلَى الخَيْرِ .. سَاعِياً بِخُطَاهَا
بَعْضُ آيَاتِهَا تَوَالَتْ مَعَ الْفَضْلِ بِفَضْلٍ: أَنْ أَحْبَطَتْ أَعْدَاهَا
أَنْ تَوَالَتْ أَثْمارُهَا .. تَتَدَانَى   في قِطَافٍ حَانَتْ .. فَحانَ جَنَاهَا
أَنْ تَجَلَّى الإِسْلاَمُ .. هَزَّ قُلُوباً   تَتَلاَقَى .. في هَدْيِهِ .. بِهُدَاهَا
فَبِأَفْرِيقيَا .. مَدىً .. تَتَقَلَّى   وَسْطَ نَارِ التَّبْشِيرِ .. طَالَتْ لَظَاهَا
بَاءَتِ الأَنْفُسُ الكَرِيمَةُ .. فَاءَتْ   بَيْنَ بَرْدِ الرِّضا وَفَيْءِ رِضَاهَا[3]
إنَّ جَمْبُو قَابُونَ إذْ أَسْلَمَ الْيَوْمَ .. رَئِيساً مَا تَاهَ قَدْراً وَجَاهَا
مُسْتَجِيباً .. لرَهْطِهِ لِهُدَى الدِّينِ   ارْتَضَوْهَا عُقْبى لَهُ .. فَارْتَضَاهَا

(١) انْتَقَهَ: من مرضه: بمعنى نقه ـ أي برئ من المرض ـ وصح وفيه ضعف ـ والفكرة في البيت: إن دعوة التضامن الإسلامي هي ضوء في ليل مظلم ـ ونقاهة للمسلمين من مرض الفرقة.

(٢) جاب: البلاد: قطعها ـ وفيه إشارة لرحلات الفيصل المتكررة في سبيل دعوته للتضامن.

(٣) باءت: رجعت وفاءت بين برد الرضا: إشارة لانتصارها على معركة التبشير الطويلة الأمد فإسلام زعيم أفريقي ورهطه أثر واضح الدلالة والمغزى في الأمر .. والدُّفْعة: الدفقة من المطر ..

مَـثَـلٌ صَـالِـحٌ .. وَقُـدْوَةُ حَـقٍّ ... حَـيَّـةُ الْـمِـثْـلِ دُفْـعَـةٌ لِـسِـواهَـا

مَا زَهَتْهَا بِفَيْصَلٍ زَهْوَةُ الْفَرْدِ .. ... إذا مَـا جَـلَـتْـهُ يَـوْمـاً يَـدَاهـا

بَـلْ أَضَـافَـتْ لِلْعَزْمِ عَزْماً جَدِيداً ... فَـمَـضَـى فـي الـطَّـرِيـقِ قَـدْ سَوَّاهَا

مُـؤْمِـنَ الْـقَـلْـبِ بـالـتَّـضَـامُـنِ .. بـالـدَّعْـوَةِ أعْـلَـى الإلـهُ صَـوْتَ نِـدَاهَـا

ذَائِـداً عَـنْ حِـيَـاضِـهَـا لاَ يُـوارِي ... لاَ يُـدَارِي فـي فِـتْـنَـةٍ سُـفَـهَـاهَـا[1]

لاَ يُـبَـالـي بـالـرَّاجِـمِـيـهَـا ضَـلالاً ... لاَ يُـمَـالِـي فـي شَـأْنِـهـا مَـنْ قَـلاهَـا

قَـدْ أدَارَ الأَسْـمَـاعَ عَـنْ غَـوْغَـاءٍ قَـدْ تَـوَلَّـتْ خَـسِـيـرَةً ضَـوْضَـاهَـا

خَـذَّلُـوهُ عَـنْـهَـا .. فَـمَـا خَـذَلَـتْـهُ ... حَـيْـثُ لِـلَّـهِ قَـصْـدُهَـا .. وَمُـنَـاهَـا

إنَّـهَـا الْـيَـوْمَ فـي مَـدَاهَـا عَـلَـى الـدَّرْبِ ... طَـوِيـلاً .. بِـأزِّهَـا .. بِـأَذَاهَـا

وَاقِـعٌ نَـاصِـعٌ .. وَدَعْـوَةُ حَـقٍّ ... مَـا حَـبَـاهُ الـتَّـارِيـخُ .. مَـا حَـابَـاهَـا[2]

قَـدْ أطَـالاَ جِـيـدَيْـهـمـا فِـيـهِ زَهْـواً ... أَحْـنَـيَـا مِـنْـهُ لِـلإلـهِ الـجِـبَـاهَـا

---

(١) وارى: الشيء: أخفاه .. وداراه: لاطفه وخاتله .. وخذَّل بالتشديد: حمل على الفشل وترك النضال ـ وخذَله: ترك نصرته وأزَّهٌ: على كذا: أغراه به ـ وحمله عليه.

(٢) حباه: أعطاه بلا جزاء وحاباه: نصره ـ اختصه دون سواه ـ وفي ذلك إشارة إلى أن دعوة التضامن أثبتت وجودها بحكم طبيعة القصد الحسن فيها دون أن يكون لتحريك التاريخ العملي الموجه أثره فيها ـ فهو لم يحاب الواقع ـ ولم ينصر بحركاته التقليدية الدعوة ـ لإثباتها مع الواقع نفسه الوجود الذاتي وقد حق لها ـ كوحدة ولواقعها كواقع أن يزهوا في التاريخ ـ وأن يطيلا جيديهما زهواً أَحْنَياه للإله دلالة شكر ـ وامتثال ـ واعتراف بالمنة .. للتوفيق.

الشَّرَارةُ[١] . . وَالجزيرَة . .

فَتَجلَّتْ . . والصُّبحَ . . لَمْ يُزْهِهَا الصُّبْحُ . . فَمَا زَالَ لِلَّيالِي سُرَاهَا[٢]

فَمَعَ الْهَجْمَةِ الْعَظِيمَةِ في الشَّهْرِ عَظِيماً . . أَعَزَّهَا . . أَغْلاَهَا

في الْتِهَابِ الْهَجِيرِ . . في العَاشِرِ أَجَتْ رَمْضَاؤهُ بِصَلاَهَا[٣]

بَيْنَ صَوْمٍ مُبَارَكٍ . . وَصِيَام عَنْ هَوَانِ النُّفُوسِ طَالَ انْطِوَاهَا

كَانَتِ الْهَجْمَةُ . . اسْتَقَامَتْ عُبُوراً وَاجْتِيَاحاً في مَدِّهَا . . وَمَدَاهَا

قَدْ هَفَتْ صَوْبَهَا الْجَزِيرَةُ رُوحاً وَقُلُوباً . . وَمَسْمَعاً . . وَشِفَاهَا

كُلُّهَا قَدْ تَأَجَّجَتْ . . كَشُوَاظٍ مِنْ لَظى . . لاَ تَحُسُّه قَدَمَاهَا[٤]

كَالأَعَاصِيرِ . . كَالسُّيُولِ تَعَدَّتْ وَتَخَطَّتْ . . في دَفْعِهَا . . مَجْرَاهَا

إنَّهَا صَرْخَةُ الْمَلاَيِينِ . . قَدْ طَالَ بِهَا الصَّمْتُ . . فَاسْتَحَرَّ نِدَاهَا

هَلَّلَتْ . . كَبَّرَتْ . . يَرِنُّ بِهَا الصَّوْتُ رَهِيباً مُحَبَّباً في سَمَاهَا

---

(١) الشرارة: الاسم الذي أطلق على عملية العبور ـ والبداية للمعركة التي أطلق عليها الاسم الكلي العام لها ـ وهو «بدر» تيمناً بمعركة بدر الكبرى في رمضان.

(٢) فتجلت: أي دعوة التضامن ـ ولكنها لم تزه ـ لأن دور دعوة التضامن الإسلامي المؤثر والكبير لما يأت بعد. حيث لا تزال لليالي سراها. .

(٣) الهجير: الهاجرة من نصف النهار ـ شدة الحر . . والعاشر: اليوم العاشر من رمضان وأجت: اضطرمت ـ وتلهبت ـ والرمضاء: الأرض الحامية من شدة حر الشمس وتتضمن اسم الشهر «رمضان» فهو من رمض.

(٤) في البيت وما تلاه من أبيات: تصوير لصدى المعركة الرمضانية المباركة بالجزيرة وانفعال أهلها بها ـ وتسابقهم إلى واجباتهم نحوها ـ بكل طاقاتها ـ نزولاً على حكم الروح الإسلامية ـ والدم العربيّ ـ وأصولها العرقية، الخ. ـ ودُماها: الدُّمى ج. دمية. . الصورة المزينة فيها حمرة كالدم ـ وتشمل بمعناها الحديث الشائع لعبات الأطفال بأشكالها المعروفة.

هُرِعَتْ كُلُّهَا .. يَقُودُ .. وَيَحْدُو　　رُوحُ إسْلاَمِهَا الْخُطَى مِنْ خُطَاها

وأُصُولٌ تَشَابَكَتْ في فُرُوعٍ　　وَدِمَاءٌ تَمَازَجَتْ بِدِماهَا

قَدْ تَلاقَتْ فِيهَا الْجَزِيرَة دَوَّى　　بَيْنَ أعْرَاقِهَا صَدَى آبَاهَا

فَاشْرَأَبَّتْ .. تَمُدُّ مِنْهَا رِقاباً　　عَالِيَاتٍ .. نَصَّتْ عَلَيْها الجبِاهَا

تَتَسَاوَى في كَوْنِهَا الْوَاسِعِ الصَّدْرِ..　　خُدورٌ تَعِيشُ وَسْطَ فَلاهَا

وَقُصُورٌ تَزْهُو .. وَسُمَّارُ لَيْلٍ　　وَكُهُولٌ قَد اسْتَعَادَتْ صِبَاهَا

وَشَبَابٌ .. وَصِبْيَةٌ مَلَّتِ اللِّعْبَ ..　　وَعَافَتْ أشْيَاءَهَا .. وَدُمَاهَا

إنَّهَا هَجْمَةُ الشَّرَارَةِ نَارَتْ　　فَأَنَارَتْ قَنَاتَهَا بِلَظَاهَا[1]

وَتَنَادَتْ بِهَا الْعُرُوبَةُ تَشْدُو　　خَيْرَ أَلْحَانِهَا .. وَرَجْعَ صَدَاها

تَتَتالى أَنْغَامُهَا .. تَتَعَالَى　　بَيْنَ جَولاَنِهَا .. وفي سِينَاهَا

حَثْحَثَتْهَا لِمَجْدِهَا .. لِعُلاَهَا　　رُوحُ «بَدْرٍ» بِنُورِهَا .. بِفِدَاهَا[2]

وَدَعَتْهَا لِلثَّأْرِ مَا زَالَ حَيًّا　　مِنْ حُزَيْرَانِهَا الَّذي أخْزَاهَا

فَجلَتْهَا الْفَيْحَاءُ رُوحاً تَسَامَى　　في ذُراهُ إلَى مَرَاقِي ذُرَاهَا

حِينَ دَوَّتْ أَرْجَاؤُهَا حَيْثُ رَوَّتْ　　بِدِمَاءِ الأَعْدَاءِ قَلْبَ ثَرَاهَا

---

(١) هجمة الشرارة: والشرارة الاسم السري لساعة الصفر ـ وقناتها: قناة السويس.

(٢) حثحث: حرك .. وحض ـ وكان الاقتداء بمعركة بدر في الاسم العام للمعركة ظاهراً في الروح المقاتلة .. وفيما اشتملت عليه من فداء نادر وعظيم ـ وهي الدافعة للثأر من «حزيران» الذي كان خزياً وعاراً للأمة العربية كلها مهما كانت أسباب الهزيمة الفظيعة فيه. والفيحاء: اسم دمشق ..

بِالصَّنَادِيدِ .. لَمْ يَزَالُوا عَلَى الْعَهْدِ .. رُجُوماً .. مَا أَخْطَأَتْ مَرْمَاهَا[١]

* * *

وَرَاءَ الْحُدُود ..

وَتَوَالَى النِّضَالُ يَوْماً فَيَوْماً عَرَبِيَّ الصَّفْحَاتِ لَنْ تَنْسَاهَا

فِي الْمَقَامِ الْعَلِيِّ تَرْفَعُهُ الْعُرْبُ .. أَظَلَّتْ أَفْيَاؤُهُ أَفْيَاهَا

وَتَنَاهَتْ أصدَاؤُهُ تَعْبُرُ الْبَيْتَ .. حُدُوداً وَرَاءَهَا مَا وَرَاهَا[٢]

مُذْ شَأَى الْفَيْصَلُ الْمَقَامَ فِعَالاً لا مَقَالاً مُرَدَّداً بِفَضَاهَا

يَتَخَطَّى بِهَا الْحُدُودَ .. ابْتَلَتْهُ صَارِماً قَاطِعاً إِذَا مَا ابْتَلاهَا

صَابِراً بَيْنَ صَمْتِهِ .. قَدْ تَنَاهَى بَاتِراً عِنْدَ سَمْتِهِ .. مَا تَنَاهَى

جَاهَرَ الْكَوْنَ .. وَالعَوَاصِمَ كُبْرى فِي مَعَانٍ كُبْرَى لَهَا مَغْنَأَهَا

فَأَصَاخَتْ بِالْعَقْلِ .. يَسْتَبِقُ السَّمْعَ .. تَلاَقَى نِدَاؤُه بِنَداهَا

تَتَقَرَّى كَوْنَ الْجَزِيرَةِ .. صَوتاً وَمَرَاماً .. وَطَاقَةً تَخْشَاهَا

فَتَجَرَّا مَنْ قَدْ أَفَاضَ عَلَى «الدُّمْيَة» مَا لاَ تُطِيقُهُ كَفَّاهَا

---

(١) الصنديد: السيد الشجاع .. ورجوم ج. رجم: وهو ما يظهر في السماء كأنه نجوم تتساقط ـ وفي ذلك ضمنياً إشارة للصواريخ وما فعلته بطائرات العدو.

(٢) إشارة لانتقال صدى الحرب وشئونها للخارج العالمي .. ولتصدي الفيصل: بما اقدم عليه من المبادرة العربية الجماعية باستعمال سلاح البترول وإنصات العواصم .. للنداءات الموجهة .. والمؤكدة للحق العربي .. والتفات العالم للجزيرة .. والانحياز للحق العربي ممن كانوا يفيضون على «الدمية» ما هو أكبر من حجمها ـ والطاقة: القدرة على الشيء .. وطاقة جسم ما: العمل القادر عليه ـ والمراد بها «النفط».

وَتَولَّى عَنْهَا .. وَقَدْ كَانَ مِنْها   مِثْلَ حَبْلِ الْوَرِيدِ .. حَلَّ قَفَاهَا[١]

يَصْطَفِي الْحَقَّ .. نَيِّراً عَرَبِيًّا   بَعْدَ أنْ عَقَّهُ .. وَعَنْهُ تَلاَهَى

حِينَ أوْمَا .. وَأَعْرَبَ الْفَيْصَلُ النَّافِحُ عَنْهُ .. في كِلْمَةٍ أعْلاَهَا[٢]

«سأُصَلِّي بِالْقُدْسِ يَوْماً قَرِيباً عَرَبِياً .. مُهَنِّئاً أبْنَاهَا»

بَيْنَ مَرْقَى محمد .. يَتَرَنَّى   مَهْدَ عِيسَى تَعَانَقَا في سَمَاهَا

* * *

الْجَزِيرَة: إسْلاَمٌ .. وَعُرُوبَة ..

وَمَضى الفَيْصَلُ الْعَظِيمُ الْمُسَمَّى   وَالْمَعَانِي أَغْلَتْ بِهِ مَعْنَاهَا[٣]

لِلْمَرَامِي بَعِيدَةً .. يَتَحَرَّى   مَا تَرَامَى مِنْهَا .. وَمَا دَانَاهَا

هَادِفَ الرَّأْيِ .. لَمْ يُسَدِّدْهُ لِلْقَصْدِ ..   سِهَاماً إلاَّ إلَى مَرْمَاهَا

---

(١) جبل الوريد: عرق في العنق .. والقفا ـ مؤخر العنق واصطفى: اختار ـ والنير: الواضح .. وعق: جحد .. وتلاهى: تشاغل.

(٢) نافح: نافح عن فلان: دافع عنه .. ومرقى محمد: إشارة للصخرة ببيت المقدس وللمعراج منها للسماء ـ ومهد عيسى: إشارة لمحل مولده في بيت لحم..
وفي أمنية الفيصل الكريمة: إيمان ـ وحث .. وإصرار على الحق الإسلامي ـ والديني ـ والعربي للجميع .. وستكون صلاته .. كإمام للمسلمين ـ بالقدس تتويجاً لمجهوداته ـ ولأعماله الجسّام.

(٣) ومن معاني كلمة «الفيصل» القضاء بين الحق والباطل ـ وحكم فيصل: أي ماضٍ .. وحكومة فيصلُ: ماضية.. وضربة فيصلٌ: تفصل بين القرنين ـ وتحرى: طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظن أو طلب أحرى الأمرين: أيْ أولاهما ـ وتحرى الأمر: قصده وفضله وترامى الشيء: تتابع .. والسحاب: انضم بعضه إلى بعض .. وداني الأمر: قاربه .. وبين الأمرين: قارب.

لَيْسَ مِنْ هَمِّهِ الكِيَانُ كَبِيراً ... إنَّمَا هَمُّهُ الْكِيَانُ: اتِّجاهَا[١]

أدْرَكَتْ سِرَّهُ القُلُوبُ اكْتِناهاً ... وَوَعَتْ جَهْرَهُ الْعُقُولُ نِزَاهَا

* * *

أيُّهَا الرَّامِقُ الْجَزِيرَة .. كَوْناً ... وَاحِداً حَضَّهَا .. وَحَاطَ مَدَاهَا[٢]

قِفْ عَلَى سَاحِهِ الْمَدِيدِ .. وَرَتِّلْ ... آيَةَ الْحَمْدِ .. مَا عَسَا مَنْ تَلاَهَا

فالْمَيَامِينُ قَدَّسُوهُ .. وَأَصْفَوْهُ ... قُلُوباً مَفْتُوحَةً .. فَا صْطَفَاهَا

في جِوارٍ أَغْلَى الْجِوَارَ عَزِيزاً ... فَوْقَ أَرْضٍ .. تَوَحَّدَتْ بِثَرَاهَا

عَرَبِيَّ التُّرَاثِ .. في مُنْتَمَاهُ ... ذَهَبِيَّ الإِسْلاَمِ .. في مُنْتَمَاهَا

صَاغَهَا الْحَيُّ لِلْحَيَاةِ مَرَاداً ... وَمَضَاءً لِمُكْتَوٍ بِلَظَاهَا[٣]

فَصَغَتْ لِلْبَنِينَ .. أَيَّانَ كَانُوا ... مُنْذُ أَنْ فَارَقُوا حُشُوداً حِمَاهَا

---

(١) والمرامي ج مرمى: مكان الرمي ـ ويقال «هذا الكلام بعيد المرامي: أي يرمي لأغراض بعيدة أي لا يهمه الكم بقدر اهتمامه بالكيف .. واكتناها: اكتنه الشيء: بلغ كنهه أي جوهره ـ وأصله ـ ونزاها: ج نزيه .. وهو العفيف المتباعد عن المكروه.

(٢) حَفَّ: القومُ الرجلَ وبه وحوله: احدقوا .. واستداروا به ـ وأحاطوه .. وحاط: ـ حاطه: حفظه وصانه وتعهده ـ ومداها: المدى: الغاية ـ والمنتهى منها ـ وعسا: غلظ ـ وصلب ـ والليل: اشتدت ظلمته .. والشيخُ: كبر .. وولّى وانتهى وعربي التراث.. إشارة للثرى وعروبته الخالدة ـ وذهبي الإسلام: إشارة إلى أن أرض الجزيرة يسودها الإسلام .. والحنيفية حيث لا مكان لدين سواه فيها.

(٣) المراد .. بفتح الميم: مكان رياد الإبل أي اختلافها في المراعي مقبلةً ـ مدبرة ـ والمفاء: مكان الاستظلال والحشود: الجموع: إشارة لنزوح الأوائل من الجزيرة العربية الأم إلى كل الأقطار العربية الحاضرة .. حيث وسعوا وجودها أمكنة ـ وحيثية ـ وصفات عربية ـ وعراها: ألم بها ـ إشارة للخلافات الجزئية السابقة لم تفصم الروابط التي لا يفصمها شيء مهما كان نوعه.

وَأَشَادُوا مِنَ الْعُرُوبَةِ جِسْراً لَمْ يُهَدِّمْهُ .. في الْمَدَى .. مَا عَرَاهَا

فَلَقَدْ رَشَّهُ .. وَوَطَّدَهُ الأَصْلُ قِواماً .. قَرَابَةً .. صَاحَبَاهَا

مُذْ أَحَاطَتْ بِهِ الْجَزِيرَةُ كَوْناً لَمْ يُفَرِّقْ أَبْنَاهُ عَنْ أبْنَاهَا

تَلْتَقي عِنْدَهُ الْعُرُوبَةُ عِرْقاً نَسَباً أَمَّهَا .. بِهِ أَنْمَاهَا[١]

وَلِسَاناً قَدْ صَانَهُ اللَّهُ أَغْلاَهُ: كِتَاباً .. وَسُنَّةً أَعْلاَهَا

وَدِماءً .. تَغْلُو .. لِتَرْخُصَ بَذْلاً وَفِدَاءً إذا الفِدَاءُ دَعَاهَا

فَتَلاَقَتْ في يَوْمِهَا الأَكْبَرِ الْيَوْمَ .. دِمَاءٌ تَمَازَجَتْ أَشْبَاهَا

إذْ تَنَادَتْ أَعْرَاقُهَا مِنْ قَرِيب مِنْ بَعِيد .. والتَّلْبِيَاتُ نِدَاهَا

فاسْتَقَامَتْ بِالدَّرْبِ نَهْجاً سَوِيًّا قَدْ تَحَدَّى الْيَهُودَ يَوْمَ لِقَاهَا

وَأَقَامَتْ بِالأَصْلِ «وَحْدَةَ» أَرْضٍ رَفَعَتْ بِالدِّمَاءِ فِيهَا لِوَاهَا

* * *

قُلْ لِمَنْ مَانَ .. وَاسْتَرَابَ .. وَمَا زَالَ مُثِيراً ضَغِينَةً وَاشْتِبَاهَا[٢]

---

(١) إشارة لأصول الروابط التي هي: العرق ـ اللسان ـ الدم. وهي أصول وروابط لا تخضع للاتجاهات ـ أو للنوازع الفردية تزول بزوال أصحابها .. أو بذوبان أغراضها العرضية .. وأمها: قصدها .. وأنماها: زادها وفي الأبيات كذلك: إشارة للمشاركة الفعلية بالدم وبالنفس وبالنفيس في معركة العروبة الكبرى .. حيث ذابت القطرية الضيقة في مدى الوطن الكبير.

(٢) مان: كذب: واستراب: رأى منه ما يريب من «الريبة» وهي قلق النفس واضطرابها ـ المفرق: بكسر الراء وبفتحها: من الطريق ـ أو سواها: المُوضع الذي يتشعّب منه طريق آخر والقرون.. ج قرن: مائة سنة ـ الوقت من الزمان ـ أمة بعد أمة ـ أهل الزمان الواحد ـ في أعمارهم وفي أحوالهم ـ والأشتات: الأشياء المختلفة المتفرقة.

أَفَكَانَتْ دُنْيَا الْعُرُوبَةِ لَوْلاَ رُوحُ إِسْلاَمِهَا الَّذِي أَغْنَاهَا
فَعَلَى مَفْرَقِ الزَّمَانِ قُرُوناً لَمَّ أَشْتَاتَهَا .. وَضَمَّ قُوَاهَا
فَافْتَدَتْهُ بِعُمْرِهَا .. واجْتَبَتْهُ دِرْعَهَا الصُّلْبَ في الخُطُوبِ وَقَاهَا
إِنَّهَا أُمَّةُ الْجَزِيرَةِ .. كَوْناً وَكِيَاناً .. صَانَتْهُمَا بِدِمَاهَا
وَبِإِيمَانِهَا الْقَوِيِّ رَعَتْهُ فَرَعَاهَا مُذْ صَاغَهَا .. وَبَرَاهَا
عَاشَتِ الْعُمْرَ .. خَيْرَهُ .. بَيْنَ أَرْهَاءِ هَوَاهُ سَعِيدَةً بِهَوَاهَا(١)
لَمْ تُفَرِّقْ يَوْمَ اللِّقَاءِ .. تَوَالَى عَرَبِيًّا .. بَيْنَ المَسِيحِ وَطَاهَا

الْجَزِيرَةُ . . وَيَهُوَذَا . .

إِنَّهَا أُمَّةُ الْجَزِيرَةِ في الْبَأْسِ .. تُلاَقِي بِالْبَأْسِ مَنْ لاَقَاهَا
لَمْ تَخُنْهَا فِي الْيَوْمِ ذَاكِرَةُ الأَمْسِ أَشَعَّت فِي وَمْضَةٍ ذِكْرَاهَا
فَيَهُودُ الأُولَى تَمَادَوا جُنُوناً وَعِدَاءً .. لَمْ يَبْرَحُوا أَعْدَاهَا
مُنْذُ أَجْلَتْهُمُ: خِشَاشاً تَجَارَتْ أَوْ تَوَارَتْ رُؤُوسُهَا فِي كُوَاهَا(٢)

---

(١) في نطاق الإسلام: عاشت الجزيرة ـ فالبلاد العربية جميعها ـ وبالأخص لدى الحوادث الجسام ـ والظروف التاريخية القاسية ـ تجامع موصولها ـ لا تفرق ـ رغم ذلك ـ في اللقاءات الحربية الحاسمة بين عربي مسلم أو عربي مسيحي ـ كما كان حالها إزاء التتار.. والصليبية ـ والاستعمار الغربي في أحداث الحربين الكونيتين ـ الأولى والثانية ـ وسواهما ـ.

(٢) الخشاش: حشرات الأرض ـ العصافير ونحوها والصياصي: الحصون وكل ما يمتنع به ـ وجَبَّ الشيء: قطعه ويهوذا: المقصود به يهوذا الأسخريوطي الخائن الذي سلّم المسيح لخصومه .. وهو لقب يطلق على اليهود عامة كخونة ـ وتخشخش .. بين الشجر أو القوم: دخل .. وغاب والبؤرة: الحفرة ـ والجرثوم ـ والجرثومة .. ج =

الصَّيَاصِي لَمْ تَحْمِهِمْ عَنْ مَدَى　　السَّيْفِ مَدِيداً يَطُولُ مَنْ عَادَاهَا
مُنْذُ جَبَّتْ بِسَيْفِهَا مِنْ يَهُوذَا　　رَأْسَ أَفْعَى تَخَشْخَشَتْ بِثَرَاهَا
بُؤْرَةً لِلْفَسَادِ .. جُرْثُومَ شَرًّا　　قَدْ سَرَى فِي عُرُوقِهَا .. فِي دِمَاهَا
فَبَنُوهَا: بَنُو النَّضِيرِ بَنُوهَا　　قَيْنُقَاعاً .. قُرَيْظَةً كِسِوَاهَا
دَرَجُوا فِي الْقَذَى طَبِيعَةَ لُؤْمٍ　　لَمْ يُزَايِلْ يَهُودَ فِي أَقْذَاهَا
كَبَنِيها فِي خَيْبَرٍ .. وَاحَةِ الْخَيْرِ..　　تَنَاسَوْا أَثْمَارَهَا .. وَجَنَاهَا
فَمَشَوْا بِالأَذَى يُرِيقُونَهُ الأَمْسَ ..　　كَمَا الْيَوْم نَاضِحاً بِإِنَاهَا
لَمْ يُرَاعُوا إِلاًّ .. وَلَمْ يَحْفَظُوا الذِّمَّةَ دَأْبَ الْيَهُودِ طُولَ بَقَاهَا
أُمَّةٌ فَصَّلَ الْكِتَابُ .. وَأَفْشَى　　سِرَّهَا .. طَبْعَهَا .. طَوِيلَ أَذَاهَا
النَّبِيُّونَ لَمْ تُنَزِّهْ خُطَاهُمْ　　أَوْ دِمَاهُمْ عَلَى الْمَدَى مِنْ مَدَاهَا
فَسَلاَمٌ عَلَى النَّبِيِّ .. وَقَدْ طَهَّرَ　　أَرْضَ السَّلاَمِ مِنْ مَسْعَاهَا[(١)]
وَالتَّحَايَا لِصَحْبِهِ .. يَوْمَ أَجْلَتْ　　عَزَمَاتُ الْفَارُوقِ بُقْيَا غُثَاهَا

= جراثيم: من الشيء: أصله .. وتستعمل عصرياً للدلالة على الميكروب ـ وبنو النضير ـ وبنو قريظة، وبنو قينقاع ـ وسواهم ممن كانوا يسكنون المدينة المنورة وما حولها ـ لم يراعوا العهد المكتوب بينهم وبين الرسول ﷺ .. فتم اجلاؤهم ولكل من هؤلاء واقعة معروفة ـ بكتب السيرة التفصيلات الكافية ـ.

(١) إشارة إلى قيام الرسول بإجلائهم عن الجزيرة العربية ـ أي بالأخص عن المدينة المنورة وما حواليها ـ ككل مجتمع ـ وإلى قيام الفاروق ـ عمر بن الخطاب بإجلائهم عن آخر مكان كانوا به وهو «خيبر» حيث تم ذلك في خلافته ـ وكان التمهيد الأول له محاصرة النبي لهم .. ونفاذ أحكام الانتصار عليهم ـ وذلك مفصل في مراجعه ـ بُقْيَا: مفرد بقايا: أي ما تبقَّى .. والغُثَاءُ: البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل ـ الزَّبَدُ.

فَـاسْـتَـقَـرَّتْ دُنْـيَـا الْـجَـزِيـرَةِ فَـاءَتْ فِـي ظَـلِـيـلٍ مِـنْ أَمْـنِـهَـا وَرَخَـاهَـا
لاَ تُبَالِي .. لَنْ تُغْمِضَ الْعَيْنَ .. لَنْ تَغْمدَ سَيْفَ الإِسْلاَمِ في يُمْنَاهَا[1]
إِنَّـهُ فِـي الْـمَـدَى الـطَّـوِيـلِ سِـلاَحٌ رَادِعٌ غَـيَّـهَـا .. إذا مَـا نَـصَـاهَـا
مَاحِقاً .. لاحِقاً .. طَوِيلاً مَدَاهُ إِنْ تَـمَـادَتْ فِـي زَهْـوِهَـا وَازْدِهَـاهَـا
تَحْتَمِي خَلْفَ مَنْ رأى الْكَوْنَ .. وَالـنَّـاسَ رُعَـاةً لأَمْـرِهِ مَـا رَعَـاهَـا
لَيْتَهَا .. لَيتَ أَمَّةُ الْهَدْيِ عَاشَتْ رُوحَ إِيـمَـانِـهَـا .. بِـقَـلْـبِ هُـدَاهَـا
فاسْتِجَابَتْ لِقُدْسِهَا .. بُحَّ صَوْتاً بَـيْـنَ أَقْـدَاسِـهَـا اسْـتُـبِـيـحَ حِـمَـاهَـا

❊ ❊ ❊

أَصْدَاء .. وَمَرَايَا ..

قُـلْ لِـنَـاءٍ عَـنِ الْـجَـزِيـرَة .. أَلْـهَـتْـهُ قُـشُـورٌ .. عَـنْـهَـا .. بِـهَـا يَـتَـلاَهَـى[2]
لَـيْـسَ هَـذَا الّـذي رَأَيْـت قَـدِيـمـاً هُـوَ عُـنْـوانُـهَـا .. بِـهِ تَـقْـرَاهَـا

(١) لا علاج للصهيونية القائمة على التعصب الديني ـ واليهودية كَمِلَّةْ ـ وكأساس إلا بمقارعة «الإسلام» لها.. كدين سمح قويم ـ لا يسمح بالتطاول العنصري ـ وإنما هو إنساني في أبعادِه .. وفي استهدافه .. كدعوة دينية إنسانية .. محق كل ظلم ـ وتعصب ـ واعتداء ـ وذلك واجب الأمة الإسلامية جمعاء ـ لا الأمة العربية وحدها ـ ولعلّ في تحرك دعوة التضامن الإسلامي ـ وبها الذات العلاج الحاسم.

(٢) مناقشة لمن يستشهد بالتصرفات الفردية والشخصية البحتة على روح الجزيرة العربية وأهلها ككيان ـ وتبيان للواقع المجرّد كما هو .. كما تستدعيه الطبيعة البشرية .. لا تفرق بين الناس .. كأفراد يتساوون في الأمر .. لا كقياس للمجموعة في جوهرها ـ وفي حيثيتها الذاتية ـ الكبت: الامتلاء بالغيظ ونحوه وأباءت .. عادت .. وفاءت به رجعت.

مِثْلَمَا فَلْسَفَ الْمَظَاهِرَ مَنْ قَالَ: طَوِيلُ الْحِرْمَان أَصْلُ بَلاَهَا
إِنَّهُ فِي حَقَائِقِ الرَّأْيِ حُرًّا فِي مَجَالِ الْحَيَاةِ شَتَّى .. نَرَاهَا
مَظْهَرٌ عَابِرُ الْمَرَائِي تُعَانِيهِ نُفُوسٌ فِي الْكَبْتِ طَالَ مَدَاهَا
قَدْ أَبَاءَتْ مِنْهُ إِلَى خَيْرِ عُقْبى يَوْمَ فَاءَتْ .. فَرْحَى .. لِسِرٍّ هُدَاهَا
إِنَّهَا الْيَوْمَ نَهْضَةُ الْحَيِّ .. وَثْباً فِي حَيَاةٍ .. يَزْهُو بِهَا مَغْدَاهَا

* * *

قُلْ لِمَنْ قَامَ عَائِباً يَأْكُلُ الْغَيْظُ مَرِيراً مِنْ نَفْسِهِ أَنْقَاهَا[١]
إِنَّ مِنْ حَقِّهَا امْتِلاَكَ وُجُودٍ صِيغَةً حُرَّةً .. تَصُونُ بَقَاهَا
لَمْ تُحَاوِلْ بِهِ .. اغْتِبَاطاً .. وَطَيْشاً شَلَّ رُوحِ الْوُجُودِ فِيمَنْ عَدَاهَا
ضَلَّ مَنْ يَحْجُرُ الْحَيَاةَ عَلَى الْغَيْرِ .. عَمَتْهُ حَيَاتُهُ عَنْ سِوَاهَا

* * *

قُلْ لِصَوْتٍ عَنَى الْجَزِيرَةَ .. غَمْزاً مِنْ قَنَاةٍ .. لَمْزاً لَهَا .. مَا زَرَاهَا[٢]

---

(١) رد على من يعيب على الجزيرة استخدام حقها ـ في الطاقة ـ دفاعاً عن حق .. وإرشاداً له بطريقة عملية ملموسة ـ بعد أن استنفدت الإيضاحات العقلية ـ والشروحات المدعمة بالبراهين المنطقية موضوعها دون جدوى!!

(٢) تقرير .. للجزيرة ككيان .. وكحياة .. إزاء ما توالى في الآونة الأخيرة من استعراض لحالتها قبل ظهور النفط ـ من غمز ـ ولمز ـ بلغا أخيراً حد التهديد لمقوّماتها ـ وإنها في إصرارها القائم على الحق والعدل ـ لن تتراجع عن التمتع بسيادتها ـ وبحقوقها ـ مسترخصة ما يبدو أنه العرض الذي لا تستغني عنه ـ وإدلال بواقعها .. وحيثيتها الذاتية ـ في ماضيها العظيم ـ وفي حاضرها العصري المشرق.

تناوحت الرياح: هبت صبا مرة .. وشمالاً مرةً .. وجنوباً مرة أخرى ـ نَدَّ: نَفَر .. =

إنَّهَا .. وَالْحَيَاةُ تَسْرِي .. وَتَجْرِي كَرِيَاحٍ تَنَاوَحَتْ .. بِفَلاَهَا
لَمْ تَزَلْ لِلْخِبَاءِ .. لِلْخِدْرِ .. لِلصَّخْرِ .. لِلَيْلِ الصَّحْرَاءِ في قَمْرَاهَا
لِلْهَوَى .. لِلْخَيَالِ .. لِلْشِّعْرِ .. لِلْحُبِّ .. كَمَا كَانَ حُبُّهَا .. وَوَفَاهَا
لِلْحَيَاةِ الْفُضْلَى .. تَعِيشُ بِهَا الْعَصْرَ ذَكِيًّا .. مَا نَدَّ عَنْهُ ذَكَاهَا
لِلْحَيَاةِ الأُوْلَى .. أَطَلَّ بِهَا الْكَوْنُ .. حَفِيلاً بِهَدْيِهَا .. بِهُدَاهَا
عِنْدَمَا كَانَ مَنْ يُلاَمِزُهَا الْيَوْمَ .. هَلاَماً .. أَنْشَاهُ مَنْ أَنْشَاهَا
إنَّهَا .. إنَّهَا عَلَى الدَّرْب .. وَالدَّرْبُ طَوِيلٌ .. مَا عَاقَهَا مَنْ ثَنَاهَا
لَمْ يَزَلْ أَمْسُهَا وَضِيئاً .. كَمَا الْيَوْمِ: عَزِيزاً .. لَمَّا يَزَلْ أَبْنَاهَا
يَتَحَدَّى إيمَانُهَا ذِرْوَةَ الْخَطْبِ .. إذا مَسَّهَا .. فَهَزَّ قَنَاهَا

= وذهب شارداً ـ الذكاء: حدة الفؤاد ـ سرعة الفطنة ـ لامزه: غامزه .. ولمزه: عابه .. وغمزه: طعن عليه وسعى به شراً ـ والهَلام: مادة غروية ـ والمقصود بها هنا .. مادة التكوين للإنسان وللشيء .. والوضيء: النظيف الْحَسَنُ .. والذروة: أعلى الشيء ونهايته والخطب: الأمر العظيم المكروه والقناة: ج قناً: الرُّمْح ـ أو عوده.

القسم الْخَامِس

الدَّرْبُ الطَّوِيل[١]

الْعَجْفَاءُ ـ والشَّارِف ..

الْيَتيمُ ـ والشَّأن ..

طُهْرٌ ـ وَيَفَاعَة ..

الرَّاعي ..

الْحَكَمُ ـ الأَمِين ..

اِقْرَأ ..

الطَّلائِع ..

الْعَمُّ ـ وَالْمَبْدَأ ..

الأَطْيَافُ

الْمَصَابِيح ..

---

(١) الدرب الطويل: تصوير ولمح خاطفان لحياة الرسول الأعظم .. دون التقصي لكافة مراحل درب رسالته الطويل بكل ما فيه ـ فهو .. بهذا ـ أشبه برؤوس أقلام ـ كما يقول التعبير الحديث.

الارْهَابُ ـ وَألدَّار . .

إلَى الْحَبشَة . .

الْمَدْرَسَةُ الأُولَى . .

الْعَائِدُ مِنَ الصَّيْد . .

وَمَشَى الصَّفّ . .

الأَذى المُرُّ . .

الْمَيَامِين . .

مُؤَامَرَةٌ تَفْشَل . .

الْعَجْفَاءُ . . وَالشَّارِف(١)

أَيُّـهـا الْـهَـانـئ الـسَّـبُـوحُ بِـفَـيْـضِ الـذِّكْـرَى . . وَمَـا والآهَـا(٢)
مَـا ارْتَـوَتْ نَـفْـسُـهُ . . وَلاَ بَـلَـغَ الْـقَـلْـبُ مُـنَـاهُ . . مَـوْصُـولَـةً بِـمُـنَـاهَـا
سِـرْ . . تَـتَـبَّـعْ مَـرَاقِـيَ الـنُّـورِ لاَحَـتْ بِـوَلِـيـدٍ زَانَ الْـمَـرَاقِـيَ جَـاهَـا
بِرَضِيعِ . . أَغْنَى الْمَرَاضِعَ حَالاً مُـذْ رَأَتْـهُ حَـلِـيـمَـةٌ . . وَرَآهَـا
تَتَجَارَى عَجْفَاؤُهَا . . بَذَّتْ الرَّكْبَ . . أَتَـانٌ . . لَـمْ تَـدْرِ مَـاذَا عَـرَاهَـا

(١) العجفاء: من الدواب: الضعيفة ـ الهزيلة ـ والشارف ـ من النوق ـ المسِنَّة الهرمة . . والأتان: الحمارة ـ وَبَذَّتْ: فاخرت وسبقت وعراها: أصابها . .

(٢) وتقول السيرة: إنه لما ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل استرضع له أهله ـ كعادة القوم وسراتهم في إرسال أبنائهم للبادية ـ حليمة بنت أبي ذؤيب ـ فهي أمه من الرضاعة ـ أما أبوه منها ـ فهو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ـ وإخوته من الرضاعة . . عبد الله بن الحارث ـ وأُنَيسه ـ وحذافة ـ وهي الشَّمَّاء . . فما أن أخذته حليمة . . ووضعته في حجرها حتى أقبل ثدياها عليه بما شاء من لبن فشرب حتى روي هو ـ وأخوه ـ وقام زوجها إلى شارفها فإذا أنها لحافل ممتلئة باللبن . . وما أن خرجت تريد حيها حتى ركضت أتانها العجفاء الهزيلة ـ تسبق الركب . . وكانت غنمها ترجع من مراعيها ـ دون سواها ـ شباعاً لُبَّناً . . وتلك كلها وسواها ـ ولا شك . . نفحات مباركات من المولى جل ـ وعلا ـ بَذَّتْ: غلبت ـ وسبقت ـ وفاقت ـ درها: كثرة لبنها المغزى: الْمَقْصَدْ. القالة: القول الفاشي في الناس خيراً كان أو شراً.

وَتَفُوقُ الشِّيَاهَ في ضَرْعِهَا الْهَاطِلِ.. شَـاةٌ كَـانَ الْـحِـلاَبُ شَـقَـاهَـا
بَـعْـدَ أَنْ بَـضَّـتِ الـشَّـارِفُ الْـمُـسِـنَّـةُ بـالـدَّرِّ فـروّى مِـنْ درِّهـا طِـفْـلاَهَـا
تِلْكَ أُولَى الآيَاتِ .. لَمْ يُنْكِرِ الْعَقْلُ .. مُطِلاً بِرُوحِهِ .. مَغْزَاهَا
إِنَّ مَـعْـنَـى الإِيـمَـانِ أَسْـمَـى مِـنَ الْـقَـالَـةِ ضَـلَّـتْ آراؤُهَـا عَـنْ رُؤَاهَـا

الْيَتِيمُ .. وَالشَّأْن ..

أَيُّـهَـا الـرَّائِـدُ الْـمَـنَـازِلَ .. قَـدْ فَـاضَ حَـنِـيـنـاً .. وَذَاب رَهْـنَ هَـوَاهَـا
سِـرْ مَـعَ الْـيُـتْـمَ .. وَالْـيَـتِـيـم .. تَـلَـقَّـتْـهُ نُـفُـوسٌ نَـدِيَّـةٌ بِـسَـخَـاهَـا
وَتَـطَـلَّـعْ إِلَـيْـهِ .. قَـدْ جَـاءَ لِـلْـجَـدِّ .. أَمَـازَتْـهُ جِـلْـسَـةٌ يَـرْضَـاهَـا
كَـيْـفَ يَـحْـنُـو الْـجَـدُّ الْـوَقُـورُ عَـلَـيْـهِ قَـائِـلاً لِـلْـمَـلاَ الـكِـرَام جِـبَـاهَـا[1]
أُتْـرُكُـوهُ .. فَـإِنَّ لاَبْـنِـيَ شَـأْنـاً صَـدَقَ الـشَّـيْـخُ رُؤْيَـةً .. مَـا نَـبَـاهَـا

* * *

طُهْرٌ .. وَيَفَاعَة ..

سِرْ .. وَطَالِعْ فِيهِ الْيَفَاعَةَ طُهْراً حَـفِـظَ الـلَّـهُ طُـهْـرَهَـا .. وَنَـقَـاهَـا

---

(١) قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم ـ وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة .. فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه .. فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ـ فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني.. فوالله إن له شأناً .. ثم يجلسه على الفراش .. ويمسح ظهره بيده.. ويسره ما يراه يصنع.. ولقد صدقت فراسة الشيخ .. والملأ ج أملاء: أشراف القوم الذين يملأون العيون أبهة والصدور هيبة نَبَأَهَا: من الفعل نَبا: أي بعد ـ وتأخر ـ ولم يصب الهدف ـ أما الشيخ فقد أصاب الهدف.

فَلَقَدْ شَبَّ صَافِيَ الرُّوحِ .. أَعْلَتْهُ .. وَعَانَتْهُ لأئِذاً بِصَفَاهَا

مَا جَلاَ عَوْرَةً .. صَبِيًّا .. وَقَدْ رَامَ .. فَأَغْضَى .. وَتَابَ عَمَّا عَدَاهَا[١]

مَا لَهَا مَا سَهَا عَنِ اللَّهِ .. مَا مَالَ لأَوْثَانِهِمْ .. وَلاَ وَالاَهَا

عَائِقاً .. عَازِفاً عَنِ الرِّجْسِ .. قَدْ صانَ .. غُلاَماً .. طَبِيعةً أغْلاَهَا

تِلْكَ مِنْهُ هِوَايَةُ البَارِئِ الْفِطْرَةِ فِيهِ .. تَنَزَّهَتْ عَنْ خَطَاهَا

قَدْ رَجَتْهُ السَّمَاءُ يَوْماً لأَعْلَى مَرْتَبَاتٍ مِنَ الْخُلُودِ ارْتَجَاهَا

* * *

الــرَّاعي ..

سِرْ .. تَعَقَّبْ بَيْنَ الْمَرَاعِي خُطَاهُ رَاعِياً .. قَطُّ مَا قَسَا مَا تَلاَهَى[٢]

إنَّ لِلَّهِ حِكْمَةً: أَنْ يَكُونَ الرُّسْلُ .. جَمْعاً .. مِنَ الرُّعَاةِ .. جَلاَهَا

---

(١) قال الرسول ﷺ: «لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان.. كلنا قد تعرَّى .. وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ـ فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر ـ إذ لكمني لاكم ما أراه ـ لكمة وجيعة ـ ثم قال شد عليك إزارك ـ فأخذت عليَّ .. وقيل في رواية أخرى: إنه كان مع من ينقلون الحجارة للكعبة وعليه إزاره فقال له عمه العباس يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك فحله ـ فسقط مغشياً عليه ـ شب رسول الله ﷺ ـ والله يحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ـ مثل التمسح بالأوثان ـ وشرب الخمر ـ ولعب الميسر ـ والعكوف على اللهو والغناء ـ وكَشف العورة.

(٢) لا شك أن الفرصة أمام الراعي المتوحِّد في الخلاء كبيرة للتأمل ـ وكذلك لصفاء النفس والذهن ـ ونكرا: أي ليس أمراً مستهجناً أو قبيحاً. وبدعاً: أي ليس شيئاً غريباً أو لا مثيل له ـ والبهم: أولاد البقر والمعز والضأن والدربة: العادة ـ والتدريب على الشيء واعتياده.

أَفَكَانَتْ هذِي الْمَرَاعِي سَبِيلاً جَلَّ في الرُّسْلِ خَطْوُهَا وَخُطَاهَا
في جَلِيلٍ مِنَ الشُّؤُونِ تَلَتْهَا وَاجْتَلَتْهَا حَيَاتُهُمْ في مَدَاهَا
لَيْسَ نُكْراً .. بَلْ لَيْسَ بِدْعاً تَعالَى مَنْ رَعَى أَنْفُسَ الْوَرَى .. في هَوَاهَا
وَلَقَدْ كَانَ أَفْضَلُ النَّاسِ لِلْنَّاسِ أَجِيراً .. لِلْبَهْمِ .. في مَرْعَاهَا
دُرْبَةً مَرَّةً .. أَعَدَّتْهُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ .. لأُمَّةٍ قَدْ رَعَاهَا

***

الْحَكَمُ .. الأَمِين ..

أَيُّهَا السَّائِرُ الْمُتَابِعُ في الدَّرْبِ دُرُوباً صَوْبَ الْمَرَاقي انْتَحَاهَا(١)

---

(١) قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة .. وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها وكانت رَضْما فوق القامة .. وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت .. فأخذوا خشبها ـ وكان بمكة رجل قبطي نجار ـ فتهيأ لهم ما يصلحها ـ وقد اتفقوا على ألا يدخلوا في بنائها من كسبهم إلا مالاً حلالاً ـ لا يدخل فيها مهر بغي ـ ولا بيع ربا ـ ولا مظلمة أحد من الناس .. ثم أنهم قسموها .. فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ـ وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم ـ وكان ظهر الكعبة لبني جُمَح وسهم ـ وكان شق الحِجْر لبني عبد الدار بن قصي ـ ولبني أسد ـ ولبني عدي ـ وهو الحطيم ـ ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبناء الكعبة كل قبيلة تجمع على حدة ـ ثم بنوها ـ حتى بلغ البنيان موضع الركن ـ فاختصموا فيه ـ كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تبادلوا الكلام والسباب وتحالفوا وأعدوا للقتال ـ ومكثوا على ذلك أربع أو خمس ليالٍ ثم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا ـ واتفقوا أخيراً على أن يكون الحكم بينهم في الأمر أول شخص يدخل من باب المسجد .. فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا: =

سِرْ .. تَرَجَّ الْفَتيَّ يَرْقى ضُحَى الْعُمْرِ .. وأُمُّ الْقُرَى تَرُبُ فَتَاهَا

قَدْ دَعَتْهُ الأَمِينَ .. وَالصَّادِقَ الأَكْبَرَ .. أَهْدَتْ مِثَالَهُ أَبْنَاهَا

مُنْذُ أنْ شَبَّ نَادِرَ القَوْلِ .. وَالْفِعْلِ .. فَرِيدَ الْخِصَالِ بَيْنَ رُبَاهَا

فَسَمَتْهُ الأَمِينَ .. يَوْمَ رَأَتْهُ قَادِماً .. آتِياً إِلَى مُنْتَدَاهَا

حِينَ قَالُوا: هَذَا «مُحَمَّدُ» هَذَا هُوَ مِنَّا الأَمِينُ إِسْماً وَجَاهَا

فَارْتَضَوْهُ .. حَيْثُ ارتَضَتْهُ السَّجَايَا حَكَماً صَانَ لِلدِّمَاءِ .. دِمَاهَا

فَدَعَا بِالرِّدَاءِ .. يَحْمِلُهُ القَوْمُ .. جَمِيعاً .. قَبَائِلاً .. تَتَبَاهَى

وَتَوَلَّى بِكَفِّهِ الأَمْرَ .. فِيهِم .. وَضَعَ الرُّكْنَ .. فَانْتَهَوْا لِبِنَاهَا

* * *

= هذا الأمين ـ رضينا .. هذا محمد .. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال هلم إليَّ ثوباً ـ والمعروف أنه بسط رداءه ووضع الحجر الأسود فيه ـ ثم ارفعوه جميعاً ـ حتى إذا بلغ به موضعه وضعه هو بيده ـ ثم بنى عليه .. وكانت قريش تسمِّي الرسول ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي «الأمين» لما رأوه من عفته وتنزهه عن الدناءات وحفظه للأمانات والودائع ـ فلقد شب أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً ـ وأكرمهم مخالطة ـ وأحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً وأمانة ـ وأصدقهم حديثاً ـ.

صوب: جهة .. وانتحاها: قصدها .. وترج الفتى: أي أمِّل فيه خيراً ـ وَتَرُبُّ: تربّى وتسوس.. وأهدت مثاله ابناها: كان كل من كبرائهم يرجو أن يكون ولده كمحمد في أخلاقه ـ والمراد بالركن: الركن الأسود ـ أي الحجر الأسود ـ وهو ما يحاذي الركن اليماني.

اقْــرَأ . .

أَيُّـهَـا الـرَّاشِـفُ الْـمَـنَـاهِـلَ . . قَـدْ طَـالَ ظَـمَـأهُ لِـلْـعَـبِّ مِـنْ رَيَّـاهَـا[١]

قِـفْ لَـدَيْـهَـا مَـنَـابِـعـاً زَفَّـهَـا الْـفَـجْـرُ مُـلِـيـحـاً لِـدَفْـقِـهَـا . . لِـرُوَاهَـا

وَاتْـلُ مَـا شِـئْـتَ . . مَـا رَأَيْـتَ عَـلَـى الـدَّرْبِ طَـوِيـلاً مُـسْـتَـذْكِـراً مَـرْآهَـا

وَتَـذَكَّـرْ حِـرَاءَ . . وَالْـخَـلْـوَةَ الْـحُـلْـوَةَ فِـيـهِ . . أَحَـبَّـهَـا . . وَاصْـطَـفَـاهَـا

وَاذْكُـرِ الْـوَحْـيَ مَـطْـلَـعَ الـنُّـورِ قَـدْ ضَـاءَ «بِـإِقْـرَأْ» فـي هَـدْيِـهَـا . . وَهُـدَاهَـا

حِـيـنَـمَـا جَـاءَهُ الْـمُـبَـشِّـرُ جِـبْـرِيـلُ بِـأَسْـمَـى فَـوَاتِـحٍ . . قَـدْ تَـلاَهَـا

غَطَّهُ . . غَطَّهُ . . وَأَرْسَلَهُ الرُّوحُ . . فَـأَصْـغَـى مُـسْـتَـبْـشِـراً . . يَـقْـرَاهَـا

---

(١) كان رسول الله ﷺ ـ قبل بعثته ـ يجاور في غار جبل حراء شهراً ـ ويقال إنه شهر رمضان ـ من كل سنة يتحنث فيه ـ أي يتعبّد بخلوه إلى نفسه . . فلما بلغ أربعين سنة بعثه الله ـ وذلك أنه في شهر رمضان خرج ـ كعادته السنوية ـ إلى حراء ـ حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ـ ورحم العباد بها ـ جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى ـ قال رسول الله ﷺ فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط ـ أي قطعة من الحرير ـ من ديباج ـ فقال: اقرأ . . قلت: ما أقرأ! وفي رواية «ما أنا بقارئ» قال فغتني ـ أو غطّني . . أي ضمني إليه وعصرني ـ حتى ظننت أنه الموت ـ ثم أرسلني. . فقال: اقرأ . . قلت: ماذا اقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي ـ فقال ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ. خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ. ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ. ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ. عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١ ـ ٥) قال: فقرأتها ثم انتهى فانصرف. فكأنما كتبت في قلبي كتاباً . . قال ـ فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ـ فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صافٌ قدميه في أفق السماء ـ فوقفت أنظر إليه ـ فما تقدم أو تأخر . . حتى جاءه رسول خديجة. العب: عب الماء: شربه أو كرعه بلا تنفُس ـ وهو ضد المص . . وزفها: ساقها ـ ومليحاً: مشيراً والدَّفق: العب بشدة ـ ورواها: أي حسن منظرها وزيّها.

وَانْتَهَى قَافِلاً .. فَنَادَاهُ جِبْرِيلُ ... نِدَاءَ السَّمَاءِ .. فِي عَلْيَاهَا[١]

قَائِلاً: أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ ... رَسُولُ الرَّحْمَانِ جَلَّ إِلَهَا

فَتَحَرَّى مَكَانَهُ .. حَيْثُ وَافَاهُ رَسُولٌ .. لَمْ يُبْطِ .. لَمْ يَتَلاَهَى

بَعَثَتْهُ خَدِيجَةٌ رَبَّةُ الْبَيْتِ: ... حَنَاناً .. وَرِقَّةً .. أَغْلَيَاهَا

فَأَتَاهَا .. يُزْجِي الْبِشَارَةَ .. يَرْوِي خَافِقَ الْقَلْبِ .. جَهْرَهَا .. وَخَفَاهَا

فَأَصَاخَتْ إِلَيْهِ بِالسَّمْعِ رُوحاً ... رَائِقَ الْحِسِّ .. ذَائِباً فِي صَفَاهَا

ثُمَّ آبَتْ مِنِ ابْنِ نَوْفَلَ .. تَرْوِي ... نَصَّ نَامُوسِهِ الَّذِي زَكَّاهَا[٢]

---

(١) قافلاً : عائداً ـ راجعاً .. وتحرى مكانه: أي ثبت فيه لم يبرمه ـ وافاه: جاءه ـ.

(٢) لما رجع الرسول ﷺ إلى بيته ـ سألته زوجته خديجة ـ يا أبا القاسم ـ أين كنت؟ فحدثها بالذي رآه ـ وما حدث له ـ فقالت: ابشر يا بن عمٍّ ـ وأثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة ـ ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ـ وانطلقت إلى ورقة بن نوفل ـ وهو ابن عمها .. وكان ورقة قد تنصَّر .. وقرأ الكتب.. وسمع من أهل التوراة والإنجيل .. فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع ـ فقال ورقة بن نوفل: قدُّوس .. قدُّوس .. والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة ـ لقد جاء الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ـ أي جبريل ـ وإنه لنبي هذه الأمة ـ فقولي له فليثبت ـ فرجعت خديجة إلى الرسول ﷺ فأخبرته يقول ورقة بن نوفل.

وآبت: رجعت والنص: الكلام المنصوص ـ أو الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً ـ ولا يقبل التأويل ـ والناموس ـ في اللغة ـ ج نواميس: صاحب السر المطلّع على باطن أمرك.. الوحي ـ الشريعة ـ وعند العامة.. ما يحميه الرجل من اسمه وصيته وشرفه ـ والناموس الأكبر: جبريل ـ والكلمة يونانية .. وزكاها: ـ مدحها ـ أي أيدها.

الطَّـــلائِع . .

هَلْ تَنَظَّرْتَ . . فِيهِمَا . . آيَةَ الْحُبِّ: حَنَاناً . . وَأُلْفَةً . . وَرَفَاهَا[١]
رَتَّلَتْهَا . . بِمَا اسْتَفَاضَ بِهِ الْقَلْبُ كَبِيراً . . خَدِيجَةٌ . . في وَفَاهَا
إذْ رَعَتْهُ . . وَآمَنَتْ حَيْثُ كَانَتْ أَسْبَقَ الْمُؤْمِنَاتِ . . أُولَى نِسَاهَا
مِثْلَمَا جَاءَ . . في الأَوَائِلِ . . زَيْدٌ وَعَلِيٌّ . . رَبِيبُها . . وَفَتَاهَا
وَالْبِنَاءُ الْعَالي: أبو بَكْرٍ الصَّاحِبُ . . سَمْحاً في دَعْوَةٍ لَبَّاهَا
إِنَّهُمْ مَثَّلُوا الْجَمَاعَةَ . . ضَمَّتْ طَبَقَاتٍ . . مَغْزى لَهَا مَغْزَاهَا

الْعَمُّ . . وَالْمَبْدأ . .

أَيُّهَا الآلِفُ الْمَنَاهِلَ . . قَدْ طَابَ لَدَيْهَا نَفْساً . . يَطِيبُ سُرَاهَا[٢]
قِفْ . . تَأَمَّلْ مُلاَصِقاً مَا تَوالَى مِنْ يَنَابِيعِهَا . . وَسَحِّ سَمَاهَا[٣]
واصْطَبِرْ . . ذَاكِراً مَوَاقِفَ رَازَتْهُ . . أَطَالَتْ في أَزْهَا . . بَلْوَاهَا[٤]

---

(١) كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله ـ فهي أول سيدة مسلمة ـ كما كان علي بن أبي طالب أول غلام أسلم وعمره عشر سنوات ـ كما كان زيد بن حارثة أول مولى اسلم ـ وكان الرسول قد أعتقه بعد أن استُوهبه من خديجة وذلك قبل الوحي ـ كما كان أبو بكر أول مسلم من الرجال ـ وبذلك يكونون قد مثلوا طبقات المجتمع ـ امرأة ـ وغلام ـ وربيب ـ ورجل ـ.

(٢) المناهل: ج. منهل: أي المورد ـ الشرب ـ موضع الشرب على الطريق والسُّرى: سير الليل ـ ومنه قولهم «عند الصباح يحمد القومُ السُّرى» . . ويُضْرَبُ في احتمال المشقة رجاء الراحة.

(٣) الينابيع . . ج ينبوع: الجدول الكثير الماء . . «والجدول هو النهر الصغير» والسّح: انصباب الماء بغزارة.

(٤) رَازَ: راز الرجل: جربه ليختبر ما عنده ـ والحجر: وزنه ليعرف ثقله والأز: الإغراء على الشيء والحمل عليه.

قِفْ . . تَذَكَّرْ قُبَيْسَ . . وَالجَهْرَ بِالدَّعْوَةِ فِيهِ وَمَنْ جَفَا . . فَجَفَاهَا[١]

وَصُنُوفُ الأَذَى . . وَمَجْلَبَةَ الضيِّقِ . . وَفَقْدَ الأَنْصَارِ . . غَالٍ حِمَاهَا

وَاصْطِبَارَ النَّفْسِ الْقَوِيَّةِ بِاللَّهِ . . وَصَبْرَ الْقَوِيِّ . . كَيْفَ تَنَاهَى

عِنْدَمَا قَالَ . . رَاسِخَ الْعَزْمِ لِلَعمِّ . . وَقَدْ لاَحَقَتْ قُرَيْشُ هَوَاهَا[٢]

لَسْتُ أَرْضَى بِالشَّمْسِ لَوْ وَضَعُوهَا فِي يَمِينِي . . مَزْهُوَّةً بِضِيَاهَا

---

(١) بعد أن دخل الناس في الإسلام ـ وفشا ذكره بمكة . . أمر الله رسوله أن يجهر بما جاء منه . . وكان بين السر والجهر بالدعوة ثلاث سنوات . . قال تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤) كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) وقال تعالى ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (الحجر: ٨٩) وموقفه إزاء أبي قبيس وجهره ورد أبي لهب عليه قائلاً . . ألهذا دعوتنا ـ تبًّا لك ـ معروف كله في كتب السيرة.

ومن جفا: من الجفوة أي الغلظة في الطبع والخُلق والمعاشرة ـ فجفاها: تباعد عنها ولم يقبل بها.

(٢) لما مضى رسول الله يظهر دين الله ويدعو إليه ـ مشت قريش إلى أبي طالب مرة أخرى ـ وقالوا له إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا . . وإنا قد طلبنا منك أن تنهي ابن أخيك . . فلم تنهه عنا . . وإننا لك لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ـ وتسفيه أحلامنا ـ وعيب آلهتنا . . حتى تكفه عنا ـ أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين. . حينذاك عظم الأمر على أبي طالب لفراق قومه وعداوتهم ـ ولأنه في الوقت نفسه لم يطب نفساً بإسلام الرسول ﷺ لهم أو بخذلاته ـ ولكنه بعث إلى رسول الله . . فقال له يا ابن أخي: إن قومك قد جاؤوني ـ وقالوا لي كذا . . وكذا . . فظن الرسول أنه قد بدا له شيء ـ وإن عمه خاذله ومسلمه . . وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه . . فقال: يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ـ ما تركته!! ثم استعبر الرسول ﷺ فبكى ـ ثم قام ـ فلما ولّى ـ ناداه أبو طالب قائلاً: أقبل يا ابن أخي ـ فأقبل عليه الرسول ـ فقال له اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً!!

أَوْ لِيُسْرَايَ .. تَحْمِلُ الْقَمَرَ السَّاطِعَ .. كَلاَّ .. مَهْمَا غَلاَ إغْرَاهَا
لَسْتُ .. يَا عَمِّ .. تَارِكاً دَعْوَةَ الْحَقِّ .. سَتَعْلُو .. أَوْ أَنْ أَمُوتَ فِدَاهَا
وَتَوَلَّى .. مُسْتَعْبِراً .. تَمْسَحُ الدَّمْعَةَ مِنْهُ .. نَفْسٌ صَفَتْ كَصَفَاهَا
فَانْثَنَى الشَّيْخُ حَانِياً .. أَجَّتِ النَّخْوَةُ فِيهِ .. آبَاؤُهُ آبَاهَا
قَائِلاً .. في إبَاهُ .. يا بن شَقِيقي عُدْ .. وَأَقْبِلْ .. وَلاَ تَخَفْ إكْرَاهَا
سِرْ عَلَى دَرْبِكَ السَّوِيِّ .. وَقُلْهَا مِثْلَمَا شِئْتَهَا .. كَمَا تَرْضَاهَا
فَلَعَمْرِي لَنْ أُسْلِمَنَّكَ .. عُمْرِي أَوْ تُلاَقِي نَفْسِي .. فِدَاكَ .. فَنَاهَا
لَيْتَهُ .. لَيْتَهُ .. وَقَدْ طَمِعَ الآمِلُ فِيهِ .. في حينَها .. لَبَّاهَا[1]
دَعْوَةً .. قَدْ رَجَتْهُ في آخِرِ الْعُمْرِ .. فَوَلَّى مُسْتَكْبِراً .. أَوَّاهَا
فَلَقَدْ عَاشَ آبِياً .. وَرَفِيقاً بِأَبِيٍّ .. عَافَ الدُّنَى وَغِنَاهَا

---

(١) الذي في الصحيحين: إن النبي ﷺ دخل على عمه أبي طالب وهو في مرض الموت فجلس عند رأسه وعنده رجلان من قريش .. أبو جهل ورجل آخر .. فقال له: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله .. فقال له الرجلان: أترغب عن ملة عبد المطلب ـ فكرر عليه النبي ﷺ الطلب .. وكرر عليه الرجلان مقالتهما ... فكان آخر كلمة قالها: هو على ملة عبد المطلب .. فحزن عليه النبي ﷺ حزناً شديداً فنزل قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (القصص: ٥٦) فقال عليه السلام: «والله لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك» ـ فنزل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ (التوبة: ١١٣).

أَجَّت: اضطرمت وتلهبت .. والنَّخْوةُ: الحماسة ـ الكبر والفخر ـ العظمة والمروءة آباؤه آباها: أي أن آباء النخوة هذه هم أباؤه فهي فيه بالوراثة .. وآبيا من الإباء .. وهو رفض الضيم .. والترفع عن الدنايا..

الأَطْيَـــاف . .

وَمَضَى الدَّرْبُ سَائراً . . تَتَوالَى فِيـهِ أَمْـدَاؤُهُ . .تَـمُـدُّ خُـطَـاهَـا

فَتَلَمَّسْ مَطَالِعاً فِيهِ شَعَّتْ خَاطِفَاتِ الأَبْصَارِ عَزَّتْ رُؤَاهَا

في طَرِيقِ الإِسْرَاءِ . . لَبَّتْ بِهِ الرُّوحُ . . وَفي مَسْبَحِ الضِّيَاءِ . . نِدَاهَا[١]

في مَرَاقِي الْمِعْرَاجِ . . يَعْلُو . . وَيَعْلُو في السَّمَاوَاتِ . . حُرَّةً . . مَرْقَاهَا

حَوَّمَتْ حَوْلَهُ طُيُوفٌ مِنَ النُّورِ . . تَلاَقَى . .في كَوْنِهَا . . حَرَمَاهَا

كَجَنَاحَيْنِ حَلَّقَا . . أَوْ كَرُوحَيْنِ . . أَطَأفَا . . وَرَفْرَفَا . . بِسَمَاهَا

(١) يقول ابن هشام في سيرته: الصحيح في موضوع الإسراء، ما ذهب إليه جمهور السلف والخلف من أن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح معاً . . وإنهما كانا في اليقظة بدليل آية الإسراء فقد ابتدأت بكلمة «سبحان» التي تدل على أن ما بعدها أمر عجيب الشأن والإسراء بالروح وحده ليس فيه عجب ـ ثم قاله «أسرى بعبده» والإسراء السير ليلاً وهو من شؤون الجسد والعبد اسم لمجموع الروح والجسد ثم قوله ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ (الإسراء: ١) فلا بد أن تكون رؤية بالبصر فإن الرؤية في النوم تقع لكل أحد فلا تظهر فيها خصوصية ولو كان الإسراء بالروح لم يكن فتنة ولما عجب منه المشركون ولما أخبرهم النبي ﷺ أنه رأى في طريقه كذا وكذا لبعض عيرهم وإنها جفلت من الدابة التي كان عليها.

والإسراء: السير ليلاً ـ وكان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ـ يعني الأبعد ـ وسمي بذلك لأنه أبعد المساجد الثلاثة . . وكان قبل الهجرة بنحو من سنة بعد وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها وكانت في ربيع الأول . . والمعراج: السلم والمصعد. . وقد أحدث حديث النبي ﷺ عن الإسراء والمعراج بلبلة كبيرة ـ وارتد كثير ممن كانوا قد أسلموا . . أما أبو بكر فقد سأل النبي ﷺ عنه. . ثم قال صِف لي بيت المقدس فإني قد جئته ـ قال الرسول فُرفع إليَّ حتى نظرت إليه ـ فجعل يصفه لأبي بكر . . وأبو بكر يقول صدقت . . أشهد أنك رسول الله حتى إذا انتهى قال الرسول ﷺ لأبي بكر وأنت يا أبا بكر . . الصِّدِّيق . . فيومئذ سماه الصديق . .

فَإِذَا الْقُدْسُ مَكَّةٌ .. تَحْتَوِي السَّارِيَ مِنْهَا .. سَاحَاتُهَا .. وَفِنَاهَا
وَإِذَا الْبَيْتُ بَيْنَهَا بَاسِطَ الْكَفِّ إِلَيْهَا .. قَدْ ضَمَّهَا .. فَاحْتَوَاهَا
وَسْطَ نَهْرٍ .. مِنَ الرُّؤَى مَا تَنَاءَتْ أَوْ تَنَاهَتْ عَلَى الْمَدَى .. ضِفَّتَاهَا
تَتَنَادَى فِيهِ الْمَلائِكُ شَفَّتْ فِي صَفَاهَا .. وَرَفْرَفَتْ بِنَقَاهَا
خَاشِعَاتٍ لِلَّهِ .. حَفَّتْ .. وَحَيَّتْ مَنْ كَمَا الْبَرْقِ .. بِالْبُرَاقِ .. أَتَاهَا
فَاخْفِضِ الطَّرْفَ .. وَازْجُرِ الْعَقْلَ .. لَنْ يَبْلُغَ حَدَّ الإِدْرَاكِ مَهْمَا تَبَاهَى
وَتَمَثَّلْ آيَ الْكِتَابِ .. وَرَتِّلْ مُعْجِزَاتٍ .. بِالْبَيِّنَاتِ .. تَلاهَا
إِنَّهَا وَحْدَةُ الزَّمَانِ .. تَلاشَتْ فِيهِ .. أَبْعَادُهُ لَدَى مُنْتَهَاهَا
إِنَّهَا وَحْدَةُ الْمَكَانِ .. تَعَالَتْ فَوْقَ أَجْرَامِهِ .. فَلَسْتَ تَرَاهَا
إِنَّ لِلَّهِ سِرَّهُ .. كَيْفَمَا شَاءَ .. جَلاهُ .. فِي حِكْمَةٍ .. جَلاَّهَا

الْمَصَابِيح ..

وَزَهَا الرَّكْبُ .. لاَمِعاً .. بِوُجُوهٍ كَالدَّرَارِي .. يَمْحُو الظَّلامَ سَنَاهَا[1]

(١) والذين ذكرنا أسماءَهم بعد ـ كانوا قد أسلموا بدعوة من أبي بكر .. وهم: عثمان بن عثمان ثالث الخلفاء الراشدين .. والزبير بن العوام .. وعبد الرحمن بن عوف .. وسعد بن أبي وقاص .. وطلحة بن عبيد الله .. وبضم السيدة خديجة ـ وعلي بن أبي طالب ـ وزيد بن حارثة ـ وأبو بكر .. يكون هؤلاء الثمانية هم النفر الذين سبقوا الناس بالإسلام والمُجَلِّيّ: السابق في الميدان .. الأول والمُصَلِّيّ: الذي يتلو السابق ـ الثاني ـ ولكل من هؤلاء النفر الثمانية دوره البارز في الإسلام .. ابتداء من السيدة خديجة ودورها في مؤازرة الرسول ﷺ وتعضيده وإسباغها على بيته كثيراً من الحنان والعطف وسمو القلب والروح .. إلى عليّ بن أبي طالب .. وأدواره عديدة من ليلة =

قَدْ تَسَامَتْ بِالدِّينِ شَأْناً وَشَأْواً فَتَسَاوَتْ ضِعَافُهَا بِسُرَاهَا
فَاجْلُ آفَاقَهَا .. بِنَظْرَةِ حُبٍّ وَتَقَرَّ الْوُجُوهَ .. ثَمَّ رُوَاهَا
مِنْ أَبي بَكْرٍ الْعَظِيمِ .. عَتِيقاً فَكَّ أَحْلَى الرِّقَابِ حِينَ شَرَاهَا
لابنِ عَفَّانَ لِلزُّبَيْرِ .. لِسَعْدٍ لابْنِ عُوفٍ .. لَطَلْحَةٍ مَا عَدَاهَا
لِلْمُجَلِّينَ .. فَالْمُصَلِّينَ قَدْ طَالَ.. وَمَا زَالَ .. رَكْبُهُمْ .. يَتَرَاهَى
بِالْغَوَالي: جَرَائِراً يَتَنَادَيْنَ بِأَحْلَى الأَسْمَاءِ .. مَا أَسْنَاهَا
بَيْنَ أَسْمَاءَ .. أَوْ فُكَيْهَةَ .. أَوْ رَمْلَةَ .. لاَحَتْ أُمَيْنَةٌ في بَهَاهَا[1]
بِالْعَوَالي: فَوَاطِماً كُنَّ .. مَا زِلْنَ .. لَدَى لَوْحَةِ الْفَخَارِ .. زُهَاهَا[2]
بِالْمَوالي الأَسْيَادِ .. بِالْهَدْي فَاقَتْ فِيهِ أَقْدَارُهُمْ عَلَى مَا سِوَاهَا
مِنْ صُهَيْبٍ .. إِلَى ابنِ يَاسِرَ .. لِلْعَامِرِ قَلْباً .. إِلَى بِلاَلٍ فَتَاهَيا[3]

= منامه في فراش النبي ليلة الإيذان له بالهجرة حتى منازلات المشركين في كل المعارك الكبرى ـ إلى زيد بن حارثة الذي آثر البقاء مع الرسول ﷺ دون الذهاب مع والده حيث عثر عليه بمكة إلى قيادته أول جيش للمسلمين بعد وفاة الرسول ـ إلى الصديق أبي بكر ومناقبه أكثر من الحصر .. هو وبقية النفر الثمانية ـ وكتب التاريخ والسير حافلة بدور كل منهم.

(١) أسماء .. زوجة عياش بن أبي ربيعة .. وفكيهة: بنت يسار زوجة خطاب بن الحارث ورملة بنت أبي عوف زوجة المطلب بن أزهر ـ وأُمَينَةُ: بنت خلف بن أسعد زوجة خالد بن سعيد بن العاص .. وأنسابهن وأزواجهن موضحة في كتب السيرة ـ ومنهن كذلك: أسماء بنت أبي بكر ..

(٢) من الفواطم المسلمات في الرعيل الأول .. فاطمة بنت الخطاب ـ أخت عمر بن الخطاب وفاطمة بنت المجلّل زوجة طالب بن الحارث .. والزُّها: النضارة والحسن.

(٣) صهيب .. مولى عبد الله بن جُدعان .. وهو روميّ .. وقيل بالمنشأ .. حيث كان =

كُلُّهُمْ .. في الدُّجَى .. مَصَابِيحُ لَيْلٍ .. وَبِنُورِ الشُّمُوسِ: رَأْدُ ضُحَاهَا

* * *

الإِرْهَابُ .. وَالدَّار ..

وَتَهَادَى رِكْبُ الصَّحَابَةِ .. يَمْشِي خَطَوَاتٍ هَيَّابَةً .. في سُرَاهَا[1]

= ضمن السبي .. وقد اشتراه ابن جدعان .. وتوفي في المدينة وهو ابن سبعين سنة.. وجاء في الحديث: ـ إن رسول الله ﷺ قال: أنا سابق العرب ـ وصهيب سابق الروم ـ وسلمان .. سابق الفرس ـ وبلال سابق الحبش .. وابن ياسر: هو عمار بن ياسر عَنْسِيٌّ من مذحج من اليمن ـ وكانت بنو مخزوم تخرج به وبأمه سمية .. وبأبيه .. وكلهم كانوا أهل بيت إسلام ـ وذلك إذا حميت الظهيرة ـ يعذبونهم برمضاء مكة ـ فيمر بهم رسول الله فيقول: صبراً آل ياسر ـ موعدكم الجنة ـ وكانت أمه عند أبي جهل فكان يعذبها ليفتنها عن دينها ولما يئس من غوايتها ضربها بحربة في فرجها فقتلها فكانت أول شهيدة في الإسلام. وعمار مِمَّنْ شهد بدراً .. وسائر المشاهد مع الرسول .. وشهد صفين مع علي بن أبي طالب والعامر: هو عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر اشتراه من الطفيل بن الحارث ـ وأعتقه وبلال بن رباح: كان مولى لأمية بن خلف الجمحي .. وكان يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ويقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ـ ولقد قام بلال في غزوة بدر بقتل أمية بن خلف بمعونة رجال من الأنصار ـ وبلال هو أول مؤذن لرسول الله ﷺ ـ وكان حبشياً وشهد المشاهد كلها ـ وقد مات بدمشق سنة عشرين وهو ابن بضع وستين .. وقد ضرب وسواه من المستضعفين أروع المثل وقد قام أبو بكر بإعطاء أمية غلاماً جلداً ـ وأخذ بلالاً ـ فأعتقه ـ وقد روي عن عمر بن الخطاب «سيدنا أعتق سيدنا» .. ورأد الضحى ـ وقت ارتفاع الشمس ..

(١) الهسيس: الكلام الخفي وتنزى: تسرع إلى الشر .. وشرس شراسة: ساء خلقه والأرقم: بن أبي الأرقم عبد مناف بن اسد .. وداره قائمة الآن بجوار المسجد ـ وقد صانتها الحكومة السنية للاحتفاظ بها كأثر إسلامي كبير خالد ـ هذا وقد بلغ أذى =

رَاجِفَاتِ الأَقْدَام بَيْنَ هَسِيسٍ   تَتَلاَقَى أصْوَاتُهُمْ .. في دُعَاهَا
خَافِتَاتٍ .. مَخَأفَةَ الشِّرْكِ .. بَغْياً   قَدْ تَنَزَّى شَرَاسَةً وَسَفَاهَا
فَوْقَ أُمِّ الْقُرَى يَرِنُّ بِهِ الصَّوْتُ جَهِيراً .. غَطَّى صَدَاهُ صَدَاهَا
مُنْذُ لَحَّ الأَذَى .. فَلاَ يَعْرِفُ الرَّحْمَةَ .. مَعْنىً .. شَيْطَانُهُ أَخْزَاهَا
مُنْذُ طَالَ الإِيذَاءُ .. لَمْ يُعْفَ مِنْهُ   سَيِّدُ الْخَلْقِ .. صَابِراً .. أَوَّاهَا
لاَ .. وَلاَ جِلَّةُ الصَّحَابَةِ .. لاَقَوْا مَا يُلاَقِيهِ .. في الْحِمَى .. ضُعَفَاهَا
يَتَخَفُّونَ في الشِّعَابِ .. يُصَلُّونَ فُرَادَى .. مَثْنَى .. عَلَى بَطْحَاهَا
ثُمَّ لاَذَتْ جُمُوعُهُمْ وَسْطَ دَارٍ   ضَجَّ بِالذِّكْرِ جَوْفُهَا .. وَفِنَاهَا
خَلَّدَ الأَرْقَمُ النَّبِيلُ .. عَلَى الدَّهْرِ .. سُمَاهَا .. فَلاَ نَزَالُ نَرَاهَا

❊ ❊ ❊

إِلَى الْحَبَشَة ..

تِلْكَ أُمُّ الْقُرَى .. وَحَالَتُهَا الأَمْس .. تَنَاهَتْ جَوْراً أَعَابَ .. وَشَاهَا
قَدْ أَرَاغَتْهُ .. بَلْ وَأَزَّتْ عَلَيْهِ   في صُنُوفٍ حَقِيرَةٍ .. كُبَرَاهَا
مَطْلَباً .. مَشْهَداً .. أَقَامَتْ لَدَيْهِ   في صُفُوفٍ تَيَّاهَةٍ .. تَتَلاَهَى
فَمَعَ الطَّيْشِ بَاغِياً .. وَمِنَ الْبَطْشِ عَتِيًّا سَاقَاهُمَا سُفَهَاهَا
أَمَرَ الْمُصْطَفَى صَحَابَتَهُ الْغُرَّ .. سِرَاعاً: أَنْ يَهْجُرُوا مَغْنَاهَا

= المشركين للمسلمين حداً كبيراً ـ لم يسلم منه أحد من المسلمين بمن فيهم الرسول ﷺ وجلة الصحابة: أي كبراءهم وسراتهم..

فَتَنَادَوْا إِلَى الرَّحِيلِ تَوَالَتْ فِيهِ أَفْوَاجُهُمْ .. إِلَى مَسْرَاهَا

يَمَّمُوا دَارَةَ النَّجَاشِي الْتِجَاءً فَاجْتَبَتْهُم.. مِضْيَافَةً .. أَرْجَاهَا[1]

وَأَعَادَتْ بِخَيْبَةٍ .. وَبِخِزْي مَنْ أَتَوْهَا .. لِيُرْجِعُوا مَنْ أَتَاهَا

إِنَّ فِي الْهِجْرَةِ الْحَكِيمَةِ قَانُونَ حَيَاةٍ .. قَدْ سَنَّهَا مُصْطَفَاهَا

فَوَعَتْهُ الشُّعُوبُ دَرْساً .. وَرَاعَتْهُ نُفُوسُ الأَحْرَارِ .. عِنْدَ ابْتِلاَهَا

❋ ❋ ❋

(١) النجاشي: لقب ملوك الحبشة .. وكانت الهجرة إلى الحبشة أول هجرة في الإسلام ـ وقد أشار الرسول على أصحابه ـ لما يلقونه من أذى وبلاء في مكة ـ بقوله: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظْلم عنده أحد ـ وهي أرض صدق ـ حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه .. وقد بلغ عدد المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً .. وقد أحسن النجاشي جوارهم .. فقالوا في ذلك شعراً تغنّوا فيه به ـ وبالهجرة فراراً بدينهم ـ وهرباً من الأذى والبلوى ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا في الحبشة بعثوا رجلين من دهاتهم هما.. عمرو بن العاص ـ وعبد الله بن أبي ربيعة ـ ومعهما مختلف الهدايا للنجاشي ولِقُوَّاده .. وكادا يفلحان في مهمتهما بمساعدة البطارقة ـ القُوَّاد .. لولا أن الملك كان عادلاً ـ وأن جعفر بن أبي طالب كان ذكياً في شرحه لواقع الإسلام وحضه على الفضائل من ترك عبادة الحجارة والأوثان ـ وصدق الحديث ـ وأداء الأمانة ـ وصلة الرحم ـ والكف عن المحارم واجتناب الفواحش وقول الزور ـ إلى آخر ما في الدين الإسلامي من سجايا ومبادئ وحين أراد عمرو بن العاص إحراج المسلمين لدى النجاشي بأنهم يقولون إن عيسى بن مريم عبد ـ لم يتحرّج جعفر عن أن يؤكد أنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول ـ وكان قد قرأ صدراً من «كهيعص» فتأثر النجاشي وقال «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ـ وقد أمر برد هدايا قريش وإخراج عمرو وعبد الله فخرجا من عنده مقبوضين مردوداً عليهما ما جاءا به وأقام المسلمون لدى النجاشي بالحبشة بخير دار مع خير جار.

الْمَدْرَسَةُ الأُوَلى . .

وَثَـوَى الـرَّكْـبُ . . آوِيـاً وَسَـطَ الـدَّارِ . . تَـدَارَى أَصْـحَـابُـهُ بِـذُرَاهَـا[(١)]

يَـقْـرَؤُنَ الـذِّكْـرَ الْـحَـكِـيـمَ ارْتِـوَاءً لِـنُـفُـوسٍ ظَـمْـأَى إِلَـيْـهِ . . رَوَاهَـا

في الْمَحَارِيبِ خُشَّعاً . . يَدْرُسُونَ الْعِلْمَ . . فِقْهاً . . ثَقَافَةً . . أَعْلَيَاهَا

يَـتَـرَوَّوْنَ مِـنْ مَـنَـاهِـلِ ذِي الـنُّـورِ . . صَـفِـيًّـا بِـالـصَّـالِـحَـاتِ جَـلاَهَـا

حَـبَّـذَا الـدَّارُ مَـعْـهَـداً . . حَـبَّـذَا الـدَّارُ مَـلاَذاً . . عَـزَّتْ بِـهِ مَـأْوَاهَـا

تِـلْـكَ كَـانَـتْ أُولَـى الْـمَـعَـاهِـدِ أَرْسَتْ عَزَمَاتُ الإِسْلاَمِ مِنْهَا بِنَاهَا

***

الْعَائِدُ مِنَ الصَّيْدِ . .

وَيَشَاءُ الرَّحْمنُ لِلْمِنْعَةِ الْقُوَّةَ . . جَـاءَتْ مُـعْـتَـدَّةً بِـقُـوَاهَـا[(٢)]

---

(١) وبعد هجرة من هاجر إلى الحبشة بقي الباقون في مكة من المسلمين لائذين بالخفاء بدار الأرقم بن أبي الأرقم ـ يصلون ـ ويقرؤون القرآن ـ ويتدارسون أمور دينهم ، ويتبادلون شتى أنواع المعارف . . فكانت هذه الدار بكل هذا . . أول معهد إسلامي.

(٢) المنعة: القوة التي تمنع من يريد أحداً بسوء . . ومعتدة من: اعتد الشيء: هيأه ـ وأعده «ومقناصه» استعملناها بدلاً من القنص ـ لشيوع استعمالها ـ ولخفة تعبيرها ـ والزنيم: اللئيم . . والقذع: الفحش وسوء القول ـ ونفس غليله ـ ظمأى للثأر . .

وقصة إسلام حمزة رضي الله عنه: أن أبا جهل مرّ بالرسول عند الصفا فآذاه ـ وشتمه ـ ونال منه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ـ فلم يكلمه الرسول ـ ومولاة لابن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك ـ حتى إذا انصرف أبو جهل ـ وعمد إلى نادي قريش عند الكعبة وجلس معهم ـ لم يلبث حمزة بن عبد المطلب عم الرسول أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له . . وكانت عادته بعد العودة من القنص وقبل أن يصل إلى =

حِينَمَا أَسْلَمَ الْفَتَى .. بَعْدَ أَنْ مَرَّ عَلَى صَخْرَةِ الصَّفَا .. يَتَبَاهَى
وَتَنَاهَى لِسَمْعِهِ .. بَعْدَ أَنْ وَدَّعَ «مِقْنَاصَهُ» ضُحىً مَا تَنَاهَى
مَا رَوَتْهُ مُفَصَّلاً دونَ حَيْفٍ أَمَةٌ هَزَّهَا الأذى .. تَيَّاهَا
فَلَدَى دَارَةِ ابْنِ جُدْعَانَ طَلَّتْ وَرَأَتْ مَا أَسَاءَهَا .. وَدَهَاهَا
فَعَلَى صَخْرَةِ الصَّفَا .. بَيْنَ عِلْمٍ قَدْ تَعَأْلَى .. وَبَيْنَ جَهْلٍ تَدَاهَى
مَرَّ بِالْمُصْطَفَى الزَّنِيمُ أَبُو الْجَهْلِ .. تَنَزَّى وَقَاحَةً وَسَفَاهَا
ضَافِياً حِقْدَهُ بِسَبٍّ .. وقَذْعٍ عَنْهُمَا الْمُصْطَفَى تَرَفَّعَ جَاهَا
فَصَغَا حَمْزَةٌ .. وَرَاحَ إِلَى الْقَوْمِ بِنَفْسٍ غَلِيلَةٍ .. أَرْوَاهَا
فَالِقاً هَامَةَ الزَّعِيمِ بِقَوْسٍ شَجَّهَا شَجَّةً أَسَالَتْ دِمَاهَا[1]
صَائِحاً: أَنْتَ تَشْتُمُ من بِتُّ عَلَى دِينِه: فُؤَاداً .. وَفَاهَا
وَعَدَا قَافِلاً .. وَبِابْنِ أَخِيهِ مُرْسَلاً .. آمَنَ الْفَتَى .. وَتَلاَهَا
إِنَّهَا .. إِنَّهَا الشَّهَادَةُ بِاللَّهِ إِلهاً .. أَعْلَتْهُ مُذْ أَعْلاَهَا

* * *

= أهله أن يطوف بالكعبة .. فلما مر بالمولاة قالت له .. يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم .. وروت له ما حدث ـ فاحتمله الغضب لما أراد الله به من كرامته ـ فلما دخل المسجد أقبل نحو أبي جهل ورفع القوس فضربه بها فشجه نكرة ـ ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول كما يقول؟ فردّ ذلك عليَّ أن استطعت فقامت رجال من بني مخزوم لنصرة أبي جهل .. فقال في تخاذل: دعوا أبا عمارة فإني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً !! وهكذا أعلن حمزة إسلامه ـ وعرفت قريش أن الرسول قد امتنع بإسلام حمزة ..

(١) فلق الشيء: شَقَّهُ .. والهامة الرأس وشج الرأس: جرحها.

وَمَشَى الصَّفّ . .

وَيَشَاءُ الْعَزِيزُ لِلْعِزَّةِ الْجَهْرَ ظُهُوراً مِنْ بَعْدِ طُولِ اخْتِفَاهَا[(١)]

---

(١) وقصة إسلام عمر: أن أخته فاطمة بنت الخطاب قد أسلمت هي وزوجها سعيد بن زيد وهما متخفيان بإسلامهما من عمر .. وكان نُعَيْم بن عبد الله النَّحَّام قد أسلم ـ مستخفياً بإسلامه وكان خَبَّابُ بنُ الإرَتّ .. يختلف إلى فاطمة يقرئها القرآن ـ فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ .. ورهطاً من صحبه قد ذكروا له أنهم اجتمعوا في بيت عند الصفا .. وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ـ منهم عمه حمزة ـ وأبو بكر ـ وعلي مع الباقين من الذين لم يخرجوا إلى أرض الحبشة ـ فلقيه نُعَيْمٌ .. قائلاً أين تريد يا عمر؟ قال أريد محمداً هذا الصابئ .. الذي فرّق أمر قريش ـ وسفَّه أحلامها ـ وعاب دينها ـ وسب آلهتها .. فأجابه نعيم: والله لقد غرتك نفسْك ـ أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض؟! وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ فقال عمر: وأين أهل بيتي؟ قال نعيم: خَتَنُكَ .. يعني زوج أخته .. وابن عمك سعيد بن زيد ـ وأختك فاطمة فقد أسلما وتابعا محمداً على دينه .. فعليك بهما ـ وقد أراد نعيم بذلك صرفه عن الرسول فرجع عمر عامداً إلى أخته وزوجها .. وعندهما خباب بن الإرت معه صحيفة فيها «طاها» يقرئهما إياها.. فلما سمعوا صوت عمر ـ تغيَّب خباب في حجرة داخل البيت ـ وأخذت فاطمة الصحيفة ـ فسترتها عنه ـ وكان عمر قد سمع القراءة ـ فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعت ـ قالا له ما سمعت شيئاً ـ قال بلى .. ولقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ـ وبطش بزوج أخته ـ فقامت لتكفَّه عن زوجها ـ فضربها فشجها ـ فقالت أخته وزوجها ـ نعم قد أسلمنا وآمنا لله ورسوله ـ فاصنع ما بدا لك !! فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم ـ وطلب الصحيفة وكان قارئاً كاتباً .. حالفاً أن يردّها إذا قرأها ـ فطمعت في إسلامه ـ ولكنها قالت له: يا أخي إنك نجس على شركك .. وأنه لا يسمه إلا الطاهر ـ فقام عمر فاغتسل ـ فأعطته الصحيفة ـ وفيها «طه» فقرأها ـ قائلاً: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه .. عند ذلك خرج خباب قائلاً له: يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيه ـ فإني سمعته أمس وهو يقول: اللَّهم أيِّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام ـ أو بعمر بن الخطاب ـ فاللهَ .. اللَّهَ .. يا عمر !! فقال عمر: دلّني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم ـ فقال هو في بيت عند الصفا ـ فخرج عمر للدار متوشّحاً سيفه وضرب الباب ـ فقام رجل ونظر من خلال الباب =

عِنْدَمَا أَسْلَمَ الْجَسُورُ .. عَظِيماً عَاشَ .. مَا عَاشَ لِلْخُطُوبِ أَخَاهَا
بَعْدَ أنْ كَانَ لِلنَّبِيِّ وَلِلدَّعْوَةِ أَقْسَى الأَعْدَاءِ مِنْ أَعْدَاهَا
فَلَقَدْ أَزَّهُ نُعَيْمٌ عَلَى الأُخْتِ وَزَوْجٍ أَصْبَاهُ مَا أَصْبَاهَا
صَارِفاً جَهْدَهُ لِذَلِكَ .. قَدْ غَيَّرَ مِنْهُ .. عَنِ النَّبِيِّ .. اتِّجَاهَا
فَمَضَى كَالشِّهَابِ يَخْتَرِقُ الدَّرْبَ عَتِيًّا .. فِي شِرَّةٍ يَصْلاَهَا
طَرَقَ البَابَ ثُمَّ أَفْضَى .. تَوَارَى مَنْ لَدَى الدَّارِ دُونَهُ بِخِبَاهَا
صَارِخاً: قَدْ سَمِعْتُ هَيْنَمَةً هَسَّ بِأُذْنِي هَسِيسُهَا .. وَتَنَاهَى
فَنَفَتْ أُخْتُهُ .. فَقَامَ إِلَيْهَا ضَارِباً رَأْسَهَا .. مُثِيراً أَسَاهَا
ثُمَّ أَغْضَى .. لِمَا جَرَى نَادِمَ القَلْبِ .. أَسِيفاً: أَنْ شَجَّهَا .. وَشَجَاهَا
طَالِباً أَنْ يَرَى الصَّحِيفَةَ آلَى دُونَ حِنْثٍ إِرْجَاعَهَا .. إِنْ قَرَاهَا
فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ فَاغْتَسَلَ الْقَرْمُ .. وَقَدْ كَانَ قَارِئاً .. فَتَلاَهَا

= وقال: هذا عمر بن الخطاب، فقال حمزة: فأذن له ـ فإن جاء يريد خيراً بذلناه له ـ وإن جاء بشر قتلناه بسيفه .. ونهض رسول الله ﷺ فأخذ بمجمع ردائه ثم جبذه به جبذة ـ وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة ـ أجاب عمر: يا رسول الله ـ جئتك لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله ـ فكبّر الرسول ـ وعرف أهل الدار من أصحابه أن عمر قد أسلم ـ وأنه وحمزة بإسلامهما سينتصفون من المشركين ـ.

الشَرَّة: الحدة ـ الغضب ـ النشاط ـ والطيش والهينمة: الصوت الخفي ـ وهس الكلام: أخفاه ـ وأغضى عينه: طبق جفنيه حتى لا يبصر شيئاً .. للأسف والدهشة وآلى: أقسم.. والحنث في اليمين: عدم الوفاء بموجبها ـ والقَرْمُ: ج. قروم: ـ العظيم ـ السيد على التشبيه بالقرم من الإبل ـ لعظم شأنه وكَرَمِه .. والجذبة .. والجبذة: ضد دفعه عنه ـ أي الأخذ بقوة لجهة الجاذب.

فَـتَـرَاخَـى . . وَأَحْـسَـنَ الْـقَـوْلَ . . إِعْـجَـابَ ذَكِـيٍّ أَغْـنَـتْـهُ شُـورَةُ طَـاهَـا
وَمَـضَـى لِـلـنَّـبِـيِّ بِـالـدَّارِ هَـابَـتْ أَنْ تَـرَاهُ أَصْـحَـابُـهَـا . . أَوْ يَـرَاهَـا
فَـتَـلَـقَّـاهُ أَزْهَـرُ الْـوَجْـهِ بِـالْـجَـذْبَـةِ . . هَـزَّتْ كِـيَـانَـهُ بِـقُـوَاهَـا
فَـرَنَـا قَـائِـلاً: لَـقَـدْ جِـئْـتُ لِـلْـحَـقِّ لَـهِـيـفـاً . . لِـشِـرْعَـةٍ أَغْـلاَهَـا
مُـؤْمِـنـاً مُـسْـلِـمـاً . . فَـلاَ كَـانَ . . لاَ جَـلَّ . . ولا عَـزَّ خَـاسِـرٌ عَـادَاهَـا
فَتَعَـالَـى الـتَّـكْـبِـيـرُ: أَسْـلَـمَ حَـقًّـا عُـمَـرُ الـخَـيْـرِ . . فَـاشْـهَـدِي بَـطْـحَـاهَـا
عَـزَّ بِـابْـنِ الْـخَـطَّـابِ قَـدْراً . . كَـمَـا قَـدَّرَ طَـاهَـا الإِسْـلاَمُ بَـيْـنَ رُبَـاهَـا[١]
وَمَشَـى الـصَّـفُّ . . فِي جَنَاحَيْهِ لِلْمَسْجِدِ . . يَحْمِي صُفُوفَهُ فَارِسَاهَا

* * *

الأَذَى الْمُرّ . .

أَيُّـهَـا الـرَّائِـدُ الْـمُـتَـابِـعُ لِـلـدَّرْبِ . . تَـعَـجَّـبْ لِـلـنَّـفْـسِ مَـا أَقْـسَـاهَـا[٢]

---

(١) في البيت . . إشارة لما قال الرسول ﷺ عن إعزاز الإسلام بأحد الرجلين ـ كما تقدم ـ عمر أو أبي الحكم ـ وفي سيرة ابن هشام . . قال عبد الله بن مسعود: عن إسلام عمر كان فتحاً . . وإن هجرته كانت نصراً ـ وإن إمارته كانت رحمة ـ ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ـ فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة وصلينا معه ـ والمقصود بالفارسين: عمر . . وحمزة . .

(٢) لما هلك أبو طالب نالت قريش من الرسول ﷺ من الأذى ما لم تكن تناله منه في حياة عمه فخرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف . . والمنعة بهم من قومه . . ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عزّ وجلّ ـ وكان معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه . . فلما انتهى إلى . . الطائف ـ عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافها ـ وهم إخوة ثلاثة: عبد يا ليل وإخوانه . . فجلس إليهم الرسول =

سِرْ .. كَمَا أنْتَ طَائِفاً بِالْمَغَانِي حَافِلاَتٍ بِأَسْوِهَا بِأَسَاهَا
ذاكراً رِحْلَةَ النَّبِيِّ إِلَى الطَّائِفِ يَرْجُو ثَقِيفَهَا وَسُرَاهَا
بَعْدَ أنْ مَاتَ عَمُّهُ .. وَتَتَالَى مِنْ قُرَيْشٍ .. إِيذَاؤُهَا .. اسْتِهْزَاهَا
يَتَرَجَّى مِنْهُمْ إصَاخَةَ سَمْعٍ أَوْ لِقَاءً في أُلْفَةٍ .. قَدْ شَهَاهَا
فَإِذَا هُمْ أَقْسَى قُلُوباً وَأَعْتَى مِنْ قُرَيْشٍ مَهْمَا اسْتَطَالَ أَذَاهَا

= ودعاهم إلى الله ـ فقال له أحدهم: هو يمرط «أي يشقِّق ويمزق .. ثوب الكعبة إن كان الله أرسلك ـ وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال الثالث «واللهِ لا أكلمك أبداً .. لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ـ ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك»!! فقام الرسول .. وقد يئس .. وطلب منهم أن يكتموا عنه حتى لا يبلغ قريش ذلك .. فلم يفعلوا بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ـ ويصيحون به ـ حتى اجتمع عليه الناس .. يقذفونه بالحجارة وزيد يحوط عليه حتى أدموا عقبه .. وحتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فلما اطمأن دعا بدعائه المشهور «اللّهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين» .. إلى آخره .. فلما رآه ابنا ربيعة دعوا غلاماً لهما نصرانياً اسمه عداس وبعثا له قطفاً من عنب ـ فلما أقبل به للرسول ـ وقال: كل .. قال النبي «باسم الله»؟؟ ثم أكل ـ فنظر عداس في وجهه ـ وقال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد .. فقال الرسول: ومن أهل أي البلاد أنت؟؟ يا عداس .. وما دينك؟ قال: أنا رجل نصراني من أهل «نينَوى» فقال الرسول من قرية الرجل الصالح «يونس بن متَّى» فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال الرسول: ذاك أخي ـ كان نبياً ـ وأنا نبي ـ فأكب عليه عداس يقبل رأسه ويديه وقدميه ـ فلما عاد قال له ابن ربيعة: ويلك يا عداس!! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا ـ لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي ـ قالا له ويحك: لا يصرفنك عن دينك فإنه خير من دينه؟

الطُّغْمَةُ: الجماعة أمرهم واحد ـ والمراد بهم هنا الطغام: أوغاد الناس ـ وأوباشهم .. العَقْب .. والعقب ـ ج أعقاب: مؤخر القدم.. ولا استكفاها: أي لم يستطيع أن يكفيه ما ناله.

خَذَلُوهُ .. أغْرَوْا بِهِ كُلَّ نَذْلٍ قَدْ تَنَاهَى سَفَالَةً .. وَسَفَاهَا
مِنْ عَبِيدٍ .. مِنْ طُغْمَةٍ سَاغَتِ الشَّرَّ .. وَمِنْ صِبْيَةٍ بِهِ تَتَلاَهَى
فَأَحَاطُوا بِهِ يُذِيقُونَهُ الْمُرَّ .. سِباباً .. حِجَارَةً .. مَا اتَّقَاهَا
دَمِيَتْ عَقْبُهُ .. فَمَا اسطاع زَيْدٌ لاَ دِفَاعاً عَنْهُ .. وَلاَ اسْتَكْفَاهَا
هَكَذَا قُوبِلَ النَّبيُّ بِمَا يَكْرَهُ .. لَوْلاَ عَدَّاسُ .. صَانَ حِمَاهَا
فَتَسَامَى الرَّقِيقُ بالْفَضْلِ عَنْهُمْ عُصْبَةً خَسَّ في الأَذَى سُفَهَاهَا

* * *

الْمَيَامِين ..

أَيُّهَا الرَّائِدُ الْمُلاَحِقُ لِلْدَّرْبِ .. تَرَفَّقْ بِالنَّفْسِ طَالَ رِهَاهَا[1]
وَتَجَمَّلْ بالصَّبْرِ .. عُقْبَى . أُولي الْعَزْمِ .. لِخَيْرٍ .. مَهْمَا أَلَتْ عُقْبَاهَا
قَدْ أَتَى الْبِشْرُ ضَاحِكَ السِّنِّ يَزْهُو بِالْوُجُوهِ الصِّبَاح .. لاَحَ سَنَاهَا
بِالنُّفُوس السِّمَاحِ .. خَفَّتْ إِلَى الْهَدْيِ سِرَاعاً .. لاَ تَأْتَلِي في سُرَاهَا
بِالْمَيَامِين .. صَفْوَةِ الأَوْسِ والخَزْرَج .. عَزُّوا في يَثْرِبٍ أشْبَاهَا
بَعْدَ أنْ صَابَرُوا الْقِتَالَ .. طَوِيلاً فَتَصَافَوْا لَدَى مَحَجَّةِ طَاهَا

---

(١) المیامین: ج میمون: ذو الیُمْن والبركة ، والمراد بهم الأنصار من الأوس والخزرج ـ وكان الرسول بعد عودته من الطائف ـ في جوار المطعم بن عدي ـ قد أخذ يعرض نفسه ودعوته في مواسم الحج وفي أسواق العرب المشهورة مثل: عكاظ ـ وذي المجاز ـ وكانت الحرب رائجة بين الأوْس والخزرج لمدة مائة وعشرين عاماً .. حتى آلف الله بينهم بالإسلام ـ ورهاها ــ ج الرهو: السير السهل .. وإلى ـ وأتلى: قصر وأبطأ في سيره .. والمحجة: جادة الطريق ـ.

فَاذْكُرِ الرَّهْطَ .. مُفْلِحاً .. وَاشْهَدِ الْبَيْعَةَ .. فَتْحاً لِلْحَقِّ: نَصْراً وَجَاهاً[١]
عَاهَدُوا .. صَافَحُوا النَّبِيَّ .. عَلَى الْمِنْعَةِ .. أَهْلاً .. دِمَاؤُهُ مِنْ دِمَاهَا
لَمْ يُبَالُوا بِالْعَمِّ .. تَبَّت يَدَاهُ زَوْجَ بُومٍ .. فِي الْبَيْتِ .. تَبَّتْ يَدَاهَا
لَمْ يُصِيخُوا سَمْعاً لَهُ .. تَابَعَ الدَّعْوَةَ .. سَعْياً .. مُكَذِّباً دَعْوَاهَا
بَلْ أَصَاخُوا إِلَى النَّبِيِّ بِسَمْعٍ مِنْ قُلُوبٍ .. تَجَمَّعَتْ فِي هَوَاهَا
فِي وُفُودٍ تَتْرَى .. أَنَابَتْ لَدَى الْعَهْدِ .. شَرِيفاً فِي عَهْدِهِ .. نُقَبَاهَا
فَتَذَكَّرْ أُسَيْدَ وَابْنَ رَبِيعٍ وَابْنَ مَعْرُورَ .. أَيْنَمَا صَلاَّهَا[٢]

---

(١) قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال: سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله ﷺ يقف على منازل من العرب فيقول يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً. وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ـ وأن تؤمنوا بي، وتصدقوا بي، وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما بعثني به قال: وخلفه رجل أحول، وضيء، له غديرتان، عليه حلّة عدنية، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان.. إن هذا «الرجل» إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزّى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أُقَيْش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ـ فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه.. قال فقلت لأبي: يا أبت، مَنْ هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب كذلك كان شأن عمه منذ أن جَهَرَ النبي بدعوته .. وجاوبه قائلاً: تبًا لك!! ألهـذا جمعتنـا؟ فنـزلت في حقه ـ وحق أسرته السورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (المسد: ١ ـ ٥).. وكانت تؤذي الرسول كثيراً ـ وتضع الشوك في طريقه لبيته ..

(٢) أ ـ هو أسيد بن حضير ـ وكان سيد قومه ـ وكان مصعب بن عمير هو مبعوث الرسول للمدينة بعد أن أسلم أهل بيعة العقبة وفشو الإسلام في المدينة ـ وذلك ليقرئ القوم القرآن ـ وليصلي بهم ـ وكان قد خرج مع أسعد بن زرارة يريد به دار بني عبد =

وَبَقَايَا الرَّكْبِ الْوَضِيءِ تَتَالَتْ مِنْ بَنِيهِ .. رِجَالُهَا .. وَنِسَاهَا[١]
قَدْ غَدَوْا لِلنَّبِيِّ أهلاً وَصَحْباً وَذِمَاماً .. وَأُلْفَةً .. وَرَفَاهَا
حِكْمَةً لِلإِلهِ: أَنْ يَحْمِيَ الْجَارُ .. رَبِيبَ الدَّارِ الَّتِي مَا قَلاهَا

* * *

مُؤَامَرَةٌ .. تَفْشَلْ ..

أَيُّهَا الرَّائِدُ الدُّرُوبَ .. تَوَالَتْ عَاطِرَاتِ الذِّكْرَى .. بِهَا ذِكْرَاهَا[٢]

= الأشهل ودار بني ظَفَر ـ وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد مع اسيد فقال له: انطلق لهذين الرجلين اللذين قد أتيا لتسفيه ضعفائنا .. فجاءهما أسيد شاتماً .. ثم عاد راضياً ـ وقد تطهر فأسلم ـ.

ب ـ هو سعد بن الربيع: أحد النقباء الأثني عشر .. وقد استشهد في غزوة أُحد ـ وقد بعث النبي في محنة أحد من يبحث عنه .. قال زيد بن ثابت بعثني رسول الله يوم أُحد أطلب سعد بن الربيع فقال لي «إن رأيته فأقرئه مني السلام ـ وقل له يقول لك رسول الله كيف تجد؟ وحين لقيه قال سعد: وعلى رسول الله الصلاة والسلام ـ وقل له أجد ريح الجنة ـ وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف .. وفاضت نفسه من وقته.

جـ ـ هو البراء بن معرور: وكان قد رأى أن يتجه إلى الكعبة بدلاً من بيت المقدس ـ وقد عاد بعد أن قال له الرسول ﷺ: «قد كنت على قبلة لو صبرت عليها» قال ابن هشام: وقد اخترنا هؤلاء الثلاثة كنماذج طيبة متنوّعة المواقف ـ وإلا فإن لكلٍ من الباقين مواقف نادرة من الصدق ـ وحسن البلاء ـ والإخلاص لله ثم لرسوله في كل أعمالهم.

(١) وقد بلغ عدد المجتمعين برسول الله ﷺ في العقبة الثانية ثلاثة وسبعون رجلاً ـ معهم امرأتان من نسائهم هما نَسيبة بنت كعب (أم عمارة) وأسماء بنت عمرو .. وقد حضر مع الرسول عمه العباس بن عبد المطلب ليستوثق له.. وقد غدوا له مكان الأهل .. والصحب ..

(٢) في الصفحة التالية (رقم ٣٩) الشرح اللازم عن المؤامرة التي فشلت وعن الهجرة ـ .

قِفْ عَلَى هَامَةِ الطَّرِيقِ .. وَكَبِّرْ فَلَقَدْ آنَ: أَنْ نَجُوزَ رُبَاهَا

نَافِحَاتِ الشَّذَى .. تَوَشَّحَتِ الْحُبَّ غِرَاساً خَضْرَاءَ .. طُولَ مَدَاهَا

وَلَقَدْ آنَ: أَنْ يَرَى الْحَزْمِ صَوْناً لِلْكَرَامَاتِ .. قَادِرٌ .. أَغْلاَهَا

أَذِنَ اللَّهُ لِلنَّبِيِّ بِحَرْبِ الْقَوْمِ .. حَرْباً سَيَصْطَلُونَ لَظَاهَا

فَتَهَيَّا لَهَا .. وَقَدْ أَمَرَ الصَّحْبَ .. سِرَاعاً .. أَنْ يَفْزَعُوا لِلِقَاهَا

فَتَنَادَوْا .. مُهَاجِرِينَ إِلَى يَثْرِبَ .. طَالَتْ .. مُطِلَّةً .. بِذُرَاهَا

وَتَتَالَوْا .. نَحْوَ الْمَدِينَةِ .. أَرْسَالَ وُفُودٍ .. أَزْهَى السَّنَاءُ سَنَاهَا

فَتَجَارَتْ لِدَارِ نَدْوَتِهَا الصُّبْحَ .. قُرَيْشٌ .. تَعَدَّدَتْ آرَاهَا

ثُمَّ رَاءَتْ مَا قَدْ رَآهُ أَبُو الْجَهْلِ .. وَشَيْطَانُهَا الَّذِي أَغْوَاهَا

أَجْمَعَتْ أَمْرَهَا بِقَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ .. لَيْلاً .. فِي غَفْوَةٍ مَا غَفَاهَا

إِذْ أَتَاهُ جِبْرِيلُ بِالأَمْرِ .. فَاسْتَقْبَلَ فَحْلَ الْفُحُولِ .. لَبَّى افْتِدَاهَا

إِنَّهُ صَادِقُ اللِّقَاءِ عَلِيٌّ .. مَنْ عَلاَ رِفْعَةً .. وَعِزًّا وَجَاهَا

قَائِلاً .. يَا عَلِيُّ .. نَمْ فِي فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِالْبُرْدِ .. تَأْمَنْ أَذَاهَا[1]

---

(١) قال محمد بن إسحاق المطلبي: وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ـ ولم تحلل له الدماء ـ إنما يؤمر بالدعاء إلى الله، والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل ـ وفي السور المكّيّة كثير من الآيات التي تأمره بذلك مثل قوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ (الحجر: ٨٥) وقوله ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمل: ١٠) وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور: ٤٨) ـ وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم، ونفوهم من بلادهم، فلما عتت قريش على الله عزّ وجلّ ـ وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة. وكذبوا نبيه وعذبوا ونفوا من عبده أذن لرسوله في القتال.. =

ثُمَّ حَيًّا . وَغَادَرَ الدَّار . . يَرْنُو لِقُرَيْشٍ مَخْمُورَةً في كَرَاهَا

= ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩).. فلما أذن الله له في الحرب ـ وقد بايعه هذا الحي من الأنصار أمر رسول الله أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها.. فخرجوا أرسالاً. وأقام الرسول بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من المدينة ـ قال ابن إسحاق .. ولما رأت قريش أن الرسول ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غير بلدهم ـ ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ـ حذروا خروجه إليهم ـ وعرفوا أنه أجمع لحربهم ـ فاجتمعوا له في دار الندوة ـ وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها ـ وقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما رأيتم ـ فإنّا ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ـ فأجمعوا فيه رأياً ـ تشاوروا ـ وقد تعددت آراؤهم بين حبسه في الحديد .. وبين نفيه خارج البلاد ـ حتى قال أبو جهل أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ـ ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ـ ثم يعمدوا إليه .. فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه ـ فإنهم إن فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعاً ـ فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ـ فرضوا منا بالعقل «الدية» فعقلناه لهم .. فبارك الشيطان هذا الرأي ـ وتفرّق القوم على ذلك ـ وهم مجمعون له ـ قال: فأتى جبريل عليه السلام فقال «لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت فيه .. فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه .. فلما رأى الرسول مكانهم قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي ـ وتسجّ ببردي هذا الحضرمي فنم فيه ـ فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم.

قال: وخرج عليهم رسول الله، فأخذ حفنة من تراب في يده ـ وقد أخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه ـ فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من ﴿يسٓ﴾ ﴿يسٓ. وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ. عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ. تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (يس: ١ ـ ٥) إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ٩) حتى فرغ الرسول من هذه الآيات ـ ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً .. ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ـ فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هنا؟ قالوا: محمداً ـ قال: خيبكم الله!! قد والله خرج محمد!! ثم ما ترك رجلاً منكم إلا وقد وضع على رأسه تراباً فتحسسوا رؤوسهم ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليًّا على الفراش متسجّياً =

نَـاثِـراً حِـفْـنَـةَ الـتُّـرابِ .. ذَرَاهَـا بِـرُؤُوسٍ لِـلْـكُـفْـرِ .. حَـانَ ازْدِرَاهَـا

تَالِياً قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمُو﴾ لاَ يَـرَوْنَـهُ .. قَـدْ خَـطَـاهَـا

خَـطْـوَةً .. قَـدَّرَ الْـعَـلِـيـمُ مَـدَاهَـا وَرَعَـى سَـيْـرَهَـا وَصَـانَ سُـرَاهَـا

الْهِجْرَةُ .. وَالصُّحْبَة ..

وَمَعَ الظُّهْرِ .. في الْهَجِيرَةِ .. قَدْ قَالَ بِهَا النَّاسُ .. عَادَةً تَرْضَاهَا[1]

جَاءَ لِلصَّاحِبِ الَّذِي تَاقَ لِلْوَعْدِ .. إِلَى صُحْبَةِ النَّبِيِّ ارْتَجَاهَا[2]

فَتَنَحَّى عَنِ السَّرِيرِ .. وَقَدْ قَرَّ لَدَيْهِ .. فِي خَلْوَةٍ .. قَدْ رَآهَا[3]

قَـائِـلاً: يَـا صَـفِـيُّ قَـدْ أَذِنَ الـلَّـهُ !! تَـهَـيَّـأْ لِـصُـحْـبَـةٍ .. تَـهْـوَاهَـا

= ببرد الرسول ـ فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ـ فقام علي من الفراش ـ فقالوا لقد كان صدقنا الذي حدثنا أن تجوز رباها: جاز المكان: سار فيه ـ تركه خلفه وقطعه ـ والحزم: ضبط الأمر وإحكامه والأخذ بالثقة فيه ـ فتهيأ: تهيأ للأمر: استعد وأخذ أهبته وتفرغ له ـ أن يفزعوا للقاها: فزع للشيء أو لفلان: تأهب له.. وإرسال .. ج. الرَّسَل: الجماعة ـ القطيع من كل شيء ـ وراءت : راء الشيء: لغة في رأي .. أي نظر بالعين ـ وبالعقل.

(١) الهجيرة: وقت شدة الحر ـ وانتصاف النهار .. وقال الناس: استراحوا في نومة الظهر..

(٢) كان أبو بكر قد استأذن الرسول في الهجرة .. فقال له: لا تعجل .. لعلّ الله يجعل لك صاحباً .. فطمع بأن يكون الرسول إنما يعني نفسه ـ فابتاع راحلتين فاحتبسهما في داره.. يعلفهما إعداداً لذلك ..

(٣) كانت عند أبي بكر حينذاك ابنتاه أسماء وعائشة ـ فقال له الرسول: اخرج من عندك!! وهذا دليل على وجوب أخذ الحذر والحيطة وعدم الإفضاء بالسر إلا لمن يأمن جانبه ويثق فيه.

إِنَّـنـا .. إِنَّـنَـا مُـهَـاجِـرَانِ إِلَـى الـلَّـهِ .. سَـوَاءً .. فـي هِـجْـرَةٍ يَـرْعَـاهَـا
فَـبَـكَـى الـصَّـاحِـبُ الـصَّـفِـيُّ مِـنَ الْـفَـرْحَـةِ فَـاضَـتْ بِـنَـفْـسِـهِ فَـاجْـتَـلاَهَـا
فَتَوَقَّفْ .. يَا صَاحِبَ الدَّرْبِ .. قَدْ هَشَّ .. إِلَيْهَا .. في سَيْرِهَا .. في سُرَاهَا[1]

(١) قال ابن إسحاق: فلما أزمع الرسول الخروج أتى أبا بكر فخرجا من خوخة في ظهر بيته ـ ثم عمد إلى غار ثور ـ جبل بأسفل مكة .. وكان الرسول قد أمر علياً بن أبي طالب بالتخلف بمكة لأداء ودائع الناس لديه ـ كما كانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام إذا أمست ـ كما استأجرا عبد الله بن أريقط الليثي ليدلهما على الطريق فيما بعد ـ وقد دفعا إليه راحلتيهما فكانت عنده لميعادهما .. وعلى ذلك فالعارفون هم بيت أبي بكر وعلي والدليل ..

الْقِسْمُ السَّادِسُ . .
وَتَكَلَّمَ التَّارِيخ . .

مِنْ هُنَا . . يَبْدَأ . .

الْبَيْتُ الْكَرِيم . .

الثَّنِيَّاتُ . . وَالْبَدْر . .

الزَّهْرَةُ . . وَالْفَرْحَة . .

بَدْرٌ الْكُبْرَى . .

مَوْكِبُ النَّصْر . .

الْبَرَاقِعُ السُّود . .

الطَّعْنَة . .

الدَّمُ الْغَالِي . .

ذُو الْعِصَابَةِ الْحَمْرَاء . .

الْجَمَلُ الأَوْرق . .

سَيِّدَةُ الْفِدَاء . .

نَقْرُ الْعَصَافِير . .

من هنا يبدأ:

هَا هُنَا .. مِنْ هُنَا سَيَبْدَأُ يَوْمٌ صَاغَ تَاريخُهُ الْحَيَاةَ .. ابْتَدَاهَا[١]
فَاتْلُ آيَاتِهَا الحُسَانَ .. تَوَالَتْ فِي سِجِلِّ الْخُلُودِ .. أَنَّى تَلاَهَا
إِنَّهَا الْهِجْرَةُ الْكَبِيرَةُ بِاللَّهِ .. فَبِاللَّهِ عَزْمُهَا .. وَمَضَاهَا
إِنَّهَا الْهِجْرَةُ .. اسْتَقَامَ بِهَا الْحَقُّ .. مُقِيماً بِالنَّصْرِ صَرْحَ عُلاَهَا
لَمْ يَزَلْ أَمْسُهَا وَضِيئاً .. كَمَا الْيَوْمِ عَزِيزاً .. تَحُفُّهُ ذِكْرَاهَا

* * *

فَتَوَقَّفْ يَا صَاحِبَ الدَّرْبِ بِالدَّرْبِ .. فَقَدْ حَانَ لِلْقُطُوفِ جَنَاهَا
وَتَذَكَّرْ مُسْتَعْرِضاً بَعْضَ مَا لاَحَ .. مُلِيحاً .. يُمْنَاهُ فِي يُمْنَاهَا
وَاذْكُرِ الْغَارَ .. والرَّفِيقَ بِهِ الرِّحْلَةَ .. طَابَتْ .. فِي سَيْرِهَا .. مَسْرَاهَا
وَقُرَيْشٌ تَلُوبُ .. كَالثَّوْرِ قَدْ هَاجَ .. كَمَا الذِّئْب .. عَلوِيَاً .. بِفَلاَهَا[٢]

---

(١) تعتبر الهجرة النبوية الكريمة من مكة إلى المدينة بداية الكيان الإسلامي الكبير العظيم المجسّد له في شتى المجالات العظيمة والكبيرة .. ومن هنا جاء التأريخ الإسلامي الهجري مطابقاً للواقع .. باعتباره بداية للحياة الإسلامية التي انطلقت لتحقيق أهدافها النبيلة سواء في الجزيرة العربية ـ أو في العالم كله.

(٢) لاب يلوب حول الشيء: حام حوله وهو لا يصل إليه ـ وتقرى: تتبع ـ وطاف =

تَـتَـفَـرَّى مَـكَـانَـهُ . . تَـرْصُـدُ الـجُـعْـلَ لِـمَـنْ دَلَّـهَـا . . إلَـيْـهِ هَـدَاهَـا

* * *

الْبَيْتُ الْكَرِيم . .

وَتَـخَـطَّ اللّـيْـلاَت . . مَـرَّتْ . . ثَـلاَثـاً فـي ارْتِـقَـابٍ . . طَـالَـتْ بِـهِ أَمْـدَاهَـا[١]

وَتَـرجَّ الْـبَـيْـتَ الْـكَـرِيـمَ وَأَهْـلِـيـه: فِـعَـالاً . . عَـزَّتْ لَـدَى مُـبْـتَـغَـاهَـا[٢]

فـي افْـتِـدَاءِ الـصَّـدِّيـق قَـدْ لَـمَـسَ الْـغَـارَ . . يَـحُـسُّ الْـخِـشَـاشَ فـي مَـأْوَاهَـا

بَـعْـدَ أنْ سَـارَ وَاجِـفَ الْـقَـلْـبَ فِـي الـدَّرْب . . يُـسَـاوِي مِـنَ الـخُـطَـى مَـمْـشَـاهَـا

فِـي أنـقِـطَـاعِ الابْـنِ الـشَـفِـيـقِ . . وَمَـوْلاَهُ . . أَجَـادَا مُـهِـمَّـةً . . أَدَّيَـاهَـا[٣]

= والجعل: ما يوضع للمرء مقابل شيء يفعله وقد جعلت قريش مائة ناقة لمن رده عليهم وقال في الزاد: ولما يئس المشركون من الظفر بهما جعلوا لمن جاء بهما دية كل واحد منهما ـ فجد الناس في الطلب. وحديث سُرَاقَةَ بن مالك بن جعشم في تتبعه لهما وإدراكهما معروف.

(١) أقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً . . حتى يكفّ الطّلب عنهما.

(٢) كان أبو بكر حين أعد الراحلتين قال للرسول واحدة لك وواحدة لي ـ فقال عليه السلام: «ولكن بالثمن. . ولم تكن مثامنته هذه لأبي بكر وأخذه الراحلة بثمنها إلا لتكون هجرته خالصة لله عزّ وجلَ وحين خرجا للغار بالجبل ـ كان أبو بكر يمشي مرة بين يدي الرسول ومرة خلفه فسأله النبي عن ذلك ـ فقال أذكر الطلب فأمشي خلفك ـ وأذكر الرصد فأمشي بين يديك وحين وصلا للغار ـ ليلاً . . دخل أبو بكر قبل النبي. . فلمس الغار أفيه حية أو سبع . . وذلك ليحس: أي ليقتل ويستأصل الخشاش: أي حشرات الأرض.

(٣) المقصود بالابن عبد الله بن أبي بكر ـ وكان أبوه قد أمره أن يتسمع لهما ما يقوله الناس فيهما نهاراً ليأتيهما به في المساء ـ والمقصود بمولاه: عامر بن فُهَيْرة . . وكان قد أمره أن يرعى غنمه نهاراً بها فإذا أمسى أتاهما بها في الغار . . والرَّمْل: ما يستعجبه الإنسان في السفر.

فِي تَوَلِّي الْبَيْتِ الْكَرِيمِ شُئُونَ الرّحْلِ .. مَعْنَىً رَقَّتْ بِهَا مَعْنَاهَا
حِينَ شَقَّتْ ذاتُ النِّطَاقَيْنِ .. أَسْمَاءُ .. عِصَاباً لِسُفْرَةٍ مِنْ كِسَاهَا[1]
إنَّ فِيهَا روْحَ الْعظِيمِ أبِيَهَا قَدْ تَجَلَّتْ مَوَاقِفاً لاَ تُضَاهَى
يَوْمَ قَالَتْ لابْنِهَا: قِفْ ـ وَقَاتِلِ لَمْ يُهِنْ عَزْمَهَا الْقَوِيَّ .. عَمَاهَا[2]

---

(١) النطاق: ج نُطُق: شِقَّةٌ تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الأعلى على الأسفل والأسفل ينجر على الأرض ـ ما يشد به الوسط ـ والعِصَامُ: من الوعاء: عروة يعلّق بها ـ ومن القِرْبَةِ: حبل يُشَدُّ فتحمل به ـ والسُفْرَةُ: ما يُبْسَطُ عليه الأكل ـ طعام المسافر .. وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها .. بعد أن مضت الثلاث ـ فسكن عنهما الناس ـ وأتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهما وبعير له ـ أتت إليهما بسفرتها، ونسيت أن تجعل لها عصاماً، فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة فإذا ليس لها عصام ـ فتحل نطاقها .. فتجعله عصاماً ـ ثم علقتها به ـ قال ابن هشام: وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول: ذات النطاقين وتفسيره أنها لما أرادت أن تعلّق السفرة شقت نطاقها باثنين فعلّقت السفرة بواحدة ـ وانتطقت بالآخر .. ويقال أخذت قطعة فأوكت بها الحراب ـ والأخرى جعلتها عصاماً لفم القربة وكان ذلك أثناء محاربة ابنها عبد الله بن الزبير بن العوّام للجيش الأموي بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي ـ حين قال لها: لقد تخلى عني المقاتلون معي حتى أهلي. فصاحت به: قف ـ وقاتل وحدك ما دمت ترى الحق فيما أنت عليه ـ أو نحواً من ذلك.

(٢) لما شرع عبد الملك بن مروان في القضاء على الحركة الزبيرية في الحجاز رأى بعد محاولات بعث قائده الحجاج بن يوسف الثقفي الذي حاصر مكة وضرب الكعبة بالأحجار من المنجنيق ـ وقد رأى كثير من أصحاب عبد الله بن الزبير أنه لا طائل من المقاومة حتى ابناه حمزة وحبيب ولما لمس ذلك عبد الله وأحس بقرب نهايته دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصدّيق ذات النطاقين ـ وقد بلغت من العمر مائة عام ـ ولم يقع لها سِنٌ ـ ولم تبيضّ منها شعرة واحدة وقد دار بين الأم والابن حديث مؤثر ـ حديث جمع بين العاطفة والأصالة ـ وأثبت بحق شهامة المرأة العربية وشجاعتها مثل.. إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك .. ومثل .. وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت ـ أهلكت نفسك وأهلكت من =

قُمْ .. تَقَدَّمْ .. لاَ يَلْعَبَنَّ بِكَ الصِّبْيَةُ .. تَعْنِي أُمَيَّةَ وَفَتَاهَا[١]

هَلْ يَضِيرُ الشَّاةَ الذَّبِيحَةَ سَلْخٌ ؟ فَارْتَمَى بَيْنَ حِضْنِهَا .. يَتَبَاهَى

يَومَ صَاحَتْ .. تَسْعَى .. أَلَمْ يَأْنِ لِلْفَارِسِ هَذَا تَرجُّلاً .. فِي نِدَاهَا

* * *

الثَّنِيَّاتُ .. وَالْبَدْر ..

أَيُّهَا النَّابِضُ الْفُؤَادَ .. وَقَدْ خَفَّ .. كَمَا بِالدُّرُوب اقْتَفَاهَا[٢]

= قتل معك .. ولا تمكِّنْ من رقبتك يتلاعب بها غلمان بني أمية .. ومثل دعائها له في قولها .. اللَّهم لقد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين.

(١) وقد دنا من أمه أسماء فقبّل رأسها ثم كبر على القوم حتى أصيب بعد قتال عنيف مرير.. وبعد صلبه وبقائه معلقاً بعد موته ـ ورفض الحجاج إنزاله لدفنه واستجابة عبد الملك ـ اكتفت بالسعي ـ وقولها «أما آن لهذا «الفارس» .. أن يَتَرَجَّل» ..

(٢) خف: أسرع ـ وخف: أحاط واحدق .. واقتفى: اتبعه ـ وتتبع آثاره ـ والمشارف: الأماكن يشرف منها على غيرها ـ وهي هنا تعادل الضواحي ـ وحرتاها: المقصود بها حرتا المدينة ـ والحرة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار والثنيات: المراد بها ثنيات الوداع .. ج الثنية طريق العقبة ـ طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ـ وبنو قيلة: الأوس والخزرج .. والقيلة: الناقة التي تحلب وسط النهار .. والقيل: الملك من ملوك حِمْيَرَ يتقبل من قبله من ملوكهم الشبيه: الرياس واحتفاء: من اختفى ومضى: أي بالغ في إكرامهِ وإظهار الفرح والحفاوة به ـ والمؤاخاة: وقد جعلها الرسول بين المهاجرين والأنصار ـ وهي من أروع الصور الإسلامية ـ وأنبلها ـ حيث كان الأنصاري يشارك المهاجر في ماله ـ وفيها توثيق الروابط وتمتين قوي لها على أساس فاعلية الأخوة ـ ويؤثرون ـ من الإيثار: وهو ضد الاستئثار .. أي الأنانية .. أي تفضيل سواك عن نفسك وإكرامه ـ والخصاصة: الفقر وسوء الحال .. قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩)..

سِرْ . . وَعَدِّ الأَيَّامَ عَسْرَاءَ رَاحَتْ فَاسْتَرَاحَتْ لَدَى ظَلِيلِ مُنَاهَا
فَانْظُرِ الصَّاحِبَيْنِ فِي الدَّرْبِ . . قَدْ شَارَفَ مِنْهَا مَشَارِفاً . . حَيَّاهَا
هَذِهِ . . هَذِهِ الْوُجُوهُ . . أَضَاءَتْ حِينَمَا حَقَّقَ الزَّمَانُ رَجَاهَا
حِيْنَمَا أَبْصَرَتْ مَطَالِعَ رَكْبٍ قَدْ أَشَعَّتْ . . بِنُورِهِ . . حَرَّتَاهَا
فَالثِّنِيَّاتُ هَازِجَاتٌ . . تُحَيِّي طَلْعَةَ الْبَدْرِ . . بَازِغاً . . قَدْ أَتَأَهَا
وَبُيُوتُ الأَنْصَارِ أَشْرَعَتِ الأَبْوَابَ . . طَلَّتْ مِنْهَا صُنُوفُ قِرَاهَا
وَبَنُو قَيْلَةٍ تَهُبُّ احْتِفَاءً بِالْمُؤَاخَاةِ . . أُلْفَةً . . وَرَفَاهَا
يُؤْثِرُونَ النَّاسَ . . اسْتَطَالُوا عَلَى الأنفُسِ . . أَعْلَوْا بِهَا الْخَصَاصَةَ جَاهَا

الزَّهْرَة . . وَالْفَرْحَة . .

أَيُّهَا الْقَلْبُ . . خَافِقاً . . بَلَغَ الصَّبْرُ مَدَاهُ . . لَقَدْ بَلَغْتَ مَدَاهَا[١]

---

(١) كانت فرحة المدينة ومن بها من الأنصار والمهاجرين بمقدم رسول الله ﷺ إليها أكبر من الوصف ـ والإشارة إلى «النخيل» وإلى «النعناع» وإلى «العيون» و «السواقي» . . باعتبارها أبرز المعالم الطبيعية والنباتية بها ـ ولا تزال ـ والدلو ما يستقى به والرشاء حبله: ويقال: «أَتْبِعِ الدلو ورشاءها» مثلاً في اتباع أحد المتصاحبين الآخر ـ.

وتاريخ الهجرة . . عن عبد الملك بن هشام . . باسناده ـ عن محمد بن اسحاق: قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة . . يوم الاثنين، حين اشتد الضحاء ـ وكادت الشمس تعتدل ـ لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول. قال ابن اسحاق: ورسول الله يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ـ وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة ـ فأقام بها بقية ربيع الأول ـ وشهر ربيع الآخر ـ وجمادَيْن. ورجباً ـ وشعبان ـ وشهر رمضان ـ وشوالاً ـ وذا القعدة ـ وذا الحجة . . وولى تلك الحجة المشركون ـ والمحرم ثم خرج غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة ـ وقد اعتبر العام نفسه بدءاً للتاريخ الهجري ـ وأوله ١٦/١٥/ تموز ٦٢٢ (المنجد).

هَـذِهِ طَـيْبَـةٌ .. تَـرِفُ كَـمَـا الـزَّهْـرَةِ رَفَّـتْ فِـي حُـسْنِـهَـا .. فـي بَـهَـاهَـا

ضَمَّتِ الْفَرْحَةَ الْكَبِيرَةَ .. تَرْعَى بَيْنَ أَحْضَانِهَا .. بِهَا .. أَغْلاَهَا

لَـمْ تَـنَـمْ لَـيْلَـهَـا .. نَـهَـاراً تَـجَـلَّـى سَـاطِـعَ الـنُّـورِ .. مُـشْـرِقـاً بِـسَـمَـاهَـا

كُـلُّ شِـبْـرٍ مِـنْـهَـا يُـضَـاحِـكُ شِـبْـراً بَـيْـنَ سَـاحَـاتِـهَـا .. وَمِـلْءَ فِـنَـاهَـا

يَتَغَنَّى النَخِيلُ بِالنَّغَمِ الْحُلْو .. وَيَـشْـدُو نَـغْـنَـاغُـهـا بِـشَـذَاهَـا

وَنُـنَـاغِـي الْـعُـيـونَ مِـنْـهَـا الـشَّـوَاقـي اتْـبَـعَـتْ دَلْـوَهَـا طَـويـلَ رِشَـاهَـا

فَتَفَيَّأْ مِنْهَـا الـظِّـلاَلَ .. وَهَـفْـهِـفْ وَسْـطَ رَوْضَـاتِـهَـا .. وَبَـيْـنَ رُبَـاهَـا

بَدْرُ الْكُبْرَى ..

أَيُّـهَـا الْـمُـجْـتَـلِـي الْـمَـواقِـفَ .. قَـدْ حَـانَ .. عَـلَـى مَـوْعِـدِ الـنِّـضَـالِ لِـقَـاهَـا

آنَ لِـلْـحَـقِّ .. أنْ يُـثَـبِّـتَ بِـالْـحَـقِّ دِعَـامـاً لِـدَعْـوَةٍ .. أَرْسَـاهَـا[1]

آنَ لِلْكَفِّ .. لاَ تُطَاوَلُ .. أَنْ تُشْهِرَ سَيْفَ الإِسْلاَمِ .. في يُمْنَاهَا

عَـادِلاً .. بَـاتِـراً .. تَـرُدُّ بِـهِ الْـكَـيْـدَ .. وَضِـيـئَـاً لاَقَـتْ بِـهِ أَعْـدَاهَـا

قُمْ .. تَنَظَّرْ مَوَاكِبَ النَّصْرِ يَتْلُو بَعْضُهَا الْبَعْضَ .. وَاعْتَنِقْ كُبْراهَا

---

(١) الدِّعام: عماد البيت .. وارساها: ثَبَّتَها ـ وطاول: غالبه في «الطَّوْلِ» أي القدرة والعطاء والباتر: القاطع والوضيء: النظيف الْحَسَنُ .. وتنظَّر: تنظره: تأمَّله بعينه .. والمواكب: ج موكب: الجماعة ركباناً أو مشاة ـ وكانت موقعة بدر كبرى مواكب النصر الإسلامي ـ باعتبارها أول معركة كبرى ينتصر فيها الإسلام والمسلمون انتصاراً ساحقاً بعيد الصدى في الجزيرة العربية كلها ـ.

بَـيْـنَ رُوحِ عَـلِـيَّـةٍ .. وَفُـؤَادٍ خَافِقِ النَّبْضِ .. رَاوَحَا ذِكْرَاهَا

* * *

أَيُّهَا الْمُحْتَفِي بِمَا جَلَّ قَصْداً وَأَدَاءً .. مَغْنَىً سَمَتْ مَغْنَاهَا[١]

قِفْ تَطَلَّعْ لِلْمُصْطَفَى مُسْتَشِيراً صَحْبَهُ الْغُرَّ .. عَادَةً مَا قَلاَهَا

---

(١) لما أتى اخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم ـ استشار الرسول اصحابه ـ فقام أبو بكر الصديق ـ فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب، فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله ـ امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى «اذهب أنت وربُّك فقاتلا أنا هاهنا قاعدون» ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا أنا معكما مقاتلون: فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغماء لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله خيراً ـ ودعا له به ثم قال الرسول: أشيروا عليَّ أيها النّاس .. وإنما يريد الأنصار وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ـ فكان رسول الله يتخوّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم ـ فلما قال ذلك ـ قال له سعد بن مُعَاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل!! قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت ـ فنحن معك ـ فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصُبُرٌ في الحرب. صُدُق اللقاء ـ لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك ـ فسر بنا على بركة الله ـ فسر رسول الله بقول سعد، ونشَّطه ذلك، ثم قال: سيروا وابشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين ـ يعني أما العير وأما النفير قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ (الأنفال: ٧) والله لكأني انظر إلى مصارع القوم ـ يعني أماكن قتلهم ـ وهكذا كانت فاتحة بدر: مشورة ـ فإباء ـ فتصميم من الجميع.

الغر .. ج الأغر: الحَسَنُ ـ الأبيض من كل شيء ـ ما قلاها: ما أبغضها ولا تجافاها ـ والنزال في الحرب: المقابلة والمقاتلة والعَبْر مَن الوادي: ناحيته ـ وشاطئه ـ.

أَفَيَلْقَى .. عَلى النِّزَالِ .. قُرَيْشاً وَهُوَ يَعْنِي الأَنْصَارَ .. عَبْرَ حِمَاهَا؟
قِفْ .. وَحَيِّ الْمِقْدَادَ .. نَابَ عَنِ الأَهْلِ .. فَأَعْلَى إِجَابَةً أَزْجَاهَا
قَائِلاً: لِلْقِتَالِ .. حَتَّى وَلَوْ سِرْتَ لِبِرْكِ الْغِمَادِ .. حَيْثُ تَنَاهَى
إِمْضِ للَّهِ فِي سَبِيلِكَ .. لَسْنَا قَوْمَ مُوسَى .. فِي قَالَةٍ نَأْبَاهَا
حِينَ قَالُوا: إِذْهَبْ وَرَبُّكَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ لَنْ نَصْلاهَا
ثُمَّ حَيِّ سَعْداً.. وَقَدْ أَحْسَنَ الْكَلِمَةَ .. زَكَّى الْمِقْدَادَ .. إِذْ زَكَّاهَا
تِلْكُمُ .. تِلْكُمْ: فَوَاتِحُ بَدْرٍ فِي إِبَاهَا .. أَهْدَتْ لَهَا عُقْبَاهَا

* * *

إِنَّ بَدْراً أَسْمَى مِنَ الْجَهْدِ قَوْلاً وَمِنَ السَّرْدِ .. مُغْفِلاً أَمْدَاهَا[1]
إِنَّهَا الْبَابُ .. وَاسِعاً .. وَعَرِيضاً نَحْوَ دَارٍ فِي الْخُلْدِ جَلَّ سُمَاهَا
فَشَبَاةُ الْيَرَاعِ تَعْجِزُ عَنْهَا إِنْ أَرَادَتْ صِيَاغَةً لِرُؤَاهَا
إِنَّهَا النَّصْرُ: مَوْكِباً .. وَجَمَالاً وَجَلاَلاً .. وَقُدْرَةً .. فِي عُلاَهَا
فَلْيَكُنْ يَوْمُهَا فَرِيداً .. وَحِيداً فِي حَيَاةِ الْيَرَاعِ .. قَدْ حَيَّاهَا

---

(١) الواقع أن معركة بدر الكبرى تجل عن السرد المجرد لما تضمنته من معاني سامية ـ ومن خلفيات بعيدة الأثر والمدى ـ سواء بالنسبة لحيثياتها العالية ـ أو لما ترتب عليها ـ وكلها بحاجة إلى استقصاء .. واستعراض .. وتصوير يعلو عن السرد اللفظي المجرّد.. ارتقاء إلى صوره التي لا بد وأن تجتليها الصور الشعرية في امتدادات بعيدة الآفاق ـ رفيعتها ـ لا تقيدها الحرفيات .. ولا تضيق بها المفاهيم فيما تتعدى كيانها التاريخي أو الكلامي .. وهي بذلك كله ـ وبسواه من المعاني التي تمثلت فيها ـ واشتملت عليها تحتاج إلى إفراد واستقلال واختصاص .. نرجو أن يوفق لهذا العمل من يقوى عليه ـ في تمكّن ـ وشاعرية واستيعاب ـ.

رُبَّمَا .. رُبَّمَا تَجَرَّأَ يَوْمَاً مُسْتَمِدًّا مِنْهَا الْقُوَى .. فَاجْتَلاَهَا

* * *

مَوْكِبُ النَّصْر ..

أَيُّهَا الرَّائِدُ الْمُهَلِّلُ لِلْيَوْمِ كَبِيراً .. لِلَّهِ نَصَّ الْجِبَاهَا[1]

مِنْ رِجَالٍ يَسْعَوْنَ لِلمَوْتِ .. لِلْجِنَّة عُظْمَى .. قَدْ طَالَعَتْهُمْ رُؤَاها

يَتَنَادَوْنَ لِلشَّهَادَةِ .. عُقْبَى قَدْ رَجَوْهَا .. وَأَسْرَفُوا فِي رَجَاهَا

قِفْ .. تأَمَّلْ .. عِنْدَ اللِّقَاءِ .. عُمَيْراً يَوْمَ بَدْرٍ .. في صَلْيِها ..وَصَلاَهَا

عِنْدَمَا حَرَّضَ الرَّسُولُ عَلَى الْحَرْب .. صِحَاباً .. لَمْ يُخْلَقُوا لِسِوَاهَا

قَائِلاً: وَالَّذِي بِكَفَّيهِ نَفْسي سَوْفَ يَأْتِي .. عَدْنَاً وَمَا اسْمَاهَا

---

(١) نصَّ: رفع ـ واظهر .. والصَّلْيُ: الشيءُ والاحتراق ـ والصِّلاءُ: النار أو العظيم منها، وحرَّض على الأمر: حثَّ عليه ـ وعدن: جنة عدن ـ وأصل ذلك من عَدَن البلد ـ أي توطَّنه، وصابر فلاناً: غالبه في الصبر ـ وِجَاهاً: مقابلة ـ وجهاً لوجه .. والنائي: البعيد ـ والمدبر: من جعل الشيء وراءه من الدُّبْر ج أدبار: وهو من كل شيء: مؤخره ـ وعقبه ـ وَبَخ: اسم فعل معناه: عَظُم الأمر ـ وفَخُم. يكون للرضى والإعجاب ويكرر للمبالغة فيقال: بخٍ ـ بَخٍ ـ وَشَعُوب: علم لِلْمَنِيَّةِ «الموت» وهو اسم غير منصرف ـ وسلَّها: اخرجها ـ وانتزعها ـ من نواها: ومفردها النواة .. والنوى ج نواة التمر: أي حبُّه ـ وبزرته ـ وعمير: هو عُمَيرُ بنُ الحُمَام ـ أخو بني سلمة ـ وموقفه هو: خرج رسول الله إلى الناس يوم بدر يحرضهم ـ وقال: والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقْتَلُ صابراً مُحتسباً ـ مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ـ فقال عمير بن الحمام. وفي يده تمرات يأكلهن. بخٍ ـ بخٍ. فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ـ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قُتل .. وفي موقف عمير هذا: مثل رائع من الأمثلة الرائعة يوم بدر.

كُلُّ مَنْ صَابَرَ الْقِتَالَ .. وِجَاهاً غَيْرَ نَاءٍ .. أَوْ مُدْبِرٍ جَافَاهَا

كَيْفَ صَاحَ الْمُصْغِي إِلَيْهِ .. عُمَيْرٌ إِنَّنِي الْيَوْمَ لِلْفِدَاءِ .. فِدَاهَا

فَبَخٍ .. يَا شَعُوبُ .. إِنِّيَ آتٍ وَبَخٍ .. بِالْجِنَانِ .. مَا أَزْهَاهَا

ثُمَّ أَلْقَى مِنْ كَفِّهِ تَمَرَاتٍ حَالِيَاتٍ مَا سَلَّهَا مِنْ نَوَاهَا

آخِذاً سَيْفَهُ .. يَهُدُّ بِهِ الْقَوْمَ .. شَهِيداً .. فِي بَسْمَةٍ يَرْضَاهَا

إِنَّهُ لِلْمِثَالِ .. فِي يَوْمِ بَدْرٍ مَثَلٌ وَاحِدٌ .. سَمَا لِعُلاَهَا

***

قِفْ .. تَأَمَّلْ خَيْرَ الأَنَام .. وَقَدْ عَدَّلَ خَيْرَ الصُّفُوف .. يَرْجُو اسْتِوَاهَا[1]

---

(١) القِدْحُ: بكسر القاف وسكون الدال: السهم قبل أن يُنْصَلَ وَيُرَاشُ ـ أي قبل أن يوضع له وفيه النصل.. وهو حديدة السهم فربُّ الصفوف من سوَّاها: أي أن صاحب أو مالك الصفوف من عدلها وتحكم فيها.. واقدني: أي أعطني من نفسك القَوَدَ «أي القصاص» وسواد .. بالتخفيف ـ أو بتشديد الواو في آخر ـ هو سَوَاد بن غزية، حليف بني عديّ بن النجار ـ وموقفه: إن رسول الله عدَّل صفوفه يوم بدر .. وفي يده قِدْحٌ يعدِّل به القوم ـ فمر بِسَواد بن غزية ـ وهو متقدِّم من الصف ـ فطعنه في بطنه بالقدح ـ وقال: استو يا سَوَاءُ ـ فقال يا رسول الله أوجعتني ـ وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني.. فكشف الرسول عن بطنه وقال: استقد أي خذ حقك مني واقتص.. فما كان من سواد إلا أن اعتنق الرسول وقبل بطنه ـ فقال له الرسول: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله. حضر ما ترى .. أي القتال الذي هو مظنة الاستشهاد والموت .. فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك ـ فدعا له رسول الله ﷺ بخير ـ وفي موقف رسول الله ﷺ من موقف سواد .. معنى كبير من معاني العدل الواضح الصريح ـ كما أن فيه ضرباً عالياً من ضروب المساواة.. ومن سواد مدى الحب العميق للرسول ـ ومكان الإيمان الخالص من نفس المؤمن الصادق ـ إلى غير ذلك من المعاني النبيلة النادرة .. وذلك الموقف يعطي مثلاً من أمثال روح بدر الكبرى.

حِينَمَا قَدْ أَصَابَ بِالْقِدْحِ بَطْناً لِسَوَادٍ .. فِي طَعْنَةٍ جَلاَّهَا

قَائِلاً: يَا سَوَادُ .. سَوِّ لَنَا الصَّفَّ .. فَرَبُّ الصُّفُوفِ مَنْ سَوَّاهَا

فَتَرَنَّى .. وَقَالَ: قَدْ جِئْتَ بِالْعَدْلِ رَسُولاً لِلْحَقِّ .. تُعْلِيهِ جَاهَا

أَنْتَ أَوْجَعْتَنِي .. فَهَيَّا أَقِدْنِي !! الآنَ تَجْرِي عَدَالَةٌ مَجْرَاهَا

فَاسْتَجَابَ الرَّسُولُ .. فَاعْتَنَقَ الْفَارِسُ مِنْهُ مَا قَدْ بَدَا لاَ يُضَاهَى

قَائِلاً: هَذِهِ الشَّهَادَةُ حَانَتْ فَلأُقَبِّلْهُ غَالِياً .. أَغْلاَهَا

وَلْيَكُنْ فِي النِّضَالِ آخِرَ عَهْدِي مسَّ جِلْدِي جِلْداً .. فَلاَ أَشْبَاهَا

هَذِه: لِلْوَفَاءِ .. لِلْحُبِّ لِلْعَدْلِ .. لِبَدْرٍ .. رُوحٌ أَنَافَتْ ذُرَاهَا

* * *

أَيُّهَا الْمُجْتَبِي الْمَوَاقِفَ .. يَستَنْبِطُ مِنْهَا .. مِنْ خَيْرِهَا مَغْزَاهَا[١]

قِفْ .. تَبَصَّرْ رَأْيَ الْحُبَاب صَرِيحاً صَائِبَ الْقَصْدِ .. فِطْنَةً .. وَنَبَاهَا[٢]

---

(١) المجتبى من اجتبى: أي اختار ـ واصطفى ـ ويستنبط من استنبط الشيء: أي أظهره بعد خفاء ـ أو اخترعه ـ واستنبط من فلان خيراً: أي استخرجه.

(٢) تبصَّرْ: تَبصَّرَ الشيء: استقصى النظر فيه ـ وتبصَّر في الشيء: تأمَّلَ .. والفطنة: الفهم والحِذْق والمنزل .. بكسر الزاي: مكان النزول ـ والمنزَلْ بفتح الزاي أي المنزل من عند الله ـ وميزات الشيء: فضائله على غيره وينهض: يقوم ـ ويسرع والحُبَابُ: هو الحُبَابُ بن المُنْذِرِ بن الجَموح .. وموقفه: إن قريشاً حين نزلت بالعُدوة القصوى ـ أي جانب الوادي البعيد عن المدينة ـ خلف العقنقل وبطن الوادي ـ والآبار القديمة ببدرة في العدوة الدنيا ـ ونزلت المطر فلبدت الأرض خرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به ـ فقال له الحباب يا رسول الله .. أرأيت هذا المنزل .. أمنزلاً أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال الرسول بل هو الرأي والحرب والمكيدة .. فقال يا رسول الله «فإنَّ =

حِينَمَا قَالَ لِلْرَّسُولِ .. أَهَذَا مَنْزِلٌ مُنْزَلٌ .. فَلَيْسَ يُبَاهَى؟
أَمْ هُوَ الرَّأْيُ .. وَالْمَكِيدَةُ .. وَالْحَرْبُ؟؟ تَرَاهُ .. فِي أَمْرِهِ .. إِذْ تَرَاهَا؟
فَأَجَابَ الرَّسُولُ: ذَلِكَ مِنِّي رَأْيُ حَرْبٍ لِلْحَرْبِ .. لاَ لِسِوَاهَا
فَأَشَارَ الْحُبَابُ بِالْمَنْزِلِ الأَفْضَلِ .. أَبْدَى مِيزَاتِهِ .. وَجَلاَهَا
فَاسْتَجَابَ النَّبِيُّ .. يَنْهَضُ بِالْقَوْمِ لِمَا حَدَّدَ الْحُبَابُ اتِّجَاهَا
هَذِهِ .. هَذِهِ الْمَشُورَةُ .. لَبَّى قَائِدُ الْحَرْبِ .. مِنْ سِوَاهُ .. نِدَاهَا
إِنَّهَا .. لِلْمَدَى الطَّوِيلِ .. لِبَدْرٍ مَثَلٌ نَادِرٌ .. أَعَزَّ مَدَاهَا

***

.. أَيُّهَا الْمُصْطَفِي مَرَائِيَ حُبٍّ دُونَهَا الْحُبُّ .. فِي رَقِيقِ صَفَاهَا
قُمْ .. تَنَظَّرْ سَعْداً .. وَقَدْ مَدَّتِ الْحَرْبُ بِبَدْرٍ .. أَنْيَابَهَا .. وَلَهَاهَا
رَانِياً .. قَائِلاً .. يَذُوبُ حَنَاناً وَوَفَاءً .. أَغْلَى الْمُرُءَةَ: جَاهَا
يَا نَبِيَّ اللَّهِ الْمُمَجَّدِ فِي الْكَوْنِ .. تَعَالَتْ آلأُوهُ فِي عَطَاهَا
أَفَنَبْنِي لَكَ الْعَرِيشَ .. كَمَا الظُّلَّةِ .. تَأْوِي لِفَيْئِهَا .. لِذَرَاهَا؟
وَنُعِدُّ .. الآنَ .. الرَّكَائِبَ .. تَبْقَى حِينَ نَلْقَى عَدُوَّنَا .. مَن تَبَاهَى؟

= هذا ليس بمنزل» .. فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم ـ فننزله .. ثم نغوِّر ما وراءه من القُلب «الآبار» ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون!! فقال الرسول: لقد أشرت بالرأي ـ فنهض الرسول ومن معه من الناس ـ إلى حيث رأى الحباب ـ وفعلوا ما نصح به .. وهذا مثل نادر يضربه القائد الأعظم ﷺ لكل قائد أو رئيس ألا يحتقر مشورة من دونه ـ بل يأخذ بها ما دامت صواباً ـ وهو بالتالي من أمثلة بدر النادرة والتي هي جزء من أجزاء النصر.

فَـإِذَا مَـا أَعَـزَّنَـا الـلَّـهُ بِـالـنَّـصْـرِ .. فَـخَـيْـراً!! أَوْ إِنْ أَتَـتْ أُخْـرَاهَـا؟

فَـوَرَانَـا قَـوْمٌ أَكَـنُّـوا لَـكَ الْـحُـبَّ؟ فَـأَصْـغَـى سَـعْـدٌ .. وَوَافَـقَ طَـاهَـا

إِنَّـهَـا .. إِنَّـهَـا رِوَايَـةُ حَـبٍّ رَجَّـعَـتْـهَـا بَـدْرٌ .. فَـطَـابَ صَـدَاهَـا

* * *

قُـمْ .. تَـفَـيَّأْ مِنْـهَـا الْـجَـوَانِـبَ خَـضْـرَاءَ .. أَرَنَّـتْ فِـي سَـاحِـهَـا أَصْـدَاهَـا[1]

يَـتَـنَـادَى بِـهَـا الـرِّجَـالُ .. رِجَـالاً أَخْـلَـصُـوا الـلَّـهَ طَـاعَـةً .. يَـرْضَـاهَـا

يَـهْـبُـرُون الْـقَـوْمَ الْـعُـتَـاةَ .. تَـوَلَّـوْا فِـي انْـحِـسَـارِ الأَمْـوَاجِ بَـانَ غُـثَـاهَـا

---

(١) تَنْظر .. تَنَظَّرَهُ: تأمّله: بعينه، وأنيابها ج ناب: السن خلف الرباعية .. وَلُهَاهَا ج اللهاة: اللحمة المشرفة على سقف الحلق ـ والمراد تكشيرة الحرب ما فعلته .. والعريش: شبه الخيمة .. والبيت الذي يستظل به ـ والظُّلة: ما يستظل به من الحر أو البرد ـ وذراها ـ بفتح الذال الملجأ وكل ما استترت به والركائب ج الرَّكوبة: ما يركب من الإبل ونحوها واكنُّو: صانوا وحفظوا ورجَّع في صوته: ردده في حلقه ـ وسعد: هو سعد بن معاذ سيد الأوس وحارس العريش والحاكم في بني قريظة بحكم الله وموقفه يوم بدر: إنه أتى النبي ﷺ قائلاً: يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه .·. ونُعِدُّ عدل ركائبك .. ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوام، يا نبي الله ـ ما نحن بأشد لك حباً منهم ـ ولو ظنوا أنك تلتقي حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه الرسول، وبنى العريش فكان فيه وهذا مثل عزيز من أمثلة الحب ـ والتقدير الكبير للدعوة في شخص الرسول. والنظرة البعيدة عليها الواقع العديد الاحتمالات ـ وهو من أمثلة بدر الغالية النادرة ـ تفيأ: تظلّل. وارنت: ترددت وأصغت .. وأصداها ج صدى: رجع الصوت، هبر بالسيف قطع.. والعتاة ج عَتِّي: المتجبر المتجاوز الحد. انحسار الأمواج ـ انكشافها ورجوعها للشاطئ والغثاء: الزَّبد الملقى منها ـ وتسجَّى تغطَّى ـ وتحامى: تباعد ـ وتجنَّب أن يكون من بين القتلى ـ بتفضيله الأسر!!

مِنْ قَتِيلٍ فَوْقَ الرِّمَالِ .. تَسَجَّى بِدِمَاهُ .. تَرْوِي طَهُورَ ثَرَاهَا
أَوْ أَسِيرٍ فِي قَبْضَةٍ .. قَدْ تَحَامَى أنْ يَكُونَ الْمَعْدُودَ مِنْ قَتْلاَهَا

* * *

تِلْكَ بَدْرٌ .. وَهَلْ يُحِيطُ بِهَا الْوَصْفُ .. تَدَنَّى .. فِي وَصْفِهِ .. أَوْ تَنَاهَى[(١)]
إنَّهَا .. فِي سِمَاتِهَا .. مَوْكِبُ النَّصْرِ .. تَجَلَّتْ .. فِي عِزِّهِ .. سِيمَاهَا
قَدْ أَطَافَتْ بِهَا الْمَلاَئِكُ: فَاضَتْ فَاسْتَفَاضَتْ .. بِسَحِّهَا .. أَرْجَاهَا
فَتَنَظَّرْ بِهَا الْمَآقِيَ .. شَكْرَى بِدُمُوعِ الشُّكْرَانِ تُزْجِي ثَنَاهَا
ذَاكِراً مَوْقِفَ النَّبِيِّ يُنَاجِي رَبَّهُ .. سَائِلاً لَهَا مَا أَتَاهَا[(٢)]

---

(١) تدنَّى: دنا قليلاً قليلاً ـ يقال «بعيد يتدنَّى خير من قريب يتبعَّد». وتناهى: بلغ النهاية ـ وسماتها: علاماتها ـ وسيماها: علامتها ـ هيئتها ـ والسَّحُّ: العب الغزير المتتابع. والمآقِي: مجرى الدمع من العين أي من طرفها مما يلي الأنف وشكرى: ملأى بالدمع ـ والشكران: الثناء على ما أولي من المعروف وتزجي: تقوِّم والظلة: ما يستظل به من الحر أو البرد ـ والكثيب: التَّلُّ من الرمل والوساد: المخدَّة .. والمهاد: الفراش والقليب: البئر ـ وقبل البئر القديمة لأنه قلب ترابها .. تذكَّر وتؤنث ..

(٢) قال ابن إسحاق: ثم عدَّل رسول اللهِ الصفوف ـ ورجع إلى العريش فدخله ـ ومعه فيه أبو بكر الصديق ـ ليس معه فيه غيره .. ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النَّصْر، ويقول فيما يقول «اللَّهم إن تهْلِك هذه العِصابَةُ اليوم لا تعبد ـ وأبو بكر يقول يا نبيَّ الله، بعضَ مناشدتك ربك. فإنَّ الله منجز لك ما وعدك .. وقال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله أخذ حفنة من الحصباء. فاستقبل قريشاً بها. ثم قال .. شاهت الوجوه ـ ثم نفحهم بها .. وأمر أصحابه فقال: شدُّوا .. فكانت الهزيمة ـ فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش. وأسر من أسر من أشرافهم. فلما وضع القوم أيديهم يأسرون، والرسول في العريش ـ وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه الرسول. موشح السيف. في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ـ يخافون عليه كرة العدو ـ ورأى الرسول في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس قال .. والله =

فِي عَرِيشٍ أَعْلَى الْمَقَامَ بِبَدْرٍ   قَدْ أَظَلَّتْهُ ظُلَّةٌ .. لَنْ تَرَاهَا
فِي كَثِيبٍ أَغْلَى التُّرَابَ .. وسَاداً   وَمِهَاداً .. نَامَتْ بِهِ شُهَدَاهَا
فِي قَلِيبٍ لَمَّ الثَّرَى فِيهِ مَا لَمَّ:   رُؤُوساً لِلْكُفْرِ .. طَالَ اعْتِدَاهَا

* * *

يَا مُثِيراً .. بِالشُّكْرِ .. بِالذِّكْرِ حُلْواً رُوحَ بَدْرٍ .. فِيمَنْ رَجا عَلْيَاهَا
قُلْ لِمَنْ طَهَّرَ الْفُؤَادَ .. يَقِيناً   وَاقْتِدَاءً .. وَصَبْوَةً مَا سَلاَهَا
قُمْ .. تَمَثَّلْ فِيهَا الْفِدَاءَ تَعَالَى   عَنْ مَثِيلٍ قَدْ عَزَّ فِيمَا عَدَاهَا
قَصُرَ الأَمْسُ حَافِلاً .. قَصَّرَ الْيَوْمُ   حَفِيلاً عَنْ أَنْ تَرَى شَرْوَاهَا
فَتَأَمَّلْ فِيهَا .. فَفِيهَا كَثِيرٌ   مِنْ مَعَانِي الإِيمَانِ .. جَلَّ زُهَاهَا
إِنَّ بَدْراً هِيَ الْجَزِيرَةُ: رُوحاً   نَصَّ إِسْلاَمَهَا .. وَأَعْلَى ذُرَاهَا

* * *

= لكأنَّك يا سعد تكره ما يصنع القوم «أي الأسر». قال سعد: «أجل.. والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك. فكان الإثخان في القتل أحب إليَّ من استبقاء الرجال». وقد جاء القرآن بما وقع في قلب سعد رضي الله عنه قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الأنفال: ٦٧) وقد دفن شهداء بدر في الكثيب ـ حيث مقرهم المسوّر ببدر اليوم..
كما ألقي في القليب قتلى بدر من المشركين: واصطحب المسلمون الأسرى منهم إلى المدينة ومعركة بدر هي فاتحة الإسلام الكبرى .. وقد كان تأثيرها في الجزيرة العربية أجل من الذكر ـ.

الْبَرَاقِعُ السُّود . .

أَيُّهَا الرَّائِدُ الْمُكَبِّرُ . . قَدْ جَالَ . . وَمَا زَالَ . . بِالدُّرُوبِ اقْتَفَاهَا[١]
لَسْتُ مِنْهَا بِبَالِغ كُلَّ مَا رَقَّ . . وَمَا دَقَّ فِي ضَمِيرِ خَفَاهَا
فَأَرْضَ بِاللَّمْحِ خَاطِفاً . . وَتَلَبَّثْ حَيْثُمَا أنْتِ . . قَاطِفاً مِنْ جَنَاهَا
تَارِكاً لِلْخَيَالِ . . قَدْ لاَحَ لِلْعَابِرِ فيهَا . . مَعْنَى السُّطُور . . قَرَاهَا
ذَاكِراً . . وَالْوَجِيفُ يَعْتَصِرُ الْقَلْبَ أَشَمَّا . أطَلَّ فَوْقَ رُبَاهَا
إِنَّهُ . . فِي جَلاَلِهِ . . أُحُدُ الْحِكْمَةُ مَغْزَىً . . لا تَنْتَهِي مَغْزاهَا[٢]

---

(١) الرائد: المتقدم بسبق القوم ممهداً لهم مكان نزولهم ـ أو مكتشفاً ذاهباً جائياً ما يبحث عنه، الضمير: المخفي. ما في الباطن واللمح: اختلاس النظر . . والخطف: الاستلاب بسرعة وتلبَّث: توقف ـ والعابر: المار المجتاز من غير وقوف ولا إقامة والوجيف: خفقان القلب واضطرابه ـ والأشم: ذو الأنفة ـ والمقصود به هنا جبل أُحُد.

(٢) والغرض من البيت أن أحداً ـ أي معركة أحد ـ والتي انهزم فيها المسلمون ـ هي الحكمة في مغزاها ومضمونها لما اشتملت عليه من عبر ـ ودلالات بعيدة القدر فيما دلت ـ أو آلت إليه ـ.

السِّجال: في الحرب: تارة لهم ـ وتارة عليهم ـ والحافز: المحرك ـ والحاث ـ والدافع والقصاص الجزاء على الذنب ـ وإن يفعل بالفاعل مثل ما فعل ـ وفشل: ضعف وتراخى وجبن عند حرب أو شدة ـ وفي عمله: خاب ـ ولم ينجح فيه ـ والفادح: الصعب ـ المُثْقِل . . والفادحة: المصيبة الشديدة. وفوادح الدهر: خُطوبُه والكهف: هو كالبيت المنقور في الجبل ـ إذا صغر ـ فهو الغار ـ الملجأ . . والضَّلَّة: المرة من ضل: ضد اهتدى ـ الحيرة ـ الغيبوبة في طلب خيرٍ أو شر ـ والمآل: المرجع ـ والحِجّى: ج أحجاء: العقل ـ والفطنة ـ.

ولقد ذكر ابن القيم الإمام جملة من الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أُحد ـ فقال في الزاد ما نصه «فمنها تعريفُهم بسوء عاقبة الفشل والمعصية والتنازع ـ» وإن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك. ومنها أن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت =

حَيْثُ فيهَا مَعْنَى السِّجَالِ رَفِيعاً حَافِزاً لِلْقِصَاصِ .. فيما تَلاَهَا
وَمَهَاوِي عَوَاقِبِ الْفَشَلِ الْفَادحِ عُقْبَى .. مَحْمُودَةٌ مُنْتَهَاهَا
وَسُقُوطُ الْبَرَاقِعِ السُّودِ عَنْ أَهْلِ نِفَاقٍ عَاشُوا طَوِيلاً وَرَاهَا
وَاجْتِذَابٌ لِلنَّفْسِ .. أَحْسَنَتِ الظَّنَّ .. فَنَامَت في كَهْفِهِ عَيْنَاهَا
ضَلَّةً عَنْ مَآلِهَا .. يَوْمَ يَرْتَدُّ إِلَيْهَا .. رَهْنَ الصَّوَابِ حِجَاهَا

الطَّعْنَة ..

إِنَّهُ .. فِي عِظَاتِهِ .. أُحُدُ: النَّصْرُ .. تَرَدَّى هَزِيمَةً .. قَدْ أَبَاهَا[١]
لَعْلَعَتْ بِالنُّفُوسِ فَرْحَى بِمَا لاَحَ مِنَ الْفَوْزِ .. زَعْزَعَتْ مَنْ عَدَاهَا

= بأن يُدالُوا مرة ويُدال عليهم أخرى لكي يكون لهم العاقبة. ومنها أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب. فأطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة وتكلموا بما كانوا يكتمونه ـ وهذا ما عنيناه بسقوط البراقع السود ـ ومنها استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء وفيما يحبون وما يكرهون. ومنها أنه سبحانه لو نصرهم دائماً في كل موطن لطغت نفوسهم وشمخت» ومنها الشهادة. ومنها الامتحان بالكسرة والهزيمة .. الخ.

(١) العظاة ج العظة: كلام الواعظ ـ الناصح المذكِّر .. تردَّى: سقط وهلك، لعلع: الرَّعْدُ: صوت ـ والسراب: تلألأ ـ وزعزع: قلقل وحرّك ـ الغنائم: ما يؤخذ من المحاربين عنوةً .. والسراب: ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء تنعكس فيه البيوت والأشجار ـ ويضرب به المثل في الخداع ـ وكان ذلك حال الرماة باعتبار الغنائم: سراب دنيا ـ والارفضاض: الذهاب ـ والتفرّق لا يستساغ: أي لم يكن سهلاً ـ ولا هيّناً ويقصم: يكسر ويهلك وأراع: أفزع .. النَّدْبُ: بكاء الميت مع تعداد محاسنه ـ والنواح: البكاء على الميت بصراخ وعويل وجزع وكان السبب في هزيمة أحد بعد النصر: ترك الرماة لمواقعهم ـ مخالفين أمر الرسول .. وأمر قائدهم!!

بَيْنَ حِرْصٍ عَلَى الغَنَائِم .. لاَحَتْ كَسَرَابِ الدُّنْيَا لِمَنْ وَالاهَا
وارْفَضَاضٍ .. لاَ يُسْتَسَاغُ .. وَرَفْضٍ قَدْ تَحَدَّى أَوامراً .. قَدْ عَصَاهَا
مِنْ رُمَاةٍ .. قَدْ سَدَّدُوا .. دُونَ قَصْدٍ طَعْنَةً يَقْصِمُ الظُّهُورَ مَدَاهَا
إنَّهُ .. فِي مُصَابِهِ .. أُحُدُ: الْحُزْنُ أرَاعَ الْقُلُوبَ .. في تَقْوَاهَا
وَأَذَابَ الأَرْوَاحَ يَسْتَلُّ .. بِالْعَيْنِ .. مِنَ الْعَيْنِ .. دَمْعَهَا وَبُكَاهَا
سَاكِنَاتٍ .. لاَ تَرْفَعُ الصَّوْتَ بِالنَّدْبِ .. نُوَاحاً عَنْهُ النَّبِيُّ نَهَاهَا

* * *

الدَّمْ الْغَالي

إنَّهُ .. فِي صِيَالِهِ .. أُحُدُ الأَشْهِبُ .. يَوْمٌ رَجَّ الْعُقولَ .. طَحَاهَا[١]
سِرْ .. تَبَيَّنْ فِيهِ النَّبِيَّ .. وَقَدْ حَاطَ بِهِ الْكُفُرُ صَائِلاً .. تَيَّاهَا

---

(١) الصِّيال: المواثبة والسطو والقهر، الأشهب: الأمر الصعب ورج: هز ـ وحرَّك ـ وطحاها: ذهب بها في كل شيء وناشه: أصابه والرَّباعية: السن التي بين الثنية والناب وتندى: تسخَّى وتفضل بالقول ومنه الصوت النديّ وخضبوا: لونوه بالدماء ـ قال ابن هشام: بعد الإسناد: إن عتبة بن أبي وقَّاصٍ رمى رسول الله يومئذ ـ فكسر رباعيته اليمنى السفلى ـ وجرح شفته السفلى .. وإن عبد الله بن شهاب الزهريَّ شجه في جبهته ـ وإن ابن قَمِئَة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر فيها فجعل الدم يسيل على وجهه ـ وجعل يمسح الدم وهو يقول «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ـ ومصَّ مالك بن سناه ـ أبو أبي سعيد الخدري ـ الدم عن وجه الرسول ثم ازدرده ـ ابتلعه ـ فقال: «من مس دمه لم تصبه النار» كما أن أبا عبيدة بن الجراح .. نزع إحدى الحلقتين من وجهه ـ فسقطت ثنيته .. ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى فكان ساقط الثنيتين ..

نَاشَهُ الْقَوْمُ بِالْحِجَارَةِ .. فَانْشَجَّ .. وَسَالَتْ دِمَاهُ .. مَا أَغْلاَهَا
قَدْ أُصِيبَتْ مِنْهُ الرَّبَاعِيَةُ الْحُلْوَةُ .. ضَاءَتْ .. بِثَغْرِهَا .. شَفَتَاهَا
وَأَطَلَّتْ فِي وَجْهِهِ الشَّفَةُ الْعَذْبَةُ .. سَاحَتْ فِي الْوَجْهِ مِنْهَا دِمَاهَا
فَتَنَدَّى بِالْقَوْلِ .. يُرْسِلُهُ الْقَلْبُ .. تَنَدَّتْ كِلْمَاتُهُ بِأَسَاهَا
كَيفَ يَرْقَى؟ بَلْ كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ قَدْ أَبَاحُوا لِلْنَّفْسِ أَقْصَى مُنَاهَا؟
خَضَبُوا بِالدِّمَاءِ وَجْهَ نَبِي قَدْ دَعَاهُمْ لِرَبِّهِمْ .. مُذْ دَعَاهَا
دَعْوَةً .. مِلْؤُهَا الْعَدَالَةُ .. وَالْحَقُّ .. وَنُورُ الْفُرْقَانِ .. يَجْلُو هُدَاهَا

* * *

ذُو الْعِصَابَةِ الْحِمْرَاء ..

سِرْ .. تَتَبَّعْ مَنْ أَخْلَصُوا الْعَزْمَ للَّهِ .. قَوِيًّا بِاللَّهِ .. حيث تَنَاهَى[1]

(١) قال رسول الله ﷺ ـ يوم أُحد ـ من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال .. فأمسكه عنهم ـ حتى قام إليه ـ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بن خَرَشَة ـ أخو بني ساعدة ـ فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال إن تضرب به العدو حتى ينحني!! قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه .. فأعطاه إيَّاه ـ وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ـ إذا كانت ـ وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء، فاعتصب بها، علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يدي رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك، فعصب بها رأسه. وجعل يتبختر بين الصفين ـ وقال رسول الله حين رأى أبا دجانة يتبختر ـ إنَّها لَمِشْيَةٌ يَبْغَضُهَا اللَّهُ إلاَّ في مثل هذا الْمَوْطِن ـ وعندما أخرج عصابته الحمراء وعصب بها رأسه قالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت فخرج وهو يقول:

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفحِ .. لَدَى النَّخِيلِ
ألاَّ أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَبُولِ أَضْرِبْ بِسَيْفِ اللَّهِ والرَّسُولِ =

مَنْ أَهَابُوا . . وَأَرْهَبُوا الْخَصْم . . بِالْحَقِّ . . تَنَادَوْا يُغْلُونَهُ أَشْبَاهَا
لَمْ يُبَالُوا بِالْمَوْتِ . . قَدْ وَاجَهُوا الْمَوْتَ بِرُوحٍ عَزَّتْ . . فَعَزَّ فِدَاهَا
فَتَعَقَّبْ فِي السَّاحِ مِنْهُمْ فُحُولاً قَدْ تَعَالَتْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي سَمَاهَا
يَسْتَبِيهِمْ أَبُو دُجَانَةَ . . مَنْ صَالَ بِسَيْفِ الرَّسُولِ يُحْنِي الْجِبَاهَا
صَاحِبُ التِّيهِ . . ذُو الْعُصَابَةِ حَمْرَاءَ . . تَرَاءَتْ أَنَّي تَرَاءَى فَتَاهَا
مَنْ دَعَاهُ النَّبِيُّ . . أَسْلَمَهُ السَّيْفَ بِكَفٍّ . . لِلَّهِ مَا أَنْدَاهَا
حِينَمَا فَزَّ قَائِلاً: أَنَا أوفِيكَ . . وَأُوفِيهِ حَقَّهُ . . يَتَبَاهَى

= وقد فعل الأفاعيل ـ وكان في المشركين رجل لا يدع للمسلمين جريحاً إلاَّ ذَفف عليه ـ فقتله أبو دجانة وكاد يقتل هند بنت عتبة ـ فلما ولولت ـ وعرف أنها امرأة ـ عدل ـ وقال أكرمت سيف الرسول أن أضرب به امرأة، ومصعب: هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ـ وكان حامل لواء المسلمين ـ فلما قتل أعطى النبي اللواء لعلي بن أبي طالب ـ وكان الذي قتل مصعباً هو ابن قمئة الليثي ـ وهو يظن أنه رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش قائلاً . . قتلت محمداً . . وقد أبلى مصعب أحسن البلاء رضي الله عنه ـ كما قاتل دون النبي ﷺ وكان مصعب يقرئ في المدينة «المقرئ». وذلك إن الرسول بعثه عقب البيعة ليقرئ الأنصار القرآن ويعلمهم ويفقهم في الدين ـ وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدش ـ ابن أمامة وابن خالد سعد بن معاذ ـ وابن عوف: عبد الرحمن بن عوف ـ وسعد . . هو سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة ـ وآخى رسول الله بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ـ وهو من بعث النبي إليه من يسأل عنه ويبلغه سلامه وعليًا: هو علي بن أبي طالب ـ حامل اللوا يوم أُحد بعد موت مصعب ومن فتك بالمشركين ـ وطلحة هو طلحة بن عبيد الله أحد النفر الثمانية السابقين للإسلام ـ وقد ثبت مع الرسول يوم أُحد ووقاه من ضربة قصد بها إليه فشلّت يده فقال النبي ﷺ «أوجب طلحة» أي فعل ما يستوجب الجنة ـ وابن عوف: هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف أحد النفر الثمانية السابقين للإسلام. والزبير: هو الزبير بن العوام ابن خويلد ـ وكلاهما من أصحاب المواقف الإسلامية الخالدة ـ وممن قاتلوا بصدق ودافعوا عن الرسول يوم أُحد.

مُسْتَعِزًّا بِالسَّيْفِ .. شَرَّفَهُ السَّيْفُ مُهِدًّا بِهِ الصُّفُوفَ .. جَلاَهَا

ذَاكِراً صَاحِبَ اللِّوَاءِ .. شَهِيداً مُصْعَباً .. فِي الزِّحَامِ .. شَابَهَ طَاهَا

وَابْنَ عَوْفٍ .. وَابْنَ الرَّبِيعِ أَخَاهُ مَنْ أَتَتْهُ خَيْرُ التَّحَايَا اجْتَبَاهَا

وَعَلِيًّا .. وَطَلْحَةَ .. وَابْنَ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرَ الْمِقْدَامَ مَنْ أَحْمَاهَا

الْجَمَلُ الأَوْرَق ..

قُمْ .. تَنَظَّر .. لَمْ تُخْطِهِ الْعَيْنُ .. مَنْ صَالَ .. وَأَغْلَى سُوقَ الْوَغَى وَرَدَاهَا[١]

---

(١) لما تهيأت قريش لأُحد .. دعا جبير بن مطعم غلاماً حبشياً له يقال له «وحشي» يقذف بحربة له قذف الحبشة قلّما يخطئ ـ فقال له: اخرج مع الناس ـ فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمِّي طعيمة بن عدِي ـ فأنت عتيق ـ وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشي أو مر بها قالت: وَيْهاً أبا رَسْمةَ اشف واستشف لأن حمزة هو الذي قتل أباها عتْبة يوم بدر ـ حيث قتل أيضاً أخوها الوليد بن عتبة. وعمها شيبة ـ وولدها حنظل وبه كان يكنى زوجها أبو سفيان ـ ويصف وحشي قتله حمزة بقوله: لما التقى الناس خرجت انظر حمزة وأتبصره حتى رأيته في عرض الناس مثل «الجمل الأورق» أي الذي لونه لون الرماد ـ يهد الناس بسيفه هداً ـ ما يقوم له شيء فوالله إنِّي لأتهيأ له ـ أريده واستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني ـ إذ تقدّم إليه سباع بن عبد العزّى ـ فلما رآه حمزة قال «هلمّ إليّ يا بن مقطعة البظور .. وكانت أمه أم أنمار ختانة بمكة. فلما التقيا ضربه حمزة فقتله. قال: وهززت حربتي ـ حتى إذا رضيت عنها ـ دفعتها عليه ـ فوقعت في ثُنَّتِهِ (ما بين السرَّةِ والعانة) حتى خرجت من بين رجليه ـ فأقبل نحوي ـ فغُلبَ فوقع ـ وأمهلته حتى مات جئت فأخذت حربتي ـ ثم تنحيت إلى المعسكر ـ ولم تكن لي بشيء حاجة غيره!! وإنما قتلته لأعتق ـ فلما قدمت لمكة أعتقت ـ هذا ـ وقد جاءت هند. عن كبد حمزة فبقرت فلم تستطع أن تسيغها ـ فلفظتها ـ ثم علّت على صخرة مشرفة ـ فصرخت تقول: نَحْنُ جَزَيْنَاهُم بِيوْمِ بَدْرْ والحرب بعد الحرب: ذات سِعْر ـ الخ ـ وقد أجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب وقالت: خَزَيت في بَدْرِ وَبَعْدَ بَدْرِ يَا بِنْتَ وقَّاعِ عظيم الكُفرِ ـ الخ ـ ولما وقف الرسول على حمزة قال: لن أصاب بمثلك أبداً».

حَمْزَةٌ . . حَمْزَةٌ . كَمَا الْجَمَلِ الأَوْرَقِ . . دَانَتْ لِخَطْوِهِ . . غَبْرَاهَا
مِثْلَمَا قَدْ رَآهُ قَاتِلُهُ الأَسْوَدُ وَحْشِي . . فِي هَيئَةٍ يَخْشَاهَا
مَنْ نَصَاهُ . . لَمْ يَأْتِ إلاَّ إلَيْهِ فَاجْتَلاهُ . . بِحَرْبَةٍ قَدْ جَلاَهَا
فَانْهَوى الْفَحْلُ لَمْ يُقَابِلْهُ فَحْلٌ إذْ يُرَازِيهِ وِجْهَةً . . وَوِجَاهَا
فَتَجَارَوْا إلَيْهِ . . مِثْلَ كِلاَبِ الصَّيْدِ . . نَهْشاً لَلصَّقْرِ أَطْبَقَ فَاهَا
بَقَرُوا بَطْنَهُ . . فَلاَكَتْ مِنَ الْحُرَقَةِ هِنْدٌ . . مَا سَاغَ . . كَبْداً زَرَاهَا
إنَّهُ: رَغْمَ أنْفِ مَنْ جَدَعُوا الأَنْفَ . . وَبَاهَوْا بالْخِزْيِ هَانَ وَشَاهَا
أَسَدُ اللَّهِ . . والرَّسُولِ . . وَسَيْفٌ قَدْ جَلَتْهُ . . لَدَى الْوَغَى . . جُلاَّهَا
قَدْ بَكَتْهُ الْقُلُوبُ . . لَمْ تُمْسِكِ الدَّمْعَةَ عَنْهُ . . فِي صُبْحِهَا . . فِي مَسَاهَا

* * *

سَيِّدَةُ الْفِدَاءُ . .

أَيُّهَا الْمُجْتَلي الْمَوَاقِفَ خَطْباً عَزَّ . . مِنْهُ . . فِيهَا جَمِيلُ عَزَاهَا[١]

---

(١) الخطب: الأمر صغر أو عظم . . وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه ـ الشأن العظيم وخلص: إلى المكان: وصل والدراري: الكوكب الدري: الثاقب المضيء كالدر وترّسو مواليه: الترس ـ صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه ـ توقى بهم التفاف: التف عليه القوم . . تجمَّعوا وتكاتفوا اكتناف: اكتنف القوم فلاناً . . أحاطوا به تفرّد: بالأمر: كان فيه فرداً لا نظير له. . السامق: الطويل المرتفع ـ سِقَاها: السِّقَاءُ: وعاء من جلد للماء واللبن ونحوهما ـ الضماد: الخرقة أو العصابة يشد بها العضو المجروح، القرين: الزوج ـ العشير ـ السماكان كوكبان . . الرَّامح . . والأعزل ـ ما رفع به الشيء ونَسِيبةُ: هي نَسِيبة بنت كعب المازينة . . وكنيتها أم عُمَاره . . =

سِرْ . . تَخطَّ الصُّفُوفَ واخلُصْ إليْهِ مِثْلَ بَدْرٍ بَيْنَ الدَراري احتْبَاهَا
تَجِدِ الصَّحْبَ كَالأَسَاوِرِ حَاطَتْ مِعْصَماً أَكْسَبَ الْحُليَّ حَلاَهَا
حَلَّقُوا . . تَرَّسُوا حَوَالَيْهِ . . بِالأَنْفُسِ تَفْدِي أَغْلَى الْمُنَى مِنْ مُنَاهَا
في الْتِفَافٍ . . لَهُ الرِّجَالُ تَنَادَتْ فَتَوَالَتْ . . قَدْ جلَّ صَوْتُ نِدَاهَا
في اكْتِنَافٍ . . بِهِ نَسِيبَةُ أَعْلَتْ سَيِّدَاتِ الإِسْلاَمِ: قَدْراً . . وَجَاهَا
في افْتِدَاءٍ . . تَفَرَّدَتْ فِيهِ مَعْنَىً سَامِقاً . . عَالِياً . . أَعَزَّ فِدَاهَا
خَرَجَتْ لِلصُّفُوفِ . . تَسْقِي وَتَرْوِي خَلْفَهَا . . كُلَّ ظَامِئٍ . . مِنْ سِقَاهَا
وَتُدَاوِي . . بِمَا أَعَدَّتْ . . جِراحاً شَفِيَتْ . . مِنْ ضِمَادِهَا . . جَرْحَاهَا
فَإِذَا الأُمُّ وَالْقَرِينُ سَوَاءٌ في التَلاَقي . . تَلاَهُمَا إِبْنَاهَا
قَدْ أَحَاطُوا الرَّسُولَ فِيمَنْ أَحَاطُوهُ . . فَأَعْلَوَا فَوْقَ السِّمَاكِ الْجِبَاهَا

= وموقفها: ذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري: إن أم سعد بنت سعد بن الربيع قالت دخلت على أم عمارة . . فقلت حدثيني خبرك يوم أحد . . فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله. والدولة والريح للمسلمين ـ أي أن كفتهم في القتال هي الراجحة . . فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس . . حتى خلصت الجراح إلي . . وقد رأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور. . أي عمق ـ فقلت من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة ـ أقمأهُ الله ـ يعني أذلَّه ـ فلقد أقبل ـ حين ولَّى الناس ـ يقول: دلُّوني على محمد، فلا نجوت إن نجا ـ فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ـ وأناس ممن ثبت مع رسول الله فضربني هذه الضربة ـ ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن كان عليه درعان ـ ويروي ابنها عبد الله: حين نظر النبي لجرح أمي على عاتقها قال: اعصب جرحها بارك الله عليكم أهل بيت كريم فقالت: ادع الله أن نرافقك في الجنة ـ قال: اللَّهم اجعلهم رفقائي في الجنة ـ فقالت: ما أبالي يا أحبائي من الدنيا ـ.

سَاءَلَتْهُ .. فِي الْخُلْدِ .. رُفْقَةَ أهْلٍ .. فَدَعَا اللَّهَ .. أنْ يُجِيبَ دُعَاهَا

* * *

نَقْرُ الْعَصَافِير ..

أيُّهَا السَّالِكُ الطَّرِيقَ .. وَمَا ضَلَّ .. عَلَى مَنْهَجِ الطَّرِيقِ فَتَاهَا[1]

حَسْبُكَ السَّيْرُ .. لاَ تُمَلُّ خُطَاهُ   فَانْهَبِ الْخَطْوَ .. طَاوِياً أمْدَاهَا

طَائِراً .. لاَ يَرِيمُ .. نَقْرَ الْعَصَافِيرِ قِطَافَ الأثْمَارِ طَابَ جَنَاهَا

فَارْمُقِ النَّصْرَ .. قَدْ تَكَلَّلَ بِالْفَتْحِ بِحَطْمِ الأصْنَامِ .. بَعْدَ اعْتِلاَهَا

وَاشْهَدِ الْعَفْوَ بِالسَّمَاحَةِ .. قَدْ جَلَّ .. وَمَرْقَى الأفْوَاجِ دِيناً هَدَاهَا

وَامْتِدَادَ الْبِنَاءِ: كَوْناً فَرِيداً   فِي حَيَاةٍ فَرِيدَةٍ .. فِي مَدَاهَا

وَاجْتِيَازَ الدُّنْيَا .. سَبِيلَ عَظِيم   أَعْظَمَ اللَّهُ سَيْرَهَا وَسُرَاهَا

---

(١) الفتح: المقصود به فتح مكة ـ وحطم الأصنام ـ قال في الزاد: ثم نهض الرسول والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه حتى دخل المسجد فأقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم طاف بالبيت وفي يده قوس وحول البيت وعليه ـ ثلثمائة وستون صنماً ـ فجعل يطعنها بالقوس ـ ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» والأصنام تتساقط على وجوهها ـ والعفو بالسماحة: تمثل في قوله عليه السلام: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» .. ومرقى الأفواج ديناً هداها ـ لوناً جديداً ـ فريداً ـ في حياة فريدة للنبي ﷺ ـ واجتياز الدنيا .. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠) .. والمجال أوسع وأكبر إن تعدد سجاياه ـ ومعجزاته ـ وأعماله العظيمة ـ وسيرته التي لا تضاهيها سيرة ـ وتعالى كون الجزيرة بالصرح: الواقع إن الإسلام وحده هو المؤثر التأثير الكلي في حياة الجزيرة العربية ونقلته أهلها النقلة الواسعة الأمداء .. حيث عزّت رسالة الإسلام دينها ـ وجعلت منها أمة بعيدة الشأن ـ في عصور ذهبية في العالم والكون.

فِي السَّجَايَا . . فِي الْمُعْجِزَاتِ . . وَمَا شِئْتَ . . انْطِلاَقاً فِي سِيرَةٍ لَنْ تُضَاهَى
فِي تَعَالِي كَوْنِ الْجَزِيرَةِ بِالصَّرْحِ . . تَعَالِي مَرْقًى . . وَعَزَّ اتِّجَاهَا
إِنَّهُ الدَّرْبُ . . فِي الْمَرَاقِي . . طَوِيلاً عَبْرَ الأَرْضِ . . صَاعِداً لِسَمَاهَا

* * *

الْقِسْمُ السَّابع ..
أَصْدَافٌ .. وَشَوَاطِئ ..

مَنَاهِجُ .. وَرِسَالَة ..
الْجَزِيرَةُ .. تقْرَأ ..
جُمْلَةٌ .. وَجَمَال ..
رَجْعُ الصَّدَى ..
أَوْبَةُ الشِّعْر ..
الرَّكْبُ .. وَالْمَوْكِب ..
أُمّةُ الشِّعْر ..
الْغَرِيبُ .. يَعُود ..
اسْتِغْرَاقٌ .. وَتَحَايَا ..
ابْتِهَالٌ ..
الْفِكْرُ .. وَالْعَصْر ..
الْبَحْرُ .. وَالْقَطْرَة ..

دُنْيَا الشَّاعِرِ . .

مَوْطِنُ الرُّوحِ . .

لِلْجَامِعَاتِ . . تَحِيَّةٍ . .

الْجَزِيرَةُ . . وَالزَّهْرَاء . .

مَنَاهِجُ . . وَرِسَالَة . .

يَا رَسُولَ السَّلاَمِ . . سَادَ بِهِ الْكَوْنُ . . فَأَعْلَى قَدْرَ الْحَضَاراتِ جَاهَا(١)

(١) استهداف صلاح الكون ـ وسعادة الإنسان ـ حلم طويل ممتد امتداد عمر البشرية ـ والطوباوية ـ أو «يوتوبيا» وهي كلمة يونانية معناها «لا مكان» نشدان للدولة المثلى تحقق السعادة للناس ـ وقد كانت وما تزال وصفاً لكل استهداف أو كتاب هذا مبحثه ـ.

سقراط: (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق.م.) فيلسوف يوناني من أثينا، ومحور فلسفته: إن هناك حقائق عقلية ثابتة يمكن استنباطها من الحالات الجزئية المتغيرة . . وإن الإنسان إذا أدرك بعقله فضيلة سلك بمقتضاها . . فالعلم والفضيلة شيء واحد لا يختلف باختلاف الأفراد. . أفلاطون: حوالى (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م.) فيلسوف يوناني . . تتلمذ على سقراط ـ يرى أن عالم الجزئيات ليس له وجود حقيقي إلا بمقدار ما يشارك في عالم المُثُلْ . . ولولا المثل لما فهم عالم المحسوسات ـ وهو صاحب «جمهورية أفلاطون» وقد رسم فيها صورة للمدينة الفاضلة ـ وله كتب تربوية أخرى . . ـ أرسطو: (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م.) فيلسوف يوناني تتلمذ على أفلاطون ـ وعلَّم الإسكندر الأكبر ـ وله كتب في الأخلاق والسياسة والخطابة والسياسة والخطابة والشعر ـ والعالم عنده أنواع وأجناس يندرج فيه الأخص تحت الأعم ـ وهو يقول بأن للعالم مبدأين أزليين هما الصورة والمادة ـ ويسمى «المعلم الأول» . . ـ وتوماس: هنري هكسلي (١٨٢٥ ـ ١٨٩٥) بيولوجي ومربي إنكليزي . . له عدة كتب في فروع علم الحيوان المختلفة عدا أبحاثه في أربعة مجلدات ـ ومقالاته ومحاضراته العامة في تسعة مجلدات . . ـ وولز: هربرت جورج (١٨٦٦ ـ ١٩٤٦) تأثر بدروس توماس هكسلي ـ درس العلم ـ ثم كتب سلسلة طويلة من القصص ذات الطابع العلمي والهادفة لإصلاح المجتمع ـ واشترك في كتابة «علم الحياة» . . ـ وبوذا: ولد حوالى (٥٦٤) وتوفي حوالي (٤٨٣ ق.م.) ومعنى اسمه في =

أَنْتَ أَسدَيْتَ لِلْخَلائِقِ أَسْنَى ... مَا رَجتْهُ .. عَلَى الزَّمَان .. دُنَاهَا
مَا تَقَرَّتْهُ فِكْرَةٌ .. فِي اعْتِقَادٍ ... مَا تَحَرَّتْهُ .. فِي اجْتِهَادٍ .. نُهَاهَا
كَيْ تَرَى الْحَقَّ .. وَالْفَضِيلَةَ .. وَالنِّعْمَة: عُقْبَى تلْقَى بِهَا سَتَرَاهَا
فِي سَبِيلِ الإنْسَانِ .. يَسْعَدُ نَفْساً ... مَوْطناً .. وَحْدَةً تَعُزُّ مُنَاهَا
فَأَنَاءَتْ بِحَمْلِهَا ظَلَّ عِبْئاً تَحْتَ ضَغْطِ الْعُقُولِ .. طَالَ ابْتِلاهَا
وَأَفَاءَتْ بِظِلِّهَا .. لاَحَ رُؤْيَا ... فِي ظِلاَلِ النُّفُوسِ .. جَلَّتْ رُؤَاهَا
وَسْطَ شَمْسِ الْيُونَانِ .. بَيْنَ أُولُمْبٍ أَوْ رَوَاقٍ .. تَقَاسَمَا رُؤْيَاهَا
مُنْذُ سُقْرَاطَ .. وَالْمُجَدِّدِ أَفْلاَطُونَ .. جَهْداً .. وَفِتْنَةً لاَقَيَاهَا
أَوْ أَرِسْطُو: مُعَلِّماً رَادَ .. مُذْ حَاوَلَ صَقْلَ النُّفُوسِ .. أَوْ إرْوَاهَا
كَأَدِيبِ السِّكْسُونِ تُومَاسَ .. مَا شَاهُ .. طَرِيقاً .. وِلْزٌ .. فَمَا أَحْرَزَاهَا
وحكيم الصِّينِ الْعَرِيقَةِ بُوذَا ... مَنْ رَآهَا زَهَادَةً .. فَارْتَضَاهَا

= اللغة السنسكريتية: «المتنور» وهو اللقب الذي أطلق على الزعيم الديني الهندي الذي أسس مذهب «البوذية» وكان والده يشغل منصب الحاكم ـ وقد نبذ حياة الترف .. وترجمت تعاليمه إلى العربية في كتاب «إنجيل بوذا» .. ـ وأوغسطين: القدس (٣٥٣ ـ ٤٣٠م.) جمع بين الثقافة اليونانية والعقيدة المسيحية ـ يرى أن الثقافة عقيمة ما لم تنضم إليها الإرادة الأخلاقية والعقيدة الدينية ـ ويرى أن السبيل إلى الخير الأسمى هو الاتحاد بالله بواسطة العقل من كتبه «الاعترافات» و «مدينة الله» .. ـ وفرنسيس: بيكن، فرنسي (١٥٦١ ـ ١٦٢٦) ويقوم على الملاحظة والتجربة ـ ويبدأ ببيان مواطن الخطأ في التفكير البشري .. أو بما يسميه الأوهام الأربعة .. وهي «أوهام الجنس» التي يقع فيها الإنسان بحكم الفطرة و «أوهام الكهف» التي يتغرر بها كل شخص بحكم تربيته ونشأته و «أوهام السوق» تنشأ عن استعمال اللغة في التفاهم .. و «أوهام المسرح» من كتبه: اطلنطس الجديدة .. الأورغانون الجديد.

أَوْ اوْغَسْطِينُ ذَلِكَ الْقَسُّ مَنْ رَامَ ارْتِقَاهَا .. يَحُومُ حَوْلَ حِمَاهَا
أَوْ فَرَنْسِيسُ بَيكُنَ .. أَدْلَى دَلْوَهُ الْحُرَّ عَالِقاً بِرِشَاهَا
سَبَقَتْهُ عَلَى الْخُطى .. سَبَقَتْهُمْ تَجْرُبَاتٌ شَتَّى .. تَحُثُّ خُطَاهَا
كُلُّهُمْ يَنْشُدُونَهَا الدَّهْرَ: طُوبَى أَوْ يُوثُوبِيَا .. مَا حَقَّقُوا طُوبَاهَا
يَا رَسُولَ الإِسْلاَمِ .. قَدْ سَجَدَ الْعَقْلُ .. مُنِيباً .. مُسْتَغْفِراً .. أَوَّاهَا[1]
حِينَمَا جِئْتَ بِالشَّرِيعَةِ لِلْعَقْلِ إِلَى النَّفْسِ مُرْسَلاً .. جَلاَّهَا
مِنْ يَنَابِيعِهَا .. لَدَى الْخَالِقِ الْفَرْدِ .. إِلَى اللَّهِ بَدْؤُهَا .. مُنْتَهَاهَا
أَنْتَ سَوَّيْتَ لِلْوَرى مَنْهَجَ الْعَدْلِ: سَمَاحاً .. وَقُوَّةً .. وَرَفَاهَا
فَتَلاَقَوْا عَلَى مَنَاهِلِكَ الْيَوْمَ .. وَأَمْساً .. وَفِي غَدٍ وَالأَهَا
يا نَبِيَّ الإِسْلاَمِ .. ضَاءَتْ بِهِ النَّفْسُ .. فَفَاءَتْ وَاسْتَشْرَفَتْ عَلْيَاهَا
فِي جَلاَلِ الْجَمَالِ .. وَالنورِ .. وَالْحَقِّ .. طَرِيقاً لِخَيْرِهَا .. لِهُدَاهَا

---

(١) ولقد جاء الدين الإسلامي بكل مبادئه ـ وتعاليمه المستمدة من الينبوعين الكبيرين .. الكتاب والسنة ـ هادياً للبشرية جمعاء ـ يستهدف الإصلاح ـ والتقويم ـ والسعادة ممثلة في مثل فاضلة ـ عليا ـ من الحق ـ للعدل ـ للمساواة ـ للعطف الإنساني المتبادل .. نابعاً ومساوقاً من الطبيعة البشرية السُمحة لا تعقيد فيها ولا التواء ـ ومتمشياً مع البساطة واليسر ـ بعيداً عن الزخرف ـ عن التجسيد ـ عن الماديات ـ ولقد سادت الكون تعاليمه ـ فازدهرت الحضارات ـ ولقطت الإنسانية في مجموعها أنفاسها ـ وأفاءت في كنفه ـ حتى لقد تبارى علي والإمام في إظهار فضائل كبار المفكرين المدركين من أمثال برنارد شو ـ وكارليل ـ وسواهما ـ وميزته الجمع بين العقل والعاطفة ـ أو القلب ـ دون تضارب ..

بَيْـنَ بَـرْدِ الـسَّـلاَمِ بَـلَّ صَـدَاهَـا وَاهْتِدَاءِ الإِسْلاَمِ . . قَدْ أَرْضَاهَا[١]

أَنْـتَ أَيْـقَـظْـتَ بِـالْـجَـزِيـرَةِ رُوحـاً قَـدْ تَـسَامَـى بِـرُوحِـهِ . . مَـرْقَـاهَـا

فَـرَعَـتْـهَـا: مَـنَـاهِـجـاً . . لاَ تُـبَـارى وَوَعَـتْـهَـا: رِسَـالَـةً . . لاَ تُـضَـاهَـى

* * *

الْجَزِيرَةُ . . تَقْرَأُ . .

يَا نَبِيَّ الْـقُـرْآنِ . . وَالْعِـلْـمِ فَـرْضـاً أَوْجَـبَـتْـهُ شَـرِيـعَـةٌ . . لَـنْ تَـبَـاهَـى[٢]

مَـطْـلَـبـاً غَـالِـيـاً . . عَـزِيـزَ الْـمَـرَاقِـي قَـدْ أَنَـأَلَ الأَكْـوَانَ أَحْـلَـى مُـنَـاهَـا

---

(١) في الأبيات الثلاثة تأكيد ـ كما هو الواقع . . إلى ما فعلته روح الإسلام في الجزيرة العربية وإيقاظ روحها . . وكذلك إلى رعايتها لما جاءها به الإسلام رعاية منقطعة النظير بما لاقاه المسلمون الأوائل فيها وما فعلوه: وإلى كل ما يدل على أنها وعت الرسالة . . تماماً وكما يجب . .

رعتها: حفظتها ـ وحفلت بها ـ والمناهج ج. منهج: الطريق الواضح . . ومنه منهج أو منهاج التعليم أو الدرس ـ لا تُبَارى: لا تُسابق ـ ولا تُعَارض ووعتها: قبلتها ـ وحفظتها ـ وتدبرتها . . والرسالة هنا: المهمة ـ والغاية بكل أسبابهما ـ ومشتملاتهما وبالأخص روح الهدفية والقصد منها . . لا تضاهي: لا تُشَاكل: ولا تشابه أو تُمَاثل . .

(٢) وحق للنبي بأن يوصف بأنه نبي القرآن ـ فالقرآن هو روح الدين الإسلامي وقاعدته الأساسية ـ باعتباره كتاب الله الكريم ـ وكلامه المنزّل على رسوله ومنه اشتق العلم المطلق والعام . . وقد وردت كلمة «العلم» في الكتاب العزيز مرات ومرات ـ كإشارة بارزة إلى قيمته وحيثية العلم العقلي والنقلي للإنسان وهناك علوم أساسية ملتصقة . . كالتفسير والفقه وعلم الحديث والواجبات والعلوم المرتبطة بحقوق الفرد والجماعة والتعامل . . وما إلى ذلك . . وإقرأ: في إيجازها اللفظي ـ وعموميتها البعيدة المدى هي المنطلق الأول والصحيح للجزيرة العربية . . والتي كان عدد القارئين فيها بالنسبة لآلافها المؤلفة ـ قبل نزول القرآن . . لا يتجاوز الأفراد مما يعطي الفكرة الحقة عن فشو الأمية وانتشارها . . الأمية الصماء ـ البكماء ـ تنزّه عنها رسول البشرية ـ.

أَنْتَ أهْدَيْتَ لِلْجزيرةِ أَغْلَى   مَا اسْتَعَزَّتْ .. بِعِزِّهِ .. دُنْيَاهَا
جِئْتَهَا بالْكِتَابِ آياً تَلَتْهَا   كَتَبَتْهَا: عِلْماً زَهَا .. فازْدَهَاهَا
لَمْ تُفرّقْ بَيْنَ الْجنَاحَيْنِ: بِنْتاً وَصَبِيًّا .. قَدْ حَلَّقا فِي سَمَاهَا
فَأَطَالَتْ عُمْرَ الْحَيَاةِ .. عَرِيضاً   وَحَفِيلاً .. وَمُشْرِقاً .. تَيَّاهَا
حِينَ شَادَتْ شَتَّى الْمَعَاهِدِ عَمَّتْ   فَأَزَالَتْ عَنِ الْقُلُوبِ عَمَاهَا
وَاسْتَطَالَتْ بِالْجَامِعَاتِ مَنَاراً   ضَمَّ أَجْيَالَهَا .. مَدىً .. لِمَدَاهَا
مُذْ تَجَلَّتْ بِرُوحِهَا عَرَبِيًّا   مُسْفِراً صُبْحُهُ .. مَحَا ظَلْمَاهَا
مُذْ تَحَلَّتْ بِدِينِهَا .. بَدَأَ الْوَحْيُ كَرِيماً «بِاقْرَأْ» فَكَانَتْ هُدَاهَا
إنَّ «إِقْرَأْ» بَعْدَ الشَّهَادةِ.. فيهَا   رُوحُ إِسْلامِهَا .. وَسِرُّ قُوَاهَا

***

جُمْلَةٌ .. وَجَمَالٌ ..

.. إنَّهَا .. في الكِتَاب .. فَاتِحَةُ الْوَحْيِ .. تَجَلَّى سَنَاهُ بَيْنَ سَنَاهَا[1]
إِنَّهَا الدِّينُ بِالشَّهَادةِ مَازَتْ   مَنْ هَدَتْهُ عَمَّنْ عَتَا .. فَعَصَاهَا

---

(١) التوحيد في الدين الإسلامي دعامته القوية الأولى ـ والملاحظ أن الإسلام في جوهر دعوته إنما استهدف تطهير النفوس من الشرك ـ ومن إشراك غير الله عزّ وجلّ في قدرته .. سواء كان صنماً يعبد ـ أو وثناً يرجى .. أو معنى يصل حد التقديس لصاحبه أو لذاته ما تنتفي معه غاية التوحيد المطلق لله ـ.

ولا إله إلا الله: هو الشعار الإسلامي الخالد على مر الأزمان والعصور .. فإفراد الخالق بالربوبية وتنزهه عن أي شريك له في ملكه وملكوته هو مطلب ومنطلق الدعوة الإسلامية في جوهرها العميق .. إيماناً وأعمالاً .. ونوايا ..

رَجَّعَتْهَا عَبْرَ الْقُلُوبِ شِفَاهٌ   طَابَ تَرْجِيعُهَا بِهَا .. فَشَفَاهَا
رَدَّدَتْهَا مَنَائِرٌ .. كُلَّ يَوْمٍ   فَاسْتَنَارَتْ بَصَائِرٌ بِنِدَاهَا
شَاهِدَاتٌ «ألاَّ إِلَه سِوَى اللـه» شِعَارَ التَّوْحِيدِ فِي مَغْنَاهَا
إِنَّهَا جُمْلَةُ الْخُلُودِ عَلَى الأَرْضِ جَمَالُ الأَكْوَانِ بَيْنَ سَمَاهَا
قَدْ أَنَارَتْ خُطَى الزَّمَانِ مَسَاراً وَأَصَارَتْ مَدَارَهُ .. فِي مَدَاهَا
إِنَّهَا الْعِلْمُ عِنْدَ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ حَصِيناً .. مُحَصَّناً بِقُوَاهَا
أَكْبَرَتْ شَأْنَهُ الْجَزِيرَةُ بِالأَمْسِ .. وَفِي الْيَوْمِ عَالِياً .. أَعْلاَهَا

* * *

رَجْعُ الصَّدَى ..

.. أَيُّهَا الصَّائِغُ الْجَزِيرَةَ عِقْداً   مِنْ حُرُوفٍ .. تَلأْلأَتْ مَعَنَاهَا[1]
لَيْتَ هَذَا الْيَرَاعَ .. حِينَ تَصَدَّى   قَدْ تَحَدَّى الأَنْدَادَ وَالأَشْبَاهَا
فَابْتَدا بِالْفَرِيدِ .. لاَ يَتَلاَهَى   وَانْتَهَى بِالْجَدِيدِ .. لاَ يَتَنَاهَى
إِنَّهُ دُونَ مَا أَرَدْنَا لَهَا الْيَوْمَ .. فَهَلاَّ أَعَدْتَ صَوْغَ حُلاَهَا؟
فَأَجَابَ الْيَرَاعُ: إِنِّيَ رَهْنٌ   لِيَدٍ هَزَّهَا ارْتِعَاشُ ضَنَاهَا
لِفُؤَادٍ مُمَزَّقٍ .. فِي حَيَاةٍ آدَهَا .. هَدَّهَا عَمِيقُ أَسَاهَا

---

(١) تصدَّى له: تعرض .. وللأمر: رفع رأسه إليه واليراع: القلم ـ وتحدَّى: بارى ـ ونازع ـ وغالب والأنداد: ج. ند: المِثْلُ ـ والنظير الأشباه .. ج. الشبه: المثل ويتلاهى: يشتغل ـ ويتلاعب ـ ضناها: ضعفها وهزالها .. آدها: أضنكها ـ وثقل عليها ـ آرابها: حاجاتها .. وغاياتها ـ وترادفت: تعاقبت أمداها: منتهاها..

تَـتَـرَاءَى بِـهَـا الْـمَـشَـاعِـرُ غَـرْقَـى　　بَـيْـنَ آرابِـهَـا .. وَوَسْـطَ رُؤَاهَـا
يَتَحدَّى بِهَا الشَّبَاب فَتِيُّ الرُّوحِ　　دُنْـيَـا تَـرَادَفَـتْ أَمْـدَاهَـا
نَـهْبَ كَوْنٍ مِنَ الأَحَاسِيسِ أَغْلَتْ　　كُـلَّ ذِي إِرْبَـةٍ .. مَـتَـى أَغْـلاَهَـا
نَصَّهَا الْفِكْرُ .. حَسْبُهُ الرَّأيُ حُرًّا فِي حَيَاةٍ .. مَا مَلَّهَا .. مَا جَفَاهَا
قَدْ تَصَدَّى بِالْحِسِّ .. لَنْ يُهْزَمَ الْحِسُّ .. لَدَيْهَا .. مُجَدِّداً مَعْنَاهَا
مُـنْـذُ أَنْ فَـكَّ أَسْـرَهَـا مِـنْ قُـيُـودٍ　　أَوْ وُجُـودٍ قَـدْ حَـلَّ فِـيـهِ عُـرَاهَـا
لَيْتَنِي .. لَيْتَهَا .. كَمَا نَحْنُ نَمْضِي أَوْ نَرَى .. فِي قَضَائِهَا .. مُنْتَهَاهَا[١]
أَيُّـهَـا الْـعَـابِـرُ الْـجَـزِيـرَةَ .. دَرْبـاً　　وَقَـرَاراً .. وَبُـغْـيَـةً مَـا سَـلاَهَـا[٢]
أَيُّهَا الْمُجْمِلُ الْحَدِيثَ عَنِ الدَّرْبِ .. طَوِيلاً فِي سَيْرِهَا فِي سُرَاهَا
هَـلْ نَـسِـيـتَ الأَعْـلاَمَ فِـيـهَـا رِجَـالاً　　وَنِـسَـاءً مِـنْ فُـضْـلَـيَـاتِ نِـسَـاهَـا؟

(١) أو نرى في قضائها منتهاها: يتمنى اليراع ـ عن صاحبه ـ أن يظل كذلك مع معاناته وأحاسيسه ـ أو نرى ـ حتى نرى المنتهى ـ وهو نهاية الحي .. والفكرة في رفع الصدى: إن التطلع لأحسن ـ وأعلى .. وأقوى ما بات يشتغل به المشتغل في فن أو عمل .. غاية نفسية لازمة ـ فكأنه في ترجيعه يراجع نفسه مستقلاً أو مستخفاً بما كان.. رجاء الاتيان فيه بخير مما أتى به .. رغم ما نشفع به من اهتزاز وارتعاش اليد نتيجة الضنى وتمزق الفؤاد .. إزاء مآرب الحياة ورؤاها ـ ومع ما أعرب عنه ـ من كونه ـ أو حامله ـ فتي الروح .. وإن جاوزه الشباب .. فهو بفتونها يتحداه رغم فواته بأحاسيسه ـ وبمشاعره..

(٢) المَراد .. بفتح الميم: مكان الارتياد .. من رياد الإبل .. أي اختلافها في المرعى مقبلة ـ مدبرة .. والبُغْيَةُ: ما يُرغب فيه ـ وما يُطلب .. والمُجْمِلُ: الجامع للذكر.. دون تفصيل وتبيين لكافة وقائعه .. والأعلام: أسياد القوم ونبهاؤهم .. وفي الأبيات وما تلاها: انتقال رجع الصدى من اليراع لحامله مناقشةً متخيلَّة بين قائل ـ أو سائل ـ ومجيب ..

أَشْرَقُوا فِي الذُّرَى .. وَأَشْرَقْنَ فِي القَلْبِ سَوَاءً .. فَكُلُّهُمْ أَبْنَاهَا[١]
أَنَسِيتَ الْمَواقِفَ الَّتِي قَدْ تَسَامَتْ صَانِعَاتِ تَارِيخَهَا .. أَسْمَاهَا؟
قَالَ: حَسْبِي جَهْدُ المُقِلِّ .. وَلَكِنْ رُبَّمَا حَاوَلَ الْمُقِلُّ .. وَرَاهَى
فِي مَدَى كَرَّةِ الزَّمَانِ .. إذَا مَا سَالَمَتْ فَرَّةُ الزَّمَانِ فَتَاهَا
قَالَهَا قَائِلٌ .. أَجَابَتْهُ نَفْسٌ نَابَ عَنْهَا .. فِي السَّمْعِ .. رَجْعُ صَدَاهَا
مُذْ تَعَالَتْ .. تَدَثَّرَتْ بِرُؤَاهَا فِي حَيَاءٍ .. وَرَفْرَفَتْ بِسَمَاهَا

* * *

أَوْبَةُ الشِّعْر ..

أَيُّهَا الْهَائِمُ الْمُطَوِّفُ فِي الْكَوْنِ .. وَبِالنَّفْسِ صَابِراً فِي نَوَاهَا
أَيُّهَا الْحَالِمُ الْمُرَفْرِفُ بِالشِّعْرِ .. خَيَالاً .. رِسَالَةً .. أَدَّاهَا
إنَ لِلشِّعْرِ أَنْ يُؤُوبَ لأَهْلِيهِ .. مُعِيداً إِلَى الْقُلُوبِ هَوَاهَا
وَحَبِيباً إِلَى النُّفوسِ تَرَجَّتْهُ .. حَبِيباً .. فِي شَجْوِهَا .. وشَجَاهَا[٢]

---

(١) الذرى: الأعالي من كل شيء ـ والْقَابُ: المقدار .. يقال «هو على قاب قوسين» كنايةً عن القُرب وحسبي: يكفيني ـ وراهى: مراهاةُ الرجل: قاربه واجتمع معه .. وكرة الزمان ـ وفرته: المراد تخيلاً بالأولى: إقباله .. وبالثانية: إدباره ـ والعياذ بالله ـ وتدثرت برؤاها: التفت وتغطت بتخيلاتها مما تراه بالقلب ..

(٢) أوبة الشعر: والمراد بها هنا عودته ومنقلبه إلى الجزيرة العربية .. أمنية ـ أو تصوراً فيه معنى الرجاء .. بعد أن كانت الجزيرة لما قبل هذا العهد الحاضر المتحرك ـ بعيدة عن مستواه المرجو لها ـ وإشارة وتوضيحاً: إلى أن الشعر في ماضيه وأصله كان منها ولها منبعاً .. ومنطلقاً ـ وحياة دائمة ـ ابتداء من نشأته كجرس ووقع متطورين =

عَايَشْتُهُ .. مَدَى الْحَيَاةِ .. وَمَاشَتْهُ .. لَدَى بَأْسِهَا .. وَفِي سَرَّاهَا

مُذْ تَغَنَّتْ بِهِ الْجَزِيرَةُ .. مُذْ كَانَ .. وَكَانَا طِفْلَيْنِ .. فِي دُنْيَاهَا

مُسْتَمِدًّا مِنْهَا الْمَشَاعِرَ نَبْضاً وَحَيَاةً مُطِيلَةً مَسْرَاهَا

فَلَقَدْ نَصَّهُ الْحُدَاءُ .. تَسَامَى وَتَنَأْهَى .. شِعْراً .. فَكَانَ حُدَاهَا

فَعَلَى وَقْعِهِ الْقَوَافِلُ سَارَتْ طُولَ لَيْلٍ سَارٍ .. عَلَى قَمْرَاهَا

هَاطِعَاتِ الرِّقَابِ .. بِالسَّمْعِ مَدَّتْ بِتَرَانِيمِهِ .. حثِيثَ خُطَاهَا

خَضَّهَا .. واسْتَخَفَّهَا .. طِيلَةَ الْعُمْرِ .. فَفِي مَسْمَعِ الزَّمَانِ حَدَاهَا

فِي النَّوَادي .. مَحَافِلاً وَاجَهَ الْفِكْرُ بِهِ الْفِكْرَ صَائِلاً .. تَيَّاهَا

في عكاظ ندي المجنّة كبرى وبصغري الأسواقِ في منتداها

= من حداء محدود ـ إلى انشغال واشتغال به ـ وحفاوة دائمة .. حتى كانت تعقد له الأسواق ـ لمناقشته ـ ولنقده ـ وللتنويه بالأفضل منه ـ إزًا عليه ـ واستحثاثاً لسيره ولمسيرته ـ في الجزيرة العربية ـ الهائم: المحب الذاهب كل مذهب ـ والمتحيّر .. وطوّف بالبلاد أو بالشيء: سار حوله وأكثر الطواف والسير بجهاته في نواها: في بُعْدِهَا.. والحالم: المراد به هنا الغارق في خيالاته ورؤاه ـ يؤوب: يعود ـ يرجع ـ شجوها ـ وشجاها: طربها ـ وحزنها ـ عايشته: عاشت معه ـ وماشته: مشيا سوية مع بعضهما .. البأس: الشدة ـ السرّاء: اليُسْر والمسرة، الوَقْع: الضرب بالشيء كوقع المطر وسواه ـ والمقصود به الإيقاع: أي اتفاق الأصوات توقيعها في الغناء .. هاطعات: هطع البعير: مد عنقه .. وصوّب رأسه ـ الترانيم: الأناشيد .. حثيث: سريع، والْمَحَافِلُ: المجتمعات ـ المجالس ـ.

عكاظ: من أسواق العرب في الجاهلية ـ كانت تجتمع فيه القبائل مدة عشرين يوماً في شهر شوال من كل سنة ـ وقيل من هلال ذي القعدة أي العشرين منه وكذلك ذو المجنة ـ وذو المجاز .. وكان الشعراء يحضرون لعرض أشعارهم .. وتناشدهم ما أحدثوه منها.. في هذه الأسواق ..

إِنَّهُ رُوحُهـا الأَصِيـلُ شِعَـاراً مَـازَهَـا .. فِـي الْـوُجُـودِ .. عَـمَّـا سَـواهَـا[١]

مَـا جَفَتْهُ يَـوْمـاً عَـلَـى الْعُسْـرِ وَالْيُسْـرِ .. عَـلَيْـهَـا تَـوَالَـيَـا .. مَـا جَـفَـاهَـا

أَفَـتَـنْـسَـاهُ فِـي ضُـحَـى يَـوْمِـهَـا الأَنْـوَرِ هَـذا .. وَقَـدْ تَـنَـاهَـى رَخَـاهَـا؟

رَغْـمَ عَـصْـرٍ بِـهِ الْـحَـضَـارَةُ أَهْـدَتْـهُ بَـديـلاً .. شَـتِـيـتُـهُ أَغْـنَـاهَـا

مَسْـرَحاً .. سِينَمـا .. وَمِذْيَاعَ صَوْتٍ أَوْ مَـرَاءٍ .. تِلْفَـازُهَـا قَـدْ جَـلاَهَـا

لاَ تَـقُـلْ لِـي هَـذَا !! فَـبِـالـشِّـعْـرِ .. تَـغَـنَّـى رَبِـيـبُـهَـا .. وَفَـتَـاهَـا

الرَّكْبُ .. وَالْمَوكِب ..

فَسَلِ الشِّعْرَ جَاهِلِيًّا .. أَرَنَّتْ فِيهِ بِالصَّوتِ .. صَافِياً .. كَسَمَاهَا[٢]

---

(١) الأصيل: الشريف الأصل ـ والأصل ما يقابل الفرع ـ ومن يتصرف عن نفسه وحدها ـ ومازها: فرزها عن غيرها ـ وفضلها عما سواها ـ والعُسْر: الشدة والضيق واليُسْر: السهولة ـ والغنى، المسرح ـ والسينما ـ والمذياع ـ التلفاز بعض من معطيات العصر وحضارته ونعمياته ـ وكل منها ـ يصح أن يكون بديلاً عن الشعر الذي كان جل ـ أو كل ما في حياة الجزيرة ـ ومع ذلك ـ فإنها بقيت للشعر يتغنى به أبناؤها .. لم تصرفها عنه تلك النُّعَيْمَات ..

(٢) استعراض شعري خاطف ـ عن الشعر في الجزيرة العربية ـ في عهدها الجاهلي:
ـ الضليل: هو أمير شعراء الجاهلية: امرؤ القيس حندج بن حجر (٤٩٧ ـ ٥٤٥) ولد في نجد .. ومات بأنقرة في تركيا ـ ولُقِّبَ بالملك الضليل لتنقله ـ أو للهوه ـ وبذي القروح لمرضه بها مطلع معلقته:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ　　بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

ـ عنترة: هو عنترة بن شداد العبسي (٥٢٥ ـ ٦١٥) وقيل ٦٠٠ ـ شاعر فارس من أهل نجد أمه عبدة حبشية ـ وقد اشتهر ببطولته في الحروب وكرم خلقه ـ ونبوغه في الشعر ـ طمع في الزواج من ابنة عمه عبلة .. وقد تكوّنت حول شخصيته الجذّابة الأساطير العديدة وله سيرة مؤلفة ـ ومطلع معلقته:

هَـلْ غَـادَرَ الـشُّـعـراءُ مِـنْ مُـتَـرَدَّمِ　　أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ .. بَعْدَ تَوَهُّمِ

=

رَدَّدَتْهُ أَحْيَاؤهَا .. فِي الْمَغَانِي   قَدْ تَسَاوَتْ .. ضِعَافُهَا بِشْرَاهَا

وَرَوَتْهُ الأَيَّامُ .. زَانَتْ شِفَاهَا   فَرَوَتْهَا الأَزْمَانُ .. ضَاءَتْ جِبَاهَا

= وعمرو: هو عمرو بن كلثوم التغلبي (٥٨٤) من زعماء تغلب جاهلي نصراني عاش بوادي الجزيرة والعراق والشام ونجد ـ أراد عمرو بن هند ملك الحيرة أن يجعل أم الشاعر تخدم أمه .. فأنف الشاعر وقتل الملك في (٥٧٠) وهرب وقيل عمِّر ١٥٠ سنة شعره مرجع تاريخي واجتماعي ـ قوي العاطفة ـ متين السبك ـ ومطلع معلقته:

أَلا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبِحِينَا   وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

ـ وطرفة: هو طَرَفَةُ بن العبد البكري (٥٣٨ ـ ٥٦٤) ولد في البحرين ـ أو بصحراء اليمامة والبحرين ـ تنقل بين نجد والعراق// ابن أخت المتلمس// بدد ثروته وهام متشرداً ـ اتصل بعمرو بن هند ملك الحيرة فمدحه ثم غضب عليه الملك وأمر بقتله ومطلع معلقته:

لِخَوْلَةَ أَطْلاَلٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ   تَلُوحُ كَباقي الْوَشْمِ في ظَاهِرِ الْيَدِ..

ـ وزهير: هو زهير بن أبي سلمى المزني ـ ت ٦٠٩ ـ ولد بنواحي المدينة ـ ونشأ بين غطفان بالحاجر بنجد ـ ودافع عنهم بشعره في حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ـ وشارك في إنهائها ـ دقيق الوصف متين التنسيق .. ميَّال إلى الحِكَم ومطلع معلقته:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ   بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ

واليشكري: هو الحارث بن حلزة اليشكري (ت. ٥٧٠) عاش في بادية العراق ـ ويبدو أنه كان مقلا ـ وتعد معلقته قطعة رائعة من الفن الخطابي ـ اشتهر بمحاماته عن قبيلته أمام عمرو بن هند ملك الحيرة ـ ومطلع معلقته:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ   رُبَّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ ..

ـ ولبيد: «هو لبيد بن ربيعة العامري» (٥٦٠ ـ ٦٦٢) أحد شعراء المعلّقات المخضرمين ـ أحد سفراء قومه إلى الملوك والعظماء ـ أسلم عندما وفد على النبي ﷺ مع جماعة من قبيلته برع في الهجاء والرثاء ووصف حيوانات الصحراء .. تتردد في شعره نغمة دينية واضحة ـ اعتزل الشعر تقريباً ـ بعد إسلامه .. وقد توفي في الكوفة ـ ومطلع معلقته:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا ـ فَمُقَامُهَا   بِمِنىً تَأَبَّد غَوْلُهَا .. فَرِجَامُهَا ..

التراجم: عن الموسوعة العربية الميسرّة ـ والمنجد ـ الطبعة الثامنة عشرة.

مُـذْ جَلَـوْهُ رُوَّادُهَـا .. فَـجَلَـوْهَـا فَوْقَ هَامِ التَّارِيخِ .. عِزَّ .. وَتَاهَا
مُنْذُ عَهْدِ الضِّلِيلِ مَنْ قَالَ لِلصَّحْبِ «قِفَا نَبْكِ» فَاسْتَطَارَ صَدَاهَا
أَوْ حَلِيفِ النِّضَالِ : عَنْتَرَةَ الْفَحْلِ .. لِعَمْرو .. لِطُرْفَةٍ مَنْ سَبَاهَا
فَزُهَيْرٍ .. فَالْيَشْكُرِي .. فَلَبِيد خَيْرِهِمْ .. خَيْرِهِمْ .. بِطُولِ مَدَاهَا
مَنْ هَدَاهُ إِسْلاَمُهُ .. فَجَفَا الشِّعْرَ .. لِآيِ الْكِتَابِ .. مَا أَحْلاَهَا
لِلْمُجَلِّينَ مِنْ عَمَالِقَةِ الرَّكْبِ .. تَوَالَوْا فِي مَوكِبٍ .. قَدْ زَهَاهَا
مَنْ تَبَاهَتْ بِذِكْرِهِمْ .. وَتَنَاهَتْ فِي هَوَاهُمْ .. وَالشِّعْرُ كَانَ هَوَاهَا
فَعَلَى الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِالأَمْسِ .. سَحِيقاً فِي جَهْلِهَا .. فِي عَمَاهَا
عَلَّقَتْهُ مُعَلَّقَاتٍ عِزَازاً دَاخِلَ الْبِنْيَةِ الْعَزِيزِ بِنَاهَا
فَأَثَارَتْ أَصْنَامَهَا حَيْثُ أَضْحَتْ دُونَهَا فِي الْعَرَاءِ .. رَهْنَ عَرَأهَا
يَتَلَظَّى جِوَارَهَا هُبَلُ الأَوْحَدُ فِيهَا .. مُسْتَنْكِراً أَنْ يَرَاهَا
يَأْكُلُ الْحِقْدُ قَلْبَهُ .. مُنْذُ أَضْحَتْ قِبْلَةً .. دُونَهُ .. لِمَنْ قَدْ تَلاَهَا!!

* * *

أَمّةُ الشّعْر ..

إِنَّـهَا أُمَّـةُ الْمَشَاعِرِ وَالشِّعْرِ .. تَرَوَّتْ مِنْ نَبْعِهِ .. قَدْ رَوَاهَا
مُنْذُ أَنْ كَانَتِ الْقَبَائِلُ تُحْيِي عِيدَ مِيلاَدِ شَاعِرٍ فِي حِمَاهَا
فَهْوَ مِنْهَا لِسَانُهَا امْتَدَّ فَخْراً وَثَنَاءً .. أَو ذَمَّ مَنْ عَادَاهَا
إِنَّهُ فِي الْجَزِيرَةِ الأَمْسَ .. كَالْيَوْمِ .. رِيَاضٌ غَنَّتْ بِهَا شُعَرَاهَا[1]

(١) لقد جاء الإسلام ـ والشعر في أوجه ـ ولكن استغراق المسلمين في استقباله .. وفي =

مَا جَفَاهُ إِسْلامُهَا جَفْوَةَ الْكُرْهِ .. لَقَدْ بَدَّلَ الْكِتَابُ لُغَاهَا
بَلْ حَبَاهُ مِنْ جَانِبِ الْفَضْلِ فَضْلاً فَهْو مِنْهَا .. عَلَى الْمَدَى .. أَصْغَرَاهَا
فَعَلَى رَجْزِهِ الرَّشِيقِ تَهَادَتْ خَطَوَاتٌ رَشِيقَةٌ فِي خُطَاهَا[1]
هَازِجَاتٍ «لاَ عَيْشَ مَهْمَا تَسَامَى غَيْرُ عَيْشِ الأُخْرَى» وَمَا أَسْمَاهَا
يَوْمَ يَبْنُونَ مَسْجِداً .. شَعَّ نُوراً بِزُنُودٍ .. فِي الْخَيْرِ .. مَا أَقْوَاهَا
رَاجِزَاتٍ بِمَنْ سَمَاهُ نَبِيُّ اللَّهِ .. عَمْراً .. بَعْدَ «الْجُعَيْلِ» قِلاَهَا[2]
يَوْمَ قَامُوا بِالْحَفْرِ لِلْخَنْدَقِ الضَّخْمِ .. تَنَاهَى سَلْمَانُ فِيهِ .. انْتِبَاهَا

* * *

وَعَلَى الْمِنْبَرِ الْمُضِيءِ بِهِ الشِّعْرُ .. كَرِيماً .. أَغْلاَهُ دِينُ هُدَاهَا[3]

= الاكتفاء بتلاوة القرآن المعجز المبين جعله يتقهقر ـ غير أنه ظل اللسان المعبر .. جرياً على الأسلوب القبلي عن الجزيرة .. فهو لم ينقطع عن لسان المسلمين ـ أو عن أسماعهم وفي رأينا: إن ما ورد في القرآن متصلاً بالشعر إنما هو لوضعه الموضع المحدد له بعد غلبته ـ ووصف أهله بما هم أهلوه .. وليس في ذلك نفي لوجود ـ أو تقبيح واستنكار ملغ لوجوده ..

(١) عندما أمر رسول الله ببناء المسجد ـ ومساكنه .. عمل فيه الرسول لترغيب المسلمين.. فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه: وقال قائل منهم:
لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضَلَّلُ
وارتجز المسلمون ـ وهم يبنونه ـ يقولون:
إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشَ الآخِرَه فَاغْفِرِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَه ..

(٢) وعند حفر الخندق .. عمل فيه المسلمون حتى أحكموه .. وارتجزوا فيه برجل من المسلمين، يقال له «جُعَيْل» سماه رسول الله عَمْراً .. فقالوا:
سَمَّاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْراً وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْماً ظَهْرَا ..

(٣) ولقد دأب حسان بن ثابت ـ دون انقطاع ـ على مصاولة شعراء المشركين والإجابة ـ =

نُصَّ حَسَّان ذَائِداً .. حَاوَلَ الشِّعْرَ بِشِعْرٍ أَصْغَتْ لَهُ أُذْنَاهَا

ذَبَّ فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ مَنَاراً وَعَنِ الدِّينِ والشَّرِيعَةِ : جَاهَا

قَالَ كَعْبٌ «بَانَتْ سُعَادُ» فَأَزْجَى بَيْنَهَا لِلرَّسُولِ أَحْلَى ثَنَاهَا[1]

فَحَبَاهُ الرَّسُولُ بُرْدَةَ فَخْرٍ لَمْ يَزَلْ قَلْبُ تُرْكِيَا مَثْوَاهَا

لَيْتَ أَعشَى مَنْفُوحَةٍ وَاصَلَ الدَّرْبَ لِسَاحِ النَّبِيِّ .. حِينَ طَوَاهَا[2]

= والذود ـ والنفح بشعره ـ تلقائياً ـ أو بأمر الرسول .. وشعره في هذه الأبواب الكريمة لا يعد ـ ولا يحصى طبقاً للمواقف وللمناسبات ـ.

(١) أما كعب بن زهير بن أبي سلمى «أبوه أحد أصحاب المعلقات» فإنه حين ضاقت به السبل جاء للرسول متخفياً بعد أن أهدر الرسول دمه ـ فكساه الرسول بردته بعد أن أنشد قصيدته التي يمدح بها الرسول والتي أطلق عليها فيما بعد اسم البردة ـ ٥٩ بيتاً ـ ومطلعها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتبُولُ مُتَيَّمٌ إثْرَهَا ـ لَمْ يُفْدَ ـ مَكْبُولُ ـ

وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ، إذ رَحَلُوا إلاَّ أَغَنُّ، غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

إنَّ، الرَّسُولَ لَسَيْف يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ، سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

وقد اشترى معاوية بن أبي سفيان البردة من ولد كعب .. واحتفظ بها الخلفاء العباسيون أيضاً ـ إلى أن احتل المغول بغداد ونهبوها ـ فأحرقوا البردة ـ ويقال إنها لم تحرق ـ ولم تزل موجودة بالقسطنطينيَّة .. وقد أنشد القصيدة كعب أمام الرسول في المسجد وتوفي ٦٤٥م

(٢) أما أعشى البكري ـ ميمون بن قيس (٦٢٩) فقد ولد ومات في منفوحة من الرياض الآن ـ ولقب بالأعشى لضعف بصره ـ ويعرف بالأعشى الأكبر // حيث قد أطلق لقب أعشى على اثنين وعشرين شاعراً // وقد كنَّاهُ معاصروه بأبي بصير ـ إعجاباً بقوة بصيرته ـ وأجمع الأدباء على تلقِيبِهِ ـ «صَنَّاجَةَ الْعَرَبْ» لمتانة شعره وموسيقاه ـ وتتلمذ على خاله «المسيب بن علس» وتكسب بالشعر فمدح الملوك والأشراف بالْحيرة واليمن وحضرموت والشام واليمامة والحجاز ووفد على النبي مادحاً ومُسْلِماً فتصدت له قريش ونفرته فرجع ومات في سفره ـ وديوانه مطبوع ـ قال ابن هشام: إن أعشى بني قيس =

فَلَقَدْ صَاغَهَا فَرِيدَةَ فَنٍّ وَهْوَ صَنَّاجُ قَوْمِهَا .. أَعْشَاهَا
فَأَقَامَتْ لَهُ قُرَيْشٌ عَلَى الدرَّبِ فَدَتْهَا بِمَا اسْتَطَاعَتْ يَدَاهَا
عَوَّقَتْهُ .. مَا عَوَّقَتْهَا .. فَقَدْ ذَاعَ لَدَى النَّاسِ ذِكْرُهَا .. وَسُمَاهَا
حِينَ آلَى .. ألاَّ يُرِيحُ الْمَطَايَا أَوْ تُلاَقِي «مُحَمَّداً» فِي حَفَاهَا

الْغَرِيبُ .. يَعوُد ..

.. أَيُّهَا الْمُزْدَهِي الْجَزِيرَةَ فِي الْيَوْمِ .. كَأَمْسِ .. بِمَا أَثَارَ جَوَاهَا[1]
.. أَيُّهَا الْعَائِدُ الْمُعِيدُ إِلَيْهَا صَوْتَهَا .. رُوحَهَا .. رَقِيقَ نِدَاهَا
بَعْدَ أَنْ مَلَّ غُرْبَةً مَزَّقَتْهَا مَزَّقَتْهُ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَاهَا
.. أَيُّهَا الشِّعْرُ .. صَادِياً .. قَد تَلاَقَى بِصَدِيٍّ حَوْلَ الْمَنَاهِلِ تَاهَا
قُلْ لأَطْيَارِهَا تُغَنِّي بِمَا شَاءَ لَهَا يَوْمُهَا .. وَقَدْ أَغْنَاهَا
فَلَدَى رَوْضِهَا .. وَبِالْغُصْنِ لاَ زَالَ مَكَانٌ بَاقٍ لَهَا لِغِنَاهَا[2]

= خرج لرسول الله يريد الإسلام ـ فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه بعض المشركين من قريش ـ حتى إذا أثنوه بما قالوا ـ أجاب: إنني منصرف عامي هذا لا تروى فيه ثم آتيه لأسلم فانصرف ومات في عامه ومطلع قصيدته ـ ومنها:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدا وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدا
وَآلَيْتُ لاَ امِرِي لَهَا مِنْ كَلاَلَةٍ وَلاَ مِنْ مَض .. حَتَّى تُلاَقِي مُحَمَّدا
نَبِيًّا يَرَى مَا لاَ تَرَونَ وَذِكْرُه أَغَارَ لَعَمْري فِي الْبِلاَدِ وأَنْجَدَا ..

وقد بقيت القصيدة وشاعَ ذكرها .. ولم يكتب لصاحبها الإسلام ..

(١) ازْدَهَى .. الرجل ـ حمله على الزهو والعجب ـ استفزه طرباً وأثار: أهاج .. جواها: الجوى شدة الحرقة من عشق أو حزن ..

(٢) أي أن مكانها بالغصن وبروضها لا يزال باقياً لها ولغناها ـ وفي هذا ما يدل على =

قُـلْ لأَوْتَـارِهَـا تَـرِنُّ بِـأَنْـغَـامِ هَـوَأهَـا : حِـجَـازِهَـا .. وَصَـبَـاهَـا[١]
وَبِـأَرْجَـازِهَـا مِـنَ «الـسَّـامِرِ» الْـمُـطْـرِبِ .. أَصْبَـى سُـهُـولَـهَـا .. وَرُبَـاهَـا
خَـلِّ عُـشَّـاقَـهَـا يَـبُـوحُـوا .. وَيَـشْـكُـونَ جَـوَاهُـم .. فَـقَـدْ صَـبَـتْ لَـجَـواهَـا
وَبِـلَـيْـلِ الْـهَـوَى عَـفِـيـفـاً .. يَـزُفُّـونَ إِلَـيْـهَـا فِـي الـسَّـمْـعِ .. آهـاً .. فـآهَـا
وَسْـطَ رَوْضَـاتِـهَـا .. مَـسِـيـلاً تَـجَـارى رَائِـقَ الْـمَـوْجِ ضَـاحِـكـاً يَـتَـلاَهَـى
قَـدْ تَـلاَغَـتْ مَـا بَـيْـنَـه وَشْـوَشَـاتٍ رَجَّـعَـتْـهَـا أَمْـوَاهُـهُ .. وَحَـصَـاهَـا
تَـحْـتَ أشْـجَـارِهَـا .. تَـمَـايَـلَ غُـصْـنٌ نَـحْـوَ غُـصْـنٍ .. تَـبَـادَلاَ نَـجْـوَاهَـا
حَـوْلَ رَيْـحَـانَـةٍ تَـضُـوعُ .. وَزَهْـرٍ يَـتَـنَـدَّى .. وَوَرْدَةٍ تَـتَـبَـاهَـى
بَـيْـنَ طَـيْـرٍ مُـغَـرِّدٍ .. وَغَـزَالٍ أتْـلَـعَ الْـجِـيدَ .. نَـافِـراً .. حَـيَّـاهَـا

❊ ❊ ❊

إِنَّهُ الشِّعْرُ لِلْجَزِيرَةِ .. فِي الأَمْسِ كَمَا الْيَوْم .. فِي غَدٍ : مَهْوَاهَا

❊ ❊ ❊

خَافِقاً .. كَالْجَنَاحِ مِنْهَا .. وَهَلْ تَخْفِقُ طَيْرٌ .. دُونَ الْجَنَاحِ رَهَاها

= استمرارية عنايتها بالشعر .. وشوقها له ـ والمقصود بالأطيار طبعاً الشعراء منهم بمثابة الأطيار للجزيرة ـ مغنين بما في نفسها ..

(١) حِجَازِهَا ـ وصبَاهَا: المقصود بهما نَغَمَ الحجاز ـ ونَغَم الصَّبَا .. والسامر بأهازيجه ـ وأراجيزه .. كالاصطلاح في تسميتها: شائع في غير المدن أكثر وفيما تلا ذلك ـ وصف عابر لحياة أهل الجزيرة الترفيهية الشائعة وعلى الخصوص لدى الربيع ـ وفي حالات هطول الأمطار .. والتنزه في الروضات وسواها وفي الأخير: فكأن الشعر من الجزيرة العربية بمثابة الجناح من الطير..

اسْتِغْرَاقٌ . . وَتَحَايَا . .

أَيُّـهَا الْـهَـائِـمُ الْـمُـطِـيفُ بِـكَـوْنٍ طَـرَّزَتْـهُ الأَمْـدَاءُ . . حَـتَّـى مَـدَاهَـا[١]

قُمْ . . تَقَدَّمْ لِلْفَضْلِ . . لِلْنُبْلِ . . لِلْحَقِّ . . لِنُورِ النُّفُوسِ فِي ظَلْمَاهَا

لِلْمَقَامِ السَّامِي . . إِلَى النَّبْعِ . . لِلْشِّرْعَةِ . . يُهْنِي الأَرْوَاحَ بَرْدُ رِضَاهَا

لِـلـنَّـبِـي الْـكَـرِيـمِ . . لِـلْـبَـاعِـثِ الْـكَـوْنَ حَـيَـاةً أَقَـلُّـهَـا أَسْـمَـاهَـا

لِلْمِثَالِ الْوَحِيدِ فِي شَرَفِ النَّفْسِ . . مَنَاراً أَهْدَى النُّفُوسَ هُدَاهَا[٢]

* * *

---

(١) طرز الثوب: زيَّنه بالخيوط الملونة والرسوم وما شاكلها ـ وذلك بفعل الأمداء والأزمان سائرة إلى مداها ـ وغايتها النهائية ـ والاستغراق والتحايا هنا ـ حالة نفسية لا تزيد عن الإعراب عما يشمل النفس حين التصدِّي والذكرى لحياة أفضل الخلق ـ في كل ما سبق ذكره ـ أو وصفه ـ أو تصويره . .
ولن يحتمل ـ فيما سلف ـ أو فيما يلي ـ تأويلاً يزيد على هذه الحالة تعتري القلب الشاعر فيما يعالج من مواضيع . . وهذا أخطرها . .
والفضل: الإحسان . . أو الابتداء به بلا علة له ـ
والنُّبْلُ: الذكاء ـ والنجابة ـ والفضل «كمال الجسم».
والحق: ضد الباطل ـ العدل ـ الأمر المقضيُّ ـ الجدير ـ
والنبع: مصدر ـ وهو كذلك عين الماء «سريانية» ومن أمثالهم: «لو اقتدح بالنبع لأروى ناراً» «يضرب في جودة الرأي لأن النبع لا نار فيه».
والشِّرْعَةُ: الطريقة إلى الماء . .

(٢) المنار: موضع النور . . الْعَلَمُ للاهتداء في الطريق ـ والصَّبْوة: الحنين والاستهواء، والغُلَوَاء: النشاط ـ والمبالغة ـ أي الغُلُوُّ . . والتقوى: مخافة الله والعمل بطاعته والإيماء: الإشارة . . الفَحْوى من الكلام: ج فحاوٍ: مذهبه ـ ومعناه ـ والتواصي: من تواصي القوم: أي وصَّى بعضهم بعضاً . . أي أوعزوا . . وعهدوا وشَرْعٌ: أي دنُوٌّ . . وإشراف . . وَعَزَّ هَنَا: ندر وصعب نوالُهُ . . وأعماق قلوب: داخلها النائي البعيد والهيام: أشد العطش ـ ونهاية العشق واسْتُرِقَّتْ: امْتَلِكَتْ مطيعة للمعاني . . وانقاد: استسلم ـ وخضع . . والمنة: الإحسان والعطاء . . والنفح: المرة من نفح: العطية.

حَسْبُ قَلْبِي مَا أَفْعَمَ الْقَلْبَ بالْحُبِّ .. وَحَسْبِي مِنْ صَبْوَتِي غُلَوَاهَا
هَائِماً .. رَاشِفاً مَنَابِعَ أَحْلاَمِ جَمَالٍ عَلْيَاءَ .. طَابَتْ رُؤاهَا
مُسْتَزِيداً مِنْ حُسْنِهَا خَيْرَ حُسْنٍ عَرَفَتْهُ السَّمَاءُ .. فِي عَلْيَاهَا
وَجَلاَهُ الْجَلاَلُ .. دَعْوَةَ حَقٍّ مَا تَأَتَّى كَمَالُهُ .. فِي سِوَاهَا
فِي الأَصَابِيحِ .. فِي الأَمَاسِيِّ .. فِي كُلِّ صَلاَةٍ .. تَزِينَهَا تَقْوَاهَا
فِي تَحِيَّاتِهَا: سَلاَماً مُعَاداً فِي الْمُعَادِ الْبَهِيِّ مِنْ نَجْوَاهَا

* * *

.. وَالتَّحَايَا يَا سَيِّدَ الْخَلْقِ: إيمَاءُ سَلاَمٍ .. لَوْلاَكَ .. مَا فَحْوَاهَا
وَتَوَاصٍ بِالصَّالِحَاتِ .. وَشَرْعٌ لِتَدَانِي الْقُلُوبِ .. عَزَّ هَوَاهَا
إنَّهَا دَعْوَةُ النُّفُوسِ ظِمَاءً فِي جِوَارِ اليَنْبُوعِ .. قَدْ أرْوَاهَا
رَدَّدَتْهَا فِي سَاحِكَ الْفَرْدِ أَعْمَاقُ قُلُوبٍ .. هُيَامُهَا أَشْجَاهَا
فَاسْتُرِقَّتْ .. مُنْقَادَةً لِمَعَانِيهِ .. تَجَلَّتْ فِي سِرْهَا .. مَعْنَاهَا
فَتَقَبَّلْ مِنِّي السَّلاَمَ نَمَتْ فِيهِ أَمَانٍ .. مُذِيبَةً سَلْوَاهَا
وَتَفَضَّلْ يَا أَفْضَلَ الْخَلْقِ بِالْمِنَّةِ نَفْحاً .. أَعْلَى الآلِهُ عَطَاهَا

* * *

ابْتِهَال ..

.. رَبِّ .. يَا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ .. تَبَارَكْتَ فِي النُّفُوسِ إلَهَا[1]

---

(١) الابتهال: الدعاء ـ والتضرُّع .. الفاطر: المنشئ .. المبتدئ ـ المبتدع ـ تبارك تقدس =

وَتَعَالَيْتَ عَنْ خَسِيسِ ظُنُونٍ سَاخَ .. وَانْدَكَّ .. طَائِشاً .. مَرْمَاهَا

يَا عَلِيماً بِالسِّرِّ .. حَيْثُ تَدَسَّى وَبَصِيراً بِالْجَهْرِ .. أَنَّى تَدَاهَى

يَا كَبِيراً .. مَرَدَّ كُلِّ كَبِيرٍ شَغَلَتْهُ أُولاَهُ عَنْ أُخْرَاهَا

يَا عَلِيًّا .. تَطَأْطَأَتْ لِرِضَاهُ أَنْفُسُ الْخَلْقِ مَسْجِداً .. وَجِبَاهَا

حَسْبُ نَفْسِي فِي كَوْنِكَ الْوَاسِعِ الْفَيْضَ عَطَاءً أَزْجَتْ بِهِ مُبْتَغَاهَا

تَتَرَجَّى مَكْلُومَةَ الْحِسِّ وَالْفَهْمِ .. قِوَامَ الأَدَاءِ فِي مَبْنَاهَا[1]

وَالرِّضَاءَ .. الرِّضَاءَ .. يَشْقَى بِهِ الْوَاجِدُ : سُؤْلاً وَلَهْفَةً تَتَنَاهَى

* * *

رَبِّ .. هذِي تَحِيَّةُ الْعَبْدِ يَرْجُو صَبُّهَا الْعَفْوَ عَالِقاً بِرَجَاهَا

ثَقَّفَتْهَا فِي صِحَّةِ الْقَصْدِ .. لاَ الْقَوْلِ .. مَرَامٍ مَرْسُومَةٌ لِمَدَاهَا

= ـ وتنزه، الخسيس: الدون ـ والحقير من الأشياء ـ وساخ: غاص .. وغاب ـ وانخسف .. واندك: انهدم ـ وسُوِّيَ بالأرض ـ الطائش: المتجاوز .. المائل ـ عن الغرض والمرمى: مكان الرماية ـ وتدسّي: التدسِّي ـ للمبالغة ـ أعمال المكر .. والتداهي: إظهار الدهاء .. وادعاؤه، وتطأطأت: انخفضت ـ وخضعت والمسجد: موضع السجود .. والفيض: الكثير ـ يقال «أعطاه غَيْضاً من فيض» أي قليلاً من كثير.. وأزجت: ساقت ـ والمبتغى: المراد ـ والمطلوب.

(١) المكلوم: المجروح ـ الحس: الإدراك .. قِوَامُ الأمْر: نظامه وعماده وما يقوم به والواجد: المحب الساهر .. والصَّبُّ: العاشق ذو الولع الشديد ـ ثَقَّفَتْهَا: هذبتها ـ وقوَّمتها .. ومرام: ج. مرمى: أغراض .. يقال «هذا الكلام بعيد المرامي» أي يرمي إلى أغراضٍ بعيدة .. مرسومة: مكتوبة مخططة السَّجِيَّةُ: الطبيعة والخُلُق ـ ارتجل الكلام: تكلم به من غير أن يهيئه ومنه قولهم: ارتجال الشعر .. بديهة: إزجاؤه عفواً: أغناها: أجزاها ـ وكفاها ..

وَجَلَتْهَا عَلَى سَجِيَّتِهَا الرُّو ح .. ارتِجَالاً .. بَدِيهُهُ أَغْنَاهَا

***

الْفِكْرُ .. وَالْعَصْر ..

.. فَأَنِيبِي للَّهِ .. أَيَّتُهَا النَّفْسُ .. زَهَاهَا .. مِنْ نَفْسِهَا مَا زَهَاهَا[1]

فِي حَيَاةٍ .. تَعَاجَمَ الْفِكْرُ فِيهَا بَيْنَ أَجْسَادِهَا .. لَقَى .. مَا عَنَاهَا

قِيسَ فِيهَا الإِنْسَانُ: طُولاً وَعَرْضاً بِعُرُوضٍ .. تَنَوَّعَتْ أَشْبَاهَا

قَدْ تَلاَقَتْ فِي جِرْمِهِ الْوَاحِدِ الضَّرْبِ .. ضُرُوباً .. تَعَدَّدَتْ أَشْبَاهَا

نَصَّهَا الْعَصْرُ .. لِلْمِثَالِ عَلَى الْعَصْرِ .. مِلاَكاً مُجَسِّداً مَعْنَاهَا

عَرَضاً قَاتِلاً .. تَطَاحَنَ فِيهَا زَائِلاً .. كُلُّ مَنْ جَرَى مَجْرَاهَا

أَيْنَ حَظُّ الأَرْوَاحِ مِنْهُ؟ هَبَاءً قَدْ ذَرَتْهُ الأَرْيَاحُ .. أَوْ هُوجَاهَا

***

(١) أناب: إلى الله ـ أقبل ـ وتاب، زهاه: صيَّره معجباً بنفسه .. وتَعَاجَمَ: تَنَكَّرَ لمبدئه.. وتظاهر بالعُجْمَةِ .. وهي الإبهام .. وعدم الإفصاح وَلَقىً: ج أَلْقَاء .. الشيء الملقى المطروح ـ ما عناها: ما همها ـ لم ترده أو تقصده والعُرُوضُ: المتاع وكل شيء.. والجِرْمُ: الجسم من حيوان ـ وغيره .. والضَّرْبُ: الصنف من الشيء .. ونصَّها: رفعها ـ وأقامها ـ والمِلاَكُ: مِلاَكُ الأمر: قِوَامُهُ .. ومجسِّداً معناها: مبرزاً إياها في شكلها الملموس، العَرَضُ: حطام الدنيا ـ ما لا دوام له ـ حظ الأرواح: نصيبها منه.. ذرته: نثرته ـ وبددته ـ الأرياح والرياح: وهي أربع: الجنوب وهي القبلية ـ والشمال ـ وهي الشمالية ـ والصبا وهي الشرقية ـ والدَّبور ـ وهي الغربية ـ والهوج منها: التي لا تستوي في هبوبها وتقتلع ما يصادفها ـ والفكرة للمقطوعة: تصوير لمادية العصر.

فَأَفِيئي للَّهِ .. أَيَّتُهَا النَّفْسُ .. لَهَاهَا .. فِي عَصْرِهَا .. مَا لَهَاهَا[١]
وَتَمَادَى شَيْطَانُهَا .. مَا تَحَامَتْهُ مَدَى الْعمْرِ .. غَاوِياً .. أَغْوَاهَا
خَسَّ قَدْرُ الأَرْوَاحِ .. أَبْهَظَهَا الأَمْرُ .. فَنَاءَتْ .. واسْتَسْلَمَتْ لِقَضَاهَا
غَيْرَ رُوحٍ أَبِيَّةِ الْفِكْرِ .. بالفِكْرِ أَنَافَتْ .. وَاسْتَمْسَكَتْ بِبَقَاهَا
بَيْنَ كَهْفٍ مِنَ الْمَعَانِي تَوَارَى　　لَمْ تَرَ النُّورَ شَمْسُهُ فِي ضُحَاهَا
فِي طُيُوفٍ مِنَ الْخَيَالاَتِ حَامَتْ　　حَيْثُ طَالَتْ .. لاَ يَنْتَهِي مَرْآهَا
تَتَبَدَّى غَرِيبَةً .. إنْ تَجَلَّتْ　　أَوْ أَطَلَّتْ .. مَفْتونَةً بِرُؤَاهَا[٢]
وَسْطَ دُنْيَا مَجْنُونَةٍ .. ضَاعَ فِيهَا قَدَرُ الْحَيِّ .. مَا خَطَا بِخُطَاهَا
أَنْكَرَتْ قِيمَةَ الْمَعَانِي .. وَهَامَتْ　　بِالْمَرَائِي .. تَلَمَّسَتْهَا يَدَاهَا
قَدْ تَعَرَّتْ .. فَلاَ خِبيءَ سَبَاهَا　　وَتَهَرَّتْ .. فَلاَ خَيَالَ اسْتَبَاهَا

* * *

(١) أفاءَ: إلى الله ـ رجع إليه وأبهظها: أثقلها .. وسبب لها المشقَّة .. وناء .. بالحمل .. نهض به مثقلاً ـ وسقط واستسلمت لقضاها: أذعنت وخضعت له، وأبيَّة .. أنوفة مترفعة عن الدنايا ـ تأبى الضيم والخضوع وأنافت: ارتفعت وطالت والفكرة في هذه الأبيات وما تلاها: اعتصام الروح القوية الشاعرة بذاتها .. والغارقة في دنياها الفكرية المعنوية ـ غير مكترثة بأعراض الدنيا وحطامها الزائل من اصحابها ذوي الرسالات والمبادئ..

(٢) مفتونةً: معجبةً .. مولَّهةً .. وَقَدَرُ الحيِّ: طاقته وقوته .. وتلمَّسَتْها: ـ تَلَمَّس الشيء: تطلَّبَهُ مَرَّةً بعد أُخرى .. تعرَّت: تجردت مما يسترها وبقيت مكشوفة والخبيء: المستور ـ المكنون .. وتهرَّتْ: بَلِيَتْ ـ وتآكلت .. واستباها: أي استمالها وجذبها إليه ـ وسائداً: غالباً متحكِّماً .. وأسلمته: أعطته .. وناولته ـ قيادها: ما تقاد وتدار به شؤونها ـ واللقيط: الولد الذي ينبذ ـ فيُلقط .. وينْعَى: يعدد ـ ويذكر خبرها ـ ويشهر موتها أيضاً .. الطلول: ج طلل: الشاخص من الآثار الباقية ..

.. إنَّهُ الْعَصْرُ .. سَائِداً فِي حَيَاةٍ   أَسْلَمَتْهُ قِيَادَهَا وَقُوَاهَا
أَنْتِ يَا نَفْسُ بَيْنَهَا .. كَلَقِيطٍ   كَسَجِينٍ .. فِي كَهْفِهِ .. يَتَلاَهَى
هُمُّكِ الشِّعْرُ .. وَالْمَعَانِي خيَالاً   وَجَمَالاً .. فِي صَبْوَةٍ .. أَزْهَاهَا
كَغَرِيبٍ .. عَنْ كَوْنِهِ عَاش فِيهِ   كَغُرَابٍ يَنْعَى الطُّلُولَ .. بَكَاهَا

* * *

الْبَحْرُ .. وَالْقَطْرَة ..

.. هَكَذَا .. هَكَذَا تَعِيْشِينَ .. يَا نَفْسُ حَيَاةً لَمْ تَبْلُغي مَحْيَاهَا[1]
أَنْتِ مِنْهَا: كَقَطْرَةِ الْبَحْرِ .. عَلَتْهُ أَمْوَاجُهُ لاَ تَرَاهَا
لاَ تُطِيقُ التَّأْثِيرَ فِيهِ .. وَلاَ تَمْلِكُ أمْراً لِنَفْسِهَا .. لِمْنَاهَا
غَيْرَ وَهْمٍ .. إنْ كَرَّمُوهَا .. فَقَالُوا   إنَّهَا الأَصْلُ .. لَقْلَقَتْ بِحَصَاهَا
وَازْدَهَتْ .. لاَ تَنَالُ جَاهاً مِنَ الْجَاهِ .. أَنَالُوهُ بَعْضُهُمْ .. مَا عَدَاهَا
قَدْ تَحَرَّتْ مَكَانَهَا .. عَاشَتِ الْعُمْرَ .. رَثِيثاً .. فِي رَجْعَةٍ .. تَهْوَاهَا
تَتَلَهَّى مَزْهُوَّةً .. لَمْ تَرَ الْعَيْنُ مِنَ الْغَيْرِ .. أَرْضَهَا .. أوْ سَمَاهَا
أَفَكَانَتْ بِمَا ارتَضَاهُ لَهَا الْفِكْرُ غَرِيباً .. غَنِيَّةً بِقُوَاهَا

---

(١) تعيشين حياة .. لم تشاركي في مداراتها اليومية الواقعية المتحركة بما فيها ـ والوهم: ج أوهام: ما يقع في القلب من الخاطر وكرَّموها: عظموها ـ ونزَّهوها ـ ولقلقلت: حرَّكت .. ولقلق: صوت ـ ولقلقت الحيَّةُ: أخرجت لسانها ـ وتحرَّكت مكانها: ثبتت فيه ـ لا تنتقل لسواه ـ والرثيث: القديم ـ البالي ـ والرَّجْعَةُ: العودة للوراء.

وتتغابى: تدعي الغباء ـ وهو ضد الذكاء ـ وليست كذلك ـ والغُثَاءُ: الزَّبد ..

أَمْ تُـــرَاهَـــا غَـــبِـــيَّـــةً .. أَمْ تُـــرَاهَـــا
تَـــتَـــغَـــابَـــى .. مَـــقْـــهُـــورَةً فِـــي أَسَـــأَهَـــا
تَـسْـأَلُ الْـبَـحْـرَ كُـلَّـمَـا هَـدَرَ الْـبَـحْـرُ .. وَأَلْـقَـى فَـوْقَ الـرِّمَـالِ غُـثَـاهَـا
أَأَنَـــا الأَمْـــسَ بَـــسْـــمَـــةً .. فِـــي زُهَـــاهَـــا
أَمْ أَنَـــا الْـــيَـــوْمَ: جَـــثْـــمَـــةً .. فِـــي عَـــزَاهَـــا[١]

* * *

دُنْيَا الشَّاعِر ..

.. فَاسْتَعِيذِي بِاللَّهِ .. أَيَّتُهَا النَّفْسُ .. إِلَى اللَّهِ أَمْرُهَا .. عُقْبَاهَا[٢]
وَأَنِـيـرِي جَـوَانِـبَ الـرُّوحِ بِـالْـمُـشْـرِقِ مِـنْـهَـا .. مَـهْـمَـا ادْلَـهَـمَّ دُجَـاهَـا

(١) أي هل أكون أنا ـ الأمس البعيد الماضي نفسه .. باعتباري ابتسامة في زُهَاهَا .. أي حسنها .. أم أنا هذا اليوم الحاضر .. بصفتي جَثْمَةً .. أي قَعْدَةً ـ وتلبيدة في الأرض ـ في عزاها ـ أي تعزيتها بما هي فيه عما فاتها ..

(٢) استعاذ: التجأ ـ واعتصم .. وادلهم .. الليل: اشتد ظلامه ـ والظلامُ: كثف، الوضيء: الْحَسَنُ النظيف ـ والشفيف: الرقيق من الستر لا يحجب ما وراءه وسَامَتَ: قابل .. ووازى، الوريفة: الممتدة المتَّسعة الظل والمشتدة خُضْرتُه .. اليانِعُ: الطيب الذي حان قطافه والطَّلع: ما يبدو من ثمرة النخل من أول طلوعها ـ المثاني: الآيات الفريدة في لغتها .. القوافي: ج القافية: آخر كلمة في البيت .. أو هي من آخر حرف ساكن فيه إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن .. وصفَّدَتها: قيَّدتها وأوثقتها .. غُلَّتْ: وُضِعت بها الأغلال .. وهي أطواق من حديد .. والجَرْسُ: الصوت ـ أو الخفيُّ منه ـ أشجاها: أطربها .. وشَدْواً: مَدُّ الصوت بالشعر كالغناء والرَّفَاهُ: طيبُ العيش ـ ولِينُه .. وتَرَنَّتْ: أدامت النظر إلى من تُحِبُّ .. والعُرْف: الاصطلاح ـ أو ما تعارف عليه المجموع ـ واتفقوا ـ.

وَعَلَى الشَّاطِئِ الْوَضِيءِ مِنَ النَّهْرِ شَفِيفِ الأمْواجِ .. رَقَّ صَفَاهَا
سَامِتِي الدَّوْحَةَ الْوَرِيفَةَ لاَحَتْ بَيْنَ رَوْضَاتِهَا .. وَخُضْرِ رُبَاهَا
يَانِعَاتِ الأَثْمَارِ طَلْعاً .. وَزَهْراً وَوُرُوداً .. فِي الْعَيْنِ .. مَا أَحْلاَهَا
تَتَنَاجَى أَطْيَارُهَا .. قَدْ تَغَنَّتْ بِالْمَثَانِي .. فَرِيدَةً فِي لُغَاهَا
لاَ الْقَوَافِي .. قَدْ صَفَّدَتْهَا .. وَلاَ الْوَزْنُ قُيُوداً .. غُلَّتْ بِهَا شَفَتَاهَا
قَدْ رَوَتْهُ: شِعْرَ الطَّبِيعَةِ حُرًّا حَالِيَ الْوَقْعِ .. جَرْسُهُ أَشْجَاهَا
سَكَبَتْهُ فِي مَسْمَعِ النَّهْرِ: شَذْواً فِي فَمِ الْوَرْدِ .. والزُّهُورِ: رَفَاهَا
وَتَرَنَّتْ بِهِ إِلَى الْكَوْنِ .. تُغْلِيهِ: وُجُوداً مُعَطَّراً بِشَذَاهَا
حُرَّةً فِي الْوُجُودِ .. لَمْ تَعْرِفِ الْعُرْفَ قُيُوداً .. إِنْسَانُهُ سَوَّاهَا
حَرَسَتْهَا مِنْ نَهْرِهَا .. ضِفَّتَاهُ وَحَمَتْهَا دُنْيَاهُ عَمَّا سِوَاهَا
تَتَرَاءَى كَالْحُلْمِ .. طَافَ بِهِ الشَّاعِرُ: دُنْيَا يَحُومُ حَوْلَ حِمَاهَا

* * *

مَوْطِنُ الرُّوح ..

.. فَإِلَيْهَا .. إِلَى حَيَاةٍ مِنَ الرُّوحِ .. بِهَا الرُّوحُ .. مَوْطِناً .. لاَقَاهَا[١]

(١) فاليها: أي اذهبي لها .. يممي: اقصدي ـ.
وقرِّي: اثبتي ـ واسكني ..
ومستشرف: مطل من مكان مرتفع ـ
والسرايا: الجماعات السائرة ليلاً ـ والمقصود بهم أصحاب الفكر والعلم والفن.
الفذة: الفرد المتميز وحده ـ

=

يَمِّمي صَوْبَهَا .. وَقَرِّي مكَاناً   فِي مَقَامٍ مُسْتَشْرِفٍ عَلْيَاهَا
وَاقْرَئِي عِنْدَهُ السُّطُورَ مِنَ الْكَوْنِ رَفِيعاً .. يَرَاعُهُ أَمْلاَهَا
كَتَبَتْها مَدَى الْعُصُورِ الطَّويلاَتِ .. نُفُوسٌ .. فِي الْفَهْمِ .. ما أَذْكَاهَا
لِلسَّرَايَا مِنْ صَفْوَةِ الْفِكْرِ والرَّأي .. صُفُوفٌ تَوَاتَرَتْ مَسْرَاهَا
قَدْ تَسَامَى الأَهْلونَ فِيهَا حَيَاةً   فَذَّةَ الرُّوحِ فِكْرَةً .. واتِّجَاهَا
بَيْنَ رَاعٍ أو فَيْلَسُوفٍ .. تَقَرَّى   أَوْ تَحرَّى كِلاَهُمَا .. طُوبَاهَا
مِنْ رَسُولٍ .. إلَى نَبِيٍّ تَعَالَى   فَوْقَ دُنْيَا الأَفْكَارِ .. قَدْراً وَجَاهَا
.. فَاسْتَقِرِّي .. يَا نَفْسُ .. رُوحاً .. كَمَا كُنْتِ .. تَسَامَتْ .. تَجَرَّدَتْ مِنْ طِلاَهَا[١]

= وتقرَّى: تَتَبَّع .. وطاف ـ
وتحرَّى: بحث وفتش عن الشيء.
طوباها: الطُّوبَى: السعادة ـ والغبطة ـ والعيش السعيد ـ
والمقصود بهم جميعاً الباحثون عن سعادة الإنسان ـ والحياة الفاضلة من ذوي الرسالات ـ والفكر ـ والمذاهب الإنسانية المثالية.

(١) المعالجة من بداية «الفكر والعصر» وما تلاها من مقطوعات مرتبطة بها: قائمة على التفرقة التامة بين «النفس» التي هي شخص الإنسان «والروح» التي هي: ما به حياة الإنسان ـ فالشاعر في كل ما سلف وما تلا يخاطب نفسه التي هي شخصه مشيراً إلى الروح في العالم وفي العصر ـ وحالاتها ـ وما تعانيه .. وحظها من العصر الحاضر وحياته المادية ـ وتقول كتب اللغة في التفرقة.
النَّفس: شخص الإنسان .. العظمة .. الهمة .. العز .. الأنفة .. الإرادة .. الرأي .. العيب .. العقوبة. الخ ـ ونفس الأمر: حقيقته .. نفس الشيء: عينه ـ والنفس: الدم ـ لأنه إذا فقد من بدن الإنسان فقد نفسه .. والنفس: الجسد ـ يقال «هو عظيم النفس» أي الجسد بمقوماته ـ وفي نفسي أن افعل كذا «أي قصدي ومرادي أن أفعل كذا» ويقال خرجت نفسه وجاد بنفسه ـ إذا مات ـ إلى آخره .. والنفس مؤنث أن =

قَدْ تَعَالَتْ عَنْ عَصْرِهَا .. كَيْفَمَا كَانَ .. وَكَانَتْ حَيَاتُهُ .. وَرُوَاهَا

تَجْتَلِي مَوْكِبَ النَّبِيِّ حَدَا الرَّكْبَ .. تَلاَهُ: مَسِيرَةً .. لاَ تُضَاهَى

وَأكْتُبِي سَطْرَكِ الأَخِيرَ صَلاَةً بَارَكَ اللَّهُ جَهْرَهَا .. وَخَفَاهَا

وَابْتِهَالاً .. أَصْفَيْتِهِ الحُبَ لِلْخَالِقِ: حُبًّا .. فِي طَاعَةٍ يَرْضَاهَا

فِي حُرُوفٍ مَضِيئَةٍ بِالْمَعَانِي رَفَّ إِسْلاَمُهَا بِهَا .. فَجَلاَهَا

حَيْثُ صُغْتِ «الزَّهْرَاءَ» مِنْهَا تَحَلَّى جِيدُهَا نَاصِعاً .. بِعَقْدِ حُلاَهَا

حِينَ فَجَّرْتِهَا مِنَ الْقَلْبِ نَبْعاً سَاحَ .. وَانْسَابَ مِنْ رُبَى بَطْحَاهَا

عَطَّرَتْهَا رُوحُ النُّبُوَّةِ .. نَفْحاً عَابِقَ النَّفْحِ .. طَاهِراً كَهُدَاهَا

فَاجْتَلَتْهَا دُنْيَا الْجَزِيرَةِ: كَوْناً وَكِيَاناً .. وسِيرَةً .. وَاتِّجَاهَا

***

لِلْجَامِعَاتِ .. تَحِيَّة ..

أَيُّهَا الْفِكْرُ سَاطِعاً فِي ذُرَاهَا عَانَقَ الذِّكْرَ خَاشِعاً فِي سَمَاهَا[١]

= أريد بها الروح نحو خرجت نفسه ـ ومذكر أن أريد بها الشخص نحو «عندي خمسة عشر نفساً ـ والرُّوح: ج أرواح والنسبة روحاني ـ ما به حياة الأنفس يذكر ويؤنث ـ ويقال هو خفيف الروح: أي لطيف ـ الوحي ـ حكم الله وأمره .. الملاك .. إلى آخر ذلك هو أو بعض ما خص كلاً من النفس والروح ـ وإن كانا مترادفين ـ ولهما معنى واحد ـ

(١) الفِكْرُ: تردد الخاطر بالتأمل والتدبُّر بطلب المعاني .. وما يخطر بالقلب من المعاني ـ والذِّكْر: الشيء يدرس ويحفظ ـ التلاوة ـ الصلاة .. الحديث باللسان وبالقلب الخ وزها كزُهَاها: أضاء ولمع كحسنها. وحنايا القلب: ما انحنى عليه ـ وانعطف ـ والمقصود أبناؤنا من فتيات وفتيان.

=

قِفْ عَلَى بَابِهَا الْبَهِيِّ تَلالاَ   النُّورُ مِنْهُ: عِلْماً زَهَا كَزُهَاهَا
ضَمَّ فِي قَلْبِهَا الْكَبِيرِ حَنَايَا الْقَلْبِ مِنَّا .. فَتَاتَهَا .. وَفَتَاهَا
تَلْقَ أُمًّا .. عَلَى الْبَنِينَ .. رَؤُوماً   أَشْرَقَتْ فِي صَبَاحِهَا .. فِي مَسَاهَا
تُنْثُرُ الْفِكْرَ وَالْمَعَارِفَ فِي سَاحِ ثَرَاهَا .. وَفِي رُوَاقِ ذَرَاهَا
حَلَّقَتْ حَوْلَهَا صُفُوفُ بَنِيهَا   لاَقِطَاتٍ نُثَارَهَا .. تَتَرَاهَى
كَحَمَامِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ تَغَنَّتْ   فِي هَدِيلٍ .. ضَجَّتْ بِهِ حَصْبَاهَا
تِلْكَ فينَا .. مِنَا .. الْمَنَارَاتُ شَعَّتْ   «جَامِعَاتٍ» أَعَزَّهَا مَنْ بَنَأهَا
وَحَبَاهَا .. مَا ضَنَّ يَوْماً عَلَيْهَا ..   فِي الْعَطَاءاتِ: بُغْيَةٌ تَهْوَاهَا
فَتَسَامَتْ رُوحاً تَطَلَّعَ لِلْفِكْرِ ..   بِعَيْنٍ بَصِيرَةٍ فِي رُؤَاهَا[1]

= والأم الرؤوم: العاطفة الحانية ـ ويقال «ظِئْرٌ رَؤُومٌ خَيْرٌ مِنْ أُمٍّ سَؤُوم» أي أن المرضعة الأجنبية التي تعطف على رضيعها أفضل من الأم التي تمل ولدها ولا تعتني به.

والنُّثَارُ: بالضم .. ما تناثر مما نثر .. والنِّثار: بالكسر ما ينثر في الدرس على الحاضرين.

وتراهى: تراهى القوم .. تعاملوا برفق ووداعة ـ

والهديل: صوت الحمام .. وعطاءات: ج العطية .. ما يُعطى ..

والبُغْيَةُ: ما يُرغب فيه .. ويُطْلَب ..

(١) تطلَّع ـ من التطلع .. نظر إلى ما وق بصيرة: لا تخطئ في نظرتها ـ

تُزَكِّي الغِرَاسَ: تجعل الشجر والنبات زكياً طيباً ـ

والتُّرَاث: ما خلَّفه الأجداد والآباء من الموروثات المعنوية الأدبية والفنية ـ

الأماسي: ج الأمس بالإعراب: يوم من الأيام الماضية ـ

داهن: أظهر له خلاف ما يبطن .. وداجاها: داراها ومانعها بين الشدة والرخاء.

الرَّعِيلُ: ج رِعال .. الأوائل المتقدمون .. ومن الخيل .. القطعة المتقدمة من قليلها.

الرهط: قوم الرجل وقبيلته ـ

تَتَحَّرى خَيْرَ الْيَنَابِيعِ تَرْوِي وَتُزَكِّي الْغِرَاسَ مِنْ رَيَّاهَا

تَتَقَرَّى التُّرَاثَ .. تَجْلُوهُ فِي الْيَوْمِ .. مُضِيءَ الآمَاسِ .. فِي ذِكْرَاهَا

فَإِلَيْهَا زَفَّ التَّحِيَّةَ مَا دَاهَنَ .. هَذَا الْيَرَاعُ .. مَا دَاجَاهَا

مَا تَعَالَى عَلَى الرَّعِيلِ .. عَلَى الرَّهْطِ بِمَا صَاغَ نَابِعاً مِنْ ثَرَاهَا

حِينَ حَيَّا فيهَا الْجَزِيرَةَ يُعْلِي بِشَبَا الْحَقِّ شَأْنَهَا وَعُلاَهَا

* * *

.. قُلْ لأُخْتٍ .. فِي جِدَّةٍ تَجْتَبِيهَا أُخْتُهَا فِي «الرِّياضِ» فِي مُجْتَبَاهَا[١]

بُورِكَتْ دَعْوَةٌ .. تَجَمَّعَ فِيهَا وَلَدَيْهَا .. فِي الْمُنْتَدَى .. أُدَبَاهَا

يَتَبَارَى فِيهَا أُولُو الْعِلْمِ بِالْعِلْمِ .. عَزِيزاً فِي رَكْبِهِ مَا تَبَاهَى

يَتَنَادَى فِي سَاحِهَا الرَّحْبِ .. بِالْفِكْرِ قَوِيماً .. كُتَّابُهَا .. شُعَرَاهَا

* * *

الْجَزِيرَةُ .. والزَّهْرَاء ..

أَيُّهَا الشِّعْرُ .. وَالْجَزِيرَةُ مَرْقَاكَ .. وَمَهْوَاكَ .. فِي طَوِيلِ مَدَاهَا[٢]

حَسْبُكَ الْيَوْمَ: إنْ بَلَغْتَ .. فَبَلَّغْتَ بِصَوْتٍ مِنْ إبْنِهَا .. أَبْنَاهَا

---

(١) المقصود بالأولى ـ في جدة .. جامعة الملك عبد العزيز في جدة ـ وأختها في الرياض جامعة الرياض ـ تجتبيها: تختارها .. وتصطفيها ـ

(٢) بَلَغْتَ: وصلت .. فَبَلَّغْتُ: أبلغ ـ وصَّل ما أراد قوله ـ أو أداءه.
والزَّهْرَاءُ: الصافية اللون ـ المشرقة ـ النَّيِّرةُ الحسن والرونق ـ

هَـذِهِ نَـفْـحَـةُ الْـجَـزِيـرَةِ .. مِـنْـهَـا وَإِلَـيْـهَـا .. الـزَّهْـرَاءُ .. أَوْ زَهْـرَاهَـا

* * *

.. أيُّهَا الشَّاعِرُ الْحَفِيُّ .. مُحِبًّا وَحَبيباً .. زِدْهَا عُلاً .. وَرَفَاهَا

وَبِـإِسْـلاَمِـهَـا: كِـيَـانـاً .. وَكَـوْنـاً وَبِـآمَـاسِـهَـا .. أَطَـلَّ ضُـحَـاهَـا

قَـفْ عَـلَـى الـدّوْحَـةِ الْـعَـلِـيَّـةِ فِـيـهَـا وَتَـرَنَّـمْ بِـالْـيَـوْمِ : عِـزًّا .. وَجَـاهَـا

* * *

الغَـزَّاوِيَّـة[١] !!

«عَـرَفْـتُ مِـنْ ذَاتِ نَـفْـسِـي غَـيْـرَ مَـا عَـرَفُـوا
فَــمَــنْ يَــلُــومُ إذَا مَــا قُــمْــتُ أَعْــتَــرِفُ؟

فَـمَـا تَـهَـوَّيْـتُ مِـنْ شَـهْـرَيْـن قَـدْ مَـضَـيَـا
فِـي الْـبَـيْـتِ أَجْـلِـسُ وَحْـدِي فَـوْقِـي الـلُّـحُـفَ

وَقَـدْ تَـعَـجَّـبَ مِـنْ حَـالِـي بِـلاَ سَـبَـبِ
أَلْـبَـابُ وَالْـعَـقْـبُ والـرّوشَـانْ وَالـقُـفَـفُ

كَــمَــا تَــطَــلَّــعَ نَــحْــوِي زَاغِــراً أَبَــداً
فِـي سَـقْـفِـهِ الْـقَـنْـدَلُ الْـمَـرْصُـوصُ والْـخَـصَـفُ

هَــلْ تَــعْــلَــمُــونَ بِــأَنِّــي بَــيْــنَ أَرْبَــعَــةٍ
صَـمَّـاءَ مِـنْ جُـذُرٍ لَـيْـسَـتْ لَـهَـا سُـجُـفُ؟

وكُـلُّ تَـمْـشِـيَـتِـي: بُـولْـطَـا أَقُـومُ بِـهَـا
فَـوْقَ الـسُّـطُـوحِ يُـوَارِيـنِـي بِـهَـا الـطَّـنَـفُ

(١) **المصدر**: مجلة بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين المجلد الأول ١٣٩٤.

كَـيْ اسْـتَـجِـمَّ قَـلِـيـلاً ثُـمَّ يُـرْجِـعُـنِـي
إِلَـى الْـفِـرَاشِ دَبِـيـبٌ مِـنْـهُ أَرْتَـجِـفُ
بَـرْدَان قَـفْـقَـفْـتُ مِـنْ ضَـهْـرِي وَفِـي رُكَـبِـي
شَـيْءٌ إذَا غَـزَّهَـا مِـنْ جَـلْـسَـتِـي أَقِـفُ
قَـرْفَـان مِـنْ هَـذِهِ الـدُّنْـيَـا وَشِـيَـمَـتُـهَـا
غَـدْرٌ وَهَـمٌّ وَنِـسْـيَـانُ وَمُـعْـتَـكَـفُ
فَـإِنَّـهَـا مِـثْـلَـمَـا قَـدْ قَـالَ صَـاحِـبُـنَـا
ظُـوظُـو أَفَـنْـدِي إِذَا جَـانَـا لَـهَـا يَـصِـفُ
خَـرْسِـيـسُ !! نَـرْسِـيـسُ دَنْـيَـا زَيَّ قِـلَّـتِـهَـا
يَـا شَـيْـخُ أَحْـمَـدُ إِخْـصِ إِنَّـهَـا قَـرَفُ !!

* * *

فَـاسْـمَـعْ كَـلاَمِـيَ يَـا قَـنْـدِيـلُ مُـتَّـعِـظاً
فَـالْـيَـوْمَ أَوْ بَـعْـدَ بُـكْـرَا سَـوْفَ تَـنْـعـكِـفُ
عَـبِّـي مِـنَ الْـيَـوْمِ مَـا تَـحْـتَـاجُـهُ لِـغَـدٍ
رُكْـنٌ وَسَـطْـحٌ وَبَـسْـطُـونٌ بِـهِ تَـقِـفُ
فَـقُـلْـتُ: فِـعْـلاً كَـمَـا قُـلْـتُـمْ مَـبَـادِئُـكُـمْ
بَـانَـتْ عَـلَـيَّ وَقَـدْ أَزْرَى بِـي الـتَّـلَـفُ
هِـيَ الْـمَـبَـادِئُ فِـي الأَعْـمَـأرِ مَـا فَـتِـئَـتْ
تُـبَـدِّلُ الْـجِـلْـدَ بَـعْـدَ الـجِـلْـدِ يَـنْـكَـشِـفُ

هَـلَّـتْ عَـلَـيَّ كَـمَـاءِ الْـمُـزْنِ رَشْـرَشَـةٌ
هَـتَّـانُـهَـا بِـرَذَاذٍ مِـنْـهُ أَرْتَـشِـفُ

ضَـهْـرِي يُـطَـقْـطِـقُ إنْ طَـالَ الْـجُـلُـوسُ بِـهِ
فَـوْقَ الْـكَـرَاسِـي لَـهَـا أَوْلاَدُنَـا زَحَـفُـوا

فَـقَـالَ: تِـلْـكَ الْـكَـرَاسِـي كَـمْ يَـحِـنُّ لَـهَـا
ضَـهْـرِي يَـخُـويَ فَـفِـيـهَـا الْـجَـخُّ والـتَّـرَفُ

أَجَـبْـتُ: مَـهْـلاً فَـمَـا أُغْـنِـيـه غَـيْـرُ كِـدَا
إِنِّـي أُعَـدِّدُ مَـا بِـالْـجَـسْـمِ يَـنْـحَـرِفُ

لِـسَّـا كَـمَـانَ فَـكِـرْشِـي بَـاتَ يُـثْـقِـلُـنِـي
مُـدَلْـدَلاً وَكَـمَـا الـنُّـونُـو لَـهُ شَـغَـفُ

وَرُكْـبَـتِـي وَعُـيُـونِـي بَـيْـنَ خَـلْـخَـلَـةٍ
وَبَـيْـنَ كَـنْـبَـشَـةٍ مـضَـاقَـتْ بِـهَـا الـنَّـجَـفُ

أَمّـا الـضُّـرُوسُ فَـقَـدْ رَاحَـتْ وَمَـا بَـقِـيَـتْ
إلاَّ الـدَّرَادِيـرُ فِـيـهَـا يُـمْـضَـغُ الْـعَـلَـفُ

فَقَالَ: بَشْ !! بَشْ !! كَفَانَا اللَّهُ مَا جَلبتْ
لَـنَـا الْـقَـوافِـي وَشِـعْـرٌ بَـعْـضُـهُ شِـقَـفُ !!!

❊ ❊ ❊

تَـعَـال وَأَقْـعُـدْ مَـعَـايَـا دُون مَـصْـخَـرةٍ
فَـالْـمَـصْـخَـرَاءُ مِـنَ الـتَّـمْـرَا هِـي الْـخَـشَـفُ

وَافْـضَـلْ بِـجَـنْـبِـي إِذَا دَارَ الْـكَـلاَمُ هُـنَـا
مُـصَـفِّـقـاً إِنْ أَتَـى دَوْرِي وَإِذْ أَقِـفُ
لَـقَـدْ أَتَـانِـيَ مِـنْ يَـوْمَـيْـنِ ظَـرْفُـهُـمـو
وَدَاخِـلُ الـظَّـرْفِ كَـرْتُ مَـا لَـهُ طَـرَفُ
يَـقُـولَ: نَـدْعُـوكُـمُـو لَـيْـلاً لِـمُـؤْتَـمَـرٍ
تُـحْـيُـونَ فِـيـهِ عُـكَـاظـاً يَـا لَـهُ شَـرَفُ
وَقَـدْ تَـقَـشْـمَـطـتُّ فَـرْحَـانـاً بِـدَعْـوتِـهِـمْ
وقَـدْ أَتَـيْـتُ كَـمَـا شَـاءَتْ لَـنَـا الـصُّـدَفُ
مُـشَـقْـدِفـاً مِـثْـلَ عَـادَاتِـي فَـقَـدْ ذَهَـبَـتْ
دُنْـيَـا الْـكَـجَـاوَاتِ بِـالْـعُـصْـمَـانِ تَـنْـصَـرِف
فَـكُـنْ عَـدِيـلِـيَ أَوْ بـالـوِسْـكِ مُـحْـتَـبِـيـاً
فَـفَـرْدَةُ الـشُّـقْـدِفِ الأُخْـرَى لَـهَـا خَـلَـفُ
وَدُقَّ بِـالْـكِـتْـفِ كِـتْـفِـي كُـلَّـمَـا جَـلَـسُـوا
بَـعْـدَ الْـكَـلاَمِ وَقَـوِّمْـنِـي إِذَا وَقَـفُـوا !!

* * *

يَـا صَـاحِـبِـي الْـمُـرْتَـجَـى فِـي الْـحَـفْـلِ أَسْـأَلُـهُ
عَـنْ كُـلِّ شَـيْءٍ إِذَا مَـا هَـزَّنِـي الْـكِـتِـفْ
مَـنْ ذَلِـكَ الـرَّجُـلُ الْـمَـجْـعُـوصُ يَـزْغُـرُلِـي؟
فَـقُـلْـتُ: زِيـدَانَ قَـالَ الآنَ أَنْـتَـصِـفُ

وَمَنْ هُنَاكَ؟؟ يُحَيِّينِي بِقَهْقَهَةٍ
مَا شَابَهَا مِنْهُ إِثْمٌ لاَ وَلاَ جَنَفُ
فَقُلْتُ: هَذَا عُرَيْفٌ فِي أَمَانَتِنَا
بِبَطْنِ مَكَّةَ لاَ يَعْلُو بِهَا الصَّلَفُ
وَذِلِكَ الْوَلَدُ السَّاسِي أَتَعْرِفُهُ؟
عَبْدُ السَّلاَمِ لَهُ كِرْدَاشَةٌ أُنُفُ
بَيْنَ الضَّيَاءَيْنِ قَدْ حَلاً فَذَا رَجَب
وَذَاكَ طَبْعاً عَزِيزُ الأَبّ لاَ النَّصَفُ
وَذِلَكَ الْمَغْرِبِي لاَ بُدَّ قَدْ سَمْعَتْ
أُذْنَاكَ بَحْثاً بِهِ «شَوْقِي» لَهُ لَهِفُ

* * *

أَمَّا هُنَالِكَ فَالْبَشْكَا بِرُمَّتِهَا
مِثْلَ اللآلي مَا فِي بَيْنَهَا صَدَفٌ
عَبْدُ الْغَفُورِ وَلِلْعَطَّارِ نِسْبَتُهُ
لَنْ يُصْلِحَ الدَّهْرُ مِنَّا بَعْضَ مَا نَسَفُوا
وَذا الرَّبِيعُ وَفِي رُكْنٍ يُقَابِلُهُ
عَبْدُ الْعَزِيزِ الرِّفَاعِي الأَنْفُ والأَنَفُ
تَقْفُوهُ مَكْتَبَة حِلْوَا مُخْتَصَرَةٌ
ظَغِيرَةٌ قَدْ زَهَاهَا الدَّلُّ وَالْهَيَفُ

وَألـنَّـقْـشَـبَـنْـدِي عَـلَـى الْـكُـرْسِـيِّ مُـرْتَـكِـزٌ
رَجَّ الْـمَـنَـاضِـرَ لاَ يَـرْضَـى بِـهَـا الـسَّـلَـفْ !
هُـنَـاكَ مَـنْ سَـلِـمَـتْ مِـنْـهُ بَـرَاجِـمُـهُ
وَلَـمْ تُـبَـرْجِـلْـهُ أَوْخَـازٌ وَلاَ شُـغَـفُ
زَوَّجْـتُـه بِـابْـنَـةِ الْـخَـبَّـازِ مِـنْ قِـدَمِ
فَـابْـنُ الْـعَـقِـيـلُ لَـهُ فِـي فُـرْنِـنَـا شَـغَـفُ
هُـنَـاكَ أَيْـضـاً أَخُـونَـا خَـالِـدٌ ضَـحِـكَـتْ
مِـنْـهُ الـنَّـوَاجِـذُ بِـالْـقَـفْـشَـاتِ مُـعْـتَـرِفُ
وَجَـنْـبَ بَـعْـضٍ عَـلَـى غَـفْـلاً لَـقَـد جَـلَـسَـا
هَـذَا الـسُّـنُـوسِـي وَهَـذَا الأَلْـمِـعِـي الـدَّنِـفُ
وَبَـعْـدَ صَـفَّـيْـن أَوْ صَـفٌّ كَـمَـا ذَكَـرُوا
قَـامَ الْـحُـصَـيِّـنُ لِـلأَفْـكَـارِ يَـقْـتَـطِـفُ
وَالْـحَـافِـظَـانِ : عَـلِـيٌّ نَـطَّ مُـبْـتَـعِـداً
عَـنْـهُ أَخُـوهُ أَبُـو عَـفَّـانَ يَـزْدَلِـفُ
وَابْـنَـانِ: إِبْـنُ خَـمِـيـسٍ فِـي دَفَـاتِـرِهِ
يُـرَاجِـعُ الـشِّـعْـرَ نَـبْـطِـيًّـا لَـهُ يَـصِـفُ
بِـجَـنْـبِـهِ إِبْـنُ إِدْرِيـسٍ يُـزَاحِـمُـهُ
بِـالـشِّـعْـرِ حُـرًّا وَمَـنْـثُـوراً فَـهَـلْ أَصِـفُ؟
فَـقَـالَ: كَـلا فَـإِنِّـي مُـبْـصِـرٌ حَـمَـداً
الْـجَـاسِـرَ الْـبَـاحِـثَ الـتَّـارِيـخَ يَـنْـتَـصِـفُ

أَبُــو نَــبِــيــهٍ لَــهُ فِــي كُــلِّ ثَــانِــيَــةٍ
مُــبَــصْــبِــصٌ وَمِــنَ الآثَــارِ يَــغْــتَــرِفُ
كِــفَــايَــا مَــنْ قَــدْ ذَكَــرْنَــا مِــنْ عَــجَــائِــزِنَــا
هَــاتِ الــشَّــبَــابَ الَّــذِي مَــا فِــيــهِ مُــعْــتَــسِــفُ
إِنَّ الــشَّــبَــابَ لَــنَــا ذِكْــرَى إِلَــيْــه رَنَــا
فِــي حَــارَةِ الْــبَــابِ قَــلْــبِــي حَــيْــثُ يَــزْدَهِــفُ !!

* * *

فَــقُــلْــتُ: عَــبْــدُ الْــيَــمَــانِــي بَــيْــنَ كَــوْكَــبَــةٍ
مِــنَ الــدَّكَــاتِــرَةِ الــشُّــبَّــانِ مُــؤْتَــلِــفُ
هُــمُــو الــشَّــبَــابُ بِــنَــا وَلَّــى فَــنَــحْــنُ بِــهِــمْ
نَــعِــيــشُ فِــي لَــفْــتَــةِ الــتَّــارِيــخِ يَــنْــعَــطِــفُ
زَيَّــانُــهُــمْ وَأَبُــو رُكْــبَــا وَجَــنْــبَــهُــمَــا
بَــاجُــودَةٍ وَكَــثِــيْــرٌ كُــلُّــهُــمْ نَــجِــفُ
مِــنْ الْــمُــبَــارِكِ لِــلــسَّــاسِــي لِــغَــيْــرِهِــمَــا
مِــمَّــنْ عَــرَفْــتُ وَمِــمَّــنْ سَــوْفَ يَــنْــعَــرِفُ
أَجَــابَ: قُــلْ لُــهُــمــو عَــنِّــي وَقَــدْ جُــمِــعُــوا
كَــالْــعِــقْــدِ مِــنْ لُــؤْلُــؤٍ مَــا بَــيْــنَــهُ خَــزَفُ
أَنْــتُــمْ لَــنَــا الأَمَــلُ الْــمَــنْــشُــودُ مِــنْ غَــدِكُــمْ
فِــي يَــوْمِــنَــا الْــيَــوْمُ .. لاَ بُــكْــرَا فَــلاَ تَــقِــفُــوا

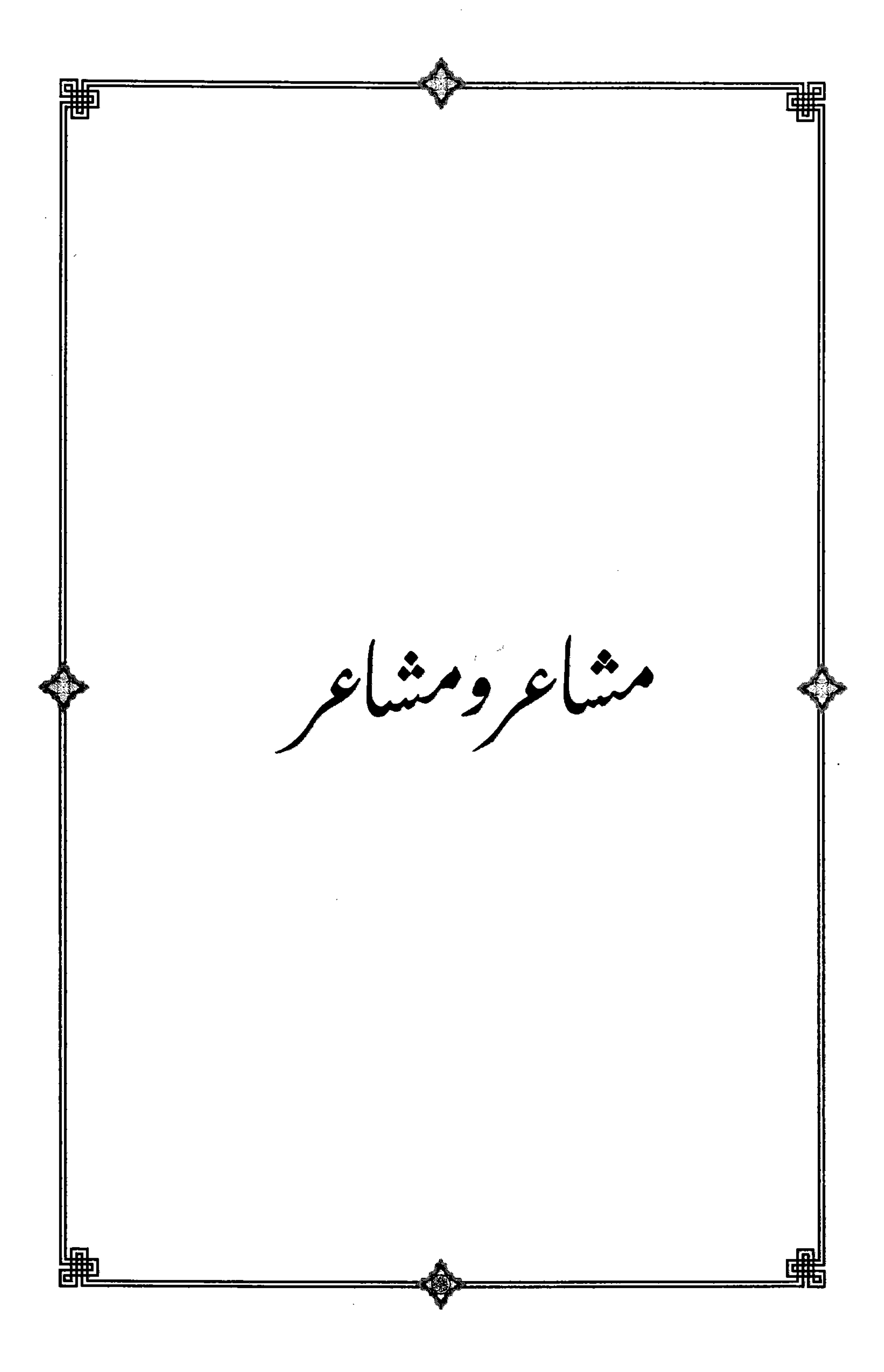
سِيـرُوا فَـأَنْـتُـمْ وِلاَدِي كُـلُّـكُـمْ فَـبِـكُـمْ
طَبْعاً كَمَا قُلْتُ مِنْكُمْ تُؤْكَلُ الْكتِفُ !!

* * *

يَـا أَيُّـهَـا الْـحَـفْـلُ وَالآدابُ تَـجْـمَـعُـهُ
وَالـشِّـعْـرُ والـنَـقْـدُ والأَبْـحَـاثُ وَالْـتُّـحَـفُ
قَـامَـتْ بِـفِـكْـرَتِـهِ لِـلْـفَـنِّ جَـامِـعَـةٌ
عَـبْـدُ الْـعَـزِيـزِ لَـهَـا مِـنْ إِسْـمِـهِ شَـرَفُ
هـذِي مُـبَـاسَـطَـةٌ بِـألْـفَـنِّ أُرْسِـلُـهَـا
قَـدْ كَـنْـدَشَـتْـهَـا لَـنَـا الأَلْـفَـاظُ والـطُّـرَفُ
سَـجَّـلْـتُـهَـا كَـيْ أُحَـيِّـي بَـيْـنَـنَـا رَجُـلاً
قَـدْ عَـاشَ فِـي الِـبَـرْدِ بِـالأَشْـعَـارِ يَـلْـتَـحِـفُ
بَـقِـيَّـةُ الـنَّـاسِ فِـيـنَـا فِـيـهِ قَـدْ نَـظَـرَتْ
عُـيُـونُـنَـا مَـاضِـيـاً والْـدَّمْـعُ مُـنْـذَرِفُ
فَـكَـرِّمُـوهُ فَـمَـا أَحْـلَـى الْـجَـدِيـدَ بِـنَـا
مُـكَـرِّمـاً لِـقَـدِيـمٍ مِـنْـهُ نَـغْـتَـرِفُ
وَقَـلِّـدُوهُ مِـدَلْـيَـاءً مُـعَـلَّـقَـةً
بِـالْـحَـلْـقِ مِثْـلَ الْـمَـشَـا الـلَّـه حَـبْـلُـهَـا سَـعَـفُ
فَـإِنَّـهُ فِـي حُـرُوفِ الـشِّـعْـرِ نَـقْـرَؤُهَـا
فِـي يَـائِـهِ الْـيَـومَ مِـنَّـا بَـيْـنَـنَـا: الأَلِـفُ !!

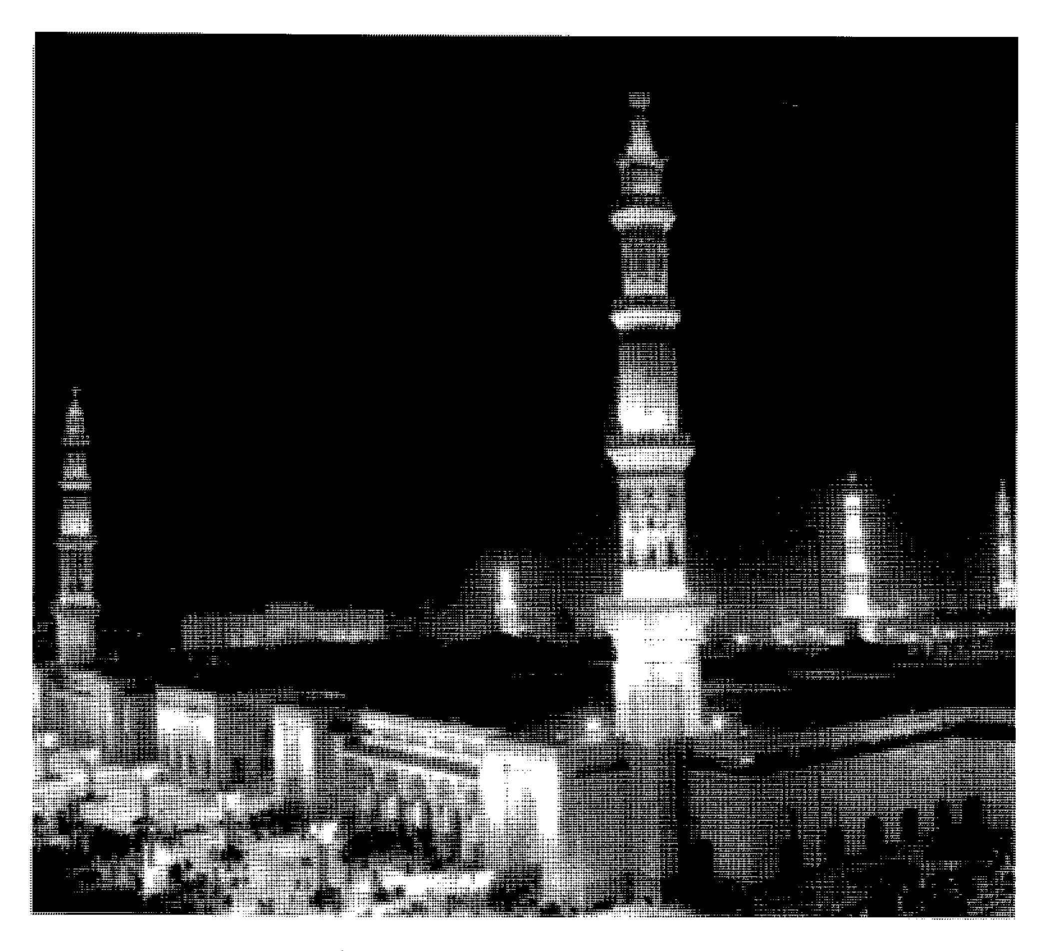
جدة ٢ ربيع أول ١٣٩٤





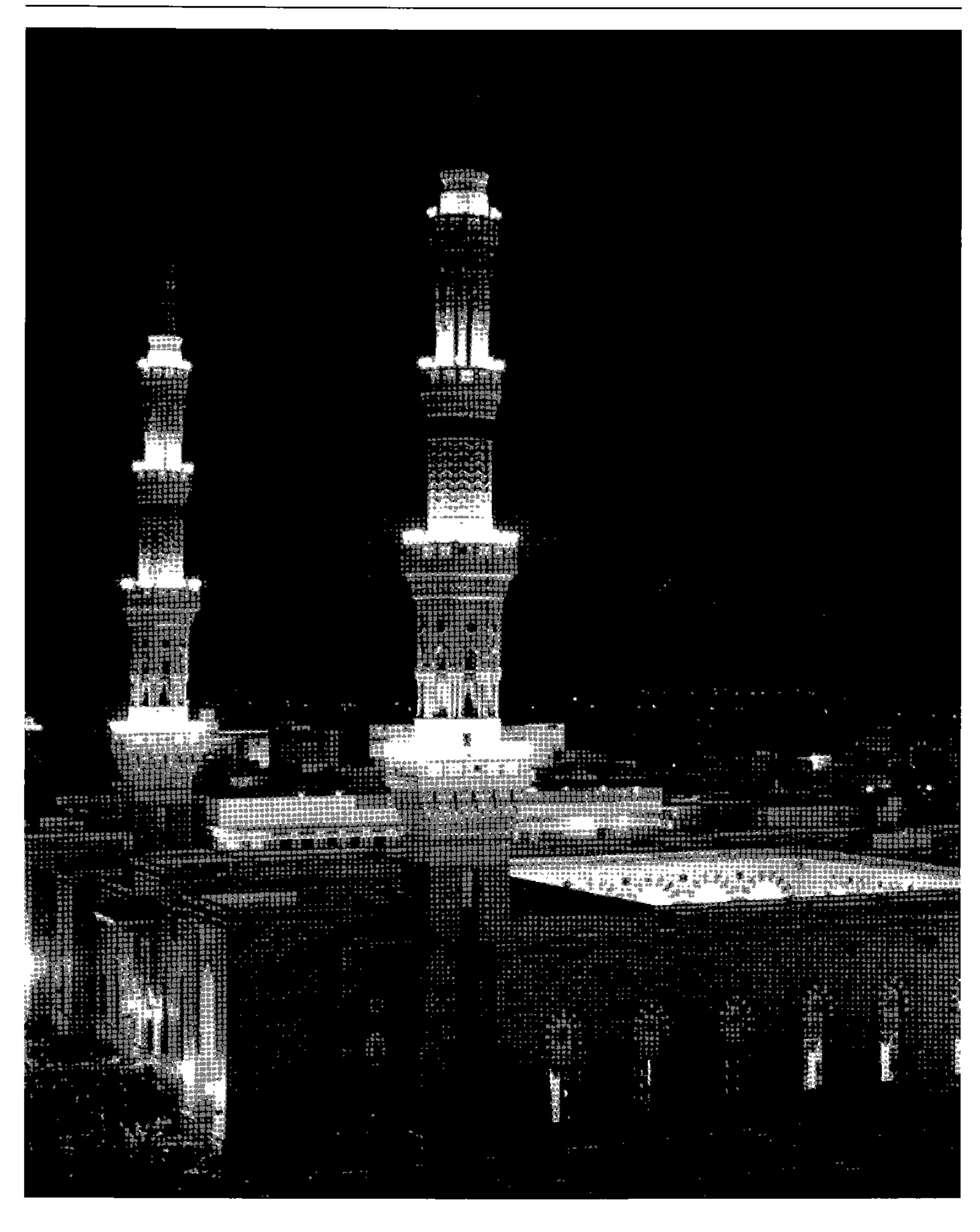
مشاعر ومشاعر





وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَا . .





عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلاَّ إلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ. . المسْجِدِ الْحَرَامِ. .

وَمَسْجِدِي هَذَا. . والمسْجِدِ الأَقْصَى. .





خَادِمُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ . .

الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ـ يرحمه الله ـ



مشَاعرٌ ومشَاعر

قِفْ بِالأَبَاطِحِ .. تَسْرِي في مَشَارِفِهَا
مَوَاكِبُ النُّورِ.. هَامَتْ بِالتُّقَى شَغَفَا
مِنْ كُلِّ فَجٍّ .. أَتَتْ لِلَّهِ .. طَائِعَةً
أَفْوَاجُهَا.. ترْتَجِي عَفْوَ الْكرِيمِ .. عَفَا
وَسْطَ الرِّحَابِ .. تَلاَقَتْ غَيْرَ شَاكِيَةٍ
أَيْناً .. فَمَا عَرَفَتْ أَيْناً .. وَلاَ كَلَفَا
مَحْفُوفَةً بِرِضَا الْمَوْلَى .. مُعَطَّرَةً
بِالطَّيِّبَاتِ .. تَهَادَتْ وَازْدَهَتْ شَرَفَا
بِالْبَيْتِ .. بَيْنَ جِبَاهٍ فِي مَسَاجِدِهَا
تَبَتَّلَتْ وَرَعاً .. أَوْ وَدَّعَتْ صَلَفَا
تَلامَسَتْ في الرِّحَابِ الزُّهْرِ .. مُسْبِلَةً
طَرْفاً .. يُخَالِسُ مِنْ أَرْكَانِهَا طَرَفَا
صَوْبَ الْحَطِيمِ خطَتْ.. أَوْ بِالْمَقَامِ مَشَتْ
مِثْلَ الْحَمَائِمِ سِرْباً بِالْحِمَى اعْتَكَفَا

رَشَّافَةَ النَّبْعِ .. قَدْ رَوَّتْ أَضَالِعَهَا
مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ .. وِرْداً لِلْغَلِيلِ شَفَا
بِالْمَرْوَتَيْنِ .. تَوَالَى فِي رِوَاقِهِما
عَبْرَ الزَّمَانِ .. صَدَى الاِسْلاَمِ مُؤْتَنِفَا
مُرَقْرَقَ الْحِسِّ .. رُوحاً بِالنِّدَاءِ سَمَا
وَبِالدُّعَاءِ .. وَفِي مَنْغُومِهِ .. الشُّرُفَا
نَهْجاً تَوَشَّعَ فِي الأَكْوَانِ جَازَ بِهَا
بَابَ السَّمَاءِ .. بِدِينِ الْحَقِّ مُتَّصِفَا
سَارَتْ بِسِيرَتِهِ الآفَاقُ طَافَ بِهَا
حُرَّ الْخُطَى .. مَا وَنَى .. مَا هَانَ .. أَوْ دَلَفَا
بِالسَّانِحَاتِ مِنَ الأَطْيَافِ خَافِقَةً
بِقَلْبِ مَكَّةَ أَهْدَتْهَا الْوَرَى زُلَفَا
غَوَالِياً .. كَبَّرَتْ لِلَّهِ عِزَّتُهَا
فِي كُلِّ قَلْبٍ بِغَيْرِ اللَّهِ مَا اعْتَرَفَا !!

* * *

يَا صَاحِبَ الدَّرْبِ يَمْشِي فِي مَنَاكِبِهِ
مَنْ بِالْمَوَاكِبِ مَرَّ الدَّرْبَ .. واعْتَسَفَا
إِلَى الْمَشَاعِرِ تَعْلُو الدَّهْرَ سِيرَتُهَا
قُدْسِيَّةَ النَّفْحِ لِلتَّارِيخِ حِينَ وَفَى

مَشَى الْحَجِيجُ بِهَا رَكْباً حَدَتْهُ ضُحَى
أَسْلاَفُنَا.. فَحَدَونَا رَكْبَهُ خَلَفَا
بَيْنَ الرِّفَادَةِ .. لاَ مَنٌ يُمَازِجُهَا
بَيْنَ السِّقَايَةِ .. نَبْعاً بِالاِخَاءِ صَفَا
أَشْهَاهُمَا الْعَصْرُ فِي شَتَّى مَحَاسِنِهِ
تَوَاتَرَتْ سَنناً بِالأَصْلِ مَا انْحَرَفَا
قَدْ عَاشَتَا فِي حَيَاةِ الأَمْسِ .. مفْخَرَةً
وَزَانَتَا فِي هَوَى أَيَّامِنَا .. تَرَفَا
فَطَابَتَا نُعْمَيَاتٍ وَسْطَ وَارِفَةٍ
مِنَ الْجِنَانِ .. زَكَتْ سَاحَاتُهَا غُرَفَا
تَوَسَّدَ الأَمْنَ غَادِيَهَا .. وَرَائِحُهَا
وَنَام فِي كَنَفِ الرَّحْمَانِ حَيْثُ غَفَا

* * *

وَهَبَّ يَسْتَنْشِقُ الأَعْرَافَ فَاحَ بِهَا
شَذَا الْيَقِينِ جَلاَهَا رَوْضَةً أُنُفَا
يَرْتَادُ فِي الْجَنَبَاتِ الْخضْرِ عَامِرَةً
مَنَابِعَ الْخُلْدِ .. رَشَّافاً .. وَمُغْتَرِفَا
مِنْ كُلِّ أَزْهَرَ وَضَّاحِ الْجَبِينِ تُقَى
بِالصَّالِحَاتِ رَقَى لِلْخَيْرِ .. وَاتَّصَفَا

ضَمَّ الرِّدَاءَ .. بِلَوْنِ الطُّهْرِ مُتَّسِماً
عَلَى الازَارِ .. بِمَعْنَى الطُّهْرِ مُؤتَلِفَا
وَرَاحَ يَسْتَبِقُ اللُّقْيَا .. وَقَدْ لَعِبَتْ
بَرَاءَةُ الْحُبِّ فِي أَعْطَافِهِ .. هَيَفَا
مُلَبِّياً .. جَهَرَتْ لِلَّهِ طَاعَتُه
مَثْنَى .. ثُلاَثاً .. فَبِاسْمِ اللَّهِ قَدْ هَتَفَا
لَبَّيْكَ !! لَبَّيْكَ رَبَّ الْحَمْدِ مُطَّرِداً
وَالْمُلْكِ مُنْفَرِداً .. وَالْجَاهِ مُكْتَنِفَا

* * *

يَا صَاحِبَ الدَّرْبِ لاَ تَعْجَلْ ـ فَقَدْ سَمِعَتْ
أُذْنَايَ هَمْساً بِأَطْرَافِ الْحِمَى عُرِفَا
مَا بَيْنَ بَاكِيَةٍ بِالْقَلْبِ .. مُرْتَجِفاً
وَبَيْنَ شَاكِيَةٍ بِالدَّمْعِ .. مُنْذَرِفَا
قَالَتْ حَمَامَةُ رَبِّ الْبَيْتِ .. وَالِهَةً
لأُخْتِهَا .. فِي حَدِيثٍ طَالَ مُؤْتَنِفَا
رَقَّ الْهَدِيلُ بِهِ مَعْنَى .. وَرَقْرَقَهُ
وَجْدُ الْمُحِبِّينَ شَوْقاً ضَمَّهُمْ لَهَفَا
إِنِّي أَرَاهَا بِعَيْنِ الْحُبِّ وَافِضَةً
بَيْنَ الأَبَاطِحِ .. نَحْوَ الدَّرْبِ مُنْعَطِفَا

تَـرِفُّ فِـي كَـبِـدِ الْـوَادِي .. قَـوَافِـلُـهَـا
تَمِيلُ كَالزَّهْرِ .. أَوْ كَالظَّبْيِ حِينَ طَفَا
تِلْكَ الصُّفُوفُ الَّتِي كَانَتْ بِسَاحَتِنَا
نِثَارُهَا الْخَيْرُ: رِفْداً .. وَالعَطَاءُ: وَفَا ..

* * *

وَأَرْخَتِ الطَّرْفَ .. تُمْلِي أُخْتَهَا وَلَهاً
حَمَامَةُ الْبَيْتِ .. مِنْ أَخْبَارِهَا طرَفَا
فَاسْتَعْبَرَتْ بَيْنَ ذِكْرَى الأَمْسِ عَابِرَةً
بِالْيَوْمِ مَعْنىً ـ عَلَى الأَيَّامِ مَا اخْتَلَفَا
يَزْكُو بِأَعْرَافِهَا الاِسْفَارُ مُنْبَلِجاً
وَيَسْتَضِيءُ بِهَا الإِدْلاَجُ ـ مُؤْتَلِفَا
رَوَاحِلاً مَدَّتِ الأَعْنَاقَ ـ حَانِيَةً
عَلَى الرِّمَالِ ـ كَصَدْرٍ ضَمَّهَا لَهِفَا
تَعَانَقَتْ ـ وَتَلاَقَتْ فِي مَعَارِجِهَا
بَيْنَ الْمَرَاقِي تَعَالَتْ فِي الدُّنَى هَدَفَا
تِلْكَ الْمَرَاقِي الَّتِي كَانَتْ فَوَاتِحُهَا
لِلآيِ ـ لِلنُّورِ ـ غَيْثاً بِالْحَيَا وَطِفَا
يَا لَيْتَنَا .. وَسَنَى الأَسْحَارِ بَاسِمَةٌ
لِلْفَجْرِ .. تُوسِعُهُ لَثْماً .. وَقَدْ أَزِفَا

سِرْنَا مَعَ الرَّكْبِ .. غَابَتْ عَنْ نَوَاظِرِنَا
صُفُوفُهُ .. وَبَقِينَا وَحْدَنَا خُلَفَا
بِالأَخْشَبَيْنِ .. وَقَدْ غَطَّتْ رِمَالَهُمَا
خُطَى الْمُلَبِّينَ .. فَاهْتَزَّا هَوىً .. وَوَفَا
وَاسْتَمْلَيَا ذِكْرَيَاتِ الأَمْسِ رَاوِيَهَا
مَا أَمْهَلاَهُ .. أَعَادَا يَاءَهَا أَلِفَا
بَيْنَ الْمُحَصَّبِ .. غَنَّتْ فِي مَسَالِكِهِ
حَصْبَاؤُهُ .. وَتَغَنَّتْ بِالهُدَى شَغَفَا
حَوْلَ الْمَعَارِجِ: مِرْقَاتَيْنِ فِي فَلَكٍ
حَاذاهُمَا الرَّكْبُ .. إِنْ أَلْوَى .. وَإِنْ عَطَفَا
رَوَائِحُ الْمُصْطَفَى الْهَادِي سَرَتْ بِهِمَا
مِسْكاً يَضُوعُ .. وَمِشْكَاةً مَحَتْ سَدَفَا
زَهَا حِرَاءُ بِذِكْرَاهَا مُرَفْرِفَةً
فِي قَلْبِ مِحْرَابِهِ .. قَلْباً بِهِ وَجَفَا
وَشَعَّ فِي فَمِ ثَوْرٍ ذِكْرُهَا أَثَراً
صَانَتْهُ وَرْقَاءُ .. عَنْهَا الشِّرْكُ قَدْ صَدَفَا
غَارَانِ مَا غَابَ فِي التَّارِيخِ إِسْمُهُمَا
يَوْماً .. فَبَيْنَهُما التَّارِيخُ قَدْ وَقَفَا
مُسَبِّحاً بِمَعَانِي الْوَحْيِ فَاتِحَةً
وَهَازِجاً بِأَمَانِي الْفَتْحِ .. قَدْ أَزِفَا

لِـلْـمُـسْـلِـمِـيـنَ .. تَـنَـادَوْا فِـي جَـوَانِـبِـهِ
لِلْمُؤْمِنِينَ .. تَواصَوْا بَيْنَهُمْ .. حُلَفَا ..
وَرَفْـرَفَـتْ بِـجَـنَـاحِ الـشَّـوْقِ .. قَـائِـلَـةً
حَـمَـامَـةُ الْـبَـيْـتِ فِـي شَـوْقٍ بِـهَـا عُـرِفَـا
يَـا لَـيْـتَـنَـا .. فِـي سَـمَـاءِ الْـخَـيْـفِ صَـافِـيَـةً
حَـوْلَ الْـمَـنَـائِـرِ .. حَـلَّـقْـنَـا لَـهُـمْ رُصَـفَـا
نَـقِـيـلُ وَسْـطَ مِـنَـى .. زُلْـفَـى .. وَتَـرْوِيَـةً
قُـرْبَ الْـمُـصَـلِّـيـنَ عَـاجُـوا بَـيْـنَـهَـا حُـنَـفَـا
هُـمُ الْـحَـمَـائِـمُ: أَسْـرَابـاً مُـرَفَّـهَـةً
بِـيضَ السَّـرَائِـرِ .. لاَ إِثْـمـاً .. وَلاَ جَـنَـفَـا !

* * *

يَـا صَـاحِـبَ الـدَّرْبِ لاَحَـتْ فِـي مَـعَـارِفِـهِ
آيَـاتُـهَـا ـ وَأَلاَحَـتْ بِـالْـمُـنَـى شَـرَفَـا
عَـرِّجْ بِـرَكْـبِـكَ: أَطْـيَـاراً مُـحَـوِّمَـةً
لِـلـنَّـبْـعِ تَـرْنُـو ظِـمَـاءً ـ لَـمْ تَـخَـفْ دَنَـفَـا
فَـإِنَّـهَـا عَـرَفَـاتٌ .. فِـي مَـنَـاهِـلِـهَـا
فِـي يَـوْمِـهَـا الـنَّـبْـعُ .. يَـجْـرِي بِـالـنَّـمِـيرِ صَـفَـا
نَـهْـراً مِـنَ الْـخُـلْـدِ .. لاَ تَـنْـفَـكُّ دَافِـقَـةً
أَمْـوَاهُـهُ .. نَـهْـبَ مَـنْ وَافَـاهُ .. فَـاغْـتَـرَفَـا

قَامَتْ عَلَى ضَفَّتَيْ وَادِيهِ .. ضَارِعَةً
أَجْبَالُهَا .. أَنِفَتْ أَنْ تُعْلِنَ الأَنَفَا
تَخَشُّعاً بِجَلاَلِ اللَّهِ خَالِقِهَا
لآلِئاً .. مَازَتِ التَّقْوَى لَهَا صَدَفَا
حَلَّى بِهَا جِيدَهُ الْوَادِي يُقَلِّدُهَا
مَنْ زَادَهُ .. وَرَجَا مِنْ ظِلِّهِ كَنَفَا!!

* * *

واسْتَشْرَفَ الْجَبَلُ الزَّاكِي بِهَامَتِهِ
عَلَى الدرُوبِ رَعَى مَنْ جَاءَ .. مَنْ زَحفَا
فَأَحْرَمَتْ عَرَفَاتٌ ـ فِي مَنَاسِكِهَا
فَيَوْمُهَا الْيَوْمُ ـ قَدْ لَبَّاهُ مَنْ عَرَفَا
تَسْتَقْبِلُ الْفَوْجَ بَعْدَ الْفَوْجِ .. قَدْ رَحُبَتْ
أَمْدَاؤُهَا رَحْمَةً ـ لاَ جَفْوَةً .. وَجَفَا
وَالسَّاقِيَاتُ الْغَوادِي فِي غَمَائِمِهَا
وَفِي مَسَارِي الصَّبَا طَافَتْ بِهِ كِسَفَا
تَمُرَّ مَرَّ النَّسِيمِ الْحُلْوِ مُشْرِفَةً
عَلَى الْمُلَبِّينَ بِالظِّلِّ الَّذِي وَرَفَا
رَأْدَ الضُّحَى دَانِياً .. بِالشَّمْسِ نَاعِسَةً
وَبِالأَصَائِلِ حَنَّتْ لِلْحَيَا ـ وَكَفَا

فَاسْتَعْبَرَتْ بِمَمَاشِي الرَّمْلِ سَاجِدَةً
صَفَاتُهُ .. تَتَحَدَّى الرَّمْلَ إِنْ عَصَفَا!

* * *

حَسْبِي ـ وَحَسْبُكَ مِنْ دُنْيَاكَ هَانِئَةً
يَا صَاحِبَ الدَّرْبِ ـ أَوْ دُنْيَاي مَا سَلَفَا
فَقَدْ سَلاَ الْكُلُّ مِنَّا كُلَّ زُخْرُفِهَا
وَقَدْ عَلاَ الْكُلُّ مَنَّا فَوْقَ مَا أَلِفَا
وَزَانَ ـ وَازْدَانَ بِالْحَشْدِ الرِّضَا أَمَلاً
تَرِفُّ أَصْداؤُهُ بِالْحَمْدِ مُتَّصِفَا
فَرَدَّدَتْ جَنَبَاتُ السَّاحِ فَرْحَتَهُ
تَسِيلُ فِي عَبَرَاتِ الطَّرْفِ مَرْتَجِفَا
وَكَفْكَفَتْ عَرَفَاتٌ ـ وَهْيَ مُحْرِمَةٌ
مَعَ الْمُلَبِّينَ .. دَمْعَ الشُّكْرِ قَدْ ذَرِفَا
وَلِلْمَلاَئِكِ فِي الأَرْجَاءِ هَيْمَنَةٌ
تُزْجِي التَّحَايَا: سَلاَماً .. والثَّنَا: شَغَفَا
إِلَى الْمُلَبِّينَ .. كُلٌّ عِنْدَ مَوْقِفِهِ
يَرْجُو النَّوَالَ: قَبُولاً ـ وَالْقَبُولَ: وَفَا

لَدَى الْمُصَلِّي مَعَ الْقُرْآنِ رَتَّلَهُ
بِالذِّكْرِ مُرْتَجِفاً .. بِالْفَضْلِ مُعْتَرِفَا
يَقُولُ: يَا ربِّ .. إِيمَاناً .. وَمَغْفِرَةً
وَتَوْبَةً عَصَفَتْ بِالذَّنْبِ مُقْتَرَفَا!!

* * *

يَا رَبِّ زِدْنَا بِنُورِ الْحَقِّ مَعْرِفَةً
وَبِالرِّضَا أَمَلاً وَفَّى الرِّضَا .. وَوَفَى
وَهَبْ لَنَا فِي مَرَادِ الْحُبِّ مَا اتَّسَعَتْ
لَهُ الْقُلُوبُ وَلاَءً بِالْيَقِينِ صَفَا
وَلاَ تَكِلْنَا لِغَيْرِ الْجَاهِ لاَذَ بِهِ
عَزْمٌ بِجَاهِكَ ـ يَا مَوْلاَيَ مَا ضَعُفَا !

* * *

مَوْلاَي .. يَا خَالِقَ الانْسَانِ مِنْ عَدَمٍ
وَيَا مُجِيبَ دُعَاءَ الْعَبْدِ ـ عَنْهُ عَفَا
ضَيْفُ الْكرِيمِ عَلَى مَوْلاَهُ مُحْتَسَبٌ
وَحَسْبُنَا: أَنَّنَا أَضْيَافُهُ .. وَكَفَى !!

* * *

يَا صَاحِبَ الدَّرْبِ .. مَا زالَتْ مَشَاعِرُنَا
مَعَ الْمَشَاعِرِ .. رُوحاً بِالْمُنَى هَتَفَا

لَبَّيْكَ ـ لَبِّيْكَ : فِي أَفْوَاهِنَا نَغَمٌ
أَصْغَى لَهُ الْقَلْبُ سَمْعاً دَاعِياً .. وَهَفَا
لَقَدْ وَقَفْنَا بَبَابِ اللَّهِ .. نَسْأَلُهُ
وَلَنْ يُرَدَّ .. بِبَابِ اللَّهِ .. مَنْ وَقَفَا !!

* * *

يـــا قلـــب

دعِ الْـمَـذَاهِـبَ .. فـي مَـسَـارِبِـهـا
تـلـمَّـسـتْ بـيـن أَوضـارِ الـثَّـرى نَـفَـقَـا
فـالـيـومَ تَـنْـبَـعِـثُ الـذِّكـرَى .. مُـدَوِّيَـةً
شَـأَى الـزَمَـانُ بِـهَـا فَـوْقَ الـمَـدَى .. وَرَقَـا
عِـطْـرِيَّـةَ الـنَّـفْـحِ .. لا تَـنْـفَـكُّ سِـيـرتُـهـا
فِي عَيْنِ مَنْ رَاءَ .. أَوْ فِي ثَغْرِ مَنْ نَطَقَا
فـالـهـجـرةُ الـهـجـرةُ الـكُـبْـرى مَـنَـارُ هـدىً
لِـلَّـهِ .. لـلـدِّيـنِ .. لـلإِسـلامِ مُـنْـطَـلَـقَـا
مَـشَـتْ عـلـى سَـنَـنِ الـتـوحـيـدِ .. هـازِجـةً
تَـأَطَّـرَتْ بـيـن أَدْرانِ الـجـهـادِ .. تُـقَـى
وَضَـيـئَـةَ الـنَّـهْـجِ صـانَـتْ فـيـه سـالِـكُـهُ
مـا حَـادَ عـنْـه .. وأَقْـصَـتْ عـنـه مـن مَـرَقـا
يـشْـدُو بـآيـاتِـهـا الـتـاريـخُ .. قـد حَـفَـلَـتْ
أَسْـفَـارُهُ بـجـلالِ الـحـقِّ .. مـا زَهَـقَـا !

* * *

يا قلبُ لا زلتَ عمْراً في مَسَابِحِها
هَفَا بِجَنْبَيَّ مَسْبوقاً ومسْتَبِقَا
دثَّرْتُهُ بالهَوَى طِفْلاً تُراوِدُهُ
رُؤَى الطَّفولةِ حُلْماً بالْهَوَى عَبِقَا
فاكْتَنَّ يَسْبَحُ في أَمواجِه مَرِحاً
وافْتَنَّ يَمْرَحُ في أَجْوائِه .. طَلْقَا
وهَدْهَدَ الحُبَّ عُذْرِيًّا .. يُرتِّلُهُ
شِعْراً تَجاوَزَ حَدَّ السَّمْعِ .. مُسْتَرِقَا
إِلى النفوسِ تَرَجَّتْهُ .. مُهَلِّلَة
ولِلْقلوبِ تَلَقَّتْهُ هَوىً .. غَدِقَا
حتّى إذا شَبَّ عن طوق المُنَى أَمَلاً
ورَادَ مَرْعَاهُ .. حِسًّا شَبَّ .. مُنْدَلِقَا
أَلقَى الزِّمَامَ إِلَى كفِّي مُعَرْبِدَةً
أَصْداؤُه في كيانٍ ضلَّ مُنْزَلِقَا
وقال: حَسْبُكَ أَنِّي عِشْتُ مُحْتَقِباً
وَهْماً .. وَأَوْفَضَ دوني سادِراً .. نَزِقَا !

***

يا قلبُ .. قد فاتَ ـ مَالاً كان ـ وَأَنْفَرَطَتْ
أَيّامُه ذكْرياتِ العُمرِ ـ مُحْتَرِقَا

هـذا مـجـازُكَ فـاعْـبُـرْهُ .. مـطـرَّزةً
لـدى الـجِـنـانِ مَـمَـاشِـيْـهِ .. وقـد أَنِـقَـا
بـالـحـبِّ .. لـونـاً عَـلِـيَّ الـقَـدْرِ مُـنْـتَـسِـباً
إلـى الـسَّـمـواتِ .. لا دُوْنـاً ـ ولا زَلِـقَـا
بـالـطـهْـرِ معنـىً رقـيـقَ الـسِّـتْـرِ .. مُـنْـسَـدِلا
عـلـى الـجَـوانـحِ رُوحـاً شَـبَّ مُـصْـطَـفِـقَـا
بـمـا تُـكِـنُّ .. بـمـا تَـهـوَى مـشـاعِـرُنـا
أَلْـقَـتْ إلـى دَرَن الـدنـيـا هـوىً قَـلِـقَـا
واسْـتَـبْـدَلَـتْـهُ بِـصـافٍ مـن هِـدَايـتِـهـا
مَـرْجُـوَّةَ الـعـفـوِ عـمّـا غـابَ .. مُـفْـتَـرِقَـا !

* * *

يا قَلْبُ .. يا أُلْفَتي في العُمْر .. رائدةً
مُـرْتَـادَةً مـن حـيـاتِـي كـلَّ مـا خَـفَـقَـا
إنَّـا بـسـاحِ رسـولِ الـلّـهِ .. يَـغْـمُـرُنـا
فَـيْـضٌ تَـبَـلَّـجَ عـن رَجْـراجِـهِ .. فَـلَـقَـا
فـيضٌ مـن الـنُّـورِ .. يَـعْـلُـو فـي مـداركِـهِ
عن النواظِرِ .. لَمْحاً .. والنُّهى .. أَلَقَا
فـي بُـقْـعَـةٍ طَـيَّـبَـتْـهـا الـصـالـحـاتُ هَـوىً
لـلـصـالـحـاتِ مـثـالاً فـي الـوَرَى سَـمُـقَـا

فَصِلْ صَلاتَكَ نَجْوىً .. عَزَّ رائِقُها
قَصْداً .. وجَلَّ صَداها فيك مُنْبَثِقَا
وقُلْ لِحُبِّكَ زِدْني في رضاكَ جَوىً
ففي جَوَاكَ رَضِيْتُ الأَيْنَ والأَرَقَا !

* * *

هذى مُناكَ تَناهَتْ في حقيقتِها
معنىً ـ ورادَتْك مَجْلىً ما أَشْتَكى رَهَقَا
فَالْفَجْرُ بالمَسْجِدِ المَحْفوفِ زائرُهُ
بالطِّيباتِ طيوفاً .. رَفَّ وأَتْلَقَا
والهَدْيُ بالرَّوضةِ الغَرَّاء مُشْرِقَةً
كالسِّحْرِ رَقَّ نَدِيًا ـ ناصعاً ـ يَقَقَا
والوَجْدُ من هَمَسَاتِ الذِّكرِ مُرتَشِفاً
عَرْفَ الجنانِ .. هَفَا للخُلْدِ واصْطَفقَا
والفَيْضُ في سَبَحَاتِ الروحِ خاشَعَةً
قد نَضَّ وَاسْتَبَقَ الإِحْسَاسَ وَانْدَفَقَا
والرُّوحُ في الحَضْرَةِ العَلْيَاءِ لاثِمَةً
جَوَّ النُّبُوَّةِ .. إِيماناً بها نطَقَا !!

* * *

هـذا صِـراطُ حَـبِـيـبِ الـلَّـهِ سَـيِّـدِنـا
مُـحَـمَّـدٍ مـن دَعَـا الـتَّـارِيْـخَ فَـانْـطَـلَـقَـا
مُـسَـطِّـراً ذَهَـبِـيَّـاتٍ مُـخَـلَّـدةً
عـلـى الـزمـانِ بـهـا جَـازَ الـمَـدَى سَـبَـقَـا
أَزْجَـى الـسَّـلامَ إلـى الـدنـيـا وحَـبَّـبَـهُ
لـلـكـونِ بَـعْـثـاً .. وزان الـحُـبَّ حـيـثُ رَقَـا
وطَـهَّـرَ الـقـلـبَ مـوصـولاً بِـبَـارِئِـهِ
مُـبَـرَّءاً .. قـد تـحـاشَـى الـجَـوْرَ والْـمَـلَـقَـا
ومَـدَّ لـلـرُّوحِ مِـعْـراجـاً تـطـوفُ بـهِ
أُفْقَ السَّمواتِ .. فَجْراً .. والدُّنَى ـ شَفَقَا !

* * *

هـذا الـعـزيـزُ الـذِّي نـارَتْ هـدايـتُـهُ
لـلـحـقِّ نَـهْـجـاً غـدا مـن بـعـدِهِ طُـرُقَـا
الـنـاشـرُ الـوَحْـدَةَ الـكُـبْـرَى لأُمَّـتِـهِ
أَمْـسَـتْ عـلـى كـرَّةٍ مـن عـهـدِهِ فِـرَقَـا
والـبـاعـثُ الـقُـوَّةَ الـعُـظْـمَـى لِـرائِـدِهـا
بـمـا جَـلاَهُ يـقـيـنـاً راسـخـاً .. صَـدَقَـا
أَفْـنَـى قُـرَيْـظَـةَ .. وأَسْـتَـخْـذَتْ لِـعِـزَّتِـهِ
بَـنُـو الـنَّـضِـيْـرِ ـ ومَـادَتْ خَـيْـبَـرٌ مِـزَقَـا

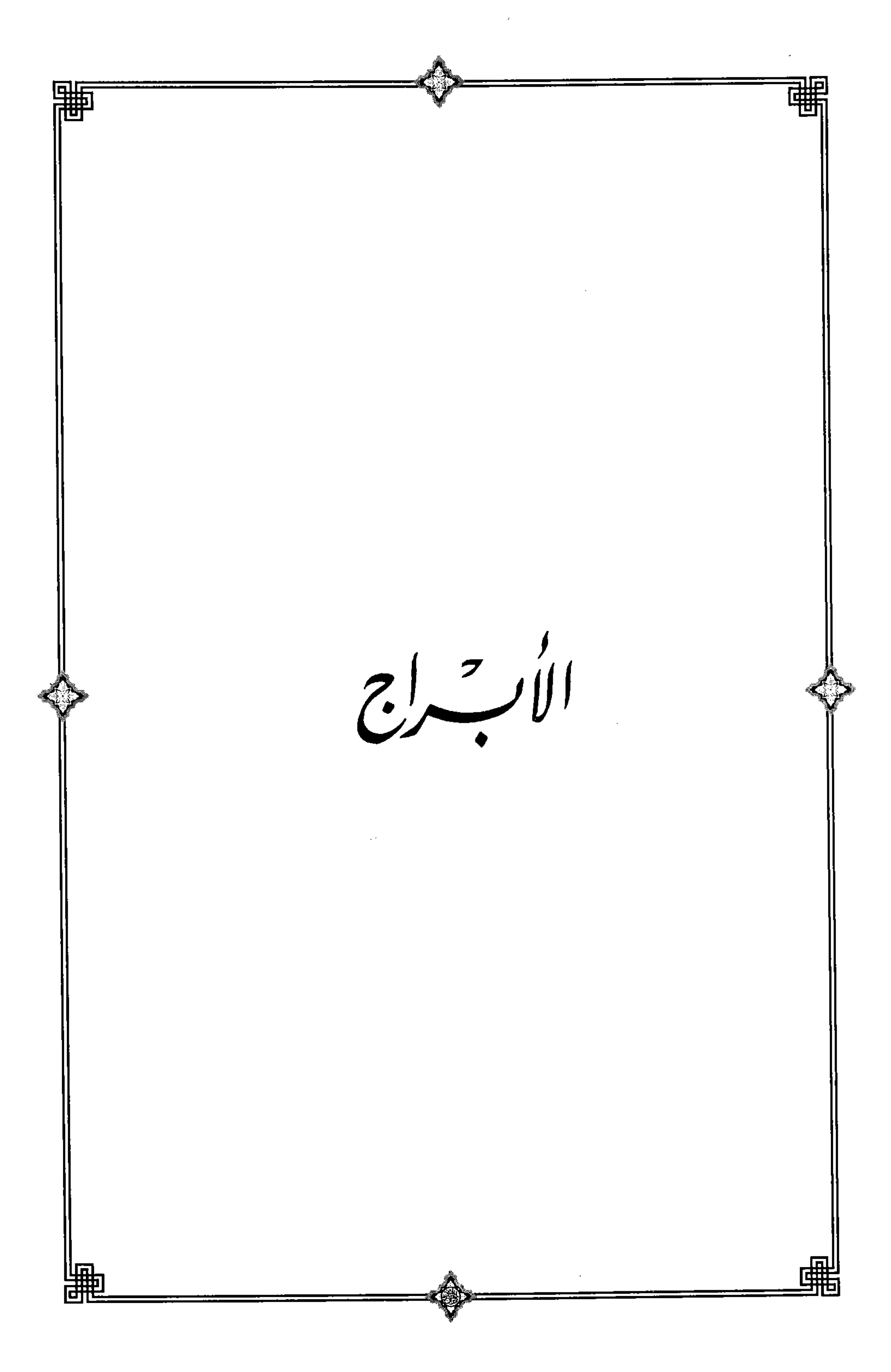
وطـــالَ ذُلُّ يَـــهُـــودِ فـــي الـــوَرَى بَـــدَداً

عـاشَـتْ تُـعـانِـيْـهِ .. لـولا هَـوْنُ مَـنْ لَـحِـقَـا

هـذا الـحَـبِـيْـبُ الـكـريـمُ .. الـمُـجْـتَـبَـى أَلَـقـاً

والمُرْتَجَى .. غَدَقاً .. والمُصْطَفَى .. نَسَقَا





الأبراج



إلى أخي الصديق
الأستاذ حمزة شحاته

صورة الماضي، شباباً، وخيالا
وهوى الفتنة، فناً، وجمالا
وأسار الحاضر امتد ظلالا!



هذا سَبيلي

تصوير وتسجيل لحياة الشاعر وواقع الشعراء بوجه عام.

صناعتي في الورى الكلام له — أحيا فقيراً وحرفتي الأدب
وإنما هذه الحياة سوى — كل امرئ قصده بها سبب
فكانزٌ كنزُه بها لغة — وكاسبٌ كسبه بها ذهب
وأين من في المنى بضاعته — ممن مناه، ونقده، طلب؟
فقل لمن راح يبتغي خبري — لا تغترر بالدويّ يصطخب
وقل لمن جدَّ يقتفي أثري — لا تخدعنَّك الألقاب والرتب
فلا تظن الضياء في لقبي — حقيقة ترتجى وترتقب
ولا بلوغي في الفن مرتبتي — أعاذني الفقرَ ملؤه التعب
فإن هذا «القنديل» أحمله — علالة ينتهي بها اللقب
وإن ذكر «الأستاذ» يتبعني — كظل فقري لفقريَ الذنب

وإنني والحياة عابسة — فكاهة في الحياة تجتلب
وسخرة للملوك من قِدم — وزينة في الفنون ترتغب
حتى تجدّ الحياة معطية — شاعرها بعض ما له يجب

حتى تُعز الآداب صاغرة ... حقيرة من إليه تنتسب
وأنها في الحياة مأملة ... نصيبها في حياتنا النصب
لكنها في الحياة عالية ... حقيقة في غلابها الغلب

وإنني والأديب منتسب ... لمثل مثلي إليك انتسب
فخل عنك الشياتِ ظاهرة ... للعين، إن الرواء مكتسب
وإن صوت الأوتار نائية ... أحلى رنيناً، فقربها صخب
وإن أناتها منغمةٌ ... نحيبها والمحرك السبب
لكل من للكمان مستمعاً ... فكر إن الكمان تنتحب؟
أعيذها أن تكون لي شبهاً ... فالحد بيني وبينها أدب
أنا أنال الأفكار قارئةً ... بالعين طرساً بيانه تعب
وتلك تغزو الأسماع صاغية ... بالأذن لحناً سماعه طرب
لكنما غاية أشبهها ... مثالها للعزاء يُغتصب

فلا تقولنَّ إن شدا أدبي ... بما شدا أنني أنا طرب
أو تحسبنَّ النظيم ملعبة ... برّز فيها يراعيَ الدرب
فليس هذا النظيم لي لعباً ... إن المنى في حياتيَ اللعب
وليس ذاك النسيب لي نسباً ... إن الأسى في فؤادي النسب
أحاله الحب في الهوى نغماً ... للقلب مبكى، للغير منجذَب
هذي حياتي التي قضيت بها ... فتوة للتمام تقترب
وكلما ينتهي إلى طلب ... تريده النفس جد لي طلب
تزفه في منى النفوس منىً ... تدر مني والغير يحتلب

كأنني في فم الأنام لهم ... ثدي لأمٍّ حلابها ضرب

كأنني في فم الحياة فم ... أو أنني فوق رأسها يلب

فما وعته الحياة صامتة ... أعرب عنه لسانِيَ الذرب

وما قضته الخطوب ساحقة ... كان وقاه إحساسيَ الوصب

حقيقة أو صدى أردده ... في النفس أو عن نفوس من نُكبوا

وصاغه الفن في اللغى كلماً ... فمنه در ومنه مخشلب

قضيتها والشباب ملعبة ... لكل من للشباب منتسب

بين الأسى والحياة هامدة ... بين المنى والحياة تلتهب

بين الهوى والفؤاد متصل ... وجيبه والفؤاد لا يجب

بين النهى للعقول مشترعاً ... سبيلها للعلوم تُطَّلب

وبين كهف النهى ومجهلها ... تضل فيه العقول والكتب

وبين لهو النفوس مطلقة ... تُريغ ما تشتهي وتنتهب

وبين كد النفوس دائبة ... وقورة والنجاح مرتقب

وبين سير الحياة وانيةً ... ذميلها لا يفوقه الخبب

وبين سخر الحياة ساخرة ... بكل ما في الحياة يضطرب

فعيشتي بين بين ماضية ... والجد منها يشوبه اللعب

فإن أردت الحياة عارية ... لم تخفها دون عينك الحجب

وإن قصدت النفوس صادقة ... لم يزوها دون نفسك الكذب

فإنني للحياة صورتها ... ليّنها بين بين والخشِب

وإنني للنفوس قارئة ... مقروءة ما ترى وما يجب

هذا سبيلي وأنه عجب ... سبيله في يقينك العجب!

الشِعر والشاعِر

يا أديباً وشاعراً ... بهوى الفن مُغرما
من قديم عرفته ... نابه الذكر في الحمى
كيف ودعت أيكة ... كنت فيها مرنما
كلما ضقت بالأسى ... فأردت التَنسُما
أو إذا هاجك الهوى ... فاشتكيت التألما
عد كما جئت في الدنى ... شاعراً جاء مُلهما
إنما الشعرُ كوثرٌ ... من فمِ الخلد قد همى
فإذا فاض دافقاً ... صافياً قد تبسما
أين من طيبُ سكره ... خمرة الكرم واللمى؟
وإذا انساب هادئاً ... وأسى الجرح حاسما
أين من برده الرجا ... صح للناس راحما؟
وإذا ثار صاخباً ... يلهب النفس والدّما
أين من حره اللظى ... قاسي للذعِ مضرما؟
فارتشفه مشعشعاً ... جاء يُزجي التراحُما
واصطحبه مرقرقاً ... ساجياً إن تبرما
واجتنبه معكّراً ... ثائراً قد تظلما
نما الشعر خالد ... في ذُرى الدهر قد طما

لِـربـيَ الـخـلـد والـسـمـا … أصـلـه الـطـيـب انـتـمـى

سِـر كـمـا كـنـت طـائـراً … فـي الـسـمـوات حـائـمـا
سـابـحـاً فـي أثـيـرهـا … مُـطـلـق الـروح هـائـمـا
رَامـقـاً مـن عُـلائـهـا … ولـديـهـا الـعـوالـمـا
والـمـسِ الـبـدر عـاصـراً … شـفـتـيـه ولاثـمـا
غـاسـلاً فـي ضـيـائـه … مـنـك قـلـبـاً مُـعـنـدمـا
شـاديـاً فـي فـؤادهـا … نـغـم الـحـب قـد سـمـا
أو فـرافـق قـرائـحـاً … تـمـلأ الـجـو حُـوّمـا
طـائـفـاً فـي جـوارهـا … فَـاكـراً أو مُـغـمـغـمـا
أو فَـلاعـب مـلائـكـاً … حُـلـوةً تـسـكـن الـسـمـا
سَـامـراً فـي رحـابـهـا … صَـافـيَ الـنـفـس بـاسـمـا

طِـر تـرَ الأرض صـخـرة … فـوقـهـا الـلـيـل قـائـمـا
تـنـظـرِ الأفـق مـسـرحـاً … لِـسـنـى الـحـسـن مـفـعـمـا
تـلـمـح الـفـجـرَ حـيـنـمـا … يـسـطـع الـفـجـرُ هـاجـمـا
تـرشـفِ الـزهـر فـائـحـاً … فـي سـمـا الـروض أضـرمـا
تـلـمـس الـطـل رائـقـاً … فـوق واديـه خـيّـمـا
تَـشـدُ والـطـيـرَ عـنـدمـا … قـام صُـبْـحـاً ورنّـمـا
وتـرى الـشـمـس كـوكـبـاً … مـن يـد الـغـيـبِ قـد نـمـا
فـتـرى الـكـون صـاحـيـاً … بـعـد أن كـان نـائـمـا

هـكـذا عـاش كـل مـن … عـاش بـالـكـون حـالـمـا

شـــاعـــراً يـــقـــطـــعُ الـــدُجـــى   مـــن لـــيـــالـــيـــه نـــاظـــمـــا
قـــابـــضـــاً فـــوق عـــرشـــه   وعـــلـــى الـــطـــرس مِـــرقَـــمـــا
لاَبِـــسَ الـــكـــون دارســـاً   صـــفـــحـــتـــيـــه وراســـمـــا
يـــعـــبـــدُ الـــحـــســـنَ أيـــنـــمـــا   وجـــد الـــحـــســـنَ نـــاعـــمـــا
كـــلـــمـــا الـــوحـــيُ هـــزه   تَـــخِـــذ الـــوحـــيَ سُـــلـــمـــا
لـــلـــســـمـــوات حـــيـــثـــمـــا   تـــســـبـــحُ الـــروح دائـــمـــا

عـــاش روحـــاً طـــلـــيـــقـــة   وفـــؤاداً مُـــقـــسّـــمـــا
كـــلـــمـــا هـــزه الـــهـــوى   أو شـــكـــا حـــرقـــة الـــظـــمـــا
أو بـــكـــى مـــوطـــنـــاً لـــه   هـــامـــدَ الـــروح جـــاثـــمـــا
أرســـل الآه قـــطـــعـــةً   أو قـــصـــيـــداً مـــنـــظـــمـــا

رقصَة المـوتِ

شاقه غابر الهوى فتوجدْ واشتهى جِدة المنى فتنهدْ
هرمٌ قال من هنا طار صيتي في حياتي ومن هنا سوف يخمد
سنّة العيش في الأناسيّ من قبل ومن بعد فطرة تتجدد
وقضاء الحياة يعمرها الأصلح فيها ومن على العبء أجلد
تزدري اليوم من بها كان بالأمس فتاها وباسمه تتمجد
بيد أني وقد سبقت بها الغير ولم يأتِ حينذاك ويولد
وطويت السنين اجتاز منها عقديَ الخامس الطويل المسرد
لحريّ ألا أزاح ليستفرد غيري أو أن أذل ليسعد
فلأكابر قوى الحياة فما خاب لديها مكابر يتودد
ولأردد ذكراي فاسميَ قد رث وعفّت عليه أسماء من جد
ربما ينطلي الخداع على الناس فأمر الدنيا خداع معود
فلأجدد عهدي القديم ليرتد جديداً بما أقول مزود
كالحذاء الرثيث يصلحه الرتق فإن زانه الطلاء تجدد!

هكذا بيّت الخديعة بالليل وقد راقه الدليل المسدد
فبدا ضاحكاً يعربد كالقرد وقد زايل الكرى والمرقد

ومضى صائحاً ينبه في الدار رقوداً ما بين شاكٍ ومجهد
شارحاً لذة المعارك والفوز وما يعقبان مجداً وسؤدد
فأطاعوه كارهين وقفوه خطاهم إلى الفِناء المعبّد

وامتطى الشيخ صهوة الفرس الفذ وألقى لتابعيه المقود
وغدا في الدجى ينظم أركان ميادينه لهم وتجلد
قائلاً في اليمين يقبع محمود ربيبي وفي اليسار محمد
وإلى جانبي بكر وعباس فهذا ضاوٍ وذلك مقعد
ولدى القلب حيث أبرز يقعي تحت رجليّ ابنيَ البكر أحمد
وعلى هذه البقية أن تبقى تجوس الأطراف تحمي المشهد
وانتضى الشيخ سيفه الخالد الذكر وقد هز في الظلام المهند
ورمى مهجة الفضاء فما زاد على أن أرغى عليه وأزبد
فتهاووا وراءه يوسعون الشيخ زجراً ألا يطيل فيجهد!

وانقضت وقعة الظلام وما كانت نجوم حتى هناك لتشهد
ومضى الشيخ بعدها ناقل الخطو بطيئاً يزجي القريض ليحمد
حاسباً ما يقول ملحمة النصر وقد زامل الشجاع بمشهد
راقصاً رقصة الحِمام إذا حم وقد دب في قوافيه وارتد!
وأوى للفراش يكربه الوهن وعطف من تابعيه مردد
هامساً في مسامع الليل والفجر ضنين ألا يريح المجهد
اعرفي يا حياة قدريَ من بعد مماتي قد عدت والعود أحمد
وأعيدي ذكري المتوج بالفخر لدى صفحة العلاء المخلد!

ولقد طال ليله البارد الروح وبرد الشيخوخة المر أنكد
فاغتدى كاللديغ ينقل جنبيه دواليك في الفراش مسهد
حالماً بالحياة تشرق والفجر عليه كما اراد وحدد
فإذا الفجر ماحق منية الشيخ بأضوائه التي لا تبدد
حين أهدى الهوى الشبابَ فأولاه فؤاداً حُر الصبابة موقد
يتسامى إلى العلاء كما اختار قوياً عن قصده ليس يرتد
عشق الفن لا ليكسب بالفن حياة رتيبة لا تجدد
بل ليوليه من هواه حياة ذات مجد وقوة ذات سؤدد
وهوى خلة الصراحة ما كان دعيًّا فيها وليس بمرتد
وابتغى العيش لا ليقنع بالعيش وضيعاً في خفضه ومقيد
بل ليسمو به إلى سبل العز طليقاً مرقه القصد مسعّد
مثلما يشتهي الشباب إلى المجد تعالى وللسعادة صعّد
فزكا غرسه ورقت حواشيه وطابت به الرجولة واشتد
وغدا ورده يُفيض على الظامئ نهلاً هيهات هيهات ينفد
كلما هزه إلى المثل الحي بإحساسه شعور مؤكد
أو دعاه إلى الإجابة والقول حماس ما زاغ عنه ولا ند
فسما صوته يجلجل كالرعد يدوي، وكالضياء إذا امتد

فانزوى الشيخ يائساً واجف القلب لدى ركنه القصي المحدد
قائلاً: رب ما بقت ليَ في الأمر على النصر حيلة فيه تقصد
عشت ما عشت من سني عمر القفر خيالاً فجاً ووهماً مجسد

فلتكن لي عوناً على المصرع الساعي حثيثاً يدنو إلي وأبعد
لن يكون النضال شأنيَ من بعد ولن استجيب للوهم فاشهد!
يا لها رقصة! يوقعها الموت بألحانه الطوال الخرَّد
رقصة مهدت سبيل حياتي للسبيل البادي النهاية، للّحد!

إلــى الشعــبْ

لسنا مِن المجد في أعلى منارته　　أو في الطريق قطعنا منه ما عظما
لكنما نحن شعب يرتجي أملاً　　ضخماً وأرقى أماني الشعب ما ضخما
ومن رجا وسعى بالجد متشحاً　　بالصبر مدّرعاً نال المنى نِعما

يا قومنا ليس من أمسى يقول لنا　　إنا بأفق المعالي منصفاً حكما
إنا وحق عيون الحق لامعة　　لدى الحقائق لم تظفر به زعما
لما نرافق شعوب الكون طائرة　　لما نؤسس مقاماً في العلاء سما
فلا تقولوا، وقد أرضى الصواب ضحى هذا اليراع، يراعاً جائراً ظلما
هذي مقالة حق جد صادقة　　من شاعر صادق في كل ما نظما

يا قومنا الآن حلّقنا بناظرنا　　وقد مددنا ضعيفاً ذلك القدما
فجردوا الجد من أغماد أنفسكم　　ولتنفروا كتلاً واستنفروا الهمما
قوموا نجدد من المجد التليد لنا　　مجداً طريفاً يباري عزه الأمما
أحيوا الجدود مفاداة وتضحية　　روحاً كبيراً وعقلاً ناضحاً حكما
وابنوا على النسق الأسمى حضارتنا　　واستلهموا الشرق حياً خير ما رسما
واستلهموا النسق العصري ما نطقت　　فيه البراعة والإعجاز فانسجما
خذوا من الغرب ما رف الجديد به　　روحاً جديداً تسامى اليوم محترما

خذوا العلوم على الطرز الحديث، خذوا منه الفنون، خذوا الأفكار والنظما
خذوا الصناعات والأعلاق منه، دعوا ما لم يكن وجلال العرب ملتئما
ولتنفروا عن سموم منه أفتكها ما خالف الدين ما قد خالف الشمما

ما ضر أستاذه بالأمس إن أمرت أزمانه فأتاه اليوم واحتكما؟
هل عاب من قلد الرئبال حين غدا صياده أنه حاكاه فاقتحما؟
الفرد بالفرد يستهديه مكتمل والناس بالناس شادوا الكون لا جرما
إن تشتكوا الجهل سداً حائلاً فلكم مدارس لو أرته الصدق لانهدما
مدارس قلة في العد، واحدة في النوع، باكية روحاً بها سقما
فاقضوا الحقوق وقووا من دعائمكم ركناً ضعيفاً وشدوا أزره كرما
وابنوا المعاهد شتى في تنوعها إن المعاهد للأوطان خير حمى
هي المعاقل في أقوى مناعتها هي المنارات يسري ضوؤها عمما

إن تشتكوا العدم جدباً في مرابعكم لم تعدموا العزم يستسقي الغنى ديما
تبارك العزمُ في أقوى طبائعكم لو صاحب الرأي والتدبير فالتأما
فاستثمروه لأعلى مقصد خطر وهذبوا النفس والأفهام والشيما
ولتنشروا رمم الأخلاق بالية تستصرخ الحر تستبكي الفؤاد دما
فإنما الخلق العالي لصاحبه للشعب في هذه الدنيا سلاحهما

مرحى شبابَ بلادي المستعز بها من قد تجاروا إلى نيل العلا قدما
من كل حرّ أديبٍ كاتب لبقٍ أو شاعر روحه قد لابس الكلما
سيروا كما رسم الروح النبيل لكم نهجاً شريفاً وقصداً سامياً عظما
ولا تنوا الآن لا تستفردوا فرقاً قد هاجم البغض فيها الحب فاختصما

وناضلوا العجز وهماً في عقيدتنا　　واستأصلوا كلّ داءٍ يضرم الألما
من الجهالات كثراً في تفاوتها　　من الخرافات تبكي تضحك الفهما
من الخمول عريقاً في تقادمه　　من الجمود بليداً طال واحتكما
من كل ما نشتكي من كل ما زخرت　　به الحياة التي كانت لنا عدما
لا تحجموا اليوم لا تخشوا مغالبة　　فاللّه نزّه منكم هاته الذمما
لا تنكصوا دوننا عن واجب جلل　　لا تشتكو الأين لا تستشعروا السأما
إن اليراعات باتت في أناملكم　　مثل الأسنة تفري الجيش منهزما
سيان عند اكتساب المجد من قِدَم　　من شرّع الرمح أو من فوّق القلما

الـوردَة الحمـراء

موجهة إلى أخي الصديق الأستاذ حمزة شحاته.

الـوردة الـحـمـراءُ يـا صـاحـبـي قـطـفَـتـهـا دونـيَ فَـلـتـسـعـدِ
مـدّتْ إلـيـك الـثـغـر فـي فـجـرهـا بـسـامـة الـثـغـر إلـى الـمـورد
خـفـاقـة الـقـلـب إلـى نـهـلـه عذب الـهـوى الـمـشـرق والـمـوَجـد
حـسـاسـة الإيـمـان لا يـنـتـهـي إلا إلـى مـا قـر فـي الأكـبـد
والـقـلـب لا يـكـذبـه حـسـه رجـعَ صـدىً لـلأمـس أو لـلـغـد
والـحـظ لا يـخـطـئ أهـدافـه فـي بـابـهـا الـمـفـتـوح والـموصـد
والـحـب مـا فـرق فـي ديـنـه بـيـن اخـتـلاف الـديـن والـمـحـتـد
كالروض يحوي الورد فيما حوى والـزهـر والأشـواك لـم تـبـعـد

يـا وردتـي إن قـلـت يـا وردتـي وأنـت فـي كـف سـواي الـنـدي
فـي كـف مـن أولاك مـن عـطـفـه الـعـطـف مـسـتـوراً وَفـي مـشـهـدي
ومـن حـبـاك الـحـب مـن فـيـضـه يـبـيـت دامـي الـقـلـب كـالـمـسـعَـد
فيضي على حاضرك المجتلي الـفـتـنـة الـفـتـنـة لـم تـنـفـد
الـفـتـنـة الـفـذة لا يـمـتـري فـيـهـا سـوى الـعـذال والـحـسَّـد
وسـامـري الـنـجـم مـطـيـفـاً بـهـا وعـانـقـي الـبـدر لـهـا مـفـتـدي

ورقصي الروضة مياسة ... تخطر في أغصانها الميّد
وشاركي القمري ألحانه ... وسبحي والفجرَ أو غردي
وألهمي الفن حفياً بها ... فناً شأى القمة في المصعد
فإن من صافيت في قلبه ... دنيا حياة ما بها من صدي
وإنه الطود الذي نحوه ... إن مال عاني القلب لم يجهد

يا وردتي كوني كما يرتجى ... من الورود الحلوة الخُرّد
في نضرة الورد لا عمرها ... وفوق ثغر الغُصن لا في اليد
في ما يُفيض الحسن لا ينتهي ... أحمرُه الزاهي إلى أسود
فالأمل السامي إلى فكرةٍ ... إن خابَ غاب العمرَ في ملحد
وأنت يا من لا أسمِّي اسمه ... فغاية التعريف للأبعد
يا أقرب الناس إلى مهجتي ... والروح والفكرة في منهد
أحببت فيك الحب لا غاية ... فيه سوى الحب إلى مهتدي
وعشت منك العمر في فتنة ... موصولة الفرحة والمولد
وقلت فيك القول أغزو به ... قلب حبيب أو غوٍ معتدي
وذقت حلو الود يسخو به ... روح إلى الأرواح كالفرقد
صن وردة ما كنت في قطفها ... بالخاطف الجافي ولا المجتدي
ولا الغرير القلب والمجتوَى ... ولا الخسيس الطبع أن يزهد
فإنها الوردة في سرها ... سر الهوى المستتر السرمدي
وإنها الفتنة ولاّدة ... لا تنتهي إلا بما تبتدي
وإنها الحيرة فتانة ... يضل فيها هديه المهتدي
محتفلاً بالتيه في تيهها ... الواحد الزاخر بالأوحد
وإنها يا طيبها! إنها ... كل الذي يرجوه ذو مقصد

عاب عليها بعضهم إنها ملحاحة العَرض على المجهَد
وقال ناس ليتها لم تكن قريبة المأخذ للورّد
لكن من عاب على غرة منها ومن قال على مشهد
ما كان إلا حاسداً مبتلى أو خائباً ذيد عن المورد
قد ألف الحرمان في حكمه بينهما أعمى فلا يهتدي
يا ناهب الجنة مستمتعاً بالبارد العذب وبالأبرد
وباللظى الفاتن في وقده الثائر الرجّاف طوع اليد
اللّه أعطاك أجاويده والحسن قد حاباك بالأجود
يفتقد النعمى أخو فاقة والدفءِ، من بات بلا مرقد
فالجنة الحلوة لا تُشتهى ولا تُرى إلا من المبعد

الليل قد طال على شاعر كالليل يلقاه على موعد
كالليل في دنياه مخمورة بالأمل السارح من مرصد
كالليل في تقواه مزهوة بالقائم الهائم في المعبد
كالليل في بلواه منشورة تسخر بالرشد وبالمرشد
كالليل للأنفس عريانة رغم رداء العقل والمرتدي
كالليل في كل أفانينه فيما نضا أو لف من ابرُد
يلقاه للنجوى وبث الأسى وللهوى الرائح والمغتدي
لكل ما يُرهب أو يفتدى في كونه الفنان لم يزهد

هذي حياة الفن ضاعت بها هدياً حياة العبد والسيد
وتلك دنيا الروح ذابت بها شأواً خُطى العدّاء والمقعد
اتسعت فالقلب في ساحها كالقلب والفاجر كالمهتدي

فـالـغـور والـقـمـة والـمـرتـقـى　　طـي صـعـيـد واحـد أوحـد
هيهات يعرى الجسم يا صاحبي　　مـن روحـه والـروح مـن مـوقـد
أو يـدع الـفـنـان أحـلامـه　　أو تـخـضـع الأحـلام لـلـمـقـود
أو يـسـتـر الـوردةَ عـنـا الـشـذى　　يـنـدس كـالأجـسـاد فـي الـمـجـسـد
حـتـى يـخـي الـسـر إلـى ربـه　　ويـسـكـن الـمـوجـود فـي الـموجِـد

سَــوْداء

أراد الموت في ظروف قاسية وقد أراد الله له البقاء.

لئن حسد الإنسان في الناس نفسه فإني أنا المحسود والحاسد الفرد
وكيف؟ ونفسي تحمل العبء وحدها أنوء به والقصد ما بيننا حد
عجبت لها كيف استطال استلابها نوافل عمر ملؤه السخط والحقد
نوافل عمر ليس منا ولا لنا وقد فات في تقديرنا فقدنا الفقد
وتافه عيش لا جديد بيومه ولا جد فيه أو سؤالي هو الجد
قؤولاً لها هل في حياتك مغنم ترجّينه حتى أطال بك العهد؟
وهل عذُبت يوماً حياتك كلها وسرتك حتى طاب في حضنها المهد؟
وماذا بها؟ الناس، والناس كلهم تماثيل للأغراض تكمن أو تبدو
أم الحب منهوماً يباع ويشترى وإن هو إلا الوجد يفنى به الوجد؟
أم الحسن مبذولاً يسام وينتقي فيلفظ للأدنى وما بعده بعد؟
أم الشعر أوزاناً تصاغ لتجتلي عقوداً من الأفكار يفضلها عقد؟
أم الفن مأجوراً يسيّر عانياً وما كان إلا الطبع تحريره خلد؟
أم الطبع أخلاقاً يعز ثباتها فما هي إلا الضد يعقبه الضد؟
أم الحق مهزولاً وما الحق سائداً سوى الحق يمليه القوي فيعتد؟
أم الدين أوضاعاً تراد لذاتها ويخطئها إن راح يحصرها العد؟

أم الوطن الغالي استنام فلا صدى ... لداعِ دعا فيه سوى الصمت يمتد؟
أم الأمل العاتي بعيداً مناله ... قريباً لدى النومان ما ناله السهد؟
أم الجد منكوراً تخير ناكراً ... لبيض أياديه وقد فاتك الجد؟
أم المثل العالي وهذي مِلاكه ... فلول معانٍ لا يتم بها مجد؟
أم المال؟ إن المال في النفس صانع ... نفوس الورى كيف ارتضى قلبه الصلد
هو المال قلاب النفوس وربها ... فكل امرئ مهما تسامى له عبد
هو المال قسطاس الحياة فحيثما ... يكن تكن الدنيا وما دونه زهد!

فماذا بها يا نفس قبل وبعد ذا ... حياتك إن أمسى حياة لك الفقد؟
رويدك صبراً لا تثوري تعصباً ... فإن حياتي في حياتك تمتد
تعالي أطيلي في حياتي نظرة ... وسيلتها التجريد لا الحصر والعد
فماذا بها؟ الأهل؟ والبيت عندنا ... مباءة عادات يضل بها الرشد
أم الصحب؟ والأصحاب إلا أقلهم ... شكول من الأسماء ينقصها الود
أم الناس؟ إن الناس في رأينا دمى ... من الجهل والتقليد تحريكها جهد
فكل جنوح عن هوى الوضع سوءة ... وكل من استعلى على العرف مرتد
فويل لمن مالت به النفس حرة ... عن العرف والعادات أو هاجه العند
كأن مكان العرف في الناس سيد ... وفكر بني الإنسان مهما علا العبد
فمن لك بالذوق الرفيع مسوداً ... وبالفكر حراً مستباحاً له النقد
وبالدين إيماناً رضا اللّه وكده ... فلا شيء إلا الله والعبد والوكد
وبالطبع أخلاقاً يعز بها الحجى ... وبين حناياها الرجولة تشتد
وهذي هي الأخلاق فينا تجارة ... يكاثر فيها الزائفَ الكاسدَ الند
فكل مريد الكسب فيها موفق ... إذا هو لم يعجزه في سوقها النقد
وحسبك بالأخلاق تصبح ملبساً ... وصاحبها من كل يوم له برد

وبالدين في دنياك يندب أهله   رياء وأوضاعاً هي الجزر والمد

كأن مقام الدين منا وسيلة   إلى مأربٍ ما كان عن نيله بد

أوَ أن طلاب الشر أصل مؤرث   وبين نفوس القادرين له زند

أوَ أن سبيل الحق للحق شائك   فلا حق إلا حين يجنى به الورد

أوَ أن مجال الصدق في النفس ضيق   فلا صدق إلا ما يؤدّى به القصد

ولا قصد للثاوين تعصف حولهم   حياةُ بني الدنيا وهم في الدنى عد

سوى المطلب الأدنى سرت لاكتسابه   سراهم خشاش الأرض ما بعده بعد

فتلك وهذي في الحياة حياتنا   فماذا بها يا نفس مما له نغدو؟

وماذا بها؟ حتى كرهت مرادنا   وما هو، إلا كيفما كانه، اللحد

مرادٌ تخيرناه بعد روية   وكان لنا عند اختيارك ما يحدو

فأمسيتِ ما بين النفوس دخيلة   وأمسيتُ في الأحياء فرضاً كما أبدو

قضاء قدرناه اعتزاماً ولم يكن   ليبرم إلا أن يحدده الحد

وليس بنا جبن وليس بنا ونىً   إذا ما أردنا أو أريد بنا وكد

ولكنه المقدور يجري بحكمه   إلى حيث لا أمر بمجد ولا صد

قضى اللّه أن نبقى فكانت تعلة   أحلتك من وعد به ينتهي الوعد

هو اللّه في كل الأمور له يد   محركة هيهات يمنعها الجحد

فآمنتِ إيمان الهلوك تبتلت   وكان لها من برد إيمانها برد

ورحتِ تقيسين الحياة وليدة   ومقياسك الضدان حبك والزهد

فلم يُصْبك المرئي شاع به البلى،   وإن بهرت من حسنه الأعين الرمد

فغمغمتِ بالشكران دوني وحيدة   ودمدمت بالكفران ليس له حد

وقلت ليَ اصبر رب يوم مخبأ   تكشف عن آتٍ يدوي به المجد

ورب ليالٍ تعقب اليوم دانياً   وقد حفلت فيه المنى ملؤها السعد

وأقبلت تلقين الخطوب بسومة ... وألويت لا يصيبك هزل ولا جد
فرحماك من نفس تناهى صراعها ... طويلاً مع الدنيا وما نالها جهد
هُزمتِ فلم تلقِ السلاح وأنه ... على عهده ماضٍ وإن ثلم الحد

فيا لك من نفس صبور عنيدةٍ ... قصاراك في الدنيا مرادك والكد
ويا ليَ من وانٍ طليح مهدّم ... حسدت بك التأميل يزهو ويشتد
حسدت بك التأميل يشرق ناصعاً ... وليل الأسى الدامي حواليك مسود
حسدت به الإحساس عيناً بصيرة ... وحساً دقيق الحس همسته وقد
وتذويبك الآلام جل احتمالها ... وتهوينك الأسقام ليس لها رد
وتوليدك الأحلام دنيا رحيبة ... وكوناً يبز الكون في الكون يمتد
وتفنيدك الأشياء تفنيد عارف ... وإن كان في تجريبها ناشئاً يشدو
وتقليبك الساعي النفوس تنوّعت ... وما لك في تعقيبها غايةٌ تبدو
فيا نفس هذي نفثة الذهن مرهقاً ... وتهويمة القلب استبد به الوجد
وفلسفة الفكر العصي تمرداً ... على حاضرٍ ماضٍ وآتٍ إذا يبدو

جهَـــــاد

ألقيت في حفل ضم نخبة ممتازة من الشعراء والأدباء ورجال التربية والفكر بدار الأستاذ السيد محمد حسن كتبي بمناسبة تكريم الأستاذ عبد الوهاب آشي حين إسناد الإدارة العامة لوزارة المالية إليه. والقصيدة استعراض تصويري لحياة هذه الفئة المجاهدة في الصعود بحياة محيطها العامة.

نفضوا القلوب إلى القلوب وأقسموا ... يوم الجهاد بأنهم لن يحجموا

وسعوا إلى شرف النضال تهزهم ... للساميات عقائد لا تهزم

وتقحموا لجج الحياة فراسب ... يطفو وطافٍ يستبين ويقدم

وتقاسموا شتى الحظوظ فعاثر ... يكبو ومنطلق لما يتسنم

أطفال حلم لاح فجر حياته ... أملاً يطل على الحياة ويبسم

وشباب فكر كاد من عجز المنى ... عن أن تكون من الحقائق يهرم

وغراس جيل لو تفيأ نبته ... ظلاً لأزهر نَوره المتكمم

الرائدَ المجهولَ كان رعيلُهم ... والثابتون على الغلاب همو همو

إن راح أولهم يشق سبيله ... قُدماً فآخرهم به يتعزم

أو أن قاصيهم أنين مرزإ ... لتوجد الداني له يتألم

ما زالت الدنيا تدور بأهلها ... وبهم وهم دون المناهل حُوّم

الفكر في دنيا الحقائق صارم ... في كفهم يجلو الصدا ويقوم
والفن في فجر الحياة بروحهم ... ألقٌ يمد سنى الحياة ويلهم
والعزم في ليل المنى بنفوسهم ... روح يؤزّ وشعلة تتضرم
صمدوا على كر الحوادث سُبّقاً ... في غمرة طخياء يغمرها الدم
فإذا الأباطيل العتيدة دونهم ... وهماً يطير من الرؤوس ويعدم
وإذا الجهالة بعد طول رسوخها ... ركناً يميل مع الزمان ويهدم
وإذا السفاسف والخرافة بعدهم ... شبحاً يزول وصخرة تتحطم
وإذا الحياة من الحياة وليدة ... تحبو إلى الكون العريض وتحلم
لكأنهم والليل في سدفاته ... دنيا من الظلمات لا تتخرم
شهب تَناثرُ في الفضاء ومارج ... متوهج ألهوبه لا يفحم

يا نابش التاريخ بين سطوره ... عقل ينوء وحجة تتهدم
وهوىً يميل مع المدير فؤاده ... نحو الهوى الجاني عليه فيحكم
ومؤرخ الأجيال يومض بينها ... من عهدنا الداني سنىً يتلملم
أقصر فحسبك أن يكون لنا به ... ماضٍ يطل وحاضرٌ يتكلم
ماضٍ شرقت بذكره متشوفاً ... وعليه بت من الأسى أترحم
ماضٍ يشير لحاضر يعيا به ... مَن إن تكلم عنه بات يجمجم

يا أيها القلم المطيل صموته ... من عيشه العيش الأصم الأبكم
والقابع المفؤود تنثر فوقه ... كرب الحياة غبارها وتخيم
والقائل الصوال حين يهزه ... لذع الشعور وحسه المتضرم
نفّض عن الأذيال فضل غبارها ... وابح إلى الأسماع ما تتكتم
وأثر هوى الماضي الجميل مصوراً ... لذوي الهوى ما عن هواك يترجم

ما صاغت الأقلامُ ترهف حرة ... إلا هدى الأرواح لو نتفهم
إلا النفوس عن النفوس تكلمت ... فحياتها لحياتها تتجسم

يا أيها الأمل استبان سبيله ... وثنى الخطى عنه الزمان الأدهم
الشوك دونك عارضٌ مترصد ... والطير حولك حائم يترنم
والوِرد صوبك نهب مبترد الحشا ... أما على الصادي الهوى فمحرم
حكم القضاءِ من القديم تساءلت ... عن سره ألبابنا لا تسأم
رفت تميس على حفافيك المنى ... تهتز دانية القطوف وتحجم
ومضت تعاطينا الهوى أطيافها ... حلماً يلذّ لو اشتقى من يحلم
إنا إلى ما في جنانك غلةٌ ... وجوىً يطول حنينه المتظلم

يا أيها الوطن الحبيب عقيدة ... وهوىً يسعره الهوى المتكلم
الغاية الكبرى لديك يجلها ... في قلبنا الأمل المليح الملجَم
والآملون بنوك فيك توحدوا ... سمطاً يؤلفه هواك الأعظم
لكأنهم قلبٌ توزع اجسماً ... وُعرىً من الأكباد ليست تفصم
وكأن مكّة في رحابك طيبة ... فيما تريد وما يسر ويؤلم
وكأن جدة في حماك مجسداً ... للطائف الزاهي بكفك معصم
وكأنما مجرى العقيق مرنماً ... رجع تردده بقلبك زمزم
ما زال بعضك أين كان بقلبهم ... كلاً تجمّع غاية تتعظم
فترقب الفجر المطل شعاعه ... في العين تومئُ في الفؤاد يدمدم

يا أيها المثل المكرم بيننا ... رمزاً يطيب به الولاء ويعظم
إنا نكرم فيه نزعة مطمح ... ضخم المنى لسبيله يتقدم

وعقيدة غير الزمان ولم تزل ... بين الجوانح حرة تتضرم
ومنى تضيق بها المنى لو أعربت ... عما نريد من الحياة وتُلجم

ما أصدق الود الصراح يقيمه ... فعل الهوى لا ما يردده الفم
وأجل أخلاق الرجولة ما مضى ... في الصمت مُطّرحاً لما لا يلزم
سر الحقائق كونهن حقائقاً ... إن الشقاشق في الهواء تضخم
ليس المقيم على الأساس بناءه ... كالهادم الدنيا بما يتوهم
ويل العقول من النفوس تزعمت ... غرضاً على أقدارها يتحكم
ضاقت دنى الإنسان لولا أنها ... أمل يجد وعزمة لا تقدم
وهوت ذرى الأفكار حين تلمست ... بين المواطئ ما يقيت ويعصم
فترصد الأيام فيك تطلعت ... للفعل تنتبذ المقال وتحكم
واقدم إلى ما شئت كيف يشاؤه ... لك من طبيعتك البناء المحكم

يا أيها اليوم المشقق دجية ... تسطو وشمساً تستبين وتنجم
الليل أطول ما يمر بقابع ... يشكو ويحلم بالمنى ويهوم
والفجر أقرب ما يكون لسائر ... وطئ الحصى وسرى يهم ويقدم

أحاسِيس

تتأثر النفس الإنسانية بالصنيع تزجيه النفس الكريمة في صمت وطبيعية وتنفعل أحاسيس الشاعر لهذه المواقف فإذا انطلق فيها فإنما يسجل شعوراً طبيعياً وهزة حتمية الوجود والأثر. والقصيدة نتيجة موقف نبيل لسعادة الفاضل الشيخ محمد سرور الصبان في عام ١٣٦١ هجرية بمدينة الطائف وهي موجهة لسعادته.

يعجزني الشكر على سابغ	من فضلك السابق واللاحق
عجز ذوي الحس إذا عبّروا	بالحس لا بالقول والمنطق
عن موقع الفضل بإحساسهم	ترى أياديه ولا تتقي
كالمزن في صوب شآبيبه	دافقه يوصل بالدافق
وأنت أنت الفضل لا تنتهي	بيضُ أياديك إلى عائق
ولا تردّ الرفد عن طامع	في الرفد أو ذي عوز مملق
فمنك صوب المزن هطاله	هذا الندى الباسم للضائق
هذا الندى الخارق فيما أتى	من كرم الأنداد للخارق
وفيك طبع المزن لا يكتفي	بالنزر لا يروي ظمأ المستقي
حتى يرى الآفاق مخمورة	بالأرج الفيّاح والعابق
أو تضحك الأزهار في غصنها	للرافع الرأس وللمطرق

والأرض كالفرحة في سرها ... أو كانطلاق الأمل المشرق
ريانة الخضرة بسامة ... للكون إذ قال لها صفّقي
واستنطقي السحر أفانينه ... واجتذبي الوامق للوامق
واختصري العالم في روضة ... أو زهرة أو غصُن مورق
أو نظرة تعرب أو لفتة ... أو قبلة كالألق البارق
أو مأمل دانٍ إلى آمل ... ينهل في جدواك من معرق
والقلب يرجوك ولا ينثني ... عن مَصفَق إلا إلى مَصفَق
والنفس مثل الأرض مخضرة ... تسبح في جو المنى الرائق

هذا وأنت اليوم لا يمتري ... فيك سوى حاسدك الناعق
والنافس النعمة في بسطها ... توليك ما تهوى وما تنتقي
والناهب الرفد طماعاً به ... والمسفر العدوان والمتقي
والضاحك السن إذا ما رأى ... وجهك يطوي الغل فيما يقي
والكاذب الدساس يخفي الذي ... يبديه في مجمعه الضيق
والمبتغي جاهك مستكثراً ... والحاسب الرزق على الرازق
والناقد الفكريّ فيك المنى ... والحظ والطاقة لم تُسبق
والمبدل الحق وآثاره ... بالمين في باطله الزاهق
وأنت لا تغفل عن واحد ... من كل من يهوى إلى مزلق
فالكل ما كانوا سوى جاهل ... أو فاخر بالحسب الأعرق
أو عاجز قصر عن شأوه ... أو طامع ذي حسد حاذق
أو عاطل في الكون ثرثارة ... أو ناعب بالليل أو ناهق
هذي صنوف الناس لن يبلغوا ... شأوك في مركزك السامق!

يا واهب الفضل إلى أهله أو غير أهليه بلا فارق
فعل الكريم النفس قد أشربت حب الندى الشامل والمطلق
كم مأمل حققت للمرتجي من قاصد جدواك أو طارق
أو كربة فرجت أسبابها للواجد المكروب والضائق
بالمال تعطيه أخا حاجة والجاه تضفيه على المشفق

يا من إذا أحصيت آلاءه أشرت للجيل وما قد لقي
من نصرك الشبان في سعيهم في سبل العيش وفي المفرق
لدى مجال الذوق والمنتحى وفي مَراد العزم للواثق
حتى لقد أمسيتَ رمزاً لهم وقدوة النابه والسابق

يا من بماضيه وأفعاله تنطق في حاضره الناطق
أخملت من ساواك في رتبة أو فاق في منصبه الشاهق
حتى لقد أضحى على رغمه من بين قصاديك في مأزق!

ما المركز الأسمى إذا لم يكن بالنابغ الفعّال والحاذق؟

يا واهب الدنيا فنون المنى وحيدة الملمس والرونق
ما زلت للناس الأولى قدّموا عبادة المال على ما بقي
المثلَ الحر فأنت الذي تستعبد المال ولم تفرق
وهكذا المال لدى ربه وسيلة الأليق للأليق

يا باعث المنحة مستورة تمتاز في اسلوبها الأرشق

بأنها المنحة لا منة ... فيها ولا في فمها المغلق

هيهات أجزيك على ما بدا ... من عطفك المرموق والفائق

أوليتني العطف ولما أزل ... أمرح في دنياه أو ارتقي

فاستشعرِ الشكر إذا شئته ... حاشاك في اللحظ إذا نلتقي

أو في رضا القلب وخفقاته ... وفي هواه الناضر العابق

في فرحة النفس وإيمانها ... إنك فيما شئت لم تُسبق

أنك فينا الفذ رغم الأولى ... أضووا بداء الحسد الخانق

واستنطق الحس إذا ما انتشى ... في فيضه المنطلق الدافق

بكل ما يلقاه في كونه ... من كونه الساجي وما قد لقي

تلقَ الصدى الحاكي هوى طبعه ... في طبعه المنسرب الصادق

جــدَة

في الشمال الغربي من مدينة «جدة» حيث تقوم التلال المتجاورة مطلة على شاطئ البحر يقع التل الحبيب إلى نفس الشاعر.

وفي ليلة قمراء أخذ الشاعر يتطلع من تله إلى مهبط رأسه «جدة» ويناجيها بما تفجرت به نفسه وأحاسيسه فكانت هذه القصيدة.

(مهداة إلى أخويه الصديقين عمر عبد ربه وعبد الحميد مطر).

لك يا جدة الحبيبة في النفس مكان محبب مألوف
قُدْسي كالهيكل الساحر بدنيا أسراره محفوف
طار فيه صدى الجديدين بالأمس وما زالت الحياة تطوف
تتمشى ما بين روقيك تختالْ أبرادها هناك حفيف
فيه معنى من كل ما فيك ريان سواء قويه والضعيف
وخيال لكل ما فيك حي عكست ظلّه الرؤى الزفيف
فيه من أمسيَ البعيد حياة ذكرياتي أشباحها والطيوف
وعليه من جدة اليوم مما ينسج الفكر والخيال شفوف
فهو قدْس محجب شارف الدهر علواً فلن تراه الصروف

وهو جذر مستنبت من روابيك وغرس مدى الزمان والريف
مهدته كف الأبوة قدماً واحتواه ربيعها والخريف
وحبته دنيا الطفولة دنيا ذات حسن له سنى ورفيف
وحماه من التلاشي ولا كا ن شباب يرويه حب عنيف
فتصابي ما شئتِ هيهاتّ أسلوك وفي القلب من هواك وجيف

أنت جزء من موطن ملء قلبي بعضه المستطاب والمالوف
أنت في ومضة الخيال بعيني الآن خود جم الحنان عطيف
لك من فتنة الغواني معانٍ حار في حصر كنهها التكييف
قمت للقاصديك بسامة الثغر لعوباً تلقاك منهم ألوف
فكأن السهل الفسيح فناء القرى فيه والضواحي ضيوف
وكأن الجبال دونك في الأفق مكان الإشراق سور مطيف
وكأن التلال حولك بالشطِ حراس مدى الزمان وقوف
وكأن الخضم صب على الباب طريح وأنت عنه عيوف
يترامى هوىً فتقصينه عنك فيرتد والمحب ضعيف
ها أنا الآن فوق «تلّي» ساجي الطرف يسمو بي الخيال المشوف
ساكت منصت إلى الليل، والليل كما تعلمينه فيلسوف
والنسيم الهفهاف يعتنق الروح طروباً له صدى ورفيف
حيث تجلو لي الطبيعة ألوان فتون يزينها الترصيف
في ظلال التلال، في كنف الشط، على مسرح الفضاء تطوف

حيث يبدو البدر المطل من السحب حيياً لا تزدهيه الشفوف
باسماً ناعماً بدنياه، بالحسن تناهى تليده والطريف
مرسلاً ـ للخضم إذ هاجه الشوق وقلب لمن يحب ألوف ـ
قبلةً كلها الحنان سنى الخلد سناها منه الجنى والقطوف
يتسامى لها وقد أسكرته نغمات الهوى الخضم الشغوف
مائجاً راقصاً يلوب على الشط ويرتد مرة ويعوف
منشداً من خريره نغمات أين منها معازف ودفوف
والدراري مطلة ترهف السمع عليها من الحياء كسوف
والعيون الحيرى توصوص في الشط فينأى بها الفؤاد اللهيف
والدجى المنتحي ظلال الروابي هائب في غماره ملفوف
وأنا مترع الجوانح والحسن حواليك بالفؤاد مطيف
حالم ناظر بعين خيالي كيف يحلو الهوى البريء العفيف
هكذا أنت فتنة من كوى الفكر يراك المدلّة المشغوف
ولدى عالم الحقيقة شيء دون هذا لولا هواك العنيف
أنت ذاك الميناء والبلد القاحل إلا من الهوى يستضيف
فإذا شئت أن يصورك الحس فما بعدما يُرى موصوف

وإذا شئتِ أن أكني ولا مهرب من ذاك يبتغيه الأنوف
فاعلمي إنما الحبيب حبيب كيفما كان والألوف ألوف
والمحبون في البرية أغراض رُماة سهامها التعنيف

والملام البغيض مبعثه الجهل وبغض الجهول ليس يخيف
والمراءون أدعياء وطبع الحر طبع يشينه التزييف
والقضاء الخفي أمر نُهى المرء أسير أمامه مكتوف
والعظيم العظيم يغتصب العجب من القلب وهو عنه عزوف

فإذا قلت مرة فلك الويل فلا غرو فالحياة صنوف
إنما سرّب الملال لقلبي أمل ذابل وعيش سخيف

ذكـــرى

كان فتح الرياض حدثاً يلتقي في الالتذاذ عبيره وسحره ومفاجآته الخيال والواقع، وها هو ذا شاعرنا الكبير الأستاذ أحمد قنديل يتقدم «باسم البلاد السعودية» بقصيدة ألهمته إياها شخصية صاحب الذكرى، بقصيدة من روائع الشعر الحي الجميل.

«جريدة البلاد السعودية»

إليكَ وقد أعيا الفصيحَ مقالُها وعز على رب الخيال خيالها

مجلجلة دوّى بذكرك صوتها فجلّ بمسماك الحفيل جلالها

أطلت إلى مرقاك تسعى على حيا يشط بها المنأى فيدنيه بالها

محجبة، ألا عليك، تمنعاً على كل ممطول براه مِطالها

كأن الرياض الخضر في جنباتها مرقرقة النداء زاكٍ جمالها

أفاضت عليها بالمعاني ندية وبالعَرف روْحاً نشّرته ظلالها

فباتت تجر الذيل نشوى طليقة تطرّح عنها، ما يطاق، عقالها

وماست ترود السامقات من العلا حقائق ترويها الظبا ونبالها

فما عاقها دون المقال تثاقل ولا عابها عند السماع ارتجالها

مهللة فرحى بوجهك مشرقاً وبالعزمات البيض عز مثالها!

تنصّ «الرياضَ» المستعزة بالفتى أتاها ولون الليل في الليل حالها

أتاها وأحلام الشباب مطية ... تسابق أفعال الرجال فعالها
وصافحها والسيف يلمع رانياً ... إليها ووجه الفجر في الفجر فالها
حفياً بها، مهوى الدماء تحدرت ... إليه بها هيهات يهدا اشتعالها
إلى أن ترى كالأمس عُليا أبية ... تسامق فخراً حوْلُها وحيالها
معيداً إليها الأمس يوماً متوجاً ... على غرر الأيام يرويه قالها
على قدر من روحة العيد ردها ... إلى العيد موصولاً زهاه احتفالها
وأرواه منها واقد الشوق كامناً ... على غصص لا يستطاع احتمالها
وقد طال في ليل الحوادث صبرها ... وأكربها ضعف القوى وكلالها
وإبلاس مدحور وسطوة غاشم ... وكبرة ميئوس شجاه اغتيالها
وليل وئيد الخطو يزحف عاتياً ... مرير الغواشي طال فيه مطالها
وحشد من الماضي العتيد تلاحقت ... به سِير الأبطال عزت خلالها
وعادت فكانت هيكلاً بين هيكل ... رهيب المجالي لا يُحد مجالها
إليه ألاذت يُرهب الخصمَ صمتها ... وفيه استسرت ما يبين نضالها
وبين مرائيه إليك تطلعت ... يناديك منها سهلها وجبالها
فقاعدها الشاكي وقائمها الشجي ... ونازحها القاصي ونجد وآلها
سواء لديها أو لديك تناوحت ... بأسماعها ريح الصبا وشمالها
لتدعوك يا عبد العزيز وحسبها ... من القصد يا عبد العزيز مقالها
كذلك تُستقضى الأماني وقد وفت ... رواية راويها فزال زوالها
فما الأمد المبْدوء منها مجادة ... وعزاً وآمالاً بعيد منالها
إذا قيس بالخمسين عاماً تزاحمت ... بها صور التاريخ تُروى طوالها
سوى لحظة العمر المطل على المدى ... كإطلالة الأقمار تم كمالها
سوى الهمة القعساء عن نظيرها ... وجاوز أحلام الدراري اعتدالها
وأثخانها بالشامسات عصيةً ... تحايل للإنفاذ فيها مِحالها

سباقاً إلى مجلى الهداة تنيره   بصيرة هدي قد توارى ضلالها
سوى العزم مرهوب الجلاد تكسرت عليه من الأحداث كبرى نصالها
سوى القدر المخبوء في عالم الدنى   جلاه من الدنيا إليك امتثالها
وإيمانها أن الحياة طلابها   وإنك منها سؤلها وسؤالها

أمولاي والأعوام تعدو جوافلاً   ليرسب في قاع الحياة خيالها
كما لمع البرق المشير إلى الحيا   وأُدرج في الأغوار نسياً جُفالها
عداك، عدا حظ العظيم تبدلت   على جانبي ممشاه قسراً خصالها
فكانت لك الأيام تسعى حوافلاً   إليك يقود الخطو مهلاً خُفالها
مرقرقة كالجود طبن سحائباً   تهطل غاديها وفاضت ثقالها
مرفهة مرحى تفيأ ظلها   كما شئت شعب قد ؤوته سجالها

وطابت لك الذكرى المجيدة نصها   لأسمى المراقي بالمراقي اتصالها
مخلدة مثلي تسامق مجدها   إلى المجد قرّت في ذراه فعالها
تلقفها التاريخ أفسح صدره   لها وصغا يشجيه منها اختيالها
وصافحها الماضي الأغر وقد سمت   إليه تناهى دلها ودلالها

مولاي والأزمان يوم تتابعت   خطاه وذابت في خطاه رمالها
لك اليوم ندّ الأمس ذكر تكاملت   علاه وذكرى من علاك اكتمالها

مــوت وحيــاة

انطفأت ابنتي «حكمت» بعد أن أضاءت لمن ولما حولها حوالى ثلاثة أعوام.

أحقاً طواك الرمس واغتالك الردى ... وأصبحت ذكرى للفؤاد المعذب؟
وقد عشت ما قد عشت عني غريبة ... كغربة طبعي الواجف المتنكب
كفاء بأني والد أنت بنته ... وأنك مني في الحياة بمرقب
وما علم الأدنون أنك في الحشا ... علالة قلب خافق متوثب
ولا علم القلب الذي أنت نوره ... بأنك فيه كنت أضوأ كوكب
ولا ذكر الناؤون عنك بأنني ... ذكرتك يوماً ذكر عانٍ ملوب
غريبان عشنا في الحياة على لقا ... بدنيا هوانا الصامت المتنقب
كذلك عشنا لستِ تدرين في الهوى ... ولا أنا عن مسرى الهوى المتحجب
إلى أن أشار الموت نحوكِ خاطفاً ... حياتك في صبح من الهول مرعب
وأفزعني الناعي بما هاج ساكني ... وأيقظ إحساس الأب المتعذب
فكنتِ كأني قد ولدتك ساعة ... فقدتك فيها فقد من لم يجرب
وبصّرني الموت الكريه حقيقة ... تدق على عين اللبيب المجرب
فبان من المستور من انساح فجأة ... كموتك موقوت المدى المترقب
هوىً هب لذاع الصبابة لاظياً ... وقد فاض في الأحشاء من كل مسرب

وعدت أمامي كائناً متجسداً يفيض حياة تستزيد تلهبي
وبتِّ خيالاً هاجماً كل لحظة عليّ بماضيك الحفيل المرتب

فها أنتِ قدامي وفي المهد بسمة تضيء ولحظ مستديم التعجب
وها أنت فوق الكف مني فرحة وروح خفيف الظل حلو التوثب
وها أنت من خلفي تجرّين مئزري لألقاك بالصوت الأجش المؤنب
وها أنت والألفاظ جهداً تعثرت بفيك تناديني «ببابا» المحبب
وها أنت تخفين الذي كان طلبتي لتبديه فرحى باكتشاف المغيب
وها أنت تندسين دوني لتفجئي أباك بوجه في الدثار محجب
وها أنت بل هذي حياتك كلها تمر أمامي موكباً إثر موكب
قفي يا ابنتي لا تبعدي عن مكفر خطاياه العسير المنقب
اقيمي أمامي كل حين ونشّري حياتك تستبق الحياة لمذُنب
فإني بما تبدينه الآن هانيء هناءة محروم الهناءة متعب
وهذا الفم القاني الصغير وكم به لثمتِ أباً في فرحة وتحبب
وهذا المحيا الضاحك السن كم زها على الجيد حسناً كالإطار المذهب
وهذا وهذا من شتيت محاسن تروق لعين الناظر المتهيب

قفي وأطيلي لا تراعي فإنما عرفتك هذا الآن لا قبل فاعجبي
كأنيَ لم أنظرك إلا لساعتي محببة في كل وضع مُحبب
مكبرة في كل جزء ألفته وفي كل مغنى عشت فيه وملعب

حرام عليَّ اليوم نسيان لحظة رأيتك فيها قبل أن تتغيبي
نكرتك بالأمس القريب عماية غِنىً بالوجود المطمئن لمذهب

فلم تجدي فيء الأبوة ناعماً ... ولم تذقي ما يستذاق من الأب
وطرت إلى دنيا الخلود وحيدة ... تراعين طيف الوالد المتجنب

بنية! ما ذنبي وفي القلب علة ... تجلّ عن الإفصاح رغم التطلب
إذا أنا لم أعط الأبوة حقها ... عطاء سواد الناس أشتات مطلب؟

بنية! لو تدرين حالي ممزقاً ... لاعفيتني من حالة المتعتب
فما أنا فيما كنت أو أنا كائن ... سوى أمل ذاوٍ وفكر مذبذب
لقد عشت في دنيا الخيال موزعاً ... غريباً بدنيا الناس غربة مذهبي
غريقاً بإحساسي الكئيب مشرداً ... لدى شعب الإحساس في كل مركب
بئيساً بكوني العائليّ تخربت ... دعائمه في قلبيَ المتخرب
حرياً بأن أحيا كما شئت لا كما ... تشاء حياة الناس في عرفها الغبي
شقياً بهذا الواقع الفج يبتغي ... تقيّد مثلي بالنصيب المرغب
وحيداً فإن تصفُ الحياة لآهل ... سعيد فقد تحلو الحياة لأعزب!

بنية! هذا الموت موتك هدني ... على غرة مني وما زال مكربي
على أنه أحياك في القلب ثانياً ... حياة حبيب نازح متأوب
فقد جرف الرزء المعجل من دمي ... جمود أب دامي الشكاة مخيب
وأولاك من نفسي الرحيبة مسرحاً ... بك اكتظ زفّاف السنى المتلهب
فها أنت قدامي على كل صورة ... تناغينني فيها بصوت مطرب
وها أنت من فرط التلامس بيننا ... أشم الشذى المألوف منك بمقرب
وألمس ما تلقى يداي مؤكداً ... وجودك في همس بذكرك مسهب
وأدعوك كم أدعوك باسمك حانياً ... عليك وقد لامستِ جيدي ومنكبي

فإن فجعتني في نهاري حقيقتي ... ونأيك عني نأي فانٍ مغيب
فقد بت في ليلي بقربك جاثماً ... جثوم المصلّي في المصلّى المرجب

بنية! يا من غيّب القبر جسمها ... وإن لم يغيّب عن فؤادي مصائبي
أبيت عليك الدمع لا اذرفنه ... فأنت هوىً ضُمت عليه ترائبي
وأنت منى النفس الشجية تحتمي ... بذكراك مما كان بين جوانبي
وما قيمة الدمع الرخيص إذا انتهى ... بإسباله إحساسنا بالنوائب؟
بنية! ما مات المقيم على المدى ... بروح المحسّيه بكون التجاذب
وما غاب عن دنيا محب حبيبه ... وقد عاش ذكرى دائم الذكر دائب
وكم مات في الأحياء من لا نديره ... ببال على كر المدى المتعاقب

أنيسة نفسي كل يوم وليلة ... برغم الردى طوفي حواليّ والعبي
فلا تحسبي أني عددتك ميتة ... وإن غبت في جوف الثرى المتراكب
فأنت بنفسي الآن أحيا حبيبة ... إلي، فعيشي طيلة العمر جانبي

صِــــرَاع

هي ملحمة افتراضية من ناحيتها الفنية وتصوير لملابسات واقعية في حينها، المراد منها المفاضلة بين العاصف رمز الهواء والبحر رمز الماء حيث تتم فيها الغلبة للأول على الثاني كما هو اعتقادنا في امتياز الهواء على الماء باعتبار الأول سر حياة الثاني فيما نحن بصدده إذ يكفي أن نتصور البحر محروماً من الهواء لندرك صحة ذلك.

والقصيدة مبنية على شكل استعراض تخيلي لتكوين وحياة هذين العنصرين وصراعهما الدائم، وهي بعد وحدة فنية يدرج فيها الحديث عن الليل والصبح وصنوف من شتى المعاني الأدبية والحيوية.

وكانت في حينها رداً على فكرة الأستاذ الشاعر محمد حسن عواد ومناصرة لفكرة الأستاذ الشاعر حمزة شحاته.

يا هيولى الكون العظيم بما فيه حياة وعنصراً ونظاما

حدثينا عن قصة الأبد الممعن في غيبه القديم تراما

أتحفينا بالمبدع الخالد الذكر يزيح الشكوك والأوهاما

كيف جدت عناصر الكون والكون سديم في أمره ما استقاما؟

ولماذا القُوى تَفاضل في الخلقة شكلاً وقوة وانسجاما؟

حدثينا ما قلت؟ قالت هو الفصل حديثي لا ما يقول الجهول
فأنا الأس منبع المشهد الحاضر منـي أصوله والفصول
زامل الليل مبعث الفن والفتنة عهدي يجول حيث أجول
وانزوى الصبح في هبائيَ من قبل ومن بعد لا يُرى إذ أصول
فسل الظلمة استعيرت ضياء وإليك الحديث فهو طويل

كان ذاك الفضاء تخطئه العين هباء أو فكرة أو سديما
حينما ذو الجلال جلت أياديه تعالى سوّاه خلقاً قويما
مبدعاً آمراً إذا قال كن للشيء كان الشيء المراد قديما
والتفاصيل شائكات فإن شئت قصرنا حديثها المعلوما
عن حياة الهواء يعصف والبحر تجارى مموجاً ملطوما

قلتُ ما شئتِ قالت الرأي في القول كما ارتائي ومثلك أدرى
خُلق البحر قبل أن تخلق الريح فكان الخضم أقدم عمرا
جسداً هامداً وجرماً بلا بروح تعير الجماد حساً وذكرا
ولقد كان خلقه في البدايات ابتداء للريح روحاً وسرا
مثلما يُخلق الجنين جراثيم انتظاراً للروح تحدث أمرا

لم تكد تستبين بعد السموات على هامة الفضاء العريض
كرة كانت اليبوسة، والصلب عزيز، من بعضها المستريض
والمحيطات، والرخاوة سيماء بنيها، من كلها المستفيض

أو تدب الحياة لولا انطلاق الريح فيها ونفخها للنهوض
حرة طلقة تَردّدُ في البحر وفي البر سهله والنقيض!
وبحسبي بعد انبثاق المحيطات بحاراً كثيرة لا تَعد
وانفساح الهش النديّ من الأرض مغاراً لها إليه تُرد
واحتساب المغار عمقاً من القابع فيه وعمقه لا يُحد
وتباهيه بالتلون من جو سماه بلونها يعتد
أن يكون الحديث نقلاً عن الواقع يرويه حاضر مستجد

منذ كان الخضم جرماً غزته الريح روحاً للروح والإجرام
والصراع الدامي المضّمن معناه صراع النفوس والأجسام
مستديم النضال لم تهدأ الثورة فيه على مدى الأيام
فهو إن يخدع النواظر مداً كان جزراً في واقع الأفهام
وهو أن يشتهي السلامة حرباً ظاهرياً لن ينتهي للسلام!

هكذا عاشت البحار وما البحر إذا قيس عنصراً بسواه
أهو الماء والملوحة في الذوق مذاقاً ومخبراً سيماه؟
أم هو العمق إنها خسفة الهش من الأرض غاره مأواه؟
أم هو النفع، إنه البحر لا أكثر كم من مطية لولاه؟
نام هو الضر والهواء، هو اللاعب دور المحرك استعداه؟
أم تراه السكونُ يرهَب، هل كان سكون لولا سمو هوائه؟
يتعالى في الأفق يخترق الأفق مَراداً مصعّداً في علائه

وهل البحر مرهب بالسكون الناس، بئس الإرهاب في أصفائه؟
أم هي الثورة استقل بها العاصف في موجه وفوق سمائه؟
طاوياً ناشراً رواكده فيه ومن حوله على أشلائه!

ثم ما هذه الطلاقة لم تخضع لقيد مؤكد لسواها؟
أهي البشر والبشاشة واللفظ صريح مقيد مأتاها؟
إن تكن هكذا فتلك لعمر البحر للبحر خلة ما اشتهاها
أو تكن الانطلاق في لغة الصدق تأبت عن نيله معناها
فسل الريح همسة ونسيماً وهواء وعاصفاً عن مداها!

في رفيف الحياة في نفَس الحي حياة وفي الطيور غناء
في جمال الربيع في فوحة الزهرة عطراً وفي الغصون نماء
في حفيف الأشجار في دفقة النهر حراكاً وفي الرياض هناء
في ركام السحاب في صفقة الودق انبثاقاً وفي الغمام امتلاء
في أعالي السماء في أفق الجو أثيراً وفي الفضاء اعتلاء!

في الأعاصير في الزوابع في الريح تدوّي شأن الطليق القوي
فهو في رهبة العواصف إن شئت سكون لا كالسكون الخلي
وإذا شئت ثورة لا انثناء العزم من طبعها العتي الأبي
فهي للطيّب الحياة حياة وممات للمستريب الشجي
هي في الجو مثلما هي في الأرض وفي البحر سيره والدوي!

فسل الليل عن معاركها فيه إذا كابر الخضم المكابر
فهو الصادق الراوية إن حدث عن مجتلى نزاع العناصر
كيف لا؟ والحياة في الليل في النفس حياة تسمو لديها المشاعر
وعيون الزمان إن نامت الأعين فيه على الزمان سواهر
فهو لا حالماً يمر به الكون ولكن يقظان بالكون شاعر

واستمع للحوار عاد طريفاً لم ينله التكرار في إبداعه
أو تقصر من شأوه صيحة الضعف تردت للقاع من أتباعه
لا ولا صرخة المقلد والمين مبين في خلطه ودفاعه
قال لي الليل والمقال من الليل صريح في صدقه واتساعه
وبما تقذف الأدلة في النفس وقد نصها السَوى في اندفاعه

رقص البحر مرة «رقصة الموت» فكانت بداية ونهاية
حين نال الدجى خبيئاً وراء أقول منه استعارة وكناية
وانزوى يستبيح في كنف الشط جمال الدنيا أذىً ووشاية
وغفا حالماً يهمهم بالصبح عزاء ورقية ووقاية
فمضى الليل ناشراً فوقه الهول انتقاماً وصولة ونكاية!

ورماه بالهول يُعقبه الهول فقول أو عاصف أثر عاصف
وابتغاه مرمىً قريباً إذا رد بعيداً إن حاد شأن المجانف
واجتلاه مرعىً خصيباً ففي كل مكان وجه لوجه مخالف

فجلاه للعين مرآة ضعف   مثلما تشتهيه قدرة واصف
فتلوى وماج وارتد أو همّ   وما جهد موجه بالعواصف!

واستفاض الحديث ردده الطود مليًّا في صمته والرسائل
عن حياة الخضم تعصف فيه الريح عصفاً مردد النفخ هائل
لا عتواً يضرى به البطل الهائج بل عبرة النهى والفضائل
واستحال الحديث صورة إشفاق عليها من الرجاء دلائل
فاكتفى العاصف الرهيب بما نال وما نال كان أكبر طائل

وصفا الجو فاستهام به الطود يناجي خضارة المتواري
وأطل الهواء زامله البدر الموالي إطلالة الجبار
ودنا فاستفاق من وهمه البحر خجولاً مهتّك الأستار
فهفا نحوه وسلم بالقول رقيقاً في هيبة ووقار
وشأى عاصفاً ورف نسيماً   وسما خالصاً من الأوضار!

فانطوى البحر بعدها طاوي القلب على منتهى الضغينة والغل
ساهداً مرسلاً تحيته منه إليه فيها يعيد ويصقل
وتحياته بقايا الشكايات وإن خالها براءة من ذل
أو نعيق الغراب يحسبه الجاهل من جهله ترانيم بلبل
كالمحيي جنية الشعر أو عبقر بين الأنام في شخص دُلدل

عنصر يشتهي الصراع ويخشاه شهاباً أو عاصفاً أو هيولى
مثّلته في صفحة الأدب الهامد شيخاً من الهزال نحيلا
عصبة تبتغي الصراع خيالاً وتجافيه في الحقائق غولا
والصراع الدامي طِلاب القديرين سمواً وغاية لا فضولا!
والحياة الصراع والبأس والقوة حقاً لا رقصة وطبولا!

والمنى والشكاة والأمل الفاتر وهمٌ على الحياة وزور
والرؤى والطيوف والعالم الحالم دنيا والعقل فيها أسير
والخيال الفذ المطل على الواقع من أفقه خيال مثير
وقوام الآداب طبع أصيل واطلاع وقوة وشعور
والحياة الصراع للفوز سيماء بَنِيها يدور حيث تدور

لبنانُ وَالبلد المعظم

ألقيت في الحفلة التكريمية التي أقامها سعادة القائم بأعمال المفوضية اللبنانية اسعد بك الأسعد لسعادة الشيخ محمد سرور الصبان بمناسبة تقليده وسام الأرز من رتبة ضابط أكبر.

عاش المكرِّم والمكرَّمْ ... لبنان والبلد المعظمْ
مثلان في دنيا الوفاء ... تمثلا ودًّا تجسم
وتلاقيا نهب الولاء ... تبادلاه هوىً تضرّم
وتقدّما عبر الزمان ... فجدداه خطىً ومقدم
وتألقا بدجى الحياة ... فعاد صبحاً قد تبسم
واستهدفا ما استهدفا ... شأواهما شرف مدعم
وهوىً تجمع في الضمير إلى الهوى قلباً تقسم
رمزين مستويين في المشأى تجاور أو تقدم
تلك المعارج للحقيقة حولها الأكباد تُنظم
وبدونها لا عاش منفرد تغسّن أو تجرّهم
فالكل من دنيا العروبة وحدة هيهات تُفصم
الأرز في المرقى البعيد نباتة أروته زمزم
ورعته من فجر الشباب إلى الرجولة دون مأثم

والغيل في الوادي أمد زئيرَه الجبلُ المعلمّ
وشجاه بالرجع المحبب صاغياً والليل أدهم
فاليوم إن ناب الفؤاد عن اللسان بما تكلم
في حلية يعلى بها شرف المنى شرفاً تعزّم
وبمحفل أرضى به روحَ الندى الكرمُ المسوّم
أتراه يحمل في المعاني غير معنىً ليس يرسم؟
معنى الجداول هزها للدوح إرواء منغّم
معنى الخرير رعى الغراس كما اشتهاه جنىً مقوم
معنى الوكور إلى الطيور طليقة مهوًى ومجثم

معنى الأخوة في الولاء تقدست في ثوب توأم
معنىً تألق في الصدور وفي القلوب سنىً منظم
معنىً يليح إلى السواعد ضمها والكفُ معصم
معنىً تخططه السياسة في اللغى قولاً مهندم
وروته في كون العواطف سيرة تروى فتعظم
للعاملين أظلّهم تاج به التاريخ يُزحم
ورئاسة من دونها جهد المزاحم قد تهدم
العاهل العربي أوقد فيهمو عزماً ترسم
عبد العزيز وحسبه باسم تفرد فيه مكرم
ذكرى تطاول في الزمان فخاره مهما تعظم

وأخو الجهاد وتلك راشيّا له القيد المحطم
الهادم الباني من استوحى الجهاد فعاش ملهم
فخر الرجال بشارة الخوريّ من أنشا فدعَّم
إن يقضِ حقهمُ المعلى فهو بالأعلين أعلم!

ذان المثال وما على الراجيه في حد محرم
ندان في دنيا النضال تشاكلا روحاً وروْسم
بهما أدمنا الطرف في المستقبل المجهول يُعلم
فأطل وضاح المحيا في دنىً بالحسن توسم
وأبان عن حظ العروبة منهما عزاً ومغنم
يا زينة الحفل الكريم أقامه الكرم المقدم
أنتم لبعضكمو تحايا الحفل أفلح يوم أقسم
بالشامسات من المآرب طائعات حيث تُلجم
إن المنى ستفوز بينكمو بمعناها المجسم
في أسعد والسعد حمد قد تنظم
ومحمد والحمد سعد إذ يترجم

هذي تحية شاعر، الشعر داء فيه يُرحم
ألقى بها بين المشاغل والحنين وقد تظلم
ليقول قولته التي عادت لبدء القول مختم
عاش المكرِّم والمكرَّم - لبنان والبلد المعظم؟

يا كأس

مهداة إلى أخي الصديق الأستاذ محمد عمر توفيق، ذكرى حياة لحياة.

يا كأس يا مصباح قلب قد تحطم في الدياجرْ
ما جاء حولك أو تسكع غير زنديق وفاجر
ومعاقر تَخِذَ المدام صناعة القلب المغامر
يشقى بها لا يستفيد ولا يفيد سوى المخاطر

الفجر حولك كاذب فالليل في دنياك سادر
شفقاً تلفّعَ بالغيوم مبرقش الألوان مائر
وأراه عن نور العيون المبصرات عمى البصائر
مهما استسر فإنه ليل! وهل لليل ساتر؟

والوحش منطلق الأسار ببردتيك له مغاور
ولغ الدّماءَ سعارُه شهْد على شفتيه ساخر
يتناش أكباد الفضائل بالمديّ وبالخناجر
لا يستحي وحيا النفوس على الحياة لها بشائر

والفكر منك على الضباب المدلهم الجو داعر

حيران منداح الجوانح راجف الأطراف هاذر
يطأ الوحول فلا يفيق ولا يطيق سوى المقابر
أشلاء معركة النهى في راحتيه لها مجازر

واليوم عندك ساعة حفلت بألوان الكبائر
يمضي بها العمر الشجي معربد الخطوات ثائر
لهفان يحدوه الظما القتّال لا يرويه هامر
بدداً تمزق زائغ النظرات كالمخبول دائر

واللحن صوبك ثورة الشهوات تبتعث المشاعر
للمنكرات تبهرجت وتزخرفت رهن الخواطر
البعض حن لبعضه، كُلاً وما للكل آخر
لا حد يُعرف عندها والحد مجتمع الأكابر

والقول بينك فلتة ضاقت بها دنيا السرائر
يتلقّف الأسرارَ طولُ حديثها السلس المساير
ما لا يجوز وما يجوز مقاله عند الخناصر
وتجاوروا متلاحمين فواجراً ضمت حرائر
شأن الأباحي المشرد شائع الخلجات سافر
يوحي بما تُملي الطبيعة للطبيعة لا تساتر
باللهو بالأيام تُهدر، بالحياة بلا زواجر
بالفرد مجتمعاً تركّز فيه مجتَمعٌ مغاير

يا كأس يا خفقَ الجناح شأى وليس هناك طائر
لصغائر النزوات أنت مُددت من كف الصغائر

أبعدت أحزان النفوس وتلك صيقلها المعاور

واعـــدتـــهــا داءً ولــيــس دواؤه إلاك دائــر

مثل المزيج ضنىً يلمّ بعاهة رسخت أواصر

قيد تحجب في الغلائل للأساري شر آسر

يا كأس حسبك أن تكون حطام أخيلة دواثر

وعلالة الأمل المطاول لطمة الأمل المصابر

ونهاية الوهم البئيس أضلّه الوهمُ المكاشر

لتكون عبرة من تبصّر في العواقب لم يكابر

يا كأس، بل يا خدعة الواني ونى العصب المقامر

بعض الأمانيّ الكذاب حقيقة الأمد المعاصر

لمعَ السراب تعشقتْه على الخيال منىً عواثر

لفّت فجيعتها الزمان فدار مختلط الخواطر

أغفى بها الجَلد الرثيث مطاول اللحظات صابر

وأراد مسلوب الإرادة متعة رُبطت بحاضر

يـا ويـل مـأمـور تـمـثّـل أن يـقـوم مـقـام آمـر!

يا كأس قد يطأ الصخارَ محلقٌ في الصخر سائر

السعي كان دليله، والعزم منه له منائر

وهو الحقيقة بالحقيقة في الجوانب منه عامر

فإذا المؤَمِل والمؤَّمل وحدة دانت لقاهر

لكنما يا كأس أنتْ خديعة الراجيك غادر

فلقد يدانيك المرجّي ما يحاول غير حاذر
فإذا المُواتي منك خلفة ما تنظّره البوادر
همٌ أران على الفؤاد وحسرة كثرت مصادر

يا كأس يا آناً تحدد في المصير بلا مصائر
قد يستطيب بك المعاقر ما يريد وما يعاقر
لكن إلى الأمد الذي مهما استطال أطل خاسر

ولقد تضيء بك الحياة بداية تعست أواخر
وتغرد الألحان منك هنيهة جرت جرائر
وترفرف الآمال حولك برهة عزت نظائر
لتقرّ دونك جُثّماً عبثت بها أيدي الكواسر

ولقد يلوذ بك المعاني سفح حصباء الهواجر
ليبيت ملتحف الثرى في زمهرير النفس خائر
تقفوه للذكرى ما لها في الحس ذاكر
غيماً تلبد في الرؤوس أَلَحت فيه وأنت غامر
وأشحت عنه وأنت طيف في مدار الظن غابر
يا هول ما تذرو الحقائق من حطام الوهم صائر!

يا كأس قد تحلو الحلاوةَ لا تُملّ بها المخابر
وتلذ لذتك الخفية زانها الشوق المخامر
وتعز عزتك العتية هاجها النزق المخاطر

حتى تؤوب كطبعك الطيفيّ أشباحاً لعابر
فإذا معانيك الطروبة كلها حركات ساحر
وإذا حطام العابديك هياكلاً بشعت مناظر!

يا كأس أنت الشعر لا يرضى به إيمان شاعر
معنى تشعب في الرؤوس ولم تشع به الضمائر
ومنىً تولدها الظلال من الخيال وكان عاقر
أما أنا فالشعر عندي ما علمت وما أفاخر
روح تعلّق بالسماء وجَاس بالآفاق طائر
وهوىً تغلغل في الصميم ورق كالنسمات طاهر

آليت، إذ أسمو به، ألا أبيت لديك غائر
ونذرت، إذ يعلوك، إن أعلو به ثمل المشاعر
لا بالمشعشع من صبوحك أو غبوقك إذ يساور
بل بالنديّ من الورود وبالشذيّ من الأزاهر
وبفرحة العصفور رفرف في ذيول اليوم ماطر
وببسمة الروض الحيي ولفتة الريم المحاذر
وبخفقة القلب المتابع في الصبابة قلب هاجر
وبلثمة الثغر المعيد إلى الهوى ماضيه زاخر

بعرائس الأسحار نشّرت الذوائب والغدائر
في حالك الديجور إبلس واهن الخطوات حاسر

يرنو إلى الفجر المطل بأعين باتت سواهر
والفجر مشتعل السنا الوردي بالأنداء عاطر
يخطو فتستبق الحياة خطىً إليه بها تباكر
خفاقة الأحشاء حرك وجدَها إقبالُ زائر
فتعانقا فوق التلال وفي البطاح بغير ساتر!

بنسائم الآصال رقّصت الخضم فخفّ هادر
تتواثب الأمواج فيه فنافرٌ في أثر نافر
يلغو بما يهوى فيبتعث الخريرَ صدى المزاهر
والأفق ذهّبه المرقرق من ذُكاءَ سنيً مغادر
والكون يعتنق المساء أطل للأحلام ناثر
والنفس كالأحلام شتّى في الخوالج والنواظر

هذا هو السكر الحلال دنانه دنيا الخواطر
الشعر أترع كأسَه السحريّ بالسحر المساور
ورقى به فوق الجسوم وللعقول به منابر

لا كأسه يا كأس يُحطم أو تدور به الدوائر
أو يستذل به الأكابر بين جمهرة الأصاغر
أو يدلهم به التُقى وجهاً تغضّن بالمناكر

بل إنه يا كأس كأس الخالدين من العباقر
ومعارج الإنسان صعّد في مراقي الكون فاكر
وربابة الشادي ومحراب الشجي وهوى المشاطر

ومسارح الأبصار مدتها النفوس لها معابر
لتطل دافقة الشعاع مجنّح اللمحات ساجر
كأس هو النبع المشاع لوارد ولكل صادر
من كل لماح الجمال هفا الجمال لديه وافر
هيهات تبلغ شأوه في الحسن في شتى المناظر
يا كأس يا زيفاً تلوّن في الحقائق والمظاهر
حتى تنال خسائسُ الأحجار مرتبة الجواهر
فاقبع بجحرك في الدنان أو الرؤوس وأنت صاغر
وتصيّد المحروم والمنهوم لا يثنيه زاجر
واستغفر المولى على رغم النوى، فالله غافر!

بلد الهَوى

زار الشاعر لأول مرة «لبنان» في مطلع ربيعه، ولما تمض عليه بضعة أيام.

وقد سجل في هذه القصيدة بعض ما دار بحسه، وطاف بعينه، ولجلج في صدره وذلك عقب عودته إلى لبنان مع رفيقي رحلته الأخوين عمر أحمد الهزار وسليمان الدخيل من رحلة قصيرة في دمشق.

لبنان، يا لبنان، يا بلد الهوى وهوى الفؤادْ
يا باعثاً شتى فنون السحر ليس لها نفاد
يا وقدة الفن المضيء، وثورة الفن المُجاد
يا بسمةً بفم الطبيعة للطبيعة خير زاد
يا وردة بيد الزمان لها الزمان شدا وشاد
أنت الهوى والسحر والآمال تشرق في امتداد
والكون والدنيا فأنت ـ تعيش أنت! ـ لنا المراد

لبنان، يا أمل النفوس تعشقته منى ومجلى
يا قدرة الخلاق، أعلى صنعها سراً وأغلى
يا هدأة الأحلام دغدغت الشعور، وما تملّى

يا رشفة في الكأس لا تفنى به علاً ونهلا
يا نغمة بالليل رددها الصباح وقد تجلى
أنت المنى، والسر، والأحلام تسبح في المهاد
والكأس والألحان أنت ـ تعيش أنت ـ لنا المراد

لبنان يا فجر الحياة أطل رفاف الضياءْ
يا آهة العشاق أسلمها الهوى، كف الهواء
يا نظرة العذراء ذابت بين أحضان الحياء
يا زفرة في الصدر صعدها الحنين وقد أفاء
يا لفتة بالجيد حرّكها الدلال كما يشاء
أنت السنى والحب، والنظرات تومض في اتقاد
والشوق واللفتات أنت ـ تعيش أنت! ـ لنا المراد

الحسن يا لبنان طوع يديك هام به هواه
والشعر روحاً في جوانحك استفاض به جواه
والفن وحياً في ربوعك لم يُطق أبداً نواه
والسحر الواناً تسرّب في ضميرك واحتواه
والزّهر أوراداً تفتّح في غراسك مذ رواه
فالحسن أنت، وأنت أنت الشعر والفن المُشاد
والسحر والأزهار أنت ـ تعيش أنت! ـ لنا المراد

والدين يا لبنان أشتاتاً تجاور في حِماك

في وحدة الوطن العزيز عقيدة تعلو السِماك
هيهات تفترق المساجد والكنائس في سَماك
والجنس في مغناك معنى قد تسرب في دماك
والعزم إيماناً من البغي المدل لقد حَماك
فالدين للديان أنت عرفته بين العباد
والعزم والإيمان أنت ـ تعيش أنت! ـ لنا المراد

لبنان ما أحلى ربوعك فتنة صيغت وفنا
وتطلعت للكون دافقة المنى شكلاً ومعنى
وتبسمت عطراً تخطر ضاحكاً في كل مغنى
وتدثرت بالحسن أنطقه الهوى، فازداد حسنا
وزها، فهام الكون فيه، وفيك بالآيات جنا
ها أنت في هذا، وهذا بعض ما هز الفؤاد
فشدا ورفرف فيك أنت ـ تعيش أنت! ـ لنا المراد

هذا هو الجبل العتيد، وماله إلاك مسمى
إن قيل: لبنان، تبسم تائهاً وزها أشمّا
ورمى الخضم ـ وقد علاه ـ بنظرة المجليه مرمى
ورقى الفضاء وداس هام السحب دّخانا وغيْما
وشأى، وقال أنا، أنا لبنان فاغترّ المسمّى
بالشامخ المعتز كان ولا يزال هوىً يراد
لِتكون يا لبنان أنت ـ تعيش أنت ـ لنا المراد

وهناك صنّين تطلع بين تاج من جليد
للدانيات من الأماني سابحات من بعيد
من مطلع الغيب المغلّف دون باصرة الرصيد
يرعاك محتقب الهوى الريان، مرتقب الجديد
ليراك فوق سواك في المشأى فريداً، لا وحيد
صافي العروبة قد رعيت لها مواثيق الوداد
فرعتك يا لبنان أنت ـ تعيش أنت ـ لنا المراد

والسهل من سهل البقاع طبيعةٌ دلت عليك
في مجتلى نُور السماحة ساطعاً في مقلتيك
ألقاً يمد سنى الحياة وينتهي منها إليك
مترقرق الأنداء، مخضر الأديم، زكا لديك
فجلا صفاتك لن تحور به، وأزهر في يديك
نَوْراً تبلج في رحابك بدعة بين البواد
مازتك يا لبنان أنت ـ تعيش أنت! ـ لنا المراد
وهنا الخضم جثا لدى قدميك أمداءً فِساح
نشوان، مضطرب الحديث شكاية وهوىً مباح
هيمان، نجواه الهدير تحية عند الصباح
ومقالة الآصال لِلّيلات خفّضتِ الجناح
وأمدّت النعمى تُساق إليك مطلقة السراح
إرثاً من الماضي القديم بذلته جهداً مُعاد
منها إليك، إليك أنت ـ تعيش أنت! ـ لنا المراد

وهنا، وحولي، أو هناك، مفاتنٌ شتى الصوَر
في البدر ساطعة السنى، في النجم وانية النظر
في النهر دافقة المُنى، في الحقل رانية الخفر
في الزهر عابقة الشذى، في الأرز خالدة الأثر
في موكب فيه العذارى كالضياء إذا انتشر
كاللحن، كالأحلام، كالأمل اشتهاك على انفراد
فدعاك يا لبنان أنت ـ تعيش أنت! ـ لنا المراد

هذا هواك مفلّج الأطراف، رقرقه النسيم
كهواي للبلد الكريم، إلى الحجاز، هوىً كريم
حامت به الأطياف، صوّرت الجديد أخا القديم
ما بين ناقلة صدى «صنين»، و «الجبل العظيم»
أو بين جالية المشاعر «بالصفا» أو «بالحطيم»
نبعاً تسامت «بعلبك» به، تحدر في الصميم
وصدى به «أحُد» «ورضوى » رداده، فلن يهيم
ورؤى تطوف هنا، هناك، منشرات كالغيوم
يبدو بها «وادي الحرير» كأنه «وادي الجموم»
وكأن «عاليْه»، «السلامةُ»، في الكرامة والكروم
وكأن «ضهر البيدر» المرموق متن «كرى» القويم
وكأنما الشاغور من «سيل العقيق» صدى الهزيم
وكأنما «الفوّار» بينهما ترانيم السديم
والأرز للأثل الأرومةُ لا تُرام ولا تَريم

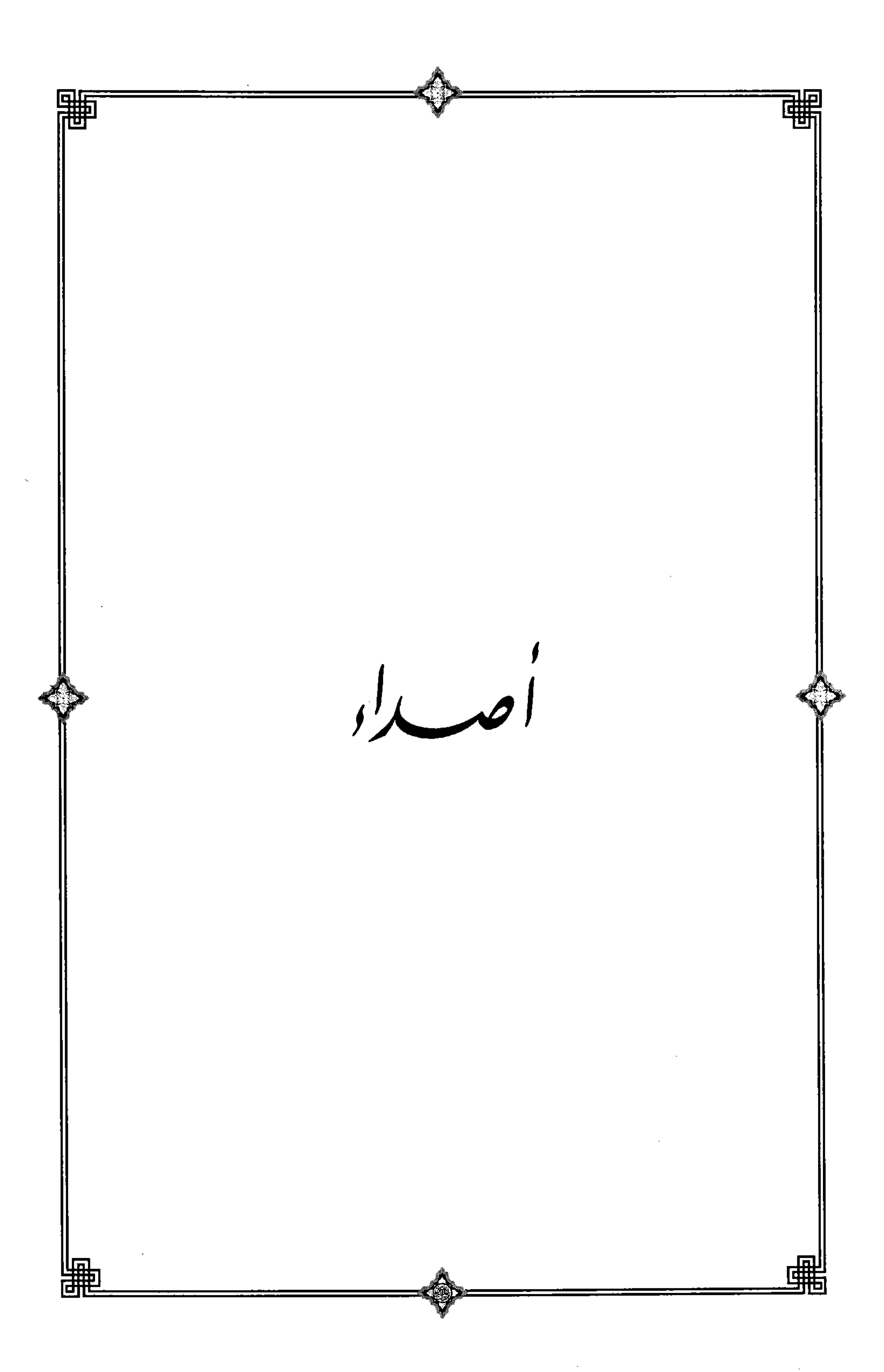
وكأن بيْروتاً «لِجدَة» لَمحةُ الذهن العليم
وكأنني وسطَ الحجاز به أهوجل أو أهيم
وأنا بلبنان على السلوان والذكرى مقيم!

هذا هواك وذي رؤاك تعاوروا قلبي المُصاد
مداً وجزراً ذقت بينهما أفانين الوداد
ما بين أخوانٍ كإخوانٍ هنالك في السواد
وحييت في كوني حياة الروح مطلقة القياد
نهب الأحاسيس استبدّ بها الحنين أو السهاد
نشوان تغمرني الطلاقة والطلاقة ريّ صاد
رمزاً إلى كنز السعادة خبّأته عن العباد
وأنا المطاول في الزمان سدىً مغالبة الجلاد
واليائس المكدود في بلد أشاك وما أشاد
والمنطوي المزويّ فيه كعابر ضل السداد
والمرتجيه على المدى بلداً شأى كل البلاد
وأنا الغريب، وغربتي معنى يريد ولا يُراد
معنى انطلاق الطير في الأجواء أطرق حين ناد
معنى امتداد النور في الآفاق أخباه الوِصاد
معنى الإشاعة للحقيقة تُرتجى، لا للنّفاد
معنىً به الحرية المثلى تقود ولا تُقاد
معنى شقيت به، ولكن دونه خرط القتاد

أو دونه الليل البهيم طخا وأمعن في السواد
في دجية العقل البليد غفا، وطال به الرقاد!

حتى إذا ما جئتُ يا لبنان نحوك في افتقاد
ورعيتَ مثواي الجميل فهمتُ فيك بكل ناد
ألفيته معنى تضرم فيك مذخور العتاد
ورمقته روحاً إلى روحي تفيأ واستراد
فإذا اَشرتُ وإن اُثرتُ بما لقيتُ على اطراد
فأنا المردد ما حييت القول، من قولي المعاد:
«لبنان، يا لبنان، يا بلد الهوى وهوى الفؤاد»
«يا باعثاً شتى فنون السحر ليس لها نفاد»
«يا وقدة الفن المضيء وثورة الفن المجاد»
«يا بسمة بقم الطبيعة للطبيعة خير زاد»
«يا وردة بيد الزمان، لها الزمان شدا وشاد»
«أنت الهوى والسحر، والآمال تشرق في امتداد»
«والكون والدنيا، فأنت ـ تعيش أنت! ـ لنا المراد»

لبنان، ٢ رجب سنة ١٣٧٠هـ، الموافق ٧ إبريل سنة ١٩٥١م.



أصداء



إلى من أحببت . .

قيل: من أحببت بعد الله حباً مستديما
ومن استأثر غير النفس بالحب قويما
قلت: أهلي، والمنى، والوطن الغالي عظيما
وصحابي، أصدقاءً، وهوىً شب قديما!

البـلُبُـل

القصيدة الفائزة في مسابقة محطة إذاعة لندن الشعرية لعام ١٣٦٥ هجرية بالجائزة الأولى محلياً بالنسبة لبلدان المملكة العربية السعودية.

والفائزة كذلك في لندن لعام ١٣٦٥ هجرية بالجائزة الثانية بالنسبة لبلدان الشرق الأوسط.

كما أن الجهة صاحبة فكرة المسابقة قد أهدت إلى الشاعر كأساً فضية بمناسبة فوز قصيدته بالجائزتين المومأ إليهما.

الروض، ما معناه يا بلبل ... إن لم تغرِّد فيه أو تمرح؟
والزهر من يسكب في ثغره ... سحر الهوى إن أنت لم تصدح؟
والجدول الرقراق، ما حاله ... إن غبت عنه جانباً تنتحي؟
والفجر، من يلقاه إن لم تطر ... في ضوئه الساجي ولم تسبح؟
والوردة الحسناء من ذا الذي ... يثير فيها غيرة المستحي؟

إن لم تغازلها، تبث الهوى
للروض بساماً، وتشكو الجوى
للفجر، والزهرة، والجدول

يا باعث الفتنة زخارة ... بالحسن مطبوعاً على ما به
وناثر الفرحة رفرافة ... في لحنه المسكوب من قلبه

الشاعر الفنان فيما شدا منك استمد الوحي في غيبه
واللاعب اللاهي وأترابه منك استعار الصدق في حبه
والغادة النجلاء في خدرها والعاشق المضنك في كربه

مدّا إليك السمع حتى ارتوى
قلباهما، قلب يخاف النوى
هجراً، وقلب حنّ للأول

وأنت لم تصمت ولم تحفل بالباعث الوجد وبالموَجد
أغرودة تنساب في كونها يعب منها كل قلب صدي
وتستضيء النفس من نورها سعيدة في جوك المسعد
ويستعير الحسن من خمرها روح الهوى تسمو إلى الفرقد
كأنما أنت بليل الدنى نجم وفي الليلات صبح الغد

منك استحى اليأس، وفيك انطوى
معنى الأماني ناضراً ما ذوى
في النفس لم تهزم ولم تجفل

يا ساكن الأدواح خفاقة بالحب خفاقاً لدى وكره
ونادب الأقفاص ملقىً بها من بات مغلوباً على أمره
هل علم «القفّاص» أن الذي يصنع سجن الحر في قبره؟
أو أن تغريدك من بينها صرخة روح ذاب في أسره؟
هيهات! بعد الكون في رحبه يرضى بشبر منه أو غيره

من عاش دامي القلب مهما حوى
أو صيغ منه شبره المجتوى
فالقيد قتل الحس لم يجهل

الطير والروض وأزهاره والوحش والصياد والأجدل
وربة الحسن وعبّادها والفجر والشاعر والجدول
والخدر في القفر وسكانه ومن حواه الغاب والمنزل
الكل قلب أنت من نبضه لحن الهوى يُثمل إذ يشمل
فامرح وغنّ الكون لحن الدنى
يا مطرب العالم يا بلبلُ !

الشَاعِرُ الحَزين

يا هزاراً ثويت في وكرك الآن صموتاً بعد الترنم حينا
غير آهاتك الطويلة تزجيها زفيراً بين الأسى وأنينا
ما دهى روضة شدوت زماناً   في رباها فكنت فيها المبينا؟
وتفيّأت ظلها مستزيداً   من نعيم به رأتك قمينا
فمكثت الغرّيد في جوّها الرحب لعوباً بأنفس السامعينا
بغية الوامق الطروب نجيّ الليل والفجر سلوة اليائسينا
ما دهى دوحة القريض فأضحى ينعها الرطب قاسياً لن يلينا؟
والنسيم العليل حراً ومخضر الربى مقفراً وذا الورِد طينا
وتراءت لناظريك كسجن   موحش فانزويت عنها حزينا

أحقيق سئمت أنشودة الحب وصار المنى عليك ضنينا؟
بعد أن كنت والأماني شقيقين وكان الغرام للقلب دينا
بعد أن كنت مالئاً مسمع الكون بما سال رقة وحنينا
أحقيق أخنت عليك صروف   من زمان ما عاد يعرف لينا؟
صهرت روحك اللطيفة بالبؤس فأشجتك لوعة البائسينا

يا هزاراً بات الضنى مستبيحاً جسمه الغض وانزوى مستكينا
أدرست الحياة في صفحة الحسن وتممت بغية الدارسينا؟
فتصنعت مسحة الحزن حتى عاد في القلب ساكناً ومكينا
تبتغي درسها من الطابع القا تم لوناً والمر طعماً مهينا
أم مللت الحياة في النسق الوا حد يعلو بها القديم مصونا؟
عادة النادر الطبائع في النا س وطبع النوابغ النابهينا
أم ترى غاية السرور وإن طال شجوناً تروي العيون شئونا؟
أيها الشاعر الحزين حنانيك بنفس لا تستحق الشجونا
طر بها في عوالم الإنس فالكون طروب، إن شئته، لا حزينا
والحياة الجمال والحب والمأمل والمأثر العزيز قرينا
والحياة الكبرى العصية لا ترضخ إلا للمعشر الحازمينا
للكبير الآمال، للباسم الثغر، لمن يكتم السقام الدفينا
للقويم القويم يصرعه اليأس فيأبى لنفسه أن تهونا
للأبي الأبي لم يُصبِه الزخرف نعمى الحياة يقطر هونا
للقوي القوي، للسائر السائر لا ينتحي الركون ركونا
للمقيم الدنيا ومقعدها اليوم وأمساً وآتياً مأمونا

قم تطلع إلى الوجود بروح عامر بالوجود فاض فتونا
شاعراً بالحياة يجتازها المرء سهولاً مبسوطة وحزونا
سارياً في الدجى مطلاً إلى الفجر بريقاً ولفتة وسكونا
مستعيراً من ومضة النفس للنفس ضياء على الرجاء معينا

مذكياً وقدة الفنون بفن ثاقب الخطف لمحة وطنينا
محيياً فيه نهضة الأدب الحي تراثاً ممزقاً موهونا

أيها الشاعر الحزين وما كنت حزيناً وما نرى أن تكونا
قم! وزلزل دنياك بالقول والفعل وغامر حتى تقود السفينا

الجُنْدِي
في ميدان القتال

دعا الوطن الغالي فلبى دعاءه ... وللوطن الغالي أباح دماءه

ومد له الموت الزؤام يمينه ... فصافح فيها عزمه وقضاءه

وأرخت له الحرب الضروس زمامها ... فقاد هواها يسبق النصر، جاءه

وألقى على الدنيا الرحيبة نظرة ... قد استودع الأيام فيها هناءه

وأمسى بميدان القتال مجنداً ... وعانى كما عانى سواه ابتلاءه

يقول وقد عاد الغريب لأهله ... وأوّب يستقضي الحياة بقاءه:

«أتيت إلى الميدان إتيان وامق ... إليه وسمُّ الروع ينفث داءه»

«ودنيا الرزايا راجفات تفجرت ... زلازلها تذرو الردى وعناءه»

«وطفت ورأسي فوق كفي مجالداً ... شكولاً من الهول المرزّ بلاءه»

«أخوّض في بحر من الدم فائر ... على ثبج الأشلاء تُجري غثاءه»

«واسبح في جو من النار ثائر ... تقاطر هيامه يذرّي شواءه»

«وانفذ في قلب الجديد تدفقت ... شآبيبه تصمي القلوب لقاءه»

«وأوغل في طخياء عمر تقاصرت ... بجانبه الأعمار أخطو إزاءه»

«فداء الأماني والمعاني تواثبت ... بنفسي دماً ارخصت بذلاً غلاءه»

«فلي من جواء البحر والجو بالوغى ... وفي البر ميدان ألفت جواءه»

«تدوّي حوالي القذائف حوّماً　　فالثم من كف الرغام هباءه»

«ويمرق من جنبي الرصاص مسدداً　　فأمرق من خلف الردى وحذاءه»

«وترسل فوقي الطائرات لهيبها　　فأرسله سيلاً كرهت انتهاءه»

«مثيراً به التدمير والرعب والأذى　　شرور مصاب قد ركبت سواءه»

«فكم أتوخى الشر ضربة لازب　　عليّ ابتغاء الشر أرجو اتقاءه»

«وقد أتحامى الخير رحباً سبيله　　مخافة يستشري به من أفاءه»

«وكم صحت يا «اللّه» نوراً تسربت　　معانيه في حسي فكانت ضياءه»

«وناديت يا «أماه» نبعاً تفجرت　　أمانيه في قلبي فكانت عزاءه»

«وقد أجهل الأدنين جهل مفارق　　بعيد، وعهد ما ذكرت ابتداءه»

«وابسم للنائين والموت واقف　　يكشِّر عن ناب عرفت مضاءه»

«حننت إلى ملقى جهنم جنة　　شكوت إليها واقعي وأداءه»

وبت وفي رأسي طنين وفي دمي　　إلى الدم إلحاح أثار اشتهاءه»

«فثار بإنساني القديم سعاره　　وأعلن إنساني الحديث انزواءه»

«كذا أنا في الميدان «شيء» تقمصت　　به الحرب شيطاناً كمنت وراءه»

هي الحرب للجندي نار تسعرت　　فأكبرت الأيام فيها فداءه

وما زالت الأيام في السلم حربه　　وما زال للسلم العظيم وقاءه!

عُـــزُوبَـــة

موجهة إلى أخي الصديق الأستاذ حمزة شحاته.

أبـيـت وجـنـبـي كـل لـيـل حـلـيـلـة		يصورها وهمي ويخطئها حسّي
وما حيلة الملتاح يكربه الجوى		وتطغى على أعصابه ثورة الجنس
يحس سعاراً في الدماء يسوطه		مساط ملقىً في الهجيرة للشمس
وتخنقه من صورة الأمس قبضة		تمثل في الملذوذ من صور الأمس
يحن إلى اللثم العنيف ويرتوي		من الضم بالتجميش والأخذ لا اللمس
ويسدر في أتّونه متلدداً		جهنمه فيه تلوب ولا تُرسي
جنون شباب لا تطيق غوايةً		طبائعُه لا للتقى رغبة الحبس

فيا بنت أحلامي اللذيذة اقبلي		فقد طال من طول ابتعادك بي تعسي
كما طال بحثي عنك في كل من أرى		محجبة، بحث العماة على لبس
ويخطف قلبي مرُّ كل خريدة		وإن حجبت أوصافها حبر البرس
وما بي جماح الطيش خلفته لقى ولكن سكون العيش في كنف العرس
تنوّلنيه في الحياة رغائبي		محددة فيما تطيب به نفسي
وفي كل ما يضفي على البيت فتنة		معطرة الأنداء نابضة الجرس
ويحرمنيه اليوم ناس رأيتهم		يقيسون أقدار الأناسيّ بالفلس

وإني فيمن فضَّل اللّه بعضهم ... على بعضنا مستور عيشي من وكس

فيا أخت أحلامي الجميلة هل أرى ... مكانك مني قد غدا دافئ المس؟
تعالي إلى جنبي المساء حقيقة ... فقد ضقت بالمصنوع من عمل الحدس
شكول حليلات وشتى مفاتن ... يطول الدجى وهما لهن سدىً همسي
كما ضقت بالموصوف لا أنا ناظر ... إليه وبالملفوف في الحبر الملس

سقى الحسنُ إشراقَ السفور كما اشتهى هوى وجمالاً ناعم اللمح والجس
وإرواء نفس لا تمل إليهما ... نزوحاً ولا تنفك دافقة الحس
أبا عربٍ حالي كحالك لم يزل ... على غير حل رهن درسك أو درسي
نفضنا إلى الناس الحقائق نصّعاً ... كما نصها الشرع المطهر من رجس
رجاء انقياد الناس للحق سافراً ... سفور بنات الريخ رجلاً إلى رأس!
فعدنا كما كنا وعادوا بغير ما ... أردنا رسوخاً في الضلالة والبؤس
فهات الحديث الحلو طال عن المهى ... بأقصى بلاد الروم أو دارة الفرس
ولا تتعجل بحثنا فنصيبنا ... من البحث أحلى من مطالبنا الشّمس
كذا فلنقضِّ العمر من كان مثلنا ... يبيت فإن يصبح ففي حيثما يمسي
أطلنا! فمن لي أو فمن لك بعدها ... بعِرسٍ أطلنا قبلها زفة العُرس!

مُشـــارَكـة

فجــع صديقنـــا الشاعر الأستاذ محمد علي مغربي في ثلاثة أبناء له حين ولادتهم أو بعدها بقليل، وقد نظم في ذلك قصيدة بمناسبة انتظاره مولوداً جديداً يرجو بقاءه فكانت هذه القصيدة جواباً له عليها ومشاركة لشعوره وهدية في الحال إلى نجله عبد الإله وكريمته أميمة حفظهما الله.

أيـهـا الـقـلـب خـافـقـاً يـتـوقـى ... بـطـشـة الـمـوت بـالـقـريـب الـلـقـاء

والأب الـهـائـب الـفـجـيـعـة مـرت ... فـي ثـلاث لـه مـن الأبـنـاء

والـمـطـيـل الأسـى مـنـىً وشـكـاة ... فـي قـصـيـد مـرقـرق الأنـداء

حـسـبـك الـيـوم أن أثـرت مـن الـقـلـب شـكـاة مـقـصـيـة الأمـداء

ومـن الـعـيـن دمـعـة دونـهـا الـدمـع مـسـحًّـا فـاضـت بـهـا أحـشـائـي

ومـن الـنـفـس زفـرة مـلـؤهـا الـهـم كـئـيـبـاً مـلـفّـعـاً بـشـقـائـي..

الـنـداء الـنـداء صـعّـده الـروح إلـى الـلّـه صـادقـاً فـي الـدعـاء

والـرجـاء الـرجـاء ردده الـقـلـب مـع الـقـلـب غـارقـاً فـي الـضـيـاء

هـا هـمـا هـا هـمـا عـزاؤك يـا صـاح إفـاءا نـحـوي فـكـانـا عـزائـي..

يـا صـديـقـي الـذي عـرفـت بـه الـود نـمـيـراً أصـفـى مـن الـلألاء

ورفيقي الذي ألفت على العمر رفيق السراء والضراء
والحبيب الذي اصطفته بدنيا الروح روحي المخمورة الأجواء..
المنى في الحياة ما زالت اليوم لديها تعلّة الأحياء
والرضا بالقضاء خلة من لامس إيمانه أعالي السماء
والردى منتهى الجميع مصيراً لوليد أو طاعن لالتقاء..
أنت أن تسبق الفجيعة يا صاح نداء لها بشرّ نداء
فلما نالتك من قبل في حلو أمانيك في بنيك الوضاء
لستَ ممن يؤاخَذون بما كان فلا كان منكر منك نائي..
حقق اللّه في الأماني لك الظن وما تشتهيه من نعماء
وحباك الذي رجوت قريباً في قريب من صبحه والمساء
في هناء به يطيب هوى النفس لتحيا في فرحة وهناء..
وكما شاءت الأحاسيس من نفسك تترى في نفسك السمحاء
غرّد اليوم بالقصائد من شعرك واملأ آفاق هذا الفضاء
واطل في السماع نجوى التي اشتقت إليها في لهفة وعناء..
ناج إن شئت كيفما شئت من كان ضميراً في عالم الأحشاء
ناجه طفلة يهش لها القلب بشتى الأقوال والأسماء
أو وليداً يمده الحب من روحك روحاً رحيبة الأنحاء..
وتفنن في وصف وكرك عشاً رفّ فيه صغيره كالهواء
طفلة حولها الألاعيب شتى ولديها القلوب مثل الإماء
وعليها الأنظار تخفق نشوى بالحياة الجديدة الفيحاء..

واستبق صورة الهناء خيالاً تتسامى ابعاده في العلاء

فالخيال السامي بدنيا المحسّين حياة مبسوطة الأرجاء

والمنى والحنان والحسن والفن غراس في جنة الشعراء..

حَــنِــيــن

كان الشاعر صيف عام ١٣٥٨ هجرية في مصر وأرق ذات ليلة نازعه فيها الحنين إلى الوطن.

أرقت وكم في الليل مثلي وهاجني ... إليكِ هوىً تحيا به روح شاعر
وزلزل إحساسي وأشعل فكرتي ... من الشوق ممتد الحنين مسامري

بلادي بلادي لا عدمتك موطناً ... حبيباً إلى قلبي ونفسي وخاطري
ولا عاش من ألهاه عنك احتقابه ... منى العيش مزهو المنى بالصغائر
ولا اليائس العاني إذا هزه الجوى ... فأبلس ميئوس الخطى والمشاعر
ولا الوالغ القاصي بقلبك باسطاً ... إلى الناس قلب المستهام المداور
ولا الشانئ اللاحي بنيك وبينهم ... أقام على صفو الهوى والسرائر
ولا الراغد الهاني بعيشك منكراً ... هواك وُجوداً أو حقوقاً لذاكر

ذكرتك والذكرى من الحب روحه ... ومن خلجات النفس وحي الضمائر
وذكرك في الأحياء همسة واجد ... وترديد إيماء وقولة عابر
ذكرتك والذكرى حياة لوامق ... غريب شجي القلب بالليل ثائر
ذكرتك في مصر العظيمة بالذي ... به مصر قد فاقت جميع الحواضر

بأعظم ما فيها وارشق ما حوت ... وافتن ما يصبي فؤاد المغامر
بأهرامها العليا تطاول في الذرى ... ذرى الدهر زخّاراً بهول المخاطر
بآدابها فتانة بفنونها ... محببة في كل نادٍ وسامر
بأعلامها السامين في العلم والتقى ... وبين فنون الفن من كل قادر
بأبنائها، بالسالبات قلوبنا ... بكل ضروب السحر من كل ساحر
بايامها، بالليل فيها محركاً ... هوى كل فنان الصبابة شاعر
بكل رقيق الحسن فيها منوعاً ... يفيض به الروح الطليق البوادر

ذكرتك والدنيا تموج بأهلها ... حياة وإحساساً دقيق البصائر
وحولي شكول تنضح الحسن فتنة ... لكل ذكي القلب بالحس زاخر
وفي القلب حس تعرفين اتقاده ... بروح شجيّ بالهوى الحر عامر
وفي مصر ما يُنسي ولكن ذاكراً ... حماك المفدى لا يُرى غير ذاكر

إليك بلادي فكرة وعقيدة ... سمت بهما فوق الطلاب مشاعري
إليك، إلى الثغر المطل على الدنى ... من البحر منداح السوى للمعابر
إلى الشاطئ المزهو فيه بمن به ... أصيلاً، إلى الأهلين في كل سامر
إلى مكةٍ في قدسها وجلالها ... وعزتها الكبرى على كل كابر
إلى البيت محفوف الرحاب بطائف ... وضيء المحيا أو مصلٍّ وشاكر
إلى المنحنى أجباله ووهاده ... ورواده ما بين ثاوٍ وسائر
إلى طيبة في عزها وعلوها ... وخضرائها الخضراء مجلى النواظر
إلى المسجد المحبوب فيها محبباً ... إلى كل موهوب الهداية زائر
إلى السهل من حراتها وعقيقها ... وبين مجاليها الحسان النواضر
إلى الطائف التيّاه تبسم غبطة ... بأفنانها فيه ثغور الأزاهر

إلى وجه آكامه ورماله ... فنعمان في آماده فالمشاعر

إلى سهلك الهاني بظل جباله ... إلى غورك الداوي بصوت الكواسر

إليك، إلى أهلي وأهلك كلهم ... سواء بقلبي كل بادٍ وحاضر

تحية معمود وتحنان وامق ... وتسليم مشتاق وذكرة ذاكر

إلى أن تئوب النفس فيك ملولة ... بما اهتاج منها الآن وجدَ المسافر!

العَظِيْم

صلاح الدين الأيوبي

راقب النجم مطلعاً ومغيبا واذكر العهد نائياً وقريبا

واهبط القاع من بلاد فلسطين نجوداً محمية وسهوبا

وتخط الزمان يعترك الآن بنوه لا يشتكون لغوبا

في عراك أفنى الحياة خراباً ودماراً وشقوة ونضوبا

اللظى والحديد فيه سلاحاه مطاراً ومسبحاً ودبيبا

للزمان النائي تماثلت القوة فيه تكافؤاً وضروبا

في نضال حديده البأس يشتد جسوماً وعزمة وقلوبا

ولظاه عقائد فعلها السحر انقياداً وصولة وشبوبا

وفعالاً قوامها الخلق الفذ كما كان غالباً مغلوبا

شهدته في أورشليم من العالم أجناسه تضم العجيبا

في جموع تمثل الغرب فيها حاسر الرأس نادباً مسلوبا

وبدا الشرق باسم الثغر يختال فتياً فؤاده مشبوبا

فغدت أورشليم كوناً هو الكون حياة وزحمة وشعوبا

فسل الباقيات من أمسها الغابر عن أمسها المليء حروبا

يوم نادى بها لهلال هلالا واستثار الصليب فيها صليبا
وتمثّلْ دنيا الجهاد وقد طال لديها تحوي العجيب الغريبا
تتمثلْ دنيا البطولة يمتاز بها النادر المثال ضريبا
العظيم العظيم فيها صلاح الدين من عاش عمره موهوبا
والشجاع الشجاع من كانت القوة طبعاً من خصمه محبوبا
والقوي القوي من فاضت الرحمة نبعاً من نفسه مسكوبا
والصديق الصدوق في القول والوعد يرى الإفك والخيانة حوبا
والكريم الكريم من كان في الرفد مثالاً لأهله مضروبا
والذي قام في الحياة مناراً لأولي العزم والعلا منصوبا

يا معير التاريخ من قبَس الخلد ومن روحه سناه المهيبا
العذارى وقيتهم من العار سلاحاً مشرّعاً مرهوبا
والأيامي حميتهم من الذل وأسبغت فضلك المجلوبا
والأساري وذو الطلاب وذو الحاجة كلاً وهبته المطلوبا
فاصطفاك السكسون ندًّا لريتشارد وقد كنت خدنه المحبوبا
وجثا العالم الكبير وأحنى هامه تحت أخمصيك منيبا
وتغنى الزمان من يوم حطين إلى اليوم بالعظيم طروبا

عبقريّ التاريخ مجّدك الشعر ولا زلت وحيه المكتوبا

لَيْلٌ . . وفَجْر

ألقيت في حفلة تكريم الأديب الشاعر الأستاذ أحمد عبد الجبار بمناسبة تخرجه من الجامعة الأميركية ببيروت وعودته إلى الحجاز وطنه.

سجا طاخياً ليلنا الخاملُ ... وطال بنا صمته القاتلُ

ولفّعنا في حواشي الدجى ... وأعماقها جنحُه الهائل

فبتنا على البؤس في هجعة ... أطال مداها المدى الغافل

وعشنا عن الناس في وهدة ... يحار لدى وصفها الناقل

وكنا من الكون في مجهل ... يباب يضل به الراحل

يتيه بمنبته من نحا ... إلينا وينكرنا الواغل

وتبرأ من شعبنا في الشعوب حثالتها: الفدم والخامل

كأنّا بركب الدنى مُقعد ... أطاح به جهده الفاشل

إلى أن سرى في كيان الحيا ... ة دم للشباب لها صاقل

ولاح لنا من منار الزما ... ن سنيٌ رغم جدته حائل

كأن بداءاته شهقة ... يصعّدها الكوكب الآفل

ولكنها في حياة الحيا ... ة لنا الأمل الساحر الحافل

أطل لمبزغها راجياً ... شباب على ما رجا عامل

شباب أهاج هواه الهوى ... وناداه إيمانه الكامل

فهام به يستهين الصعا ... ب تكر ولا ينثني الصائل

تغرّب يسعى لخير البلا ... د وملء حشاه جوى جائل

يناصره من به مؤمن ... ويخذله الغِرّ والجاهل

ونحن من الليل في دجية ... تلاحق فيها الأسى الهاطل

وفجر الحياة لنا ناظر ... ورهط الشباب به آهل

تغرّب يسعى لـلألائه ... وهذا المثال لنا الماثل

فإن غذّ في السير من قد خطا فقد بلغ الغايةَ الآملُ!

مـذْهَـبْ

طـالـمـا جـئـت لـلـحـيـاة فـإنـي سـوف أُفـنـي أيـامـهـا فـي الـسـرور
مـطـلـقـاً مـن قـيـودهـا أتـغـنّـى بـالـمـعـانـي تـسـمـو بـدنـيـا الـشـعـور
لا لـجـمـع الـنـضـار أو صـولـة الـجـا ه أقـضّـي الـحـيـاة رهـن الـغـرور
بـل لـحـس الـحـيـاة فـي الـنـفـس يـسـري أو يـذوبَ الـرفـات بـيـن الـقـبـور
وسـواء أكـان يـوم مـمـاتـي لانـتـهـاء أو كـان بـدء نـشـوري

مـذهـب فـي الـحـيـاة تـجـتـازه الأنـفـس طـبـعـاً لا رغـبـة فـي الـظـهـور

مُناجَاة الحَيَاة

أنـا فـوق ثـغـرك يـا حـيـاتـي قـبـلـة   قد كـنـتُ إذ كـان ابـتـسـامـك صـادقـا
وعـلـى دربـي روض الـطـفـولـة فـلـة   أهـتـز فـي كـفـيـك روحـاً عـابـقـا
ومـن الـصـفـاء أو الـبـراءة شـعـلـة   أنـسـاب فـي عـيـنـيـك ضـوءاً رائـقـا
بـيـن الـحـفـاوة والـبـشـاشـة فـي ربـا   ك لـقـد ولـدت وإن بـكـيـت لـدهـشـتـي
وعلى بساط اللهو في روق الشبا   ب مشيت فيك فما أعرتك لفتتي

حتى اقتحمت مجاهلاً ومفاوزاً وسط الطريق
خـلابـة ظـلـت كـلألاء الـسـراب أو الـبـريـق

والـيـوم صـرت أيـا حـيـاتـي قـطـرة   حيرى تلمّس في خضمك دربها
وبـمـهـجـة الـلـيـل الـكـئـيـبـة زفـرة   تـشـكـو إلـى فـجـر الـسـعـادة كـربـهـا
وبـوقـدة الـشـمـس الـمـضـيـئـة جـمـرة   حرق الفؤادُ بخورَ حسنك قربها
ومـن الـظـلام لـقـد أتـيـت لـذا صـبـو   ت إليه في جنح الدجى وقت الشجون
ولدى سكونك في انفرادي كم جلو   ت السر منك لذا حننت إلى السكون

مستلهماً سراً يكون لنجدتي خير الرفيق
فلقد غدوت ببحرك المتماوج الطامي غريق

أنا بين ماضيّ المنير وحاضري الدا   جي وتحت غمامة المستقبل

متفائل متشائم في فكريَ الدا   مي عراك هائل لا ينجلي
أبداً أظل برحلتي كالهائم الدا   عي إليك بحيرة وتأمل
فلقد رايتك يا حياتي مثل رو   د ذات قلب عابث قلق ضنين
لا تصطفين سوى محب حام حو   لك هائم متفزز لا يستكين

ولثمت فاك فكان خمريّ اللمى حلو الرحيق
لكن نشدت الطهر فيه فما وجدت له عبوق

أنا إن هويتك راشفاً سكر الهوى   من فيك لم يخفق فؤادي للغرام
ولئن ضممتك كاتماً حرَق الجوى   في مهجتي لم انسَ آلام السقام
فإذا جفوتك مستهيناً بالنوى   فلقد وجدت بقربك الموت الزؤام

إني عرفتك لا وحقك بل جهلتك أنت معنىً لست أحسن فهمه
هل كان يعرف يا حياتي لو سألتك غيره.. من كان يجهل كنهه؟

من أنت؟ بل قولي بحقك من أنا؟ فأنا الصديق
المكره الصادي الفؤاد، أنا الأسير أنا الرقيق
أنا من ولدت مزوّداً بهواك يجري في العروق
سأظل حولك ساخراً دهشاً بذياك البريق
متصابياً أُسقى الرضا وأُشوى بالحريق
حتى إذا انكشفت ستارتك الصفيقة في المضيق
سأكون ويلك من ضحاياك الرقود بذي الشقوق
وأعود في كنف الخلود أو السما روحاً طليق

نَشِيدُ النَصْر

من الحناجر لا تُحصى على قدر شق الفضاء وجاز الجوّ آفاقا
لحنٌ من النور مزهواً يردده في الخافقين هوى الآمال تواقا
ناب الصدى فيه عن دنياه واقعة لمن تقرّاه معنىً في المنى راقا
وقرٌ يهزج في الأسماع صاغية لحناً تجدد ملء السمع صفاقا
أرنّ تمتزج الأفراح صاخبة فيه وتعتنق الأشواق أشواقا
مصعداً يتلاقى في معارجه حس القضاء وصوت الخلق دفاقا
يسعى به الحق أحلاماً مجنحة شأى بها النصر يوم النصر سباقا
ويستعز به التاريخ مفتتحاً بيض الصحائف للأجيال براقا
احنت له الهام مرفوعاً به أمم نشوى وأخرى أشاحت عنه إطراقا
لا تنتهي بين سمع الدهر نغمته أو يستقر بها الإيمان خفاقا
ولا تغيب عن الأفهام نبرته بما تحمّله المرجو قد شاقا
فكان بين سواد الليل منقشعاً وصولة الفجر معنىً شاع إطلاقا
كالطير يسبح مطراباً تزف به بشرى الربيع ترانيماً وإيراقا
فتستعيد به الأيام بهجتها وتستزيد به الآنام إشراقا
لحن تعالى عن الآذان مرهفة إلى القلوب انتحى منهن أعماقا
قد وقّعته كبود الشوق والهة حرّى تضيق بنار الصبر أطواقا
ورجرجته دموع الحزن زاخرة أغلت معاني الدم المسفوك مهراقا

فرقّ يسبح كالنجوى منغمة ... وانساب بين مساري الحس رقراقا
يمضي وتمضي الضحايا في مواكبه ... مع الخيال طيوفاً طبن أعراقا
لما تعاكس فيه الحب مبتسماً ... والبغض مبتئس الآمال إخفاقا
أصغى له الكون طالت منه هجعته ... على الأنين حزين القلب مطراقا
معربداً بعد أن كان السهوم له ... طبعاً وشر فنون الشر أخلاقا
مهللاً بترانيم وأدعية ... فوق التقاليد روحاً عز ميثاقا
منبّهاً كل ما فيه لغايته ... نبضاً وحساً وإرواء وإغراقا
فالنبت يبدو وقد مدت عوارفه ... فوق الأديم زكي الغرس عبّاقا
والطير يجري وقد طابت لغايته ... دنياه لم يخش في الأجواء إعواقا
والنهر يلعب ممراحاً وقد رقصت ... به عذاراه طلق الوجه لقلاقا
والخلق تسرح في النعمى موقرة ... بما أفاض فلن تشكوه إملاقا
أزجي الأماني إلى ماضيه حاضره ... فلن تضيق به ساحاً وإن ضاقا
يا أيها اللحن هامت في مقاطعه ... حور الأماني ومدت منه أعناقا
كن كالربيع وردد حلو نغمته ... وكالضياء، وعُم الكونَ إشراقا

صَوْت الحِجَاز

ألقيت بالسودان في نادي الخرطوم بحري بمناسبة عيد الهجرة النبوية سنة ١٣٦٤ هجرية.

من الحجاز من الأرض التي انبثقت ... منها الهداية ديناً ضوؤه عممُ
من مهبط الوحي آيات مرتلة ... فاءت إلى ظلها الأعراب والعجم
صوت يشير إلى الماضي يرف به ... في هالة النور من إيماننا علمُ
تحية لهوى الدنيا ومخرجها ... من ظلمة الجهلِ فجراً نوؤه ديم
لمن أقام هوى الدنيا وأقعدها ... بالحق تعلو به الدنيا وتعتصم
للمصطفى صانع التاريخ من قدم ... للمصطفى خير خلق اللّه كلهمو
فاليوم يعتنق الماضي وحاضره ... بعثاً يثور وذكرى ليس تنفصم
ذكرى ترفرف في نفس المحب هوى ... وفي الفؤاد طيوفاً فيه تزدحم

هذا النبي وذي أم القرى أمل ... يسمو ومقتنص يسعى ويحتدم
تقابلاً في حمى الوادي وساحته ... طريدة ومريداً كله نهم
واستبسلا واثقاً باللّه معتمداً ... ورابضاً همه الفتيان والخذم

حتى قضى اللّه رغم الشرك نافذه ... فيه قواه بما يقضي به القسم

بأن تفوز قوى الإيمان مفردة ... عزلاء إلا من الإيمان يبتسم
وأن تبوء قوى الكفران ناقمة ... حسيرة حفها الإخفاق والندم
بالخيبة.. الخيبة الكبرى مرجّعة ... صدى الهزيمة يزجيه لها الألم
فكان ما كان والأيام شاهدة ... إن الذي دام ما دامت به الأمم
الحق والحق مسبوق لغايته ... بما يؤكد أن الحق مختتم
تلك الحقيقة في الأيام سافرة ... مهما توارت بها في يومها الظلم

فاز النبي ومن مثل النبي لنا ... في مشهد القول مثلٌ دام محترم
فكانت الهجرة العظمى لنا مثلاً ... لو أننا بهداه الآن نتسم
فالآن يفتتح التاريخ صفحته ... بيضاء تكتبها الأخلاق والشيم
والآن تستبق الأجيال ماضيها ... والآن تجمعنا الأنساب والرحم
فما الحجاز إلى السودان منتسباً ... على الزمان تمطى فوقه القِدم
وما العراق إلى مصر وما حفلت ... وللشآم وللأردن يحتكم
وما فلسطين رغم الجهد ينصرها ... جهد بلبنان لم تخفر به ذمم
إلا هدى الدين لم توهن عزيمته ... ودفقة العرق لما يبترده دم
وصولة اللغة الفصحى مجلجلةً ... رغم العداة هوىً يدعو لها وفم

هذا شعار ألفناه لدى بلد ... منه استفاض الهوى والشعر والنغم
فإن يكن في مجال القول منسرب ... إلى النفوس استوت فيها لها النظم
فإنه القول حقاً ليس ينقصه ... إلا الفعال دعاها الصوت والقلم
هذا البيان الذي آتت «محمدَنا» ... آياتُه، فالحياة الفعل لا الكلم!

تَحِيَّة

ألقيت بين يدي صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل في الحفلة التي أقامتها أمانة العاصمة احتفاء بوضع الحجر الأساسي لبناية السد بأعلى مكة والتي ألقى الشاعر فيها تحيته بالنيابة عن أهالي جدة وذلك في يوم ٢٦ ربيع الأول عام ١٣٦١هـ.

من الثغر رفافاً دعته رعاية ... دواعي الولاء الحق يزهو به الود

فأقبل نابتْ عنه في الحفل هيئة ... تقدس فيه القصدَ يسمو به القصد

تحية موفور الأحاسيس بالمنى ... هوىً وولاء ما لمعناهما حد

إلى سدة المُلْك الحفي بشعبه ... ومن هو زين المُلك والعلم الفرد

إلى الحفل أعلاه الأمير مكانة ... بتشريفه إياه، يحفزه المجد

وما كان فيه غير روح تمثلت ... بها من بهم، بين الورى، نحن نعتد

إلى كل حر قائم بنصيبه ... من العمل المشكور فيه له الجهد

إلى المقصد الأسمى لدينا ممثلاً ... لأعظم مشروع به كلنا يشدو

ففي «الماء» للصادي حياة ورحمة ... وحسبك بالتنزيل حكماً هو الرشد

وفيه لأعراق الحياة حياتها ... غراساً وإرواء يطيب به الورد

فإن جادنا الغيث استفاضت سيوله ... تجدد في الأرض الشباب وترتد

فتكتسح الداني إليها عتية ... تعبر عن طبع القوي إذا يعدو

فما ضرنا قصدَ الحماية ترتجى   وقصد احتباس الخير بالخير يعتد
إذا نحن قمنا حائلين انسياخه   بما نحن نبغيه، فتم به «السد»
وإن لنا بالملك جل مقامه   وجلت أياديه العزيمة، تشتد
وبالبذل من عبد العزيز تلاحقت   عطاءاته، فالرفد يعقبه الرفد
وإن لنا بالعاملين جميعهم   رجاء قوياً ما يزعزعه صد
دوام حياة الثغر بالماء فائضاً   زلالاً به تقوى الحياة وتمتد
هو الماء دنيا للنفوس تواردت   إليها طلاباً ليس عنه لها بد
فمن أصله أصل الحياة وسرها   وفيه بقاء الفرد يحيا به الفرد
فباسم المليك الفذ من شاد وابتنى   مفاخر يعيا دونها الشكر والحمد
قفوا واهتفوا يحيا المليك على المدى   ويحيا الأمير الشبل تاهت به الأسد

خَيْبَة

رجوناكِ يوماً أن تكوني وكلنا ... إليك حنين ذائب وهيام
وكنا نظن العيش قربك جنة ... زهاها من الخلد المتاح سلام
ونضّرها من فتنة الفن والهوى ... هوانا وفن للفنون قوام
ومتعة ذوق وائتناس وفرحة ... ومنهل إرواء صفا ونظام
وتنسيق وكر لا يُتاح لأعزب ... وفيْء وإلمام به ومقام
فكنت ولكن بالذي أنت أهله ... سحاب ولكن السحاب جهام
وعدت كما نلقى أذىً متلاحقاً ... كأنك في هذي الحياة سمام
فعدنا نريد العيش عيشاً مجرداً ... كفاه من الدنيا رضاً ولزام

لقد كنت أو قد عدت للمبيت بوّه ... وللزوج قيداً ران فيه لحام
فأنت بكون الفن للفن دمية ... تنزّ بما لا يُشتهى ويرام
وأنت بكون الحس قيد وغفلة ... عن الحس منّي شب فيه ضرام
فصاراك أن تحيي حياة جديدة ... وليس لها في ما لديك دعام
فحسبك سخف العيش يرسف في المنى ... مشتتة ما قادهن زمام
وحسبك من لب الحقيقة مظهر ... جفته فعال إذ بناه كلام
تفاهة طبع في غرور مركب ... وتركيب نقص ظن فيه تمام

ومرآة جهل في إطار محطم　　زواها عن العقل الرشيد قتام

فيا من رجونا وانتهينا لضده　　أتدرين أنا للرجاء حطام؟
رماني إليك الضعف بالضعف بادئاً　　ومختتماً فالبدء فيك ختام
فإن أنت مثلت الطبائع تجتلي　　بغيرك فالباقي لديك هُلام
وإن أنا سايرت الحياة مقيداً　　طباعي فكوميداك فيّ درام!
رضيت هوان العيش فيك ألفته　　مخافة يُنهي نفسه فألام
وقمت مكان الزوج منك بما انتهت　　إلى اثنين يوماً رفقة وطعام
فيا خيبتي إن قدر اللّه خيبتي　　طويلاً ومنك السر منه أُسام
حناناً بإحساس رقيق تمزقت　　عراه ورفقاً بالقرين يضام
أفي كل حين للتفاهة موقف　　هو العته البادي عليه عُرام؟
وفي كل وقت للتقاليد إربة　　خلاها من الجيران دونك ذام؟
وفي كل يوم مطلب أو ثجاجة　　وفي كل آن ضجة وخصام؟
حرام عليك السخف لا يرتضي به　　حلال، إذا طال المدى، وحرام

إلا شد ما يلقى أخو الفن عقّه　　وضرّره في كونه ويلام
يعاب علينا أننا في خيالنا　　شذوذ تناهى ما لديه دوام
ولو عدلوا قالوا: كمال تقاصرت　　بدنياه آمال له ومرام
هوينا فأرضينا الهوى في سموقه　　وهُنّا فأشجانا العزاء يقام
ألفنا ضياء العيش نعلي مناره　　فما ذنبنا إن ناب عنه ظلام؟

سَجِيْن

هو في السجن كطير في قفص يتقلى

همه في القلب لا الجسم غصص أو يبلى؟

كلما زاد بما زاد نقص وتولى

فإذا قيل ومن خير الفرص لم ملا؟

مد للجو جناحاً لم يقص وتجلى

ما عليه إن تغنى أو رقص يتسلى!

بِــــلادي

بــلادي أيــن مــن يــصــبــو إلــيــك عــنــد ذكــراكِ؟
ومــن يــســمــو بــه الــحــب إلــى تــقــديــس مــغــنــاكِ؟
ومــن إن مــسّــك الــكــرب ونــاديــتــيــه لــبــاكِ؟
ومــن يــركــض أو يــحــبــو إذا مــا الــمــجــد نــاداكِ؟
ســلــي مــن شــئــت فــالــشــعــب غــفــول عــنــك لا يــدري!
بــلادي لــم أجــد فــيــك هَــتــوفــاً بــاســمــك الــبــائــس
ســوى الــكــاتــب يــبــكــيــك بــروح هــامــد يــائــس
أو الــشــاعــر يــرثــيــك بــقــلــب ذابــل نــاعــس
ولــم أنــظــر بــواديــك ســوى مــنــظــرك الــعــابــس
ســوى مــاضــيــك لا يــخــبــو شــعــاع مــنــه كــالــفــجــر

بــلادي فــي دمــي أنــت هــوىً يــنــســاب دفــاقــا
وفــي الأحــشــاء قــد عــشــت فــؤاداً عــاش خــفــاقــا
فــمــن كــيــنــونــتــي كــنــت غــراســاً طــبــن أعــراقــا
وفــي قــلــبــيَ مــا زلــت لــه الــداء الــذي ذاقــا
فــفــيــمــا عــجــز الــطــب ســيــلــقــى فــوق مــا لاقــى

بلادي والمنى تجري ... مع الأقدار والدهر
بما نجهل أو ندري ... من الخير أو الشر
أنرجو في مدى العمر ... لك التحليق كالنسر
بأفق المجد والفخر ... وكون خالد الذكر؟
لقد عشنا وما نصبو ... لغير علاك في القدر!

بلادي حقّ من ... يفخر بالماضي وأعلامه
بلاءُ المجد لا يجدر ... بالهاني بأوهامه
وبالحالم لا يفتر ... عن تقليب أحلامه
ولكن بالذي تزخر ... دنياه باقدامه
فقولي للألى شبوا: ... إلى المجد، إلى هامه

غُربَة

فيك يا غرفتي الصغيرة أخلو في سكون الليل الطويل بنفسي
ولديك أرى الحياة حياة غير تلك التي تلابس حسي
غير تلك التي لغيري حياة ولقلبي الممات لو كان يُنسي
التي همها الجسوم ولا شيء عداها والعيش عيش التأسي
التي في العلا تقلّ طلاباً غير قصد واني العزيمة وكس
والتي في الدنى تفيض هموماً هي منشأ همي الكبير وبؤسي
أفتدرين أنني أنا فيها غير هذا الحي الطروب المحس؟
أنا فيها ككل من هو فيها عاش مثلي سجين قلب ورأس
أنا فيها مكبل ووحيد بين حبس وُقيتِه أي حبس
إنه الموت أخمد الروح مني في إهاب مجسّد صار رمسي
فنهاري وهو الصدى يتلاشى بين سمع الوجود كان كأمسي
في مرائيه، في معانيه، في القائم فيه، في القاعد المتأسي
في اختلاطي، في وحدتي وشقائي، في بلائي الذي يطول وتعسي
في سروري الذي يراه بعينيه سوائي كما أراه بحدسي
فكأن الزمان في كونيَ الضيق أعمى في خطوه في المجس
وكأن الأيام في يومها الواحد مرسى أسمائه حيث ترسي

وكـأن الـحـيـاة لـلـنـاس دونـي أمـل مـا ظـفـرت مـنـه بـلـمـس

أمـل فـي الـمـنـى تـجـد وتـبـلـى فـاتـنـي واسـتـعـضـت عـنـه بـيـأسـي

وكـأن الأحـيـاء فـي الـعـيـن ظـل من شـخـوص صـمـر الـهـيـاكـل شُـمـس

وكـأنـي والـنـاس حـولـيَ لا هـون فـريـد عـنـهـم غـريـب بـجـنـسـي

غـربـة تـكـرب الـفـؤاد وتـشـقـيـه إلـى أن يـقـر فـيـك ويـمـسـي

بَين الكمنجَة والعُود

يا حاضن العود هل حركت عودك أم	حركت منا قلوباً بينَ أضلعنا؟
أم بين أوتاره سر وأفئدة	لنا، فتلك تناجيها بمسمعنا ؟
أم كل عاطفة تهتز من وتر	فالروح أجمعها رقت كمدمعنا؟
ناشدتك اللّه ألا زدتنا فلكم	أجدت لكن لعمري في تولعنا
زدنا فآلتك الخرساء إن نطقت	بقدرة الفن تأسو من مواجعنا
وخلّ عودك يشرع في الهوى نغماً	كيف اشتهى قلبه الباكي بأدمعنا
فإن شرعته في الحب نغمته	في القلب مشرعه استسقى بمشرعنا

ودع كمنجة من أمست كمنجته	تئن حيناً وتخشى من تصدّعنا
تردّ أناتها رِسلاً مصعدة	آهاتنا وتغالي في تخشعنا
وقل لحاملها رفقاً بها فلقد	قسا عليها ليرضي كل مطمعنا
فإن شكونا الهوى افتنّت مصورة	إحساسنا المتلظي في تلوعنا
وإن بكينا الجوى استبكت جوارحها فأبكت العين شكرَى من مدامعنا
كأنها في يد العزّاف لاعبة	بها يداه، يدٌ حسّ بمسمعنا
فقل لصاحبها إن بات يوجعها	بما استفز بنا أحلى مواجعنا
رحماك يا ربها إن التي نأمت	الاهة النور قد حلت بمجمعنا

متى لمستَ حشاها راح يؤلمها ... وردد النوح حباً في تشفعنا
حتى تكاد من التحنان همستها ... بالآه تجذبنا طوعاً لمصرعنا

بين الكمنجة والعود انقضى طرباً ... ليل من الإنس خلو من ترفعنا
ورب صوت سبانا لحن صاحبه ... صداه باقٍ لذيذاً في مسامعنا
يروي الصدى وينقّي النفس جوهرَها ... مما تعانيه هماً من توجعنا
فالقلب يظمأ والأنغام أبدعها ... ري حرى وتراءى في بدائعنا
والنفس تصدأ والألحان صيقلها ... وكل فن رقيق من روائعنا
هي الحياة بما فيها وقد حفلت ... بمرتعٍ خصِب، طوبى لمرتعنا!

يَومِي السَعيد

تلعب الحوادث والمناسبات في تغيير مجرى حياة الإنسان دوراً هاماً، وكما تمتاز تلك الحوادث أو المناسبات المعتبرة حداً فاصلاً بين عهدين من حياة المرء فلا بد من امتياز ظروفها الواقعة فيها على سواها.

وعلى هذا كان تفجر إحساس الشاعر في هذه القصيدة بتخليده يومه المؤثر في تغيير مجرى حياته الروحية استجابة طبيعية لهذا التغيير الحادث وتقديراً لازم الإدراك والتسجيل.

بسمة فوق ثغر اليوم زاهية ... زيدي محياه إشراقاً وإسعادا

زيديه حسناً يزدني حسنه جذلاً ... فوق الذي ناله قلبي وما اعتادا

وخلّدي في سجل العمر صفحته ... بالشعر يا ربة الإلهام آبادا

وتوجيه على الأيام منفرداً ... بعرشه فسواه بات منقادا

فرب لحظة سعد عدها أمداً ... من كان يرشف فيها السعد مزدادا

ورب يوم بحسن الحظ ممتلئ ... قد عادل العمر في التقدير أو زادا

يا ديمة من سماء الدهر حافلة ... هطلت ترويني بالخير تردادا

ونظرة ببريق اليمن مرسلة ... من رحمة القدر المملوء إرغادا

يا يوم سعد تلاشى عنده عُمر ... وكان للعمر المحبوب ميلادا

لأنتَ أحرى بأن تبقى مخلدة ذكراك في القلب تولي النفس إمدادا
فأنتَ أنتَ الذي ألهمت خاطرها فكراً جديداً وروحاً ظلَّ وقّادا
غيرتَ مسلكها من شائك خطرٍ إلى طريق سليم طاب مرصادا
والمرء في دورة الأيام مرتهن بما يحرّكه حطاً وإصعادا
كم لحظة حولت مجرى الحياة له إما إلى الخير أو للشر فانقادا

دَار الأيْتَــام

تدشيناً لبناية دار الأيتام بمكة المكرمة في عهد مؤسسها الفاضل مهدي بك المصلح مدير الأمن العام حينذاك.

لدى الأمل السامي إلى ذروة العلا ... بناء منيفاً شيدته العزائم
لدى الفكرة العليا تعهد بذرَها ... جَنانٌ كريم آزرته المكارم
لدى هذه الدار التي جئتمو لها ... ملبّين إحساساً ألحّ عليكمو
قفوا خشّعاً للمبدأ الفذ خاطراً ... معانيَها عنها وعنكم تترَجم
فما هذه الدار التي انتموا بها ... سوى فكرة عن نفسها تتكلم
سوى بذرة النفس الرحيمة أينعت ... فكانت غراساً زاهراً يتبسم
مشى البِر في أرجائها ثابت الخطى ... يعبّر عن طيب النفوس ويبسم
وقام الوفاء الحق في جنباتها ... يؤكد أفضال الوفاء ويقسم
وشاع الرضا فيها رضا الدين مشرقاً ... تواصت به تقوى الهدى والمراحم
وطافت بها الأخلاق مثلي طليقة ... تفكّك أغلال الهوى وتحطم
وشعّ بها جود النفوس وبذلها ... يطاوله بخل الأكف فيهزم
فكانت مثال البِر والفكر والعلا ... مثالاً لنا منه المثال الملائم

وفاءَ اليتامى في وريف ظلالها ... كما تنتحي ظلّ الرياض الحمائم

بعيدين عن بؤس الحياة وقسوها ... وقد طال في سير الحياة التزاحم
يتامى صغار ذو وقلوب رقيقة ... على السعي لا يقوون من حيث زوحموا
كزهر الربى هيهات تقوى على الأذى ... إذا صارعتها في البوادي السمائم
بسومين للدنيا تطل عليهمو ... مرفهة يخضلّ منها التنعم
ترفّ على أجسادهم وعقولهم ... قلوب أناس قدسوا الخير فيهمو
أناس لهم روح الملائك رحمة ... وعزم أولي الصبر القويين منهمو
على رأسهم حر نبيل بفضله ... قضى اليتم موؤداً وغيل التيتم
نبيل كفى الثكلى حرارة فقدها ... أبا طفلها فأنجاب عنها التألم
ومسّح من قلب الصغير جراحه ... وإن غاب عن قلب الصغير التفهم
أهاب بنا في غمرة الحس داعياً ... إلى خير ما تدعو إليه المراحم
إلى العطف بالإنسان طفلاً معذباً ... وحيداً ضعيفاً حاصرته العظائم
وكافح في دعوى الجهاد فلم يهن ... ولم يلق بالاً للصعاب تَراكم
فلباه من لبى وجانب أمرَه ... دعيّ جحود ميت القلب مظلم
فأقدم لا يلوي يكرّم سعيه ... من الشعب حساساً نداه المكرم

فباسم مشيد الصرح صرحاً ومبدأ ... عظيمين في الآثار شيدوا وعظموا
وفاء لذي المعروف فينا لحقه ... وقفّوا خطاكم خطوه وترسموا
فما هو إن أنّت يتاماه واحداً ... حزيناً ولكن أمة تتألم
وما هذه الدار المباركها لنا ... رضا اللّه إلا عزمة تتجسم
وإن هي إلا همة المجد ترتقي ... فتُطفأ أكباد وتسمو عزائم

مِثَــال

في الحياة رجال يهبون «الحقيقة» حياتهم جادين في طلبها، فهم في الدين والوطنية والعلم والأدب والفلسفة والبحث المجرد والتجريبي سيان.

وفي القصيدة التالية نظرة عجلى إلى «مثال» من هؤلاء الرجال وقد نظمت بمناسبة وجود الأستاذ المجري والمستشرق المسلم المعروف الدكتور الحاج عبد الكريم جرمانوس مؤلف كتاب «الله أكبر» في جدة عقب زيارته المدينة المنورة وألقيت في الحفلة التكريمية المقامة له في دار مضيفه الوجيه الشيخ محمد حسين نصيف باسم نجله الأستاذ القاضي حسين نصيف.

يا من لدى فجر الحقيقة أبصرت — عيناه فجر حقيقة الإنسان

وإلى السنا العالي تطلّع باحثاً — ظمآن ينشد ريّه ويعاني

يصبو إلى السر العظيم وهديه — للّه خالق هذه الأكوان

بالعقل في الأسفار تصطرع النهى — فيها مصاولة بكل لسان

بالقلب في دنيا السرائر والهوى — في الكون زخاراً بكل معاني

في مسرب الروح العميق وقمة — الفكر الرحيب وبين ما يصلان

فهداه والحق القويم سبيله — للحق قلب صادق الإيمان

فاستشهد الدنيا وأطرق شاكراً ... بكيانه للواحد الديان

ومضى يرود من الهدى ساحاته ... صافي السريرة مشرق الوجدان
يسمو إلى خير البلاد يشوقه ... للنبل والتقوى بها الحرَمان
يهفو لها نبعاً تفجّر صافياً ... طهرت به الدنيا من الأدران
ريان يشهد للعروبة حصنها ... الثابت الجنبات والأركان
نشوان بالفصحى تدفّق فيضها ... بروائع الإعجاز والتبيان
كلفاً بها وبأهلها فكأنه ... منها وفينا اليوم خلق ثاني

للدين، للفكر الرفيع وفنه ... للعلم عشت ولست فيه بواني
هذا «مثالك» في الحياة وأنه ... لمثال فذ في العلا متفاني
مذ كنت في بلد يمور بأهله ... سير الحياة ودورة الحدثان
تصبو إلى بلد يخلد ذكره ... في الدين والدنيا رضا الرحمان
منذ انطلقت إلى الحقيقة ناشداً ... من سرها ما جل عن إعلان
حتى اخترقت حجابها متجولاً ... في كونها الساجي الرؤى الفتّان
فجلوت روح الشرق تخفق حرة ... وصقلت فكر الغرب يشرق هاني
فاليوم يمتزجان فيك عقيدة ... كبرى وذهناً ساطع اللمعان

لكأنما وقف «الحجاز» مكبراً ... في قلب أوروبا المصيخ الداني
إن أرسلت شفتاك صيحة مؤمن ... باللّه مطبوع على الإيمان
أو سطرت يمناك نظرة باحث ... وهب الحقيقة روحه.. فنان
وكأن «بودابست» في تحنانها ... ترنو إلى «أم القرى» بحنان
وقد استنارت فلذة من كبدها ... بسنا «محمد» العظيم الشان
رئم تطلّع في السباسب حائراً ... ظمآن والينبوع يدفق راني

يا أيها الضيف الكريم وأيها ... العقل الجليل لديك يجتمعان
إنا نكرم فيك فكرة باحث ... وشريف وجدان وكنز بيان
وعقيدة سمحاء تسطع حرة ... كالشمس نيّرة بكل مكان
لا العقل قيّدها ولا سرحت بها ... فوضى النهى أو كرة الأزمان
فانعم بما قدّمت خير موفق ... وأسعد بما أخرت غير مدان

جَامِعَة الدُّول

أطل يسبح في دنياكِ منطلقاً ... فجر تمازج فيه الضوء والأملُ
أهدى رحابَك معناه وشاع بها ... نبعاً تفجر دفّاقاً به الوشل
لما ترقرق مخموراً بما حفلت ... أصباحه رق في إمسائه الطّفل
وزاحمته على النشوى بلابله ... مغردات بما يوحي لها الجذل
واستنطقته الذي يهوى أزاهره ... يفيض من جانبيها الشعر والغزل

وداعبته رياح الشوق ناعمة ... حيرى تجاذب فيها الميْل والميَل
كأن لمساتها إن مر سانحها ... أو فات بارحها في خده قُبل
والأفق يرقص بساماً تهدهده ... في مسبح الجو أنداء له حلل
والكون يرجف محموماً وما بردت ... أطرافه من لظىً لظّت بها شعل
ولم تزل تتعاوى في مسامعه ... هوج الرياح ويستشري به الدغل
وأنتِ فوق يمين الغيب نامية ... بين الهوى والمنى ترعاهما المثل
فكان والفجر مأخوذ بروعته ... فجراً تفرّد فيه المِثل والمَثل
فجراً تبلج في الأذهان مشرقة ... وفي القلوب انتهت برءًا بها العلل
وفي العزائم قد هبّت موحدة ... لما تريد فلا وهن ولا جدل

منى العروبة لست اليوم جامعة ... محدودة بل منىً ضاقت بها السبل

منىً تنير من الدنيا مسالكها ... على الزمان وتستهدي بها الملل
ليست كبار الأماني في بدايتها ... إلا الحقائق تبدو حين تكتمل
وليست اليوم مصر فيك واحدة ... بما احتفلت بل الأمصار والنِّحل
لبنان والشام فيها والعراق هوى ... ضم الحجاز ونجداً ما له بدل
وطاف باليمن الخضراء منتهياً ... إلى فلسطين لم يقعد به الوهل
تلك الشهيدة والتاريخ شاهدها ... مذ خط أن لديها يعرف البطل

منى العروبة عزت في حقيقتها ... بها العروبة واعتزت بها الدول
الحق أقسم في يمناك صارمه ... ألا تضيّعه رغم العدى الأسل
والعدل أسفر في مغناك مستوياً ... فلا يحور به حب ولا وجل
هاما بمحرابك العالي وقد وقفا ... ببابك الحارسان القول والعمل
هذا يبين وذا يمضي على سَنن ... من الصراحة لا خوف ولا خجل

يا ايها الأمل الساعي إلى أمل ... فذ يقود خطاه الريث لا العجل
إن رافقتك من الدنيا مفاتنها ... وصارعتك بها أحداثك الأول
فالزهر يبسم والأشواك عابسة ... تحوطه للهوى الزاكي ويشتعل
والنهر يقفز رغم الصخر عاتية ... تعوقه للمدى البادي وينتقل
والكون ما زال بين الخير معترضاً ... للشر مندفعاً، يجري به الأجل

الشَبَــاب

تحية البعثة الفلاحية الحجازية عقب عودتها من بومباي، وهي البعثة التابعة لمؤسس النهضة التعليمية في الحجاز الحاج محمد علي زينل رضا.

حيوا بأرواح الشباب عزيمة ... جبارة لا تستكين ولا تلين
لاحت فنُكست الرؤوس مهابة ... لجلالها تنمو بهم حيناً فحين
ومشت تحرك هاجعاً متدثراً ... بخموله أو جامداً أِلف السكون
تسعى تروض من الحياة صعابها ... مقدامة تسمو بأفق الناهضين
هي ـ فالمسوها ـ نهضة في بدئها ... فردية تروي قلوب الظامئين
ترجو لدينا قوة وتكاتفاً ... حتى تتم بنا كأحسن ما يكون

هي ـ فانظروها الآن ـ روح حرة ... عربية سلكت سبيل الطامحين
تواقة للعلم والعلم الهدى ... والرائد الصوّال والحصن الحصين
واستبسلت تبدي لنا المثل الرفيع ... محبباً في بذلها العزم المكين
ضحت براحتها وابدت همة ... خضعت لها قسراً مصادمة السنين
واتت ممثلة لنا في بعثة ... علمية ترجو لنا العز المبين
فاستقبلوها مظهرين لها الولاء ... حفاوة بجهادها مستبشرين
ومقدرين اليوم في أفرادها ... رمزاً لتضحية بمجهود ثمين

يا عصبة من خيرة الشبان نفساً ... غرس خير المصلحين النادرين
قد شاقها حب الطموح مجيبة ... داعي الرقي كشأن كل النابهين
خفق الفؤاد لكم طروباً مطفئاً ... بلقائكم حراً من الألم الدفين
وجرى اليراع مرحباً بقدومكم ... مستلهماً من روحكم شعراً رصين
مرحى لكم أحييتمو الأمل الكبير ... بنا فكونوا للرجاء محققين
وصلوا الخطى بثباتكم لا تحجموا ... فنهاية الأحجام إخفاق مشين
لا تحصروا طلب العلوم لغاية ... محدودة شأن الوضيع المستهين
بل فاطلبوا النفع العميم لتنشروا ... نور الثقافة بالعلوم كما تكون
صبراً على الكُرَب الجسام تنالكم ... في سعيكم فالفوز عقبى الصابرين

الحازمين ولا مرد لبأسهم ... إلا نوال القصد يدنيه اليقين
هذي قلوب مواطنيكم هزّها ... صوت الوفاء وزفها لكمُ الحنين
باتت تحوم عليكمو خفاقة ... طفح الحبور بها طروباً مستبين
أنتم مناها والشبيبة دائماً ... خير المنى ومصادر الخير الهتون
إن الشبيبة للبلاد عمادها ... هي كنزها الغالي وساعدها المتين
هي قلبها الخفاق ينبض بالحياة قو ... ية يصبو إلى المجد الركين
هي طيرها الصداح بات مرفرفاً ... حراً بعزته ومعقله ضنين

حيوا الشبيبة مأملاً متألقاً ... أمسى يضيء على ثغور القادمين

بــاقَــة

موجهة إلى صديق الطفولة والشباب الأستاذ محمد سعيد عتبي جواباً له على رسالة كريمة.

الـذكـريـات:

دع النفس تسترجع من الدهر عمرها ... ففي ذكريات النفس عمر مخلّدُ
وفي ذكريات المرء سلوى وعبرة ... بها يتأسى المرء أو يتزوّد
فهات أذكر الأيام عادت لحينها ... طيور غيوب تستقر وتصعد
ودعني الجِ الحلو منها ممتعاً ... واطرقْ حزيناً والشجي يغرد

الأمــانـي:

وإن المنى في عالم الروح جدول ... قلوب الورى في موجه تتبرد
هي السر في هذا الوجود وحسبنا ... من السر ذياك السنا المتجدد
هي الخطوة الأولى لنيل مآرب ... يحققها للناس عزم موطد
أو الشقوة الكبرى لمن عاش رهنها ... وكم هم ضحاياها الذين تبددوا

الخيــال:

وإن الخيال الحر للروح متعة ... وهيكل أحلام به تتعبد
وذاك جناحاها وطائر سجنها ... وما سجنها إلا الإهاب المجسد

بـه خـلـق الـفـنـان أرواح فـكـره ... من الحس أوهاماً غدت تتجسد
بـه صوّر الأكـوانَ والـنـاس شـاعـرٌ ... يـضـل بـه حـيـنـاً وآخـر يـرشـد

الصـداقـة:

ومـا الـود إلا نـفـحـة قـدسـيـة ... بها نجتلي سر الصفاء ونسعد
وما هو في قلب الخدين لخدنه ... عـلـى مـا بـه إلا الـصـدى يـتـردد
فإن عاد أمراً في الكثيرين زائفاً ... ومـظـهـر أوضـاع بـهـا يـتـقـيـد
فـمـا زال عـنـد الـصـادقـيـن مـقـدساً ... يـؤكـده فـي الـقـلـب حـب مـؤكـد

الصـديـق:

ويا صاحبي ما أنت إلا الذي له ... بقلبي مكان بالحنان ممهد
وما أنت إلا فكرة مازجت دمي ... ولابست الروح التي بك تسعد
يـمـثـل مـعـنـاهـا لـعـينيّ هـيـكـل ... تصافحه في شخصك الظاهر اليد
فإن تهنا أو تحزن يجبك بمهجتي ... هَناك المواتي أو أساك المبعّد
فخلّ فؤادين كيفما شاء، يصطفق ... بذكراه في موج المنى فهو موقَد
ودع لخيالي فسحة في سمائه ... يطوف بروحي هائماً لا يقيد
ودونك جددْ كل حين خواطري ... بـمـا تـشـتـهـيـه فـالـحـيـاة تـجـدد

أيا بَحْر

أيا بحر هذي موجة ذاب قلبها ... حنيناً وأمسى دمعها يتحدر
حكمتَ عليها بالنوى حينما بدا ... وقد بتّ جياشاً عليك التعكر
وابعدتها عن أختها فترددت ... يسيّرها قسراً نواك المقدر
اتتنيَ نحو الشط يعلو أنينها ... وها هي من فرط الجوى تتفطر
تلاشت كما لاشى الردى أخواتها ... ولا زلتَ عن أمثالها تتفجر
رُغى زَبدٍ عادت لتلقاك صافياً ... فهل للقويين الضعيف مسخر؟

ويا بحر كم غادرت نفساً حزينة ... فشا بين جنبيها عليك التذمر
فكم سابح خارت سوابق عزمه ... فأمسى ضئيلاً ينزوي ثم يظهر
فتحت له جوفاً فواراه صامتاً ... وكم مثله واريته وهو يجأر
وخلّفت أهليهم يذوبون حسرة ... عليهم ولم تُقصر ولم يتصبروا
فما كنت يوماً هائباً إن تذمروا ... عليك فأيديهم عن الكيد تقصر
فهل كنت تبغيهم طعاماً لسابح ... لديك أم استقضاه منك التكبر؟

وكم من الوف من عوالمك التي ... تسخّرها فيك الحياة فتسخر
أبدت كثيراً من طوائفها سدىً ... وجئت بأخرى في رحابك تسدر
كأنك في نظْم الحياة مدقق ... كما شاء ينفي ثابتاً ويقرر

فأنت عليها ثائر متمرد فليتك فينا شاعر أو مفكر
وعزمك موفور كما أنت أو لنا كعزمك هذا حيث يحلو التأزر
فما تنفع الآراء إن لم تجد لها من العزم جباراً به الرأي ينصر!

ويا بحر كم أفنى الفناء عوالما وأنت كما قد كنت لا تتغير
بسطت على الأيام ملكك واسعاً ولم يبدُ حتى اليوم فيه التأثر
تحديث أهوال الفناء مسيطراً عليها، كذا شأن العظيم التسيطر
تمر صروف الدهر ملأى من الأسى وأنت كقلب الدهر لا تتأثر
تشابهتما هولاً وصمتاً وفقته بأنك ملموس تُحس وتُنظر
وذا مظهر من كبريائك شاءه لك الخلد، لا! بل طبعك المتجبر

هنا قابع أمسى بقربك حقبة يبثك آلام الحياة ويزفر
هنا شاعر يا بحر يرجو لشعبه حياة كهاتيك التي فيك تهدر
وعزماً لعزم الدهر يصمد ساخراً وحرية من كل رجس تَطهر
وقلباً إذا هاجت له ذكرياته فخاراً قديماً لم يبت يتحسر
ولم يستنم للضيم يستل روحه ولكن ليستعدي القوى وهو يزأر
ليبقى عزيزاً خالداً ومخلّداً على الدهر مأثوراً به الدهر يُذكر

كذا العيش! فليحي القوي مقدساً وإكليله من ساعديه مضفّر
وإن شاء فليبق الضعيف مسخراً لديه وإلا فالحياة التحرر
فقد بات قانون الطبيعة نافذاً على كل قانون به الضعف يأمر

يا صَدِيقي

نظمت هذه القصيدة في عام ١٣٥٥ هجرية، أما اليوم فإن الحقيقة والإنصاف والواقع تقتضينا الإشارة إلى ما وصل إليه الحجاز من مكانته الحاضرة المرموقة، سيان في ذلك النهضة التعليمية أو الاجتماعية، أو العمرانية والاقتصادية وسواها في عهد الملك عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية.

يا صديقي وُقيتَ همي لقد ذبت نحولاً وشاع في الجسم دائي
وبرغم الكتمان والجلد القاسي جلياً أمسى لديك عيائي
أنت لا شك عارف ما بقلبي من أسى الوجد أو لظى البرحاء

كم تذرعت بالطلاقة والبشر لأخفي كوامن الإعياء
وارتضيت الهدوء آناً لئلا يعلم الناس لوعة في الخفاء
والتمست الأعذار كثراً إذا ما سألوني عن علة الإغضاء
كم ترقبت مأملاً فض لو صح همومي وزاد في إرضائي
وترجيت دورة الدهر تأتي بعد موت الآمال بالتأساء
والتزمت الصبر العسير وإن كان مصيراً بالطبع للجبناء
وبنفسي عزيمة تتسامى أن تراني فريسة الإزراء

وبدهري في جوه تتراءى سحُب من صروفه العسراء
فأنا اليوم بين نفسي ودهري في عراك يجني على أعضائي!

يا صديقي كم رحت اطلب برءاً في أمور عديدة سمحاء
فتطلبت في المجلات والكتب نديماً أحلى من الندماء
وتوسمت في الغناء وفي كامل لهوي صفواً جميل الرواء
وتدلهت في الغرام زماناً غير خافٍ عليك فيه ادعائي
وتسمعت في المجالس اسمى ملح القول من فم الظرفاء
واعتزلت الأخدان حيناً وفي العزلة صقل للذهن والحوباء
وتذكرت ماضياً ملؤه الحظ تماماً من لذة ورضاء
وتناسيته وإن كان ما في حاضري قطرة من الدأماء
وتعللت بالقضاء وعلّقت عليه حلو المنى بالرجاء
وتركت القضاء يجري بما شاء كما شاء مبدعُ الأشياء
وقَطوباً قابلت وجه حياتي وبسوماً واجهته برياء
فرأيت الحياة في البُرد الضافي سواء أو في طمير الرداء
كل هذا فعلته ولعمري لست أدري للآن أين دوائي؟

يا صديقي وما دواعي همومي ونحولي وشقوتي وبلائي
غير فقدي لراحة النفس دوماً واكتئابي لحالة التعساء
ووجودي في موكن جُلّ ما فيه قبيح، مشبّع بالوباء
فاندفاع الأقوام في الخلة السوءى وترك الفضيلة الحسناء
وتلهي الشبان والشيب بالتافه شأناً يعود بالشحناء

وانقسام الأفكار والجهد سيان لدى المترفين والدهماء
وتفشي الأثْرات والبغض والوحدة، حتى في الجنس والأزياء
وكساد الآداب والعلم فينا ورواج الخرافة الخرقاء
وتردّي السواد في حمأة الجهل زرياً في سيرة الجهلاء
واحتقار الأحرار من نخبة القوم وإعلاء منزل الأغبياء
وبقاء الحجاز اقدس قطر في عداد الأموات لا الأحياء
كل هذي عوامل تجعل البرء محالاً من قسوة الأدواء!

أمانٍ تتحقّق

نظمت بالمناسبة التاريخية، مناسبة وصول الماء من وادي فاطمة، عين العزيزية، إلى جدة لتلقى في الحفل الذي ترأسه صاحب السمو الملكي الأمير سعود ولي العهد، وذلك يوم الثلاثاء الموافق ٥ محرم الحرام ١٣٦٧هـ.

تهادَ على اسم اللّه يا ماءنا غمرا ... وسبّح بحمد الله يا ماءنا شكرا

وسر بأمانينا تحفّك سُبّقا ... إليك خيالاً لا يكل ولا يعرى

أمانٍ كأحلام الربيع تفتحت ... على أملٍ أوهى التجلد والصبرا

أمانٍ عذاب طائرات كأنها ... حمائم تهديك السبيل لنا يسرا

وطف بحمى الوادي السعيد مودعاً ... مغانيَك اللاتي قضيت بها العمرا

مغانٍ بها الإصباح يشرق صاحياً ... وتغفو بها الآصال تستلهم الشعرا

أفاض عليها في «الجموم» حباءه ... من المزن دفاق السجية قد أمرى

وسحّ بها رغم الزمان «شعيبها» ... على الغير موّار المسابل والمجرى

يفجر ما بين العيون مسارباً ... تميل بنا سراً وترفدنا جهرا

فكان كأنفاس الحبيب هفا النوى ... بها فأشاحت توجز العذل والهجرا

وكنت على شوق إليك وحرقة ... حبيباً دعاه العذر فاقتطع العذرا

ورقّ إلى الشاكي نواه فأهطعت ... إليك رقاب تتلع النحر والصدرا

فَعدّ عن المنأى وجز بأخِ الهوى مفاوز تستدني المفاوز والقفرا
وصل في الهوى ما بين واديك حانياً عليك وبين الثغر مد لك الثغرا
وقف لجلال الملك في الدهر ساعة هي الدهر لم يبخل عليك بها ذكرى
أضاء بها عبد العزيز وحسبه مسمّى تضيء المكرمات به قدرا
رعاك طلاباً واجتباك حقيقة وأجراك فيضاً من مفاخره تترى
فكان وكنتَ اليوم عرشاً وظله تعالى على الأزمان ذكرهما ذكرا
وقل للمنى مدت إليك يمينها مبللة الأطراف تنضحها بشرا:
حنانيك هل أرجو المزيد وهذه سعود «سعودٍ» طالعي اليوم والبشرى
رنا فرنت نحوي النواظر وانثنى إليّ فكان الفخر، زدت به فخرا!

حَذارِ يَا نَفْسُ

يا هاته النفس ماذا أنت راغبة ... وأي عيش جديد ترتجين سدى؟
أشاقك اليوم ذياك النعيم طوى ... في الملبس الرطب قلباً فيه مبتردا!
أم هاجك البؤس هذا طافحاً ألماً ... يكوي بجنبيك قلباً ظل متقدا؟
أتبتغين حياة الذل ناعمة؟ ... عيش الأذلاء للأحرار كان ردي
أتسأمين حياة الجد جافية؟ ... من فاته الجد أفنى عمره بددا
فاستعذبي الشجو يأتيني به أبداً ... تطلّبي مثلاً فوق الذرى انفردا
واستلهمي الفن أحلاماً مجنحة ... يسمو بها شاعر للخلد قد عبدا
ولا يرغك وأوجاع الدنى شيع ... إني بسمع الدنى للبؤس كنت صدى
فمن يعش بالضمير الحر معتصماً ... هيهات هيهات أن يستشعر الرغدا
حذار يا نفس ترديد المنى ولعاً ... بما تريدين، كفي واهجري الحردا
ألا تزالين طول الليل ثائرة؟ ... نامي اهدئي طال عمر الليل وانجردا
أقلقت مني ضميراً هاج مشتعلاً ... يا وليتاه إذا ما اهتز وارتعدا!
فاستسمحيه وصلّ الآن تائبة ... واستوح من ملكوت العقل خير هدى
واستغفري وهلمي عند كعبته ... أمام عزته الكبرى نمد يدا
وحاذري بعدُ أن تصيبك بارقة ... من الأماني وألا تصحبي الرشدا
هذا ضميرك لا تغفو نواظره ... مراقب منك ما تأتينه أبدا

جَــوَاب

طلبت الإجابة على السؤال في البيت الأول ارتجالاً، فكان هذا الجواب:

«إذا كان لي أهلان، أهل ترجلوا ... وأهل أقاموا، أيّ أهليّ اتبع؟»
وأي مكان ارتجي فيه راحتي ... وهول النوى هول يضرُ ويفزع؟
فسيان إن أمكث وسيان أن أسر ... هو الخطب من أي الفراقين واقع
تحيرت في أمري وصرت كتائه ... ببيداء ما فيها لمن رام مشرع
وكل امرئ بين الفؤاد وعقله ... يهيم إذا ما جد أمر مروّع
على أنني ظَللت أمرءاً مترجح ... لديه حديث العقل، والعقل أنفع
فآثرت أن أرضَى فراقاً بدأته ... وفيه لسلوى النفس نفع مجمّع
وآثرت إرضاء المروءة حامياً ... عزيزاً حواه بلقع ثم بلقع
وإن عشت محروق الفؤاد على الذي ... أقام له طول المدى أتطلع
وما يُرتجى من ذي فؤاد موزعٍ ... سوى حرقة كبرى بها يتلوع!

بُلبُلَي مِصر

في القصيدة مناجاة لمطربي مصر الخالدين الأستاذ محمد عبد الوهاب والآنسة أم كلثوم، وكان نظمها عقب الاستماع لمجموعة من الأسطوانات لهما، وذلك قبل أن يكون للمذياع (الراديو) في الحجاز وجود.

بلبليْ مصر غرّدا فوق أيكٍ		في رُبى مصر وارف الأفنان
في سماء الهوى وتحت جناحَيْ		ملكه البر زائد التحنان
وبجو الإبداع في روضة الفن وافق التجديد في الألحان
ذوّيا منكما الفؤادين حيناً		نغمات تبقى على الأزمان
واهديا «الحاكيَ» الصدى في طروس		مبدعات من خلق هذا الأوان
فجميل أنّا نراه تمشّى		صادق النقل في ربى البلدان
وجميل أن يخدم العقل والحكمة		فناً للروح والوجدان

لكأن الأرواح منا غصون		أنتما فوق زهرها بلبلان
أو ورود وخمرة اللحن قطر		أنتما في ثغورها ساكبان
أنتما إن شدوتما طائريْن اللحن		حلواً بروحنا طائران

عشت «عبد الوهاب» في أيكة الإنس طروباً ومطرباً في آن

ولدى دولة المهارة في الفن فخوراً بالعرش والسلطان
أنت في الفن فاتح أدبي هادم باليَ القديم وباني
وقدير أعطى المعانيَ في الألفاظ روح الممثل الفنان
قد وُقيت التقليد إذ جئت باللحن جديداً في روعة وافتنان

واسكبيها يا «أم كلثوم» دوماً قطرات من خافق ريان
واجمعي الغرب راقصاً خاصر الشرق لعوباً في رقة وحنان
وألبسيه من الجدارة والإعجاب تاجاً من البلى في أمان
ولتدمي مليكة أنت للروح إليها كثيرة الإحسان
وهنيئاً لمصر من أمم الشرق، هنيئاً بالملك والصولجان
خلداها في صفحة الحسن في الدهر تُخلدْ روحاكما الهائمان
وارفعا هامها رفيعاً يبارك منتهى البر فيكما الهرمان
خلدا «شوقياً» و «رامي» وكثراً من حماة القريض عذب البيان
أسمعانا الغناء والشعر قد عادا بروح الإعجاز يمتزجان
فهما منحة لنا وشعور واحد في الميول يفترقان
ليس قدر الغناء في عالم الروح وطيئاً في نظرة الإنسان
الرقيق الشعور بل هو أحلى طيبات الحياة عالي المكان
هو خمر الشعور والقلب والإحساس ضوء في دجية الأحزان
فاسكباها رقراقة ترهف الفكر وتسمو بقلبنا النشوان
واقشعا ظلمة العناء عن الأنفس تشرقْ بنور تلك الأغاني
وأثيرا كوامن الوجد والشوق بنفس المحزون والولهان

إنـــمـــا هـــذه الـــحـــيـــاة غـــنـــاء أو عـــنـــاء، فـــأمـــرهـــا حـــالـــتـــان!

يـا هـزاريـن حـلّـقـا فـي سـمـاء النفس منّي فحركا لـي بيـانـي
دمـتـمـا هـانـئـيـن، طـوفـا ريـاض الـحـسـن مـن كـل نـاعـمـات الـجـنـان
واذكـرا دوحـة الـحـجـاز بـخـيـر فـهـي مـن جـدبـهـا البـلاءَ تـعـانـي
إنـهـا رغـم جـدبـهـا ذات غـرس طـيـب كـان مـورق الأفـنـان
كـم تـغـنـت فـيـهـا بـلابـل بـاتـت ذات قـلـب مـن الأسـى نـعـسـان
فـامـنـحـاهـا الـعـزاء شـدواً رقـيـقـاً تـتـغـنـى بـلـحـنـه، بـالأمـانـي
أيـهـا الـبـلـبـلان لـم يـبـلـغ الـوصـف مـداه بـالـقـول: يـا بـلـبـلان
اسـمـعـانـا لـحـن الـحـيـاة جـمـيـلاً وصـفـا لـوعـة الـهـوى كـل آن!

خَـواطِـر مُتقـارِبـَة

جاهر برأيك في الحياة ولا تخف غِرًّا تذرع بالسفاهة أو حسود
وانهج إلى المثل الشريف فحبذا المثل الشريف وحبذا الشرف العتيد
واسلك سبيلك كيفما تختاره ما دمت مصطحباً به الرأي السديد
فإذا سلمت فأنت فيه موفق وإذا عثرت فمن عثارك تستفيد
إن الحياة تجارب مملوءة عبراً تقدم درسها للمستفيد
والفوز في شتى المواقف حافز للمرء داعيه إلى شرف المزيد

إن الحياة تدافع وتسارع والموت، في لونيه، سيمته الركود
لم يدر ألوان الحياة وطعمها من عاش منزوياً يرافقه الجمود
يمشي على النسق الذي قد خطه أجداده في ذلك الماضي البعيد
أو حاسباً للعرف سلطته الخفية غابراً قد سنها الوهم البليد
يخشى التمرد، والتمرد لم يزل باباً إلى طرق المفيد من الجديد

خير التقاليدِ التقاليدُ التي قامت بصحتها دلائلها شهود
والشك في الأشياء ميزان به الأشياء تفحص كي تخلد أو تبيد
كم في القديم فضائل هي خير ما أبقى وأنتجها لنا العقل الرشيد

كن في انطلاقك كالطيور أو البحار أو الكواكب جائلاً في ذا الوجود

حراً يسيّرك النهى متحصناً ... بسياجه ومن النظام بما يفيد
إن الذي وهب الخلائق هذه ... حرية جعل النظام لها حدود
واجعل سلاحك للحياة عزيمة ... هي مثل بأساء الحياة أو الحديد
أتريد أن تبقى سليماً مطلقاً ... فيها ومن تلك القوى بنيت سدود؟
عاش القوي مقدساً وممّنعاً ... يمحو الضعيف ويستبد كما يريد
وعليه إكليل السيادة صاغه ... بيد الدهاء وساعد البأس الشديد
قل للذي ألف الخضوع أو الجمود ... مداهناً أو جاهلاً سيسَر الجدود:
إن الوجود تحرر لا ربقة ... لِمْ هؤلاء، وذاك سيدهم، عبيد؟
إن الحياة تجدد متواصل ... أبغير ذا للناس قد كتب الخلود؟

هيهات أن نبقى كما تقتادنا ... قد آن تحرير النفوس من القيود!

وَفَـــاء

موجهة لسعادة الشيخ محمد سرور الصبان بمناسبة توجيه الإرادة الملكية الكريمة إليه لقب وزير مفوّض، إعراباً عن صدى نفسي عام، ووفاء متواضعاً لوفاء عظيم.

من نفوس قلوبها خافقاتُ لك ترقى التهانئ الصادقاتُ
بالأماني ترفّ من ظلك الهاني نشوى وبالمنى عالقات
بالمعاني بالفن بالذكر قد أشرق صيتاً تحفّه المشرقات
بالمعالي بالمجد في كونك السامق، شتى أجواؤه السامقات!
بالمقام العلي ما زدت بل زاد بك اليوم إذ ولته الثقات
وتباهت لديك في معرج الفخر بمعناه ألسنٌ حاذقات
واستكانت إليك في مهبط الضعف بمرقاه أنفس آبقات
واستشاطت عليكَ في وقدة الحزن غرابيب حسرة ناعقاتُ
واستطالت به حبوراً وذكرى من محبيك أنجمٌ بارقات!

فتهادى يختال بين «معاليك» وريقاً تزفه المورقات
من فنون أجلّها الأدبُ الحقُّ فأدنى أسبابِها مرقاةُ

والطريف الطريف منها تليدٌ والتليد الساجي بها أوقات
زامل اليوم في حقيقتها الأمسُ، فضافت بأمرها الضائقات
واستقامتْ بها الحقائق لا تمنع عدلاً جهودُها الواثقات
وتوالت بها المناصب ألقابُ حياة في عزها شاهقات
إن تعالى روحُ الأديبِ عليها فهي عنه بقدرها ناطقات
أو رعاها طبعُ العظيم اعتياداً فهي منه على المدى مستقاة!

فارتق اليوم يا محمد ما شئت وشاءت لعزمك المطلقاتُ
في ظلالِ من الوفاء أطالته غِراساً أنداؤه السابقات
وسياجِ من الرعايةِ أعلتهُ مقاماً آياته اللاحقاتُ
ومجالِ من المودة ضاءت بسناها أبصارنا المحدقات
إنما أنت يا محمدُ منا وإلينا آمالنا الباسقاتُ
والمثال الفريد طافت حواليه ورفّت قلوبنا الخافقات

اِفْــرَح

يا أيها القانط الثاوي المطل إلى ... ركب الحياة طوى سهلاً وأنجادا
أقصر! فعقباك لو أنصفتَ مبتسماً ... دنياك، فجر حياة فاض إرغادا
وافرح فما حجرت يوماً على أحد ... دنياه إن أبدل الإعوال إنشادا
كم يائس قد تساوى عنده عدم ... معجّل ووجود فاض إجهادا
مذ فارق اليأس مكدوداً بصحبته ... وشام بعد ضياء عنه كم حادا
أمسى المدلّه في حب الحياة يرى ... في كل شيء جمالاً ظل وقادا
فاليأس للبؤس درب ضل سالكه ... وعاش يجرع من شقواه أنكادا
واليأس غيهبة قد جللت طبقاً ... من بات يلبس منه العمر أبرادا
وليس من سار والآمال رائده ... كمن تلمّس في الظلماء مرتادا
أو من يجاهد والإيمان حافزه ... كمن يكابد رهن اليأس مجهادا

من غالط النفس إيحاءًا يلقّنها ... روح السرور بما يلقاه مقتادا
ير السرور وقد بانت حقيقته ... فيما يلاقيه أمراً صار معتادا
إن السرور رضاء النفس لا أملاً ... محققاً أو هناء فاق أندادا
فافرح فإن ربيع النفس فرحتها ... وانصب لنفسك من دنياك أعيادا
هذا الربيع ربيع الأرض مبتهجاً ... قد غاب عنها مدى حين وقد عادا

غَضْبة الفَنّ

إلى الأدعياء القابضين بأنمل ... من الوهم خدّاع، يراعةَ كاتب
إلى كل من يوحي إليه غروره ... بأن له في الفن أسمىٰ المراتب
على كل ممرور قصاراه خطبة ... على الناس تُلقى في كبار المآدب
إلى كل من يُصيبه صيت يخاله ... ذرى الغاية الكبرى وأقصى المآرب
نصيحة حر مخلص في عتابه ... إلى كل حر في هوى النصح راغب
تناسق أبعاد الحقائق خارجاً ... وفي داخل القلب الرحيب الجوانب
وما كان نصحي لو أطعتم ضميركم ... سوى ما يجيش الآن بين الترائب
سوى أن تكفّوا عن معاناة نفسكم ... بأمر عتيّ في ذرى الجو ضارب
إلى أن تحس النفس أن اضطلاعها ... بأعبائه قد بات خلو المتاعب
إلى أن يرى نورَ الصواب نتاجكم ... فقد جاء محفوفاً بليل المعائب
وها هو ما تبدونه فانظروا له ... برأي حصيف ناضج الذهن ثاقب
إذا قام يرضي الحق غير مداهن ... فليس بخدّاع وليس بهائب
إلامَ تغثّون النفوس بقاحل ... من الأدب الميْت الكثير التلاعب؟
حرام عليكم أن تكونوا مُصيبة ... على الفن يكفي الفنَ باقي المصائب
على الأدب الحي الرسيس عمادُه ... سلام فؤاد خافت النبض ذائب!

صَرخَة الفَلاحِ

كان الشاعر أستاذاً بمدرسة الفلاح بجدة حين مرت بها الأزمة المالية عام ١٣٥٤ هجرية وطالما أشار هو وبعض رفقائه من الأساتذة الشبان إلى المصير المحزن الذي ستنتهي إليه.

وكانت هذه القصيدة تعضيداً للجنة الفلاحية التي تألفت حينذاك وتصويراً لشعور شخصي وتذكيراً لموسري الأمة بواجبهم نحو هذا المعهد العظيم بمكة وجدة.

قلْ للسراة الألى شادت مكارمهم ... بنياننا المتداعي: اليوم يومكمو

اليوم يفتتح التاريخ صفحته ... واليوم تجمعنا الأنساب والرحم

عاهدتمونا قديماً أن نَهيب بكم ... إذا الحقوق دعتنا واقتضى القسم

وقد ضربتم لنا الأمثال رائعة ... يوم الفخار وما زلّت بكم قدم

فلا تميتوا رجاء لن يجف به ... عرق الحياة وفي أعراقنا نسَم

ولا تضنوا بما يقضي الوفاء به ... وما تؤكده الأخلاق والشيم

اللّه يرقب ما تأتونه أبداً ... والشعب يشهد والآثار والأمم

هذا البناء الذي مالت دعائمه ... يكاد من قسوة الأرزاء ينهدم

هذا الضياء الذي تخبو بوارقه ... تكاد تغمره في لجّها الظلم

إن «الفلاحَ» تناديكم مرجعة | صوت الضمير الذي تحيا به الهمم
مشت على البؤس حيرى في تعثرها | معنى النداء ومن صمت الأسى كلم
ترنو إليكم بألحاظ مشتتة | نشوى من الهم شكرَى ملؤها السقم
تلك التي طالما قامت مغردة | أطربتنا جميعاً وهي تبتسم
تلك التي هطلت سحًا معارفُها | فكان أن كان منها هذه الديم
تلك التي ضمت الأفلاذَ ساحتُها | ولم تضن على طول المدى بهمو
نيف وعشرون عاماً وهي سائرة | نبراسها فوق أجواء الحمى علم
والآن إذ عبثت أيدي الزمان بها | أتت يقود خطاها نحونا الألم

فاليوم يوم الرجال العاملين بما | يقضي به الدين والقربى، فأين همو؟
أين الأباة الكرام الرافعون لنا | بين الخلائق هام العز، هل عدموا؟
أين الشباب الذي شدت عزيمته | عقائد هي في أعتاقه ذمم؟
تردد النوح والشكوى فما وجدا | أهلاً وكان نصيبَ الصارخ الصممُ

أيقفل الباب والأعناق شاخصة | إلى رحاب بها الطلاب تزدحم؟
أيهدم الصرح والأكباد واجفة | على بناء به الآداب تعتصم؟
ألا يعز عليكم أن تودّعنا | وأن نبوء بعار ليس ينفصم؟
فاخشوا الحقيقة وابنو حول معقلكم | سوراً يدعمه الإحسان والكرم
إن تنصروا العلم تنصرْكم مآثره | وتدرأوا عن سواد الشعب ما يصم
الشعب أنتم ومن للشعب إن وهنت | قواه وهو بصخر الروع مرتطم؟

يا أيها الأمل الذاوي على مهل | في ذمة اللّه إن يظفر بك العدم
ناح اليراع وما عودته قِدَماً | صوغ الأنين ولكن الأسى عمم

فقل لمن ظن وهماً أنها بدع ... ومن يرى الرأي فينا أنها النظم
قد قلتها غير وانٍ عن ترددها ... عقبى التراخي وتزويق المنى ندم
سألتهم أن ينيلوا الأمر جانبه ... والحق قوته، فاليأس محتدم
من يألفِ النّير يستمرئ مرارته ... ومن يرَ الحزم عيباً فهو متهم
وآلف الضعف في بلواه محتقر ... وكل مشتمل بالبأس محترم
فليتق الحق من لم يخشَ صولته ... إنا إلى الحق والأخلاق نحتكم

إني أجل يراعي أن يُراق به ... ماء الحياة الذي يزهو به الشمم
لكنما هي أحداث تنوء بها ... كواهل العصبة المشكور سعيهمو
وفي مجال التقى والخير مفخرة ... كبرى يهش لها في لوحه القلم
فليسعَ للبر من طابت سريرته ... فنفحة البر موصول بها الرحم
ليس التحسر بعد اليوم مجدية ... آلامه، ففوات المرتجى عدم!

نقَائِض

كوّن الكون للعباد فأمسوا في حياة عديدة الأضداد
فشقاء يبيت قرب نعيم كسهاد يطول جنب رقاد
ووليد يحلّ بعد رحيل لفقيد كلاهما في إطراد

كم حزين يمر قرب طروب وعليهم في عالم من جماد
وفقير من الطوى في هزال وثريّ مبالغ في اقتصاد
وأمير أضحى يقلب كفاً وحقير غدا بصولة عاد
ومحب شاكي الصبابة ولها ن إلى عاشق سعيد الفؤاد

كم سعت أمة بأفق المعالي وغفت أمة بجوف الوهاد
كم تناهى في القرب والبعدِ ندّان بما شاء موجد الأنداد
وتساوى فيما تطول به الشقة ضدان في المنى في المراد
وتلاقى فيما يشذ به العالم أفذاذه عن الأفراد

إنها في الحياة سنّة من شا ء كما شاء خالق الأبعاد
حكمة جَلّ كنهها وتعالت فوق فهم العقول رغم العباد

يـا مَـوْطِـني

يا موطني والشعوب اليوم قد بلغت ... أسمى الذرى لمَ ذا الإحجام منك لما؟
إلامَ تـجـثـم طـول الـعـمـر مـكـتـئـبـاً ... حيناً فمبتئساً حيناً فمحتدما؟
قـم خذ بقسطك موفوراً أعد ألقاً ... في الكون سار مديداً يمحق الظلما
سر وارقَ عرشك فوق العالمين كما ... قد كان عرشك فرداً في الورى قِدما

أنــا وَالـدَهْـر

آثـر الـدهـر أن يـظـل مـعـاديّ ... عـلـى طـول عـمـره وتـعـمـدْ
واسـتـبـاحـت صـروفـه صـدمـاتـي ... فـهـي دومـاً بـهـولـهـا تـتـردد
فـإذا مـا أمـنـتُ حـيـنـاً أذاهـا ... بـعـد حـيـن أتـت بـمـا هـو أنـكـد
ذبـت حـزنـاً فـكـم أبـث شـكـاتـي ... لـك يـا صـفـحـتـي وكـم أتـجـلـد!
نـعـم الـنـاس بـالـرقـاد ومـا زلـت طـريـحـاً عـلـى الـفـراش مـسـهـد
وتـلاقـت أرواحـهـم فـي حـيـاة ... هـي أغـلـى مـن الـحـيـاة وأرغـد
تـتـنـاجـى فـي عـالـم الـحـلـم سـراً ... وأنـا دونـهـا أسـىً أتـوجّـد
تـكـوي روحـي الآلامُ هـيـهـات أنـجـو مـن لـظـى حـرهـا وهـيـهـات تـخـمـد
وتـؤم الأفـكـار رأسـي فـأمـا ... راح فـكـر أتـى سـواه وولـد
فـإذا أطـبـق الـنـعـاس جـفـونـي ... قـلـت لـلـنـوم يـا مـغـيـثـيَ تُـحـمـد

بـسـم الـنـاس لـلـمـنـى حـيـن صـحـت ... وتـجـهـمـتُ إذ أمـانـيّ تُـلـحـد
وتـسـاقـوا حـلـو الـغـرام واسـقـا ... نـيـه مـراً قـلـب كـقـطـعـة جـلـمـد
إن تـنـاسـى الـحـزيـن عـهـداً تـقـضـى ... مـسـتـجـاداً لـيـسـتـريـح ويـرغـد
فـلـعـيـنـي فـي وحـدتـي تـتـراءى ... كـل آنٍ ذكـرى نـعـيـم تـبـدد
أتـرى شـرعـة الـحـيـاة أجـازت ... لـك يـا هـمـهـا بـألا تـنـقـد؟

آه! حتّام يا زمان تلاشي ... كل يوم من مأملي ما تجدد؟
أفما آن أن تكف وتنأى ... عن عدائي الشديد أو تتودد؟
أفما آن أن تقول لقلبي ... قد وقيتَ الِحدثان يا قلب فاسعد؟

إيه يا نفس هل تكيدين بالحز ... م زماناً أخنى عليك وشدد؟
لتريه من قوة البأس عزماً ... للقاء البأساء بات موطد
لا تقولي إن مسك الضر: إني ... في ربيع الحياة لم أتعود
بل فقولي مهما تعاظم قدراً ... إنما الروع من جناني مجرد
يعلم اللّه ما بدهرك من حو ... لِ ولكن متى استكنتِ تمرد!

فأنسي اليوم بالحياة وقد عا ... د جلياً ما كان أمس معقد
وأسدلي الستر سلوة فوق ما ... ضيك ولاقي الآتي بقلب ممرد

أغنية الحَزين

نحّ عنك اليأس وابسم للأماني وانسَ آلام الهمومْ
يا أليف السهد يا خدن الضنى يا طريحاً فوق أشواك الألم
قم وناج الفجر واستوح الهنا من جمال الفجر كشاف الظلم
من شذا الأزهار من رش الندى من خرير النهر من خمر النغم
من صفاء الروح من نور المنى من كؤوس الحب من سحر القلم

أيها العابس في وجه الزمان إنما أنت الملوم
عش بدنيا الروح فالكون يراه كل حي مثلما مال وشاء
سائل الوردة من أكسبها حمرة الخد وذياك البهاء؟
وسل البلبل من ألهمه رقة الصوت وألحان الغناء؟
سل فؤاد الصب عن معنى الهوى وسل الضاحك عن سر الصفاء؟
أيها العابس في وجه الزمان إنما أنت الملوم

آه من أنطق بالشدو لساني بعد ذياك الوجوم
يا ثغور الزهر هاتي رشفة من شفاه الورد تروي غلتي
والمسي في رقة ساحرة حبة القلب مكان العلة
وامسحي جرحاً بجنبيّ عميق واغسلي هذا الأسى من مهجتي

فلقد شعّ بعينيّ بريق ... بات للآمال يهدي فكرتي
أيها العابس في وجه الزمان ... إنما أنت الملوم

بسم الكون وفي الكون معاني ... دونها العقل السليم
فاشدُ يا طير ففي ذوب الأغاني ... بلسم القلب الكليم
وارو إحساسي وردد في المغاني ... ذلك الصوت الرخيم
أيها العابس في وجه الزمان ... إنما أنت الملوم!

الشَادِي الرقيق

مرتجلة في غير تقيد بالقافية.

لك اللَّه من شادٍ رقيق كأنما هزار الهوى في صوته يتأوهُ
كأن ملاك الحسن أهداك لحنه فبتّ بأحلام المنى تتفوه
كأنك قمريّ على أيكة الهوى ترنح يستهوي حشاه التوله
فأبدع ما شاء الغرام بقلبه واطرب ما اصباه في الروض فجره
فرحماك بالأرواح ترقص غبطة وحسبك منها الآن هذا التدله
ويا مبدع الألحان سجواء قد غدت بأرواحنا في جوها تتنزه
أصوتك هذا أم نسيم معطر وقد ذاب في زهر بدا يتنبه
أم السلسبيل العذب ينساب رائقاً علينا من الخلد المقدس ربه؟
إذا انساب حلو اللحن بين نفوسنا ترجرج في أسماعنا منه رجعه
فبتنا نشاوى بين دنيا من الكرى لدى حلم قد لذ للروح رشفه
كأنا إذا النغمات رف رفيفها من الحسن صرعى الحسن لولا التأوه

فيا بلبليّ الصوت قد هجت شاعراً يحييك مفتوناً بك الآن فنه
يبارك حسن الصوت فيك مزوّداً من الفن بالفن الذي جل وقعه

غمرت بدنيا الحسن أجواء روحه ... فبات بليل الوحي ترعاك روحه
إذا الشعر والفن الرقيق تآخيا ... وشُدّت يد ما بين ذاك وبينه
فلا عجب فالنبع في الأصل واحد ... وهذا إخاء توثق الروح عهده

دُنْيـا الغَـد

أمـانـيـنـا مـن الأيـام وعـدُ ومـن أيـامـنـا صـاب وشـهـدُ
وفـي الأيـام مـا فـيـنـا طـبـاعـاً نـقـائـض بـعـضـهـا شـوك وورد
ومـسـعـانـا لـدى الـدنـيـا طـلاب يـسـدد خـطـوه جِـد وَجـد
ومـن وُهـب الـحـيـاة ولـم تـهـبـه مـنـاه فـعـمـره الـمـهـدور لـحـد
فـيـا دنـيـا الـغـد الـمـرجـوّ يـومـاً يـضـيـق بـشـأوه فـي الـكـون عـد
لأنـت إلـى الـنـفـوس، مـضـى زمـان ولـمـا يـنـقـضِ الأمـل الـمـعـد
رجـتـكِ مـن الـقـديـم هـوى قـديـمـاً يـطـيـب فـداءه ألـم ووجـد
وصـاغـتـك الـمـثـالَ عـلـى مـثـالٍ تـضـاءل عـنـده عـهـد وعـهـد
فـكـنـت مـرادهـا فـي كـل حـيـن مـراداً مـا يُـحـدّ ولا يُـرد
مـراداً لـلـديـانـة فـيـه جـهـد ولـلأحـلام والأفـكـار جـهـد
«فـمـوسـى» و «الـمـسـيـح» لـه أقـامـا بُـنـىً «بـمـحـمـد» أبـداً تُـشـد
و «سـقـراط» أشـاد بـه و «روسـو» ذرىً تـعـلـو الـزمـان وتُـسـتـجـد

لـقـد بـعـثـتـك مـشـكـلـة «أثـيـنـا» وحـلاً «أورشـلـيـم» جـلـتـك بـعـد
و «مـكـة» رجـعـتـك صـدى عـمـيـقـاً و «لـنـدن» أنـت فـيـهـا الآن قـصـد
فـكـنـت، ولا تـزالـيـن، الـمـسـمـى تـحـيـر دونـه أمـل ووعـد
وكـانـت دعـوة الـداعـيـن قِـدمـاً إلـيـك مـثـار تـفـكـيـر يُـصـد

فجاءت سطوة الباغْي عتواً　　وقد أكدى إليك، خطىً تمد

خطىً سيل الدماء أقام منها　　صوى تهدي إليك وتُستمد

بها مهج الشباب انفن صرحاً　　لعرشك كله شرف ومجد

ومدت حولها الآماق شكرى　　من الأرواح سوراً لا يهد

فحظ المبتنيك دم ودمع　　نصيبك منهما عز وسعد

حمتك من الأذى أمم شداد　　حماها أن تهون هوىً أشد

فيا حلم الفلاسفة المفدى　　ومسعى الطامحين له استعدوا

اطلي بالسلام على قلوب　　إليه، وقد براها الشوق، تعدو

وبالحب استفاض هوىً وعدلاً　　تساوى فيهما شعب وفرد

وبالحرية المثلى مناراً　　بناه بالدم الحر الفرند

وبالأممية العظمى مثالاً　　إلى فجر الإخاء أطل يشدو

وبالخلد المتاح لو أن كوناً　　أتيح له على الأيام خلد

هي الأزمان ما زالت ضروباً　　تعاور سيرَها جزر ومد

اطلي فالمدى البادي مليحاً　　ليومك بات أياماً تُعد

لقد أخذ الضباب يذوب روقاً　　فروقاً والغد الذهبي يبدو!

اَمْطِري

يا دموع السماء أرسلها اللّه إلى الناس رحمة وعزاء
وحياة يفيض منها الثرى الغض حياة وفرحة ورخاء
فيك معنى الآمال ترقص في النفس سروراً وفتنة ورجاء
وانطلاقاً يمتد فيها كما امتد سنى الفجر رائعاً وضّاء
للهوى للجمال زان ربيعاً، في ربيع من الوجود تراءى
الغيوم التي تُقلكِ وطفا ء تهادت في أفقها ميساء
كالقلوب التي استفاض بها الحب فأفضت بحبها حين شاء
كالعيون التي تحير فيها الحس دمعاً همى، فكان شفاء

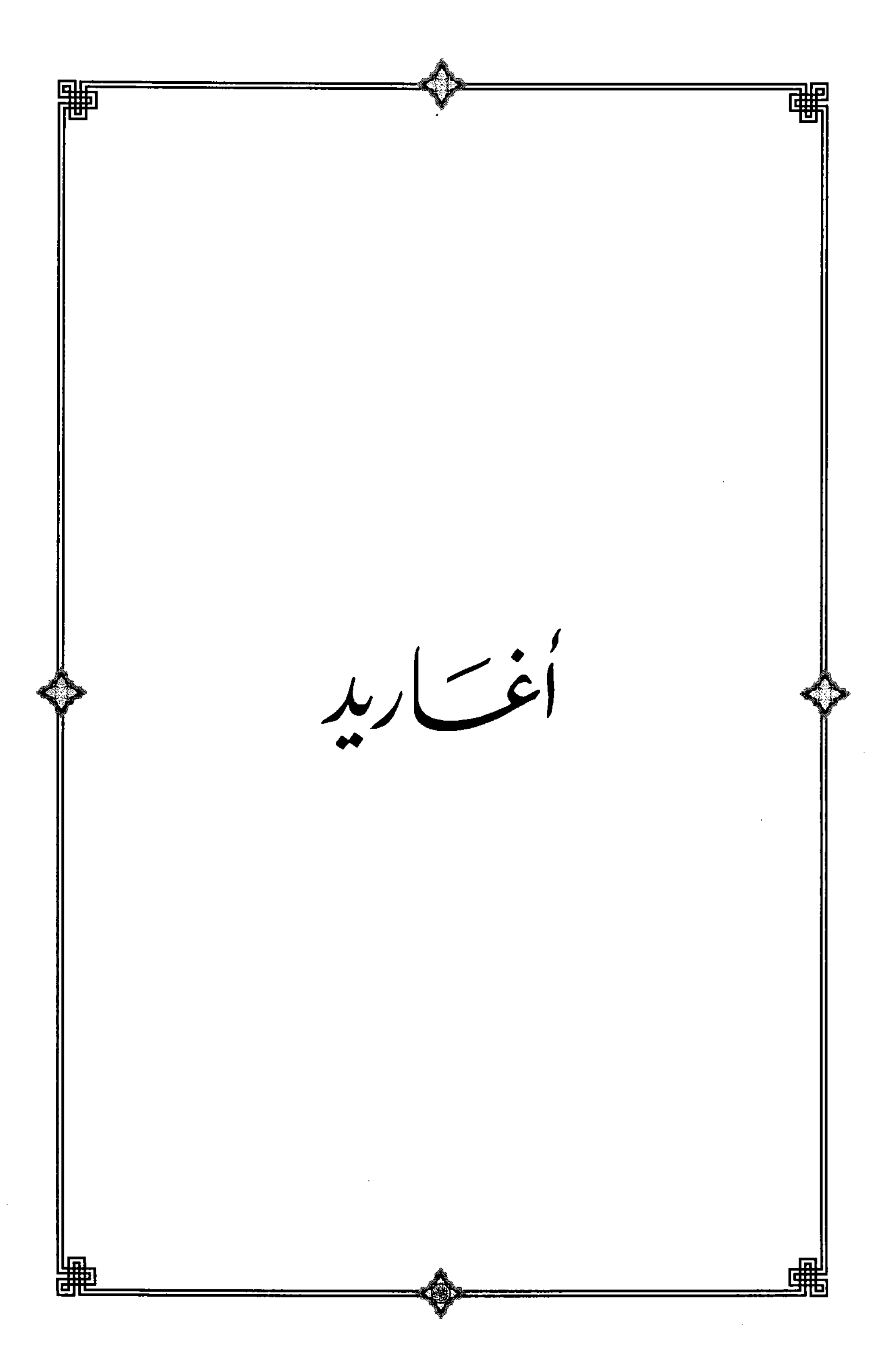
والرعود التي تقهقه في سمعك نشوى تبين عنك ازدهاء
كالأهازيج تستبد بها الفرحة دوّت تزداد منها امتلاء
كالأمانيّ عربدت في هوى القلب وذابت في نفسه إصغاء

والبروق التي ألاحت بمرآك حيارى تشف عنك بها

كابتسام العذراء همّ بها الشوق فأغضت ترتد عنه حياء
كالتماع الحظوظ جاد بها الدهر لعانٍ يهتز منها ارتواء

امطري امطري يباركك اللّه حياة والزارعون اشتهاء
والمحبون فتنةً والأناسي جمالاً والشاعرون سناء
والعصافيرُ نغمة والأزاهير بهاءً والناميات نماء
والسوام العجماء ريا وما دب ارتزاقاً والسارحون رواء
كل من في الوجود فجره الحسن ومرآك هاطلاً دعاء





أغاريد



أملي

أملي في الحياة أنت، ومن أنت؟ سوى عمري القديم جديداً تُرجاه مأملاً، وأناغيه حبيباً، وأصطفيه وليدا فإليك المنى الفتية في الحب على حبك الفتي شهودا وتقلد من شعري اليوم في الحب، وقد بزّه هواك عقودا.



الحـــب

موجهة إلى الأستاذ الشاعر علي حسن غسال، جواباً على قصيدته الموجهة إلينا استفساراً عن الحب.

أيـهـا الـصـائـغ الـشـعـور عـن الـحـب سـؤالاً يـجـلـو الـنـفـوس سـنـاه
فـي قـصـيـد كـأنـه نـبـتـة الـورد ة دلـت فـي الـروض عـن مـجـنـاه
مـا تـرانـي بـعـد الـذي قـلـت فـي الـحـب مـحـبـاً أقـول عـن مـعـنـاه؟
والـفـؤاد الـخـفـاق أصـبـح لا يـهـمـس إلا لـلـدهـر عـمـا جـنـاه
فـي ظـلام ووحـدة وسـكـون وانـزواء يـطـول فـيـه عـنـاه
بـيـن دنـيـا مـن الـحـقـائـق مـرت كـالـحـاتِ تـعـافـهـا عـيـنـاه
الـمـعـانـي فـي كـونـهـا مـثـلات يـصـطـفـيـهـا مـن كـان فـيـهـا فـنـاه
والأمـانـي مـا بـيـنـهـا لـمـحـات يـرتـجـيـهـا مـن طـال فـيـهـا مـنـاه
والـصـفـات الـمـثـلـى مـيـاسـم هـزء يـجـتـلـيـهـا مـن قـل فـيـهـا غـنـاه
والـهـوى والـجـمـال والـمـثـل الـسـامـق فـيـهـا مـن كـونـهـا أدنـاه
هـي دنـيـا مـرادهـا الـمـال لا غـيـر ولـلـجـاه بـعـده مـا اقـتـنـاه

أي دنيا هـذي التي تـهـزم الـقـلـب بدعوى العيش البغيض السخيف
الـخـلـي الـحـيـاة إلا مـن الـصـوت تـلاشـى بـيـن الأسـى والـرغـيـف

حيث ترديه في قرار من البيد سحيق في همه ملفوف
جاثماً كالصدى توحد كالكهل تعاي رهن الردى والحتوف
بعد أن كان والحياة لديه روضة حلوة الرؤى والطيوف
بلبلاً راقصاً بها يتغنى في ربيع لا ينتهي لخريف
أو وليداً يهيم في فرحة العمر وفي فتنة الشباب المطيف
الهوى كونه العظيم بما فيه حياة مليئة بالطريف
والأماني من حظه تتلاقى بين وانٍ في خطوه وخفيف
والمعاني في روحه تتقلى بين نارٍ وجنةٍ وقطوف
هكذا كان مثلما هو قد عاد إلى أن يعود حر الوجيف

فإذا شاء أن يحدثك الآن عن الحب قاله: معقولا
وحديث القلوب هيهات نرضى عنه من منطق العقول بديلا
رغم ما تكشف العقول وتغزو بأفانين علمها المجهولا
فلقد نكسب الحقائق علماً عبقرياً يزيدنا تكميلا
ويزيد الحياة نوراً وهدياً والأناسي قوة ومثولا
بيد أنّا فيما يجيش به الطبع أسارى للطبع فينا أصيلا
نستطيب الوهم المحبب معنى مستسراً ونكره التحليلا
مطمئنين للمعاني اللواتي أثّل العمر فرعها والأصولا
سنّة الخالق الأحاسيس في النفس شعوراً يستبشع التعليلا
فالمعاني في الروح دنيا بها الروح ترى العلم في الحقائق غولا
والهوى والخيال والدين والشعر وما شاء كونها المأهولا

هكذا نحن في الحياة بدأنا ... وإليها سننتهي ونعود
كرة، كرة، وجيلاً فجيلاً ... فالطريف الطريف منا تليد
فكثير ممن نعدّ وليداً ... هم لدى الواقع الصحيح جدود
ليس يفنى النوع المسلسل منا ... أو يقينا من الفناء الخلود
طالما الحب في الحياة حياة ... لبنيها، وزادهم والوقود
فهو للروح والقلوب غذاء ... وهو للنفس والجسوم وجود
هو في غمرة الخيال خيال ... ذهبي الألوان حيث يقود
مستسر التعبير، منقطع الصيحة ... إلا فيما يحس العميد
وهو في ثورة الدماء نداء ... حَرَكِيّ، في صوته، عربيد
مستقيم في شأوه لمداه ... وسواء قريبه والبعيد
فسل العاشق المغرد بالأمس ... إلى أين قاده التغريد؟

إنما الحب ما عرفت، وما كان من الكون سره وبقاؤه
وربيع الحياة والأمل المشرق فيها على النفوس بهاؤه
هو أغرودة الشباب لديها ... وهو في هجعة المشيب عزاؤه
هو للفن مبعث الفن وحياً ... عبقرياً تعددت آلاؤه
وهو للروح فرحة القلب بالقلب هوى فجر القلوبَ غناؤه
وهو للنفس دعوة الجسم للجسم صدى زلزل الجسوم نداؤه
فهو في كل ما يحس، ومن ينبض، بعث تنوعت أسماؤه

فترصد دنياه تنطق بالفتنة شعراً يسمو بها لألاؤه
في عبير الأزهار، في نغمة الطير، وفي السرب حرة أهواؤه

في ركام السحاب، في صفقة الريح، وفي الودق ثرة أنواؤه
في حنايا الصخور، في كنف الشط، وفي البحر فذة أحياؤه
في اعتناق الألحاظ، في خفقة القلب، وفي الصدر يستشيط ضراما
في اشتباك الأكف، في حيرة الصمت، وفي ومضة الثغور ابتساما
في التقاء الشفاه، في ضمة الصدر، وفي لمعة العيون غراما
في اهتزاز النفوس ألهبها الروح، وألغى من كونها الأجساما
في انطواء الأجسام، ترتشف الحس شعوراً وكنهه أجراما
في جنون الأهواء هوجاء لا تقبل وضعاً، ولا تطيق نظاما
في انبثاق الحياة ترجع بالكهل شباباً، وبالشباب غلاماً
إنه الحب كيفما كان في الأحياء حساً، وفي الجمال قواما
هو في الكون دعوة الحي للحي تساوى طبعه أو تسامى
إنه ثورة الحياة، وقفزات بنيها ضناً بها وهياما
والشباب الشباب لا يعرف الأين، خلواً، أو هجعة أو سلاما!

ما كنت أحسب

ما كنت احسب، يا حبيبي، أن قلبك صار صلدا
أو أن لي بيني وبينك في حياة الحب حدا
أو أن أيام الهوى الغالي تعد لديه عدا
أو أن شخصك غير شخصي في الهوى قرباً وبعدا
حسبي! فقد ألهمت أن لنا بدنيا الحب خلدا..
ما كنت أحسب أن يكون لنا غدٌ، قَبْلاً وَبْعدا
من بعد أن عشنا كما يهوى الهوى، نعليه قصدا
نحن اللذان تساقيا كأس المنى مثنى وفردا
من حلّقا في جوه السحري أحلاماً وعهدا
من في الهوى ضرب الهوى بهما المثال وما تعدى

ما كنت أحسب أن أعود بوكرنا المحبوب وَحْدا
أو أن أظل فلا أراك بجانبي، فأذوب وجدا
أو أن يقال تراه أين؟ فأنثني، وأحار جدا
إذ لا يطاوعني الهوى، فأقول مَرّ، أريد صدا
وأسير أرقب من يسير، ومن يمر، ومن تبدى

ما كنت أحسب أن سأقضي الليل أفكاراً وسهدا
أو أن أنام وأنت في نومي معي، جسماً وبردا
فأفيق تفجعني الحقيقة في هواك، نوى وفقدا
فأعود استجدي المنام طيوفه، والنوم أجدى
وأبيت استعدي عليك رؤى الخيال، وأنت أعدى

ما كنت أحسب أن سأحسب ما حسبت، وما استجدا
حتى إذا فوجئت بالهجران منك قلى وصدا
أمسيت لا أدري أهزلاً ما جرى أم كان جِدّا
وبقيت للذكرى، وما فكرت في الذكرى، مردا
أيام كنت أرى الحياة هوى وميعاداً، ووعدا!

غيــره

وَيْ! كأن الدنيا الفضاء حواليّ، على رحبها سراديب افعى
وكأني في دجية الأمل القاتل أعمى إلى جهنم يسعى
وعزيز عليّ أن أظهر الضعف، وحسبي بكبريائي درعا
وأنا ذلك السقيم، وحمّاه، شواظ بين الجوانح ترعى
وفؤادي تنتاشه في فم الغيرة، حيّاتها الشديدة مزعا
وكأن الشواظ يبعثه القلب، جحيم أفنى الحشاشة لذعا
ما اصطباري بنافع، فاحتمالي غير مجدٍ في سَوْرة الوجد نفعا
والمرائي تحيطني من حبيبي بمراءٍ تزاحم الفرد جمعا
فهنا وجهه تبسم للغير، وقد زاده التودد لمعا
وهنا خده تورد من فرط حياه، فكان للثم ادعى
وهنا خصره، وبين الذراعين، تثنى ميلاً، وأقبل طوعا
وهناك الحديث شققه الغير يلاقي ممن يدلل سمعا
والأصيل الطروب يمرح في البحر بأضوائه مع الموج تسعى
وهناك الحبيب يرتفق العشب، وغيري يرتاد من فيه نبعا
وسنى البدر بين تلك الروابي غار من طلعة الحبيب فشعا
وهنا يستجير من وقدة الحر حبيبي فينزع الثوب نزعا!

ناظراً من لديه كيف يرى النور جمالاً مجسداً، كان بدعا!

والليالي تضم في كبد الليل فنوناً، تجل في النفس وقعا

لا، فهيهات أن أطيق المرائي تتمادى ولست أستطيع دفعا

تعست حالة المحب تقلى في لظى الغيرة القديرة صنعا

والحبيب اللاهي يعيد ويبدي في حياة طابت لغيريَ مرعى

رب إن كنت قد جعلت لي الغيرة طبعاً، لا تجعل الحب طبعاً..

وصـــال

أعد الحديث، أيا حبيبي، كلما ... تم الحديث، فسحره بلغ التمام

واهدِ الفؤاد إلى السعادة إنما ... أنت الرسول إلى الفؤاد من الأنام

واعزف له لحن الهوى يرقص على ... نغماته، قد بات يطربه الغرام

لا تحرمنَّ جمال شخصك ناظري ... آبداً جمالك هادي سبل السلام

إن الجمال رياضة روحية ... وعبادة باللحظ قدسها الهيام

هل في التمتع بالجمال لمغرم ... طهرت سريرته، فديتك، من أثام؟

أم في تبادلنا العواطف والهوى ... ما دام ذاك بعفة أمر يلام؟

للّه ما أحلاك إذ خفق الفؤا ... د، فجئت تخطر مائساً لدن القوام

وحبوتني وصلاً نعمت به على ... رغم الرقيب، فلا عذول ولا ملام

أحلى الوصال وصال من لم يغرهم ... شره الوصال إلى التهتك والحرام

فبمن كساك من الملاحة ما كسا ... ك، وما حباك على الدوام

اسعد بقربك مهجة ظلت مدى ... هدفاً لأشجان يضخمها السقام

واغفر مجاهرتي بحبك إنما ... أنا في هواك، وبالمحاسن مستهام

نجـــوى

يا منتهى الأمل المحبوب هل علمت عيناك، أنيَ طول الليل سهران؟
وهل دريت بما في القلب من حرق كأنها في صميم القلب نيران؟
أما عرفت ونفسي اليوم موجعة بأنني من ضناها اليوم حيران؟
وهل تحس بما ينتابها أبداً من الهموم، وهمّ النفس ألوان؟
أجل! فأنت الذي تدري بخافيتي سيّان في ذاك أفراح وأشجان
فأنت أنت لقلبي سر خفقته وأنت أنت لعين النفس إنسان
فيا رجاء فؤادي لا تظن سدى إني أحاول وصفاً فيه بهتان
إني أحس كأني ريشة لعبت بها الرياح وجو الأفق غضبان
أو إنني موجة حيرى تدافعها أمواج بحر وما للبحر شطآن
أو أنني الطفل في أرجوحة غبرت سدى تميل به والطفل غفلان
إني وحقك حيران ولا أحد يدري بذاك فما في الناس إحسان
كم قد تدلهت والسلوى منوعة فعدت والقلب، مما كان، حسران
يريد قلبيَ ما لا تستريح له نفسي، وللقلب والأهواء سلطان
ويصرخ القلب حيناً ساخطاً حنقاً فبطبيه خيال فيك فتان
وبين هذين لا زالت تصارعني عواطفي الكثر، والإنسان إنسان

حـرمــان

عـودتـنـي الـدلال، مـن طـول مـا ألـقـاه مـنـهـا، حـتـى عـشـقـت الـدلالا
وأرتـنـي الـمـلال، ضـربـاً مـن الـفـتـنـة، حـتـى أحـبـبـت هـذا الـمـلالا
صـورة كـنـتـهـا، فـكـانـت حـيـاة، وربـيـعـاً، وجـنّـة، وظـلالا
أنـا مـنـهـا، فـي مـوقـف الـعـابـد الـخـاشـع، يـفـنـى عـبـادة وجـلالا
كـالـصـديّ الـولـهـان، قـام عـلـى الـمـنـهـل، يـرجـو، ولا يـطـيـق نـوالا
مـسـتـديـم الـخـفـوق، مـحـتـرق الـقـلـب، تـفـانـى فـي حـبـه وتـعـالـى
سـرمـدي الـشـكـوى، مـتـى احـتـضـن الـلـيـل فـؤادي الـمـذاب فـيـه وطـالا
مـا تـراءى خـيـالـك الـعـابـر الـبـاسـم فـيـه، إلا وهـمـت ضـلالا
أتـشـهّـاك مـطـلـبـاً، وأنـاديـك حـبـيـبـاً، واجـتـلـيـك خـيـالا
عـابـراً فـي الـدجـى مـنـافـذ روح، مـدهـا الـحـب لـلـقـلـوب اتـصـالا

يـا حـبـيـبـي، وقـد خُـلـقـت، كـمـا شـئـت، كـمـا شـاءك الـجـمـال، مـثـالا
لا تـذدنـي عـن جـوك الـنـافـح الـسـحـر، فـروحـي تـذوب فـيـه اشـتـعـالا
أنـت مـنـي فـيـمـا تـحـس بـه روحـيَ، روح هـي الـحـيـاة جـمـالا
وبـقـلـبـي فـيـمـا تـراك بـه عـيـنـي، حـبـيـب أسـمـو بـه إجـلالا
أتـحـاشـاك، والـنـواظـر تـرعـاك، حـريـاً ألا أطـيـق احـتـمـالا

وأناجيك صورة، لم تك النجوى لديها، إلا الشكاة، مقالا
فعياذي من السلوّ، ومأتاه غرامي الذي سما، واستطالا
وارتضائي الحرمان يذكي جوى النفس وينفي عن جوهري الأدغالا

بـدران

بـدران، بـدر سـمـاء الأفـق مـطـلـعـه
وآخـر فـي صـمـيـم الـقـلـب سـكـنـاه
هـمـا اسـتـحـلا سـهـادي، واحـد قـلـق
يـغـري الـسـمـيـر، وثـانٍ عـزّ مـرآه

مساجلة

كان الشاعران أحمد غزاوي والسيد عبيد مدني في جلسة بأحد ركبان مدينة «الطائف» ومعهما زمرة من الأخوان وذلك في عام ١٣٥٦ هجرية، وقد تساجلا بالأبيات المسطورة. وحين اختلفا حكما بينهما سعادة الشيخ محمد سرور الصبان الذي وكل إلى الشاعر أن يحكم بينهما. وفيما يلي تسجيل هذه المساجلة والحكم عليها:

أحمد: إذا لم يكن بين المروج عشية
جميل، فسيان المصيف أو القفر

عبيد: فما قيمة المصطاف إن لم تكن
به مسارح غزلان يضوع بها الزهر

أحمد: ورُبّ مَكانٍ تزدري العين شكله
ولكنه بالأنس يغفو به الدهر

عبيد: وهل نضرة الأدْغال يشفي نُوارها
غليلاً إذا لم يضفها الظبي والبدر؟

أحمد: تملك قلبي حول «وَجٍّ» شعوره
غداة اعتراه الوجد والصد والهجر

عبيد: فأملت عليّ الحب نظرة ساحر
فاض بما أوحته نظرته الشعر
أحمد: تراءى كخوط البان يهتز عطفه
دلالاً، ويحمي حسنه النظر الشزر
عبيد: وحسبك منه إن ظفرت بوصله
معانٍ من النجوى، ومن دونها الخمر
أحمد: تلفت استذري القنا من جفونه
وهيهات أن أنجو ومن دأبها الأسر
عبيد: وقد صدفتني عن نطاق وروده
مهابة إجلال تضمنها الطهر
أحمد: فلولا اتقائي أن يغادرني الهوى
ذليلاً لأعياني على بطشه الحذر
عبيد: وهل في الهوى غير المذلة عزة
ففيها العلا والفخر والعز والكبر.
أحمد: إذا لم يكن في الحب إلا غضاضة
فما هو إلا الإفك والزور والوزر!
الحكم: ولكن رأي القلب في الحب حاكم
وليس لنا من دون طاعته أمر
على أننا لم ننس عزة أنفس
تسامى بها الوجد المبرح والكبر
فإن هزّنا من لاعج الشوق وجده
دعانا الإباء الحر فاحتكم الصبر
وإن رق في عين الظباء حنانها

وهبنا لها روحاً يزلزلها السحر
فكنا كأطيار الربيع صبابة
متى طابَ جني الورد طاب لها السكر
وطرنا بأجواء الدلال شوادياً
تباعدنا المنأى، ويدنو بنا الحذر
هوينا فأرضينا الهوى متبادلاً
وعشنا كما تهوى اللذاذة والطهر

دنيا الحب

علمتنا عيناك، في لفتة السحر، أفانين في الهوى ذات معنى
صائغات من حبة القلب للعاشق دنيا تفيض فناً وحسنا
أي دنيا هذي التي تملأ النفس حياة جديدة للمعنّى
والتي عند بابها وقف العقل جهولاً بأمرها، يتظنى
الهوى ثائراً أطاف عليها والمنى الحائرات تطلب أمنا
أهي دنياك يا حبيبي، دنيا الحب، هذي التي لها نتمنى؟
أم تراها تكون في لغة الفتنة حلماً قد لذ للروح منا؟
أو حياة خلدية الجوهر القدسيّ طافت بنا فكنت وكنا؟
أم هي الأمنيات تسبح في النفس شعوراً، ببعضه يتهنى؟
ساحرات لم تمزج القلب بالقلب سواء، إلا لتخلق فنا
ملهمات ما لابس الروح لحن، من ضياها، إلا لتكمل لحنا
أنا منها في حيرة تسلب العقل، سعيد بشأنها حين أعنى
جاهل عالم طروب، إذا شئت، ذبيح، فيما به يتغنى
يتغنى بما به أنت تختال عليه، بالحسن، بالحسن ضنا
يا حبيبي باللّه دعني بدنيا الحب، مهما قاسيت، في الحب أهنا
لا عليك الزمان مني فإني في هنائي، في شقوتي، فيك أفنى

رضـــاء

نهاني النهى عن حبه فعصيته وقد راق لي أن كنت بالحب عابثا
سعيداً بأحلام الهوى وطيوفه وفرحته الكبرى، بقلب تأرّثا
وكنت أظن الحب بالقلب عابراً كأحلامه، لا راسخاً فيه ماكثا
فلما تلظى في الضلوع سعيره وطال بقلبي مكثه، وتشبثا
رضيت على كره، وعشت على منى وباركت هذا العابر المتشبثا
يمين الهوى، هاتي يمينك واصعدي بروحيَ عرشاً للغرام مؤثثا
زهته لنا الدنيا ربيعاً مصوراً من الحب محبوباً، على الحب باعثا
يفيء إلى إظلاله كلّ عاشق سعيد، شدا بالوجد، أو هام لاهثا

إليك حبيبي من حياتي زمامها فَقُدْها فقد طابت بقربك ملبثا
بعينيك، قد باتت ترى الكون كله وكون الهوى ما بين عينيك قد جثا
والقى إلى كفيك أرواح أهله وإن كنت بالأرواح في الكون عابثا

أما وقلوب العاشقين، وحبهم لأنت مُنى قلبي، وما كنت حانثا
دعاني إليك الحسن والفن والهوى فلبّاك قلب عنك قد كان باحثا
هويتك حتى لا مكان لطامع بقلب صبا للحب، للسحر نافثا

اعتـــراف

على شاطئ النيل قابلتها ... تميس وتخطو كأمواجه
فسارقتها اللحظ مغرى بها ... يؤوب ويسمو لمعراجه
إلى وجهها الفاتن الباسم ... إلى قدها الراجف الهائم

مشتْ ومشيتُ على إثرها ... خُطىً بخطىً، والهوى إثرنا
تدافعه لعبة حلوة ... ويجذبني وِتره وتْرُنا
إلى قلبها الساذج الحالم ... على كونها العامر الناعم

تسارقني اللحظَ أطرافُها ... عيوناً رنت فُزّعاً خلفها
واتبعها الطرف إذ ينتهي ... مداه إليها وقد حفها
إلى حيث كانت مع السائم ... إلى حيث حامت مع الحائم

ولم أدرِ كيف بنا ينتهي ... مطاف المنى، ما له مُنتهى
ولا كيف يختم تسياره ... وتفتح أبوابه للسها
إلى شخصها السائر الدائم ... إليّ، إلى ظلها الهائم
وحسبيَ أني أراها ولا ... تراني وألمس تحنانها
فإن الخيال لنا متعة ... براه لنا من برى حسنها

سماء جمال ودنيا منى تتيه بها حيث تهت أنا
وتمضي فأمضي ومن دوننا حديث الهوى قائم بيننا
يوثق قلباً دعاه الظما لقلبِ ترقرق حتى همى

لقد سجدت للنجوم السما وقبلت الشمسُ عَبادَها
وهش الغدير إلى البلبل وفتّحت الروض أورادها
وفاءت إلى الوكر أطياره وعانقت الطير صيادها

صحت في الصباح كأزهاره يبللها من دموعي الندى
وقالت جنيت وما لي يد فقلت إذاً فاقطعي لي اليدا
لقد لعب الحب ألعابه بقلبي وقلبك منذ ابتدا
فما لي وما لك ذنب به دعينا نسايره حتى المدى!

براءة

مهلاً! فإن هواك زال من الفؤاد   وقد استحال ضرامه الذاكي رماد
وغدا بكهف النفس ذكرى لحظة   لا يستقيم بها لدى النفس المراد

يا فاتني قِدْماً، ومن جمح المنى   بخياله الواني، غروراً واعتياد
ومن ابتغى فن الدلال وليس في   فن الدلال المستعار سوى جماد
ومن امترى في الحب تذكيه الطبيعة، وحدها، لا ما يظن وما يراد

يا أيها العقل المجدد في الهوى   طرق الهوى، حتى أضل بها الرشاد
ومن ارتضى طبع الفتور إثارة   للحب يرجو منه في القلب اتقاد
ومن اغتدى يفتنّ في كنز الولا   ء، بما يؤول به إلى شر الكساد
ومن استقام، فلا عرام، ولا حيا   ة، سوى البرودة لا تطاق ولا كياد
ومن اشتهى سمت الوقار ترفعاً   عنا، فكان له بذلك ما أراد

إني سلوتك، والسلو براءتي   ممن شقيت به، كما شقي الفؤاد
فأفقت من كابوس حبك بالسلا   مة، من هواك ودونها خرط القتاد
وفرحت بالدنيا يضيء بها الغرا   م، وكنت أسبح من غرامك في سواد
وكرعت من حبي الجديد، وما يفيض به الهوى حلو المنى، حلو الوداد

فنعمت بالأيام تزخر بالحلاوة في اللقاء، وفي الوصال، وفي الرقاد
فاليوم لا قلب يضيق، ولا أسى يطغى به الوجد العتيق ولا سهاد

فاقصد بفنك في الهوى من لم يذق فيه التجارب منك ليس لها نفاد
وافجع بحبك عاشقاً غير الذي فجعته فيه وفيك أهوال شداد
واصدع بصدك مهجة غير التي كانت تطيل مداه إيثار العناد
واجعل لتيهك في غرورك غاية أولا! فإنك هزأة بين العباد
أما أنا فلقد لقيت من التجا رب في هواك كفاية لن تستعاد
أيام كنت بعين قلبي كالملا ك وحولك الأحلام تنسج أو تشاد
أيام كانت في حديثك نغمة محبوبة، يحلو لسمعي أن تعاد
وبلحظك الفتّان رنوة ناعس حفلت لواحظه بكل منى تراد
وبثغرك الرفاف بسمة فاتن نور الحياة يشع منها في الفؤاد
وبجوك السحري نفاح الشذا دنيا أهيم بكونها في كل ناد

أيام كنت ولا أعدد كيف كنت، فقد رجعت كما أريد، ولا افتقاد
فاليوم أنت، وإن بدوت مهذباً، فرد كأي الناس عدت فلا ازدياد
لا مثلما شاء الهوى الخاوي من الطبع الطليق بأن تكون كما اراد
أو مثلما شاء الحجى الساجي الخليّ من التوثب، أن تكون، وأن تقاد
فانعم بذكراك القديمة قد نفضت غبارها عني فليس لها معاد
ولقد حمدت من الجفا اسبابه لا تنتهي، وشكرت أيام البعاد
فسلوت والسلوى لمثلي رحمة من حب مثلك لن يعود ولن يعاد

يا أيها الفرد استحال بعين فكري دودة تسعى فينتشر القُعاد

ويل الهوى في حب مثلك نكبة خرساء يستوحي بها القلب الجماد

إن الهوى في القلب يعصف بالحجى لهو الهوى دنيا المنى دنيا الجهاد

يا أيها الذكرى العتيقة، قد كنست رمادها عني إلى يوم التناد

وبرئت من دائي الرثيث وإنها لبراءة القلب المطهر من فساد

استسلام

دللتك الدنيا فملت بدنياك، دلالاً، طوع الهوى المستباح
ناعماً بالحياة، بالحسن، بالفن، بدنيا القلوب والأرواح
وأنا دائم الفجيعة، محروم الأماني، حتى القليل المباح
بائعاً قلبي الذبيح إلى الحب تواری بين الأسى الملحاح
ومذيباً روحي الحزينة للفن وقوداً يزيد نكث جراحي
يا حبيبي، ويا ربيب الهوى الحلو، ودنيا الآمال والأفراح
إن أكن قد كتمت حبيَ بالأمس ضنيناً بعزتي وسراحي
فلقد هدني هواك وأفنى جلداً بات فيّ غير متاح
ولقد فاض ما توارى وراء الشخص أصغى لصوتك الصداح
وتبدّى لديك في كنهه العاشق أغضى نهب الهوى الفضاح

نمّ لحظي عما أكنّ من الوجد بقلبي والقلب نعسان صاحي
وتلاشت قوى احتماليَ لا تقوى على صد لحظك اللمّاح
فترامت ما بين كفيك كالطفلة روحي تفيض بالأتراح
رق منها العزم العصي، كما حطم قلبي عزيمتي وكفاحي
ورماني ضعف الهوى فتراميت مطيلاً بمسمعيك نواحي

طارحاً عزتي العتيدة، ألقي الآن، مستسلماً إليك، سلاحي

فوحق الهوى، وعينيك، والفتنة تطغى في قدك المياح
أنت أولى من ليليَ المر بالشكوى، وأحنى عليّ من إصباحي
فاذّكرْ لائباً حواليك، قد كان تلاشى في جوك النفاح
يا حياة الفؤاد، يا أمل الروح، ويا مبعث الهوى الذباح

يا ملاك الحب

محاكاة لقصيدة: يا عروس الروض يا ذات الجناح، يا حمامة.

يا ملاك الحب، يا ذات الجمال والرشاقة
ناغني ما شئت، ما شاء الدلال والطلاقة
وارحمي قلباً شكا حر الملال واشتياقه
أطلقي في جوك السحريّ فكري والخيالْ
وأطلي من سنى الخلد بشعري بالجمال
فهما في الكون مصباحي وسكري لا محال
واعصري مِن روضك الفتّان زهراً قد تبسم
واسكبي من روحك العامر نوراً قد تجسم
واملئي لي منهما كأساً صغيراً كم تألم
ذكريني هدأة الليل الرقيقة في جوارك
وأريني روعة الفجر الأنيقة من حوارك
أشعلي في سبحة الروح الطليقة كل نارك
داعبي خصلاتك السود أمامي بيمينك
واستثيري كل وجدي وهيامي بجفونك
واعزفي لحن اشتياقي وغرامي في حنينك

وإذا فاض هوى القلب الذبيح   واستراحْ

فانقري الأوتار باللّه، وبوحي   بالنواح

وامسحي في ريشتيها ما بروحي   من جراح

صوري مبلغ إشفاقي وعجبي   بالحنانْ

وارسمي صورة أحلامي وحبي   في الكمان

ودعي العود يمثّلْ لك قلبي   كل آن

أرسليها آهة في الصدر حنّتْ   للغناء

واسمعي صرخة روحي كيف رنّت   بالفضاء

وارقبي زفرة قلبي حين أنّت   في الخفاء

واسقنيها خمرة في العين جالت   في لماكِ

وألمحي البدر مطلاً حين مالت   شفتاك

وانظري الوردة غيْرى قد تعالت   كي تراك

وانظريني في يديك الآن معنى   ليس شيئا

غير روح مستهام، ما تمنى   أن يجيئا

فإذا ما غبتِ، لا قُدّرَ، عنا   لن يفيئا

فأشعلي آفاق روحي، فالهناء   ملء ثغرك

واحرقي أعراق قلبي، فالصفاء   بعض سحرك

ودعيني الآن أفنى في الضياء   طوع أمرك

ثــــورة

مهداة إلى الأستاذ السيد علي عامر تصويراً لواقع متماثل في حينه.

مثل قلبي هيهات يخفق قلب ... أو كحبي هيهات يصدق حب
لا ازدهاءً أقولها عند نفسي ... أو رياءً يقولها ليَ صحب
فسل الحاشدات من صور الأمس، فنوناً ليست عن القلب تنبو
كيف عاشت في حبة القلب خضراء، ورفّت كأنها الآن عشب؟
ذكر تملأ الجوانح تترى ... ما محاها بعد، إذا جد قرب
وانشد الحادثات خفّ لها الحس طروباً، مهما تفاقم خطْب
كيف نالت منه، وقد هب لا يلويه عن شأوه لشأوك صوب
شأنه في الأسى كشأنك فيه ... أو هو الحامل الأسى لا يُجبّ
ومجاليك في السعادة مجلا ... ه، وإن هذه بدنياه كرب
هكذا، هكذا حياتيَ من قبل، ومن بعد، في حياتك نهب
أمل ظامئ وروح تقلّى ... يتحاماهما من الوِرد عذب
وهوى يفتدي هواك بما عز، بذات تذوب فيك وتخبو
وسجايا كالفجر، كالأمل المشرق، من فجره الهنيء يعب
ومنى لا تحد، حسبك منها ... أنك المصطفى لديها وحسب
صور تخجل الوفاء تجارت ... كعذارى أمام أشمط يحبو!

يا حبيبي الذي اصطفاه على العمر حبيباً قلبٌ بجنبيَ صب
مِنَن الحب لا يمن بها الصب، وفي رأسه المدوّم لب
إنها ثورة الشعور تأذاه، وأضواه من شعورك سلب
فاحتملها فقد جلاها لك اليوم على سُنّة الصراحة عتب

يا حبيبي، يا صاحبي، كيفما اخترت مُسَمّىً ما دمت معنى يحب
كن كما شئت، إنني أنا من كان كما شاء بين جنبيّ قلب
أنت إن تخنق الهوى بتقاليد هواها مدح يُقال وعيب
والتقاليد كالقماقم للناس سجون وللعواطف جب
بأفانين ملؤها التدلل لا الدل، وتيارها المذمجر عجب
فأنا الواهب المعانيَ للناس، معاني الإنسان للنفس رب
وأنا السافر الطبائع والفكرة حرباً على الجمود تُشَب
وأنا الضاقل الحقائق للناس، زوتها عن أعين الناس حجب

أنا من كانت الحياة لديه فكرة حرة تضيء وتخبو
في الهوى، في الولاء، في كون نفسي فرحة أو أسىً، تقل ويربو
في غرامي الذي قطعت به العمر شباباً، وإن علا الرأسَ شيب
في حياتي ما دمت أحيا كما شئت، طليقاً أصبو إليها وتصبو
أين طابت حريتي طاب مرعايَ فقيدي فيها هوى مستحب
ومنى تسبق الأمانيَ في النفس وُجوداً ما فيه للنفس ريب
وخيال محلّق في ذرى الفن ومن دونه الخيالات تكبو

إنما هذه الحياة لمن شاء مجال حر المسالك رحب
نضّرته دنيا الهوى فهو بالألفة سهل وبالتوحد صعب
واحتواه كون الأحاسيس ما ضم خسيساً فكل من فيه ندب
فتخيرْ دنياك بعدُ فأني لك لم إن شئتَ أو شئتَ حرب

إليـــه

يا حبيباً غائباً عن ناظري حاضراً في الفكر، في القلب الكسير

قد جعلتَ اليوم حبي جنة وقت أن أصلي به نار السعير

ومزجت اللين بالقسو كما تمزج الخمرة بالماء النمير

في كتابٍ شرق القلب به هائماً ما بين أنماط الشعور

يتنزى فالأسى يدفعه في غيابات من الحزن المرير

والمنى ترقى به جناته فاتن البسمة، نفاح العبير

وأنا كالقلب في حيرته ذائب بين سطور وسطور

يا هوى الصب ويا فتنته ومنى القلب ومعناه الأثير

حسبك الدل وحسبي حيرتي يا هوى الحائر أضناه المسير

يا نجيّي في دجى الليل إذا لج في الليل بي الشوق المثير

كم خيال ماثل صوّرته بيد الشوق فحاكاك النظير

وضمير غائب خاطبته لم يكن غيرك يا وحيَ الضمير

وأنين خافت صعّدته في الدجى فازداده الدمع الغزير

كم كتاب سطرته أنمل منك كم كانت إلى الصب تشير

هو للعاشق إذ طال النوى مؤلماً للنفس سلوى المستجير

وهو للشاعر في وحدته هيكل الوحي نظيم ونثير

ذكـــرى

يـا لـطـيـف الـدلال إن فـؤادي ذاب مـن لـوعـة الـهـوى والـبـعـاد
غبت عـنـي فـطـال بـعـدك لـيـلـي يـا حـبـيـبـي وطـال فـيـه سـهـادي
ونَـشَـدْتُ الأقـمـار عـنـك فـلـمـا لـم تُـجـبـنـي نـشـدت زهـر الـوادي

يا نـسـيـمـاً في هـدأة الـلـيـل يـسـري «مثل مسرى الأرواح في الأجساد»
خذ بِـلُـطـفٍ دقات قـلـبي الـمـعـنّى لـلـحـبـيـب الـرقـيـق حـلـو الـتـنـاد
فـهي في شـرعـة الـهـيـام شـهـودي عـنـد روحـي ومـنـيـتـي ورشـادي

واسـقـنـي الآن يـا نـديـمـيَ كـأسـاً أعـطـهـا في الـهـوى زمـام قـيـادي
فـلـقـد حـرّك الـنـسـيـم شـجـونـي واسـتـثـار الـغـرام وجـد فـؤادي
بين ذكرى الهوى وبين استماعي لـرنـيـن الأوتـار فـي الأعـواد

يا رياض الـسـرور هل قام يشدو بـيـن أكـنـافـك الـسـعـيـدة شـادي؟
هـل أعـاد الأنـسَ الـقـديـم مـعـيـدٌ بـيـن تـلـك الـربـى وتـلـك الـوهـاد؟
وشـقـيـق الـفـؤاد هـل هـو بـاقٍ بـعـدُ بـعـدي عـلـى عـهـود ودادي؟
خبريـنـي عـنـه، سـقـتـك عـيـونـي من معين يَزري بسقيا الـغـوادي
واسـألـيـه عـنـي إذا مـاس فـجـراً فـي ربـاك بـقـدّه الـمـيـاد
إنـمـا مـنـيـة الـمـحـب افـتـكـار مـن حـبـيـب وذاك مـنـه مـرادي

دلال

اقترح عليَّ الشاعر تضمين البيت الأول فكانت هذه:

«لو جاء يحلف أن الشمس ما غربت — في فيه كذبه في خده الشفق»
واستنطقت وجنتيه الراحُ ناعسة — في مقلتيه وفي الألحاظ تأتلق
واستحلفت ناظريه الكاسُ سائلة — أين التي لحياتي روحها الطلق؟
فاستغفر الورد في خديه منبته — وما أطاقت كذاباً دونه الحدق
وداعبته الأماني فاستجاب لها — روحاً إلى روحها يسمو ويستبق
وراح يضحك ريان المنى مرحاً — حيران بين الهوى والسكر يصطفق
وصافح الكأس يدنيها ممازحة — للثغر يجذبها في ثغره ألق
نشوان تزدحم الألفاظ ناعمة — حيرى على شفتيه حين تنزلق
يقول: عهدٌ عليّ اليوم لا نزلت — كأسي عن الثغر حتى يأذن الفلق
ولا رجعت عن الإمعان في كذب — أمسى طريق دلالي والهوى طرق
فكلما غربت شمس مشعشعة — في فيّ اطلعها من كذبتي أفق

هذا دلال ألفناه مكايدة — يا ويل أهل الهوى في السكر لو صدقوا
نِكايةً بابنة العنقود نصنعه — ولو صدقنا لما كانت بنا تثق
فقلت: آمنت إن الراح ماكرة — والحسن أمكر منها والهوى سبق

تشطيـــر

بعد موتي عناصر الجسم تنحلّ   وتـأبـى أن تـسـتـحـيـل ركـامـا

فهي تنبثّ في ربى الروض كالطل   فـيـمـتـصـهـا الـنـبـات طـعـامـا

فـاذكـريـنـي إذا تـكـلـلـت بـالـورود، يـفـتـحْ عـن زهـره الأكـمـامـا

واسـألـيـه هـل طِـقْـتُ مـن بـعـدك الـبُـعـد، فـفـيـه هـبـاء جـسـمـي أقـامـا

وانـشـقـيـه فـإن فـيـه أريـجـاً   مـن فـؤادي أنـفـاسـه تـتـسـامـى

طاهـر الأصـل عـاد روحـاً مـزيـجـاً   عـاطـراً كـان قـبـل مـوتـي غـرامـا

القيد الحبيب

يا ربة البيت ألهتنا مفاتنه
عما عداه فكان الناس والبلدا
صوغي لنا من حياة القلب أسوِرة
وقيّدي في هواها القلب والجسدا

نحـــن

قرّبي الكأس يا حياتيَ، لم يَبْقَ لدينا من الحياة سواها
واسكبي الراح تستطير بها النشوة دنيا ما ملّها مَن حواها
وانقري العود ذاهباً بهوى النفس إلى حيث يستقر هواها
وصلينا فنحن بالوصل أحرى   من قلوبٍ صماء رهنٌ خواها
ودعينا نحن المصلّين للفتنة غرقى في جوها وجواها
نحن.. من نحن في الحياة إذا عدّ بها ضعفها وعدّت قواها؟
نحن حسّ وفكرة وأمانٍ   طال في مسبح الخيال نواها
وحنين إلى الحياة كما نحلم ذابت في قلبنا نجواها
وانحنى الواقع البغيض لديها   هازئاً بالخشوع في تقواها
ساخراً بالفنون شعراً تملّى   سانحات الحياة حين رواها
وانثنى يدفع النفوس لما تعشق ظناً بأنه أغواها
للهوى، للجمال، للفن، للراح، لداء النفوس أو لدواها
وطوانا فيما طوى من معان   وأمانٍ في قلبنا أذواها
فصلينا ما خاب من خلد الفن هواه بروحه وهواها

ما الذي فيك

أليس الحب في أول غزوته القلوب حلقة استفهام متصلة تنتهي كما تبتدئ عند شخص المحبوب؟

ما الذي فيك يا مُعِيداً إلى القلب صباه من بعد أن عاد كهلا؟
ما الذي فيك يا مُزِفاً إلى الصب حياة جديدة لن تُمَلا؟
والذي تعبس الحياة إذا غاب وتبدو بَسّامَة إن اطلا
كل ما فيك فاتن يعجز اللفظ إذا رام للذي فيك حلا
وإذا شاء أن يحدد معناك تناهى فما يكاد يُبين
في البريق الذي يُضيءُ بعينيك معانٍ كثيرةٌ لا تسمّى
ملؤها السحر والدلال وشيء لست أدري لِمغْنييه مُسمى
فهو نور يهدي القلوب إليه وظلام يصيّر العقلَ أعمى
كلما امتد من معانيه ضوء كان قلبي لذلك الضوء مرمى
فإذا قلتُ ما الذي فيك من بعد تراءى هذا الخفيّ المبين

والحديث الذي يسلسله ثغرُك هذا إذا تدفّق سحرا
أفتدري ما فيه يا أيها العابث باللفظ إن تخيّر أمرا؟
فيه لحن محبب عبقري ونداء حلو دنا واسْتَسرّا

سمعته روحي فمدت له السمعَ وأغْفتْ من بعد ذلك سكرى
فهو ماذا؟ أكانت الخمر في لحنك؟ كلا! فما رأتها العيون

ثم هذا الثغر المنسّق هل تعرف أيضاً الا شبيه إليه؟
إنه لَلحَيَاةُ تأخذ بالعين وتخفي في منتهى شفتيه
فيه ماء يجري هناك ولا ماء وحس يسري على جانبيه
لم تكن وردة الربيع إذا قيس إليها شيئاً يُقاس عليه
لا ولا صورة الثغور فهذا فيه روح وتلك فيها سكون

كل هذا يا فاتني بعض ما فيك فما فيك كان أكبر شأنا
بيد أن الشيء الخفيّ على العقل بما فيك لم يزل دون معنى
فهو روح يعصى على الفكر معناه وان لابس الفؤاد المعنّى
هو في القلب فرحة وخفوق إن تبدّيْتَ باسماً أو تمنّى
وشجون وحسرة إن تغيّبْتَ عن القلب واعتراه الأنين

فهو ماذا يكون هذا الذي تربط قلبي به إليك ضلالا؟
لا تقل إنه الجمال وما يفعل فيمن على الجمال تعالى
لا ولا تدعيه وِدًّا به الناس على غيرها تُصيب الكمالا
ليس أمر الجمال والود إلا متعة تنقضي وإلفاً تغالى
فتفنن في الظن ينكشف الأمر فيا طالما تُصيب الظنون
أتراه تفتّقَ الورد في الفجر عن الكمّ يزدري الكم سجنا؟
أم تراه تشابك الغصن في الدوح إذا الغصن فيه جاذب غصنا؟

أم تـراه تـلـفّـت الـطـيـر لـلـطـيـر إذا شـاء أن يـؤلـف لـحـنـا؟
أم تـراه يـا فـاتـنـي لـذعـة الـحـب فـلـلـحـب لـذعـة ذات مـعـنـى؟
لـذعـة تـسـكـن الـفـؤادَ فـيـهـتـاج وتـطـغـى عـلـى الـنـهـى فـيـهـون

إنـه الـحـب فـي اصـطـلاح بـنـي آدم مـن يـوم أن رأى حـواء
فـهـو سر الـوجـود في الـورد والـطـيـر وفي الـغـصـن يـسـتـظـل الـسـمـاء
وسـبـيـل الـحـيـاة لـلـقـلـب والـقـلـب إذا كـانـت الـقـلـوب ظِـمـاء
وغـذاء الأرواح إن جـاعـت الـروح وطـافـت بـه تـريـد الـغـذاء
وخـيـال الـدنـيـا إذا انـهـزم الـعـقـل لـديـهـا وقـدّسـتـه الـفـنـون

إنـه الـحـب يـا حـبـيـبـي وحـسـب الـروح مـنـه خـيـالُـه وَرُؤاهـا
هـو أُكْـذوبـةُ الـحـيـاة عـلـى الـنـاس إذا مـدّت الـحـيـاة خُـطـاهـا
وإذا زخـرف الـخـيـال حـواشـيـه ونـمّـى أطـرافـهـا وزهـاهـا
فـاسـتـحـالـت مـعـنـاه في الـفـكـر لـغـزاً لا تـنـال الأفـكـار مـنـه مـنـاهـا

فـلـتـكـن أنـت يـا حـبـيـبـيَ مـفـتـاحـاً لـذا الـلـغـز ولـيـكـن مـا يـكـون
حـسـبُ قـلـبي أن يـسـتـهـيـم بـمـا فـيـك وعـيـنـي أن تـجـتـلي مـرآه
ولـتـعـشْ أنـت يـا حـبـيـبـيَ مـصـبـاح فـؤاد ذاق الـهـوى وراه
ولـيـهـم عـقـلي الـصـغـيرُ ضـلالاً في الـديـاجـي مُـسـتـنـطـقـاً مـعـنـاه
ولـتـكـن حـيـرتي الـكـبـيـرةُ لـلـفـن وَقُـوداً هـيـهـات تـخـبـو لـظـاه
فـإذا قـلـتُ مـرةً مـا الـذي فـيـك؟ فَـانـي بـالـسـر فـيـكَ ضـنـيـنْ!

بعد الجفاء

عطفتِ على قلبي فما أمتع الهوى ... وما أمتع اللذاتِ تغمر إحساسي
وجئت إلي الآن يسترك الدجى ... عن الحاسد الواشي وعن أعين الناس
تميسين يحدوك الوفاء وخفقة ... بقلبٍ لإيمان الهوى ليس بالناسي
طويتِ الدياجي، لا عدمتك، بعدما ... طوى العتب من هجراننا كل قرطاس
فأحييت قلباً كان بالأمس هامداً ... فعاد طروباً خافقاً جد حساس
وآنست «وكراً» لا يزال محبباً ... إليك وإن طال النوى فوق مقياس

فيا هيكل الأحلام في معبد الهوى ... ويا منبع الآمال ملأى بإيناسي
ويا كوكباً في أفق عمري تألقت ... أشعته فأنجاب غيهب إبلاسي
دعي زفرات النفس تشك الجوى الذي ... أعانيه إن لم تلمسيه بأتعاسي
دعي قلبيَ الخفاق يهمسْ مصوراً ... هواه إلى قلبٍ بصدرك همّاس
فكم بات في صدري وحيداً معذباً ... يكابِد أهوال النوى ويقاسي
ضعي شفتيك الغضتين على فمي ... لِيُطفأ من برد اللمى حَرّ أنفاسي
وخلِّ ذراعينا يضمان جسمنا ... كما ضم قلبينا غرامُهما الراسي
فيا طيب ليل أنت فيه جليستي ... وكان الضنى والهم والشوق جلاسي
ويا بهجة الدنيا إذا دان للفتى ... بها القدر العاتي أو الأمل القاسي

حنانيك لا تمضي فما طول المدى إذا غبت عن عيني وعاودت وسواسي
ويا ربة الإلهام ما هز خاطري وألهب فكري في الدجى وحواسي
وعينيك لولا مأمل مُتجدّدٌ يؤازِرُه حيناً تعطفك الآسي
ولولا حقوق للشباب ومَوْطني أريد قضاها كنت ساكن أرماسي!

للحب والفن

نبّهتْ وردَ خده للهوى الحر ... أفانينُ حسنه فاستجابا
للهوى للحياة تقطر فناً ... وحياة وفتنة وشبابا
فاشتهاها من الحياة حياة ... حرة حلوة بها يتصابى
دللته فما يطيق عتاباً ... في هواها ولا يملّ عَذابا
مُرْهفاً هفا الجمال إليه ... وارتضاه مثاله المِطرابا
وتمشى سحر الغرام بلحظيه ... دلالاً يستأسر الألبابا
رقّ حتى لا تملك العين رؤيا ... ه، وقد دب في القلوب وذابا

يا مثال الجمال خلده الفن ... مثالاً بَزّ الفنون لبابا
أنا والفن واقفان على با ... بك نِدّينِ نقرع الأبوابا
في السموات من دنى الحب والوحي تسامت أفقاً لنا وقبابا
في الدياجي، في غفوة الناس، في الفجر انتهينا به إليك مآبا
بيدي مهجتي وللفن دنياه ... ه، كلانا يبغيك أنت طلابا
ويراعيك فكرة تلهم الفكر ... خيالاً فذ المنى وثابا
ويناديك يا حبيبي وكم نا ... دى وقد راعه السكون فهابا
ويناجيك خاشعاً آمل القلب ... وإن كنت لا تردّ جَوَابا

يا ربيع الحياة إن أجدب القلب وألقى بقربك الأتعابا
ناج قلبي يا فتنة القلب باللحظ تزده النجوى إليك انتسابا
واهد فنّي يا متعة الفن للحسن ففنّي كالقلب ضل اغترابا
زد هوانا وقداً نزدك ولوعاً يا حبيبي وعزة واقترابا
نتفنن في وصف حسنك لحناً عبقرياً من القلوب مُذابا
إنما أنت في أساطير عُبّادك ربّ لا يشبه الأربابا

دع قصار الأفهام عن كنه ما فيك يعدّوا ما قلت فيك ارتيابا
أو جنوحاً لا يرتضيه هدى العقل لديهم أو بدعة أو كذابا
إنما غاية العقول لديهم أن يكونوا لديك عقلاً مهابا
سُجنت دونه القلوبُ فلا صوت سوى العقل دونه نعّابا
كالصدى، كالغراب يفجؤه الروض فينأى عنه يريد اليبابا
هذه غاية العقول بدنياك أضلت فيك الهدى والصوابا!

احتيـــال
في قصة حب صادق

قد ظل يوليني الحنان مهفهف ... أَلِفَ الحنانَ فما تدلل أو هجرْ
ورأى الوصال حُبالة يصطادني ... بشباكها إن مال قلبي أو نفر
فافتنّ يلهب من شعوري ساكناً ... همد الهوى فيه فأوقظ واستعر
بالثغر يبسم، بالقوام تحدثت ... حركاته، باللحظ ينطق بالحَوَر
بالروح تشرق، بالدلال تزاحمت ... فيه المنى، بالحسن يفتن، بالخفر
وأقام لا يلهيه عني شاغل ... إن قام يستأني العواطف أو ظفر
ومضى يظلله الغرام يطل في ... قلبي ويبسم لي تناعس أو نظر
ومشى بنفسي كالنسيم يرود من ... نفسي جوانبها وما فيها استتر
فمشى الغرام يدب فيّ دبيبه ... ويشيع فرحته بنفسي واستقر
فَجننتُ فيه جنون صبّ والِهِ ... وافاه مقدور الغرام على قَدَر
ضنًّا به وبحسنه وجماله ... أن يستباح من القلوب، من النظر

فارتدّ يولي الغير فرط حنانه ... وبمهجتي من غيرتي لذعُ الشرر
ويذيقني فن العناد منوّعاً ... ويكيدني فيما أراد وما أمر
كيد الحبيب تعددت في كيده ... ألوانه حتى تمرس واشتهر

فلقيت منه وفي الهوى وطيوفه لـوّاحـةً لـم تـبـق فـيّ ولـم تـذر
وشقيت من هول النوى وسقامه وبقيت مكلوم الفؤاد على خطر
غـيـران والأشـبـاح حـولـي حُـوّمٍ أبداً تـمـثـلـه عـلـي شـتـى الـصـور
سهران في فكري تطوف بيَ الرؤى في غفوتي فتقضّ جنبي والمقر
متوحداً أجد التكتم في هوا ي هوىً يهون به القهر
ومُـنـىً تـلـذ بـهـا الـمـنـى فَـجـوَا يَ فـيـه جـوى يـجـلّ عـن الـخـبـر

حتى إذا أذن النوى، لا كان بعدُ لنا نوىً، برحيله وحلا السهر
بسم الزمان بفجر أسعد ليلة ضحكت لنا فيها الكواكب والقمر
بات الحبيب مسامري ومحادثي ومداعبي ومعانقي حتى السحر
مثلي سعدت به وبت من السعا دة في الهوى روحاً تفتح كالزهر
روحاً تضيق برحبها الدنيا، يضيق به احتمالاً، فيّ أمانيه، الوطر
يدنو بِيَ الأمل القريب محبباً ويطير بي الأمل البعيد وقد حضر
هيمان يسعدني الحبيب بما يفيض به استطال، وقد تفنن، أو قصر
فرحانَ أزجيه الحديث منوعاً وقد احتفلت به تفجر وانتشر
ووصلت منه إلى الهوى أسبابه غاياته ما جدّ منه وما غبر
وعمدت فيه إلى مصارحتي به خبراً فرق وهش يبسم للخبر
وتوردت وجناته وتكلمت رنواته وزها بِعينيَ وازدهر
فطفقت ألثمه وراح مُقَيّداً قلبي بأغلال المحبة في خفر
يا ناصباً شرك الهوى متصيداً مهجاً تحوم لديه تستوحي الغرر
أطلق شباكك في الورى كيف اشتهي فن أجدت فليس يهزمك الحذر

وإلـيـك قـصـتـك الـتـي عـودتـنـي أمـثـالـهـا مـنـظـومـة بـك تُـشـتـهـر
يـا أيـهـا الأمـل الـحـبـيـب ويـا حـبـيـبـيَ كـيـف كـنـت وكـيـف دان لـك الـقـدر
هـذا احـتـيـالٌ فـي الـغـرام عَـرفـتـه رغـم الـغـرام وأيـنَ لـي مـنـه الـمـفـر؟

هل تجيئين

هل تجيئين معي اليوم إلى ... شاطئ البحر أصيلاً نتمشّى
نرمق الشمس إذا سال الطلى ... من حواشيها ورش الأرض رشا
زاهياً ينقش كالماس على ... شفة الأفق وخد اليم نقشا
وإذا اصفرت وقد دب البلى ... في حشاها وتعرت وهي دهشى
من رداء ذاب إلا ما غلى ... وتراءى شَفَقاً حين تفشى
فهي إن كانت ستلقي في الخفاء ... حلة أخرى وترقى ثَمّ عرشا
إن رأت وجناتك الحمر الوضاء ... آثرت لو ترتدي منها الكساء
فاحذري إن جئت من كيد ذكاء ... واستري الخد بأطراف الرداء

أو بقطعات الدجى من ليل شعرك

وتعالي نرقب الموجة في ... كنف اليمّ ثوثْ بين الضلوع
هزها من شوقها الوجدُ الخفي ... فَأتت للشط تشكو في خضوع
قاسيَ الحب وناراً تختفي ... بلظاها تحت دمع ذي هموع
فإذا أنّ لها قلبي الوفي ... وتندّى الجفن منك بالدموع
وعليه خفت من عقبى الجفاء ... فضممت ذلك القلب الوجيع
فامنحي الموج وقد صار رغاء ... نظرة العطف لِيَحيا بالرجاء
ونراه يتغنى بِرَجاهُ في هناء ... ودعيني ادع للموج الهباء

مثلما قد حرك العطف بصدرك

أَوْ إلى الروض تعالي فهناك تتجلى صفحة الكون البديعة
حيث قام الطيرْ يتلو في الأراك آيةَ الحب ومعناه الرفيعة
وأطل الزهر من بين الشباك ثملاً يصغي بآذان سميعة
وغفا الجدول مفقود الحراك باسماً يغمض ألحاظاً وديعة
فانظري الوردة تلقي في حياء برقعاً حاكته أنوالُ الطبيعة
لتلبي صادحاً حلو الغناء مثلما لبّى الهوى حلو الوفاء
قلبيَ المضنى حفياً بالنداء واعزفي اللحن وساقيني الصفاء

نخب ذكرى حُبنا من جام خمرك

وإذا ما تهت عن ذكرى الجفاء في رُبى صدرك أو في ليل شعرك
فاسألي البدر المواري في الخباء كيف مرت مُرّةً ليلاتُ هجرك
فهو آسيّ جدير بالثناء فامنحيه إن أردت كل شكرك
وإذا أحببت تقدير الوفاء فامنحيه وَمْضةً من ضوء نحرك
فهو باقٍ إن أردت الاختفاء أو يزوغاً منه مُنصاعاً لأمرك
فهلمي وعلى الدنيا العفاء ها هو الموكب مجلوّ الرُواء
هيأتْهُ لتلاقينا السماء وأزيحي دُجْيةً تُدعى العياء

عن فؤادٍ ما بقي إلا لذكرك

كيف أسلوك

نصبتكَ الروح المحبة في قلبيَ عرشاً ما بين تلك وهذا
وتولاك بالرعاية والحب حنان إلى حنانك لاذا
أنت من أشرقت به النفس في ليليَ فجراً حلو المنى أخاذا
مأملاً كنتَ في فؤاديَ من قبل فاصبحت للفؤاد ملاذا
افأَسلوك يا حبيبي من بعدُ؟ لبئس السلوى لمثلي عياذا
كيف أسلوك؟ والسلوّ مماتٌ لِفؤادٍ بالحب منه استعاذا
أنت يا غاية الحياة ويا فجر حياتي أسلوك؟ كيف؟ لِماذا؟
وأنا العاشق الذي خالط الحب دماهُ ومازج الأفلاذا
والذي همّه هواك قد استدْبر وجه الدنيا به وألاذا
خلّ هذا السلوّ يفعل كما شاء فهيهات أن أريه بِذَا ذا
إن حبّك خالد في دم القلب خلود الحياة فيه التذاذا
وبفني الذي له انشعب الحب ومعناه والمنى اجذاذا
أنا من عاش للهوى الحق يعليه ويوليه قلبه النفاذا
وينقي عن جوهر الحب ما ران وينفي من ساحه الشذاذا
هذه غاية الفذاذةِ في الحب ونفس تطاوِل الأفذاذا

طفـولـة

علـمـيـنـي مـعـنـى الـغـرام فـإنـي حِـرتُ فـيـه كـمـا تـحـيـر فـنـي
وامـنـحـيـنـي مـن الـوصـال وصـالاً ذقـت فـيـه عـذب الـمـنـى والـتـمـنـي
واضـحـكـي لـلـحـيـاة تـضـحـك حـسـنـاً فـي قـوام حـلـو الـرشـاقـة لـدن
واعـجـبـي مـا أردت يـا فـرحـة الـقـلـب ويـا حـلـوة الـتـعـجـب مـنـي
فـلـقـد ردنـي غـرامـك طـفـلاً يـتـرضـى عـلـى الـغـرام ويُـثـنـي
يـتـشـهـى مـا تـشـتـهـيـن فـدنـيـا ه بـدنـيـاك تـنـطـوي وتـغـنـي
رب إيـمـاءَةٍ تُـشـيـر إلـيـه من لـحـاظـيـك فـي حـنـانـك تـغـنّـي
وابـتـسـامٍ مـن ابـتـسـامـك يـرضـي قـلـبـه الـمُـنـتَـمـي إلـيـك ويُـدنـي

فـاسـتـجـيـبـي إلـى الـحـنـان تـمـشَّـى نـاطـقـاً فـي الـمـنـى بـلـحـظـة جـفـن
وأريـنـي مـن الـدلال دلالاً بـاسـمـاً لـلـهـوى بـضـحـكـة سـنّ
ودعـي الـعـقـل حـائـراً يـتـقـلـى بـيـن ظـن الـهـوى وبـيـن الـتـظـنـي
ودعـي لـي هـذي الـطـفـولـة فـي الـحـب فـفـي هـذه الـطـفـولـة أمـنـي
وافـعـلـي بـي كـمـا أردت فـحـسـبـي أن تـكـونـي كـمـا أرادك ظـنـي
كـلّ مـا تـفـعـلـيـن حُـلـوٌ بـقـلـبـي غـيـر أن تـبـعـدي بـقـلـبـك عـنـي

الحبيب العاشق

نسائِمَ فجرِ الحب طوفي ورفرفي بقلبي ولا تخشي اللظى المتوهجا
وقيتك من نار القلوب وإن تكن إليها من الدنيا أحب وأبهجا
لها اللّه ناراً أشعل الحسن نورها سبيل هدى للعاشقين ومرتجى
ووقَدها نفح الأماني فما خبت ضراماً وإحساساً وقصداً ومنهجا
فكانت لظىً لا كاللظى جَل وقدها سنىً وسناء بالِغين بنا الرجا
لظى ذات معنى لابس الروح ضَوؤها وقد شاع ممتد الجوانب أبلجا
فكان المنى في سكرة الحس دافقاً وكان الهوى في خفقة القلب لاعجا
وكان الجوى في حرقة الوجد لاذعاً تندى الأسى في وقدة أو توهجا
وكان الهوى في ومضة الفن لامعاً رقيق الصدى بالنور والحسن لاهجا
وكان من العمر الهنيء ربيعه حياة وأحلاماً وفجراً تبلّجا

فيَا لكِ من رفرافة ينفحُ الهوى بِأعطافها عَرْفَ النفوس مؤرجا
فِدَاك حمى القلب الذكي فعطري برياك رياهُ الشذِيَ المؤججا
فلا عاق مسراك المُجَنحَ عائق وإن قصرت عن شأوه صولة الحجى
ولامس مهديك الأذى يا ابنة الهوى وقد رف في صدر الحبيب ولجلجا
حنانيك يا روْح النفوس فلم يزل مطافك إشراقاً ويومك سجسجا
ورحماك إن مدّ الغرام رواقه بمسراك في القلب الشجي وأدلجا

فليل الهوى يا فرحة القلب مارد ... عتي تناهى فيه في هوله الدجى

ويا نسمات الحب في فجر ليله ... تباركت إن أمسى وبوركتِ إن دجى
رعى اللّه من أهداك في غفلة النهى ... إلينا وأهدى قلبه منك مخرجا
فما زال كالزهر النضير مفوفاً ... وكالضوء رفاف الهباء مموجا
وإن بات ملء العين رياً وفتنة ... وسحراً نماه السحر حسناً مفلجا
هداكِ وقد أُهديته قبلُ باسماً ... إليّ، إلى القلب الذي كان مرتجى
وأغفى وقد أجرى الدلال بمهجتي ... وفي خاطري مجرى الجفاء فأنهجا
أفانين وصل عودتنا فتونَها ... طرائقُ حسنٍ ما أدنى أو تبرجا
فرقَّ ولم يسمح ودلّ ولم يصلْ ... كلا حالتيْ وجدٍ يطيل التأججا

فيا للقضا! في سخره ومضائه ... وإبرامه أمراً بأمر تولجا
ويا للهوى! من عاشق أي عاشق ... براه الشجى البادي فأغرم بالشجا
يجور علينا في الغرام وليته ... إذا جار من يهواه من جوره نجا
وليت الذي أصباه لم يك مبدياً ... له التيه إن ألوى وإن هو عرّجا
ويا ليته أصغى فأرضاه عاشقاً ... رقيق الهوى رق الهوى أو تحرجا

أجل يا حبيبي! إنني الآن مشفق ... عليك إذا ليل الغرام بنا سجا
بنا جلدٌ يقوى على حَرَج الهوى ... وقلبك لا يقوى إذا هو أحرجا
وجفنك هل يقوى على السهد والأسى ... بأهدابه الكحلاء واللحظ أدعجا
وثغرك، من للثغر يهتز صادياً ... وزفراتك الحرّى تصاعد في الدجى؟
وصوتك سحري الأغاريد من له ... إذا غص بالنجوى أسى أو تهدجا؟
وعينك، ماذا حال عينك إن رأت ... على الخدّ دمع البين فيها ترجرجا؟

تُراها وقد ريعت بمسبل دمعها ... على الخد مدراراً همى وتدحرجا
زَوَت لحظها كِبراً فجفف دمعها ... ضياء جمالٍ قد زها وتموجا
وصولة حسن ما استقامت لعاشق ... سواك وقد أنميت زهراً مؤرجا
وثورة قلب في القلوب محكم ... يُرى عانياً مستأسر اللب والحجى
أم ارتاض للسحر الخفي دلالها ... فذلّله حكم الهوى إذ تنفجا؟

نعم إنها دنيا الهوى في اعتسافها ... فهذا الهوى ما زال أرعن أهوجا
ولكن دنيا الحسن أعنف ثورة ... وآنف إعزازاً وأقوم منهجا
فيا ليتها لما كواكَ بناره ... هواك وابدى كِبره المتنفجا
أعاذتك مما هد قلبي وخاطري ... وأعفتك من هول يضيق به الرجا

حبيبي وها بيني وبينك في الدجى ... صِلاَتُ الهوى العاتي نما وتأججا
ومد إلى قلبي وقلبك كفه ... فأردى وأضوى ثائراً ومضرجا
فبتنا سميريْ صبوة ما تلاقيا ... وإن تخذا مرقى الصبابة معرجا
أطِلّ على كوني الصغير مرفرفاً ... وأشرق يشرق بك الكون والدجى
وأهدِ إلى فني الرقيق وقد شدا ... بدنياك فناً رائع اللحن مبهجا

هو الفن هذا زاخر العمق ناصعاً ... إذا رام أعلاق المعاني ودبجا
مُغذاً إلى دنيا النفوس ونبضها ... خيالاً قوياً لا كسيحاً تعارجا
ولا مقعياً في وهدة القحف والكوى ... تعثر في سفح الضلالة دارجا
يزجيه سيال اليراعة شاعر ... فتي القوى لا قزمة قد تنفجا
ولا ضاوياً كهلاً إذا راح فكرة ... وقد قالها يوماً كبا وتلجلجا
فيها أيها الباكي المطل من الكوى ... على ليله الداجي كفاك ضنى الوجى

ويا أيها الشادي المرفرف قلبه   بدنيا الهوى هيمان حيران لاهجا
إليّ، إلى دنيا القلوب وفنها   وطر فالهوى والحسن فيها تمازجا
فإن كنت في عرش الجمال مملكاً   فقد بت في عرش الغرام متوجا

محاكاة

«استجابة» لاقتراح بعض المغنين محاكاة لقصيدة حدثيني عن الهوى حدثيني المشهورة.

رق سكر الهوى وزاد حنيني
فاقرئي صفحة الرضا يا عيوني في يقيني
ودعيني أبثك الآن حبي
وكما شئت يا حبيبة قلبي اسعديني
اسعديني فأنت غاية قصدي
في حياتي وأنت مبعث وجدي وحنيني
لا تطيلي يا زهرة الروح سقمي
فلقد طال في غيابك همي وشجوني
فاستعيدي صفو العهود الخوالي
وأعيدي بالوصل تلك الليالي واذكريني
ذكريني أيام كنا رفاقاً
نتساقى كأس الغرام دهاقاً كل حين
واطّلي من عين قلبي إليك
وانظريه يذوب حباً لديك وانظريني

انظريني والبدر في السحب يجري يستحي أن يرى خيالك يسري في عيوني
انظريني والطير في الأيك يعدو
مستعيراً لحن الهوى حين يشدو من أنيني
ما لقلبي سواك أنت فإن لم
ترجمي ذلك المحب المحطم من معيني
يا حياتي يا جنتي يا غرامي
في حياتي في نشوتي في هيامي في جنوني
سائلي الروض عند فوح الخزامى
كم تمنى لو كنت قربي دواماً تسعديني
وألمسي همسة النسيم بجسمك
وأسمعيها معي تناديك باسمك واسمعيني
كل شيء هنا بحسنك مغرم
يشتهي لو حوى الجمال المجسم في يميني
فانظري زهرة البنفسج رفت
والمحي الورد حائراً يتلفت في الغصون
وأمري البدر يختفي في السحاب
وإذا شئت من حميا الرضاب سكريني
وسلي الروض يرتدي بالسكون
وإذا شئت في ظلال الغصون عانقيني
وبليل المنى وخمر الوصال
بين نار الهوى وسحر الدلال ذوّبيني

سكر الحب

نغّم اللحن في الغرام جديدا واسكب الكأس مُبدئاً ومعيدا
واسقنيها من لحظ عينيك من ثغرك هذا مُدامةً ونشيدا
وَاروِ منها قلبي المعنّى بمعنا كَ وقد شئت أن يكون سعيدا
يتفجْر ما بين جنبيّ حباً وشعوراً مدى الحياة جديدا
يا حبيبي الذي تربع في القلب من الحب عرشه الممهودا
وتعالى يختص من شاء في الحب بما شاء موعداً ووعيدا
زد فؤادي سكراً يزدك غراماً وحياتي فناً تزدك خلودا
وتفنن ما شئت لا لوم في الفن وجدد في النفس هذا الوجودا
وكما اخترت هاتها من لمى الثغر سلافاً ومن جناه ورودا
متْلعاً في الظلام في رنوة اللحظ وقد رق من حنانك جيدا
باسماً للحياة تبسم للضاحك فيها مرفّهاً مجدودا

أيهذا الذي اصطفاه لنا الحسن ورباه في الدلال وليدا
في حنايا الحنان يزخر بالعطف وفي مطلع الهناء مديدا
بين حضن الهوى البريء وفي منبع كفيه هانئاً مستزيدا
وعلى مفرق الحياة ودنيا الفن أو فنه فكان وحيدا

نحن أهل الهوى فأنت ربيب الحسن قلباً وقالباً أملودا
وأنا العاشق الذي لابس الروحَ هواهُ وفكّ عنها القيودا
نحن من غرّدا بما يلهم الحب بنيه وَأَبدعا تغريدا
أين كنا تَلك الحياة فقم نعطِ إليها شبابها المفقودا
دع يراعي وحسنك الفذ، في الحبّ، يصوغا للعاشقين القصيدا

الاستعمار في الحب

نظمت بالسودان تمثيلاً لحوار ثنائي ملحوظ المؤدي والدافع.

خود من التاميز عاطتني الهوى ... يوماً وقالت عن سواي ترفّع
أما أنا فِليّ الدلال حرامه ... وحلاله في شَرعكم لم يُمنع
فأجبتها إن الهوى في روحنا ... قِطعٌ من الأنفاس لم تتجمع
سارت على متن القلوب رياحها ... لم تنفرد يوماً ولم تتوزع
حسبي وحسبك في الهوى أيامنا ... فإلى سواك من الأعارب مَرجعي
لكِ في الغرام وفي السياسة مهيع ... لم تنسه فذري لقلبي مهيعي
إني برغم هواك بت مؤرقاً ... للخدر، للقفر الجديب، لمرتعي
أين الصحارى في بديع صفاتها ... من قطعة حُفت بماء مسرع؟
الحب والليل الطويل وبدرنا ... باتت هنالك خُشّعاً مع خُشَّع!
في زرقة العينين منك مقاتل ... لكنما وسط السواد مهاجعي
يا حبذا الليلات طِبنَ بمكة ... حلماً من الأحلام لم يتسرع
حلماً أتوق لذكره متوسداً ... كفاً لِريم تاه في حلمي معي
إن كانت «الخرطوم» تجمعنا معاً ... يوماً من الأيام لم يتزعزع
قلنا إلى الوطن الحبيب منازع ... رسخت وللأوطان أقوى منزع
سترفرفين إلى بلادك حرة ... وأعود للبلدِ الحبيب الممرع

وتعودنا الذكرى طيوفاً حلوة ويقودنا العاصي لهذا الطيّع
فذري هواك على هواه كما اشتهى ودعي الحدود تذب كقلبيَ لا يعي
فالحب في الأيام والدنيا معاً معنى يشيع بنا بغير تشيع
كوني، أكن لك، حرة من جنسنا إن الهوى جنسٌ وحيد المربع!

طاب ليلي

مهداة إلى الأخ الصديق عمر عبد ربه.

طاب ليلي وحبيبي لم يزل هامساً بات يناجي في مهلْ
صبّه المضنى فجد لي بالقبل يا حبيبي تحت ضوء القمرِ
حين ضمّ الصدرْ
أرسلَ البدر ضياه وامتطى صهوةَ الأفق وقد ضم الغطا
والهوى روحين فامنن بالعطا وارو قلبي من لماك المزدري
بعتيق الخمر
هدأ الليل وضوضاء الصحاب وغدا الناعس يسقيني الرضاب
والتقى الصدر مع الصدر وطاب في هدوء الكون ليل السمر
وارتشاف الثغر
لا تظن الشوق مني قد برد باللمى البارد بل عاد أشد
يا حبيبي قد دنا الفجر وقد ملأ الجو ضياءُ السحر
قم نحيي الفجر
قم نحيي الفجر قبل النائمين ها هي الأطيار بين الياسمين
غردت وانساب سلسال المعين بارداً يروي شفاه الشجر
من فؤاد النهر

هـا هـو الـورد وقـد ذاق الـحـمـيـا   مـن فـم الـفـجـر يـنـاجـيـه شـذيـا
وكـمـا هـز فـؤادي شـفـتـيـا   فـتّـح الـورد ثـغـور الـزهـر
لـلـنـدى والـقـطـر

قد تـلاشـت حـلـوة تـلـك الـلـيالي   في فضاء العمر مجهول الكمال
وسدىً يا قلب قد أبقت ببالي   ذكـريـات ذاهـبـات الأثـرِ
مـن زوايـا الـفـكـر

فَدع الأوهـام يـا قـلـبـي وخـالـف   نـزقَ الـنـفـس وسـلـطـان الـعـواطـف
فـلـكـم كـنـت بـمـاضـيّ مـجـازف   فـاتـرك الـيـومَ لـعـقـلـي حـاضـري
فـهـو يـمـلـي الأمـر

لـلـنـهـى والـقـلـب حـكـمـان وإنـي   مـازجٌ بـيـنـهـمـا الآن فـسـلـنـي
من أسى الحس ومعسول التمني   صـفـحـاتٍ بـارزات الأسـطـرِ
فـي سـجـل الـعـمـر

سعـــادة

سعدتْ بقربك مهجتي وتمثلت فيك السعادة في الحياة حياتي
وشربت من كفيك كاسات الهوى فكرهت أن أصحو ليوم مماتي
فاصدح كما تهوى بألحان الرضا ودع الفؤاد يرف في آهاتي

يا من أطلّ على فؤادي مشرقاً من جوه السحري بالبسمات
وقد انتهيت إلى هواه إلى المنى وقد استفاض بأحفل النفحات
آمنت أنك في جمالك واحدٌ وبأن حبك منتهى غاياتي
حبٌ تعالى عن مثيل صفاتِه اللاتي تصور في الغرام صفاتي
حب أنالنيَ الرضا في ذاته فأناله فني خلودَ الذات
بوأته قلبي فكان عبادتي ووهبته فني فكان صلاتي
وبمستَ أنت فصفقت طرباً له عُزّايَ بين جوانحي ومَناتي

هذي الحياة فقم لدى شرفاتها نستقبل الآتي بعمر آت
نستدبر الدنيا تدور بأهلها فيما تدور به من الحيوات

ما وراء الغيوم

أيتها النجمة، يا فكرة ... في خاطر الظلماء لم تحجب
الليل جلاك لنا فتنة ... مبسوطة الأمداء والمطلب
للساهد المضنى وللمشتكي ... وللخليّ البال والمعجب
وللذكي الفكر يغزو به ... عوالم الأفكار لم يُغلب
للراصد الأفلاك في سبحها ... للرائد الساري وللسارب
المدلج الهائب في صمته ... والمدلج السادر لم يرهب
فقربي الغاية للراحل ... واستكملي المتعة للمجتلي

يا فتنةَ دامت لمن لا يدوم

يا فتنة العائذ في سهده ... من وقدة الفكر ومن حربه
الساذج الهانئ في كوخه ... والمعتلي العرش على ما به
والكاعب الحسناء في خدرها ... والعاشق المضنك في حبه
والناعم العيش بملذوذه ... والساغب الطاوِي على كربه
الكل في الليل إذا ما سجا ... الليل واستولى على لبه
يبيتُ يرعاك ومنظومه ... في ليله المنثور من قلبه
وأنت لم تخبي رجا الآمل ... ولن تنيلي بغية السائل

إن لم تزيدي في الضلوع الهموم

أما أنا يا نجمتي فالمنى ... منك لقلبي الآن أن تنطقي

قولي له من أنت؟ ماذا مضى؟ من عمركِ الغالي وماذا بقي؟
وكيف دنياكِ؟ وكيف الدنى مرت؟ وما الحب؟ ألم تعشقي؟
وهل تغارين؟ ومن ذا الذي يثير فيك غيرة المشفق؟
والعقل هل تدرين ما شأنه بالقلب، لاقى ما قد لقي؟
والحب ما غايته في الألى هاموا به، لا تخشِ لا تتقي
قولي! فما في ليلك الحافل مصغ لنجوى قلبك الشاكل

إلا أنا وحدي وإني كتوم

هاتي حديث الحب واسترسلي في وصفه ما شئت أو أجملي
فاهتزت النجمةُ خفاقة وأشرقت والقلب كالمرجل
وقالتِ القولَ وما بعده قولٌ يغذي مسمع السائل:
«إنّ حديث الحب في كوننا تاريخُ هذا الكون لم يكمل»
«ذخيرة الأنفسِ أو عمرها من عمرها المذكور والأمثل»
«وسيرة الأحياء مكرورة إرثاً إلى التالي من الأوّل»
«تخطها الأقدار بالأنمل وسيلة في كل قلب خلي»

نحيا بها في الأرض أو في النجوم

«فالحب في الدنيا على ما بها فؤادها الخفاق في صدرها»
«وروحها الباسم من روحها وسرها المكنون في سرها»
«جاء إلى الأرض غريباً بها لا جاهلاً معناه أو كارها»
«فشمته في الغاب مستوحشاً مستخذياً في الغيل أو فارها»
«تثغو به الشاء وما حولها وتنقيه الأسد في زَأرها»
«وزرته في الروض مستحيياً مغرداً والطير في وكرها»
«يشدو به البلبل للبلبل وقد تلاقى النبت في المنهل»

بالنبت والدوحة أمّ رؤوم

«والحب في دنياك معنى الهوى معنى توارى خلف استاره»
«معنى يلاحي القلب فيه النهى كلاهما مغرىً بأسراره»
«وأنها لَلحرب يصلى بها القلب، ويل القلب من ناره»
«وما القلب هدّاراً بإحساسه كالعقل جباراً بِأفكاره»
«هذاك كالطير وذا حاكياً جوارح الطير بأوكاره»
«فما بنى العصفور من عشه هدّمه البازي بمنقاره»
«والفن ما بينهما يعتلي ذراه والقلب وما يصطلي»

نار الهوى والعقل لفح السموم

«والحب مهما قِيل في شأنه ساعٍ إلى الغاية أو سادر»
«أغرودةٌ في الكون صدّاحة يشدو بها الفنان والشاعر»
«والأغيد المحبوب والمجتوى والأم والكاعب والعاقر»
«فكان في الأسماع ترنيمة أو قبلة رق بها النافر»
«وكان في القلبين تنهيدة ضاق بها الواجد والثائر»
«وكان في العينين إيمَاءَةً يشقى بها العابد والفاجر»
«في الروضِ في الشاطئ في المنزل في الخدر في المخدع فيما يَلي»

فكان في الجنة أو في الجحيم

«أما أنا فالحبّ في عُنصري جذْب تناهى وسرىً ما انتهى»
«وومضة بالليل في هدأتي تضيء للعين وأضوي بها»
«وخفقة بالفجر في ثورتي في مهجة الصب لها ما لها»
«فإن تكُ اللمحة من واجد فإنني الزهرة في حسنها»
«وإن تكُ النظرة من عابد فإنني النجمة في قطبها»
«وإن تكُ اللفتة من راصد فإنني الأفلاك كيف أشتهي»

«أما لمن رام.. ففي الأعزل عزّي وفي الرامح إذ ينجلي»
بالرمح والراية مجدى المروم

وأسفر الصبح ولما يزل حديثها المروي ملء الفؤاد
وودعت واللحظ في إثرها حتى تناهى بُعدها في البعاد
ولم تزل في النفس بي حاجة للبث والتسآل رغم السهاد
إن حديث الحب في مسمعي مهما تناهى لذتي والمراد
فالحب في كوني وفي خاطري وفي حياة الفكر دنيا الجهاد
عقيدة في القلب يضرى بها من شأنه شأنيَ بين العباد
إن هوى الفنان لم يسفل ولم يُبع بالعرض الزائل
من روحه السامي سناه العظيم

وإن دنيا الحب مهما بدت في العين دنيانا لدنيا النعيم
الطارف الزخار لا يرتضي جديده في النفس أن يستديم
الثائر الفوّار لا ينتهي صراعه في القلب أو يستنيم
فاستمتعي يا نفس إن الهوى المتعة الكبرى لقلبي الكليم
فإن دنياي ولما تزل حرباً على الفكر العتيد القويم
لم تبقِ للحر الذي لم يزل يقصد في الآمال حلم العظيم
إلا بقايا أمل ذابل مثل شعاع الكوكب الآفل
يلوح للنفس وراء الغيوم

بلبلي الصغير

علّم القلب كيف يسعد بالحب رشأ كالغزال في لفتاته
رشأ والقلوب مرعى لحاظيه ومهوى جماله وسماته
جاء يهتز كالأراكة، كالزهرة تحكي الفؤاد في خفقاته
ضاحكاً للمنى تدفق حسناً ناطقاً بالدلال في حركاته

أنا يا فاتني به كل ما فيه من ابتاع بالهوى كل ذاته
أنا في حبك السعيد سعيد بك يا آسري بكل صفاته
أنا من فتّحت ورودُ الهوى الجارف قلبي في قلبه زهراته
دب في مهجتي هواك كما دب معين الرياض في شجراته
فزها روضة وزان ربيعاً وشدا طائراً بكل لغاته
فاشدُ يا بلبلي الصغير كما شئت بما شئت في الهوى وحياته
واسقنيه من المنى ما تخيرت ارتشافاً للحسن في همساته
هات ما لذّ، هات لي خمرة الروح من المبسم المليء بهاته!

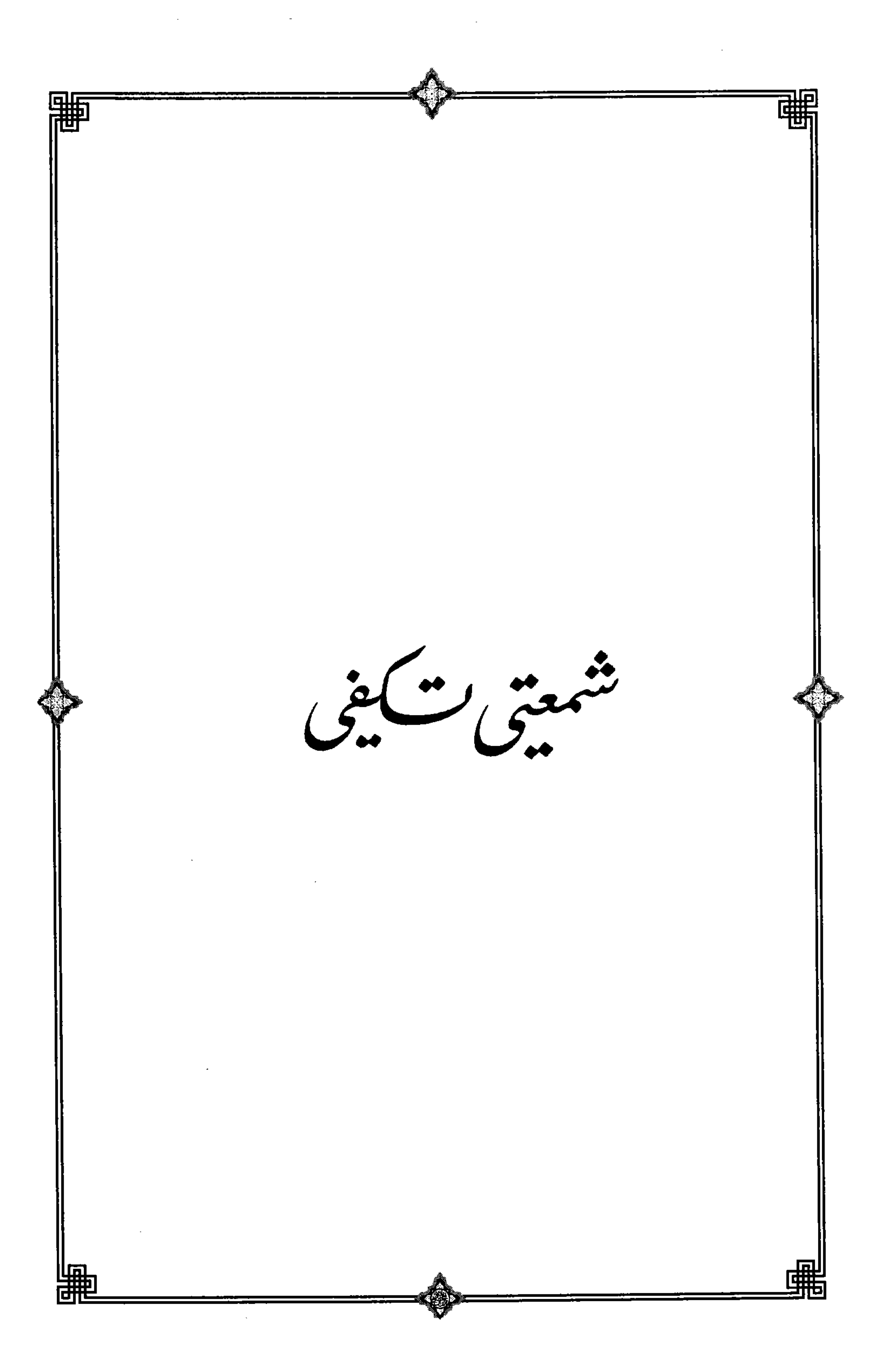
الجواب الضائع

قال لي والتلال قد لفها الصمت كما لفنا الهوى بردائهْ
ويميني تحيط عطفيه والبدر مطل واللحظ في اللحظ تائه
وابتساماته تفيض حناناً ودلالاً يزيد فرط بهائه
كيف أحببتني؟ وفسر ما قال بإيماءة الهوى وذكائه
فتضاحكت حائراً مستزيداً سؤله المشتهى برغم خفائه
فرنا ناعساً يشاركني الضحك ابتساما ينوب عن إصغائه
واستحى، والحياء فن من الحسن، وضاع الجواب في استحيائه

شكر

يسرني وقد انتهى طبع الدواوين الثلاثة تسجيل وافر الشكر والتقدير لكل من ساهم في إنجازها بالتعضيد، والتشجيع، والاستحثاث.

وأخص بالذكر أخي الصديق سراج حامد زهران الذي كان له الأثر المباشر في الاستحثاث، والتحريك.



شمعیتی تکیفی



إفتح الأبواب

افــتــح الأبــواب
نــهــب الــحــب..
لا تـحـبس رؤاه
لا.. ولا تــمــنــع..
عــن الــنــاس..
عــن الــقــلــب..
ضــيــاه!.

* * *

إن مــن أوصــد دون الــنــا
س.. بــــابــــه
عــاش.. بــاسم الــطــيــر
فــي الــحــقــل.. غــرابــه
نــاعــبــا.. أو نــاعــقــا
يــعــشــق نــفــســه

يـــحـــســـب الـــيـــوم

عـلـى مـا فـيـه.. أمـسـه!.

* * *

تـــلـــك أحـــلام.. وأوهـــا

م.. تـــولـــت..

دون رجـــعـــه

إنـــهـــا.. فـــي الـــعـــصـــر.. بـــا

تـــــت.. ردة..

فـــيـــه.. وبـــدعـــه!.

كـــلـــنـــا.. جـــئـــنـــا.. تـــرا

بـــا.. مـــن تـــراب

وحـــيـــاة الـــكـــل حـــب

قـــد تـــراءى

فـــي الـــضـــبـــاب

فـــلـــتـــلـــح فـــيـــهـــا..

شـــهـــابـــنـــا..

لا تـــطـــر فـــيـــهـــا.. غـــراب!!

فـــافـــتـــح الأبـــوا

ب.. لـلأهـل.. جـمـيـعـاً

واعصر الأعنا

ب.. بالفصل.. ربيعا

وترنم للشذا

فاح شذاه!.

سطر التاريخ.. للتا

ريخ.. روحاً من حياتك

واكتب الأيام.. سفراً

خالداً.. في صفحاتك

فاليراع الحر.. للإنسا

ن.. نور من صفاتك

إنك اليوم إذا ما

كنته.. مرآة ذاتك

* * *

فافتح الأبواب.. ليلاً، ونهارا

وتعلم.. وتفهم.. وتذكر:

أننا صرنا.. كبارا

قد شببنا.. عن مدى الطو

ق.. أسارى.. أو حيارى

فلتكن أنت لنا، منا منارا..

مــاحــقــاً.. مــن لــيــلــنــا..

طــــول دجــــاه!.

* * *

فــافــتــح الأبــوا

ب.. لــلــحــب..

قــلــوبــاً.. وشــفــاه

وارق بــالــنــو

ر.. وقــد لا

ح.. بــمــا رف.. مــداه

واعــبــر الــكــو

ن.. مــع الــنــا

س.. عــلــى ضــوء ســنــاه!!

سل الشعر

سل الشعر، من للشعر قولاً ومسمعاً
وأين مجاليه.. غناء، ومربعا؟؟
وقل للأولى هاموا طوال شبابهم
بدنياه، من للشعر أن فاض أودعا؟
وكيف جفته الآدمية بعدما
رعاها.. وأهداها الطريق الموسعا!
وهل يترجى الشعر في الكون أوبة
إليه، من الكون الجديد، بما وعى!
لعمرك لن يرجو الغريب مشرداً
لقاء بعيد مله حين ودعا

***

وذو شجن بالصدر أطرق ناعساً
وحن إلى ماضي الهوى وتطلعا
يراودني ألا أخون لمن وفى
عهود ولاء طبن فيئاً ومرتعا

ولج.. فلجت بي فنون مشاعر
ترقرق فيها الشوق لهفان شائعا
وذكرى حياة ذهَّب الحب أفقها
جمالاً وإيماناً وحسناً منوعا
فعاودني حبي القديم وضمّني
لماضي أصل قرَّ فيه وفزعا!.

* * *

فيا أيها الشعر المنضد جنة
ويا أيها القلب المسعر أضلعا
حنانيكما.. إني من الحال غابرا
على الحال لولا دفعة الحي منزعا
جفوت فلم أمعن، وبنت ولم أتب
وعشت على المنأى القريب الملوعا
فلا أنا بالغافي عن الحسن واعيا
وما أنا بالجافي هوى العهد أمرعا
فذلك أمسي رده اليوم ساطعاً
وهذا يراعي وثَّق العهد قاطعا

الغَريب . . وَالدّار

واغتربنا . . ولم تزل صورة "الدار" في الفؤاد . .
حية الذكر . . والأثر . .
العصافير . . حولها
حرة الزاد . . والمراد . .
تلقط الحب والثمر . .
والبساتين . . صوبها زينة الحي . . والبواد . .
صافح الخدر والمدر . .
والليالي التي صحا بين أحضانها . . الوداد . .
حلوة اللهو والسمر . .
والهوى نهره جرى جانب الشوك والقتاد
ينتحي الورد والزهر . .
والمنى نبعها سرى للدراري . . على انفراد
يلثم النجم والقمر . .
والصبايا تدافعت للروابي من الوهاد . .
في دلال . . وفي خفر . .

أمت السحب جنة تسلك الدرب في اتئاد

تطرق الباب في حذر..

ما علا جوها قتام أو غدت نارها.. رماد..

ما غفا دونها النظر..

ما رمى الطير حرة زقزقت حلوة التناد..

بين ساحاتها.. حجر..

ما قلا الإبل والرعاه عن حماها شدا.. وشاد

بالعصا.. زاجر.. زجر..

بل زها فوقها الحيا تزدهي سيبه الغواد..

ترسل الخير والمطر..

للمراعي وللشياه للصفا.. للحصا: جماد..

للرياحين.. للبشر..

للنواطير.. للجنا طيب البذر والحصاد..

سربه عنه ما نفر..

أيها الطائر الغريب ضل في دربه المعاد..

ما لدى أهله خبر..

إن في الدار أعينا حار في طرفها السهاد

صارع الخوف والخطر..

وقلوباً.. وما درت حست الشك في البعاد

كل قلب وما شعر..

والـطـيـور الـتـي جـفّـت عـشـهـا.. مـلـت الـرقـاد..

إن مـن حـن مـا صـبـر..

إنـهـا تـذكـر الألـيـف مـال عـن وكـره.. وحـاد..

نـائـي الـخـفـق والـوطـر..

تـرقـب الـغـائـب الـبـعـيـد تـرصـد الـجـو فـي عـنـاد..

غـالـب الأيـن والـضـجـر..

فـات وقـت الـغـروب وانـقـضـى الـلـيـل والـسـواد..

والـذي غـاب مـا حـضـر.!

عشتها!!

عشتها.. طولاً.. وعرضا　　فوق أكتاف السحاب
وعلى متن العباب..　　عشتها!.
.. ما بين أحجار.. وصخر　　ولدى كوخ.. وقصر
رهن جوع.. يتحرَّى　　وامتلاء.. فاض بشرا
عشتها.. نشراً.. وشعراً　　بين أعيان الكعاب
وعلى صوت الرباب

ولدى الأعتاب.. من دنيا　　ي.. منهوم الرغاب
ذلك المحروم.. والمكلو　　م.. موصول العذاب
عشتها الضا.. حك..　　من غنًى.. بما لذّ وطاب!!
ومع المسرى..　　سماوات.. وأرضا
جبتها: حقلاً.. وغاب

مثل عصفور.. تفلّى..　　أو كصياد تقلّى..
وسط أزهار.. وأعشا　　ب.. وصل.. وذئاب
عشتها.. علماً.. وفرضاً　　في سؤال.. في جواب!.

إنـــهـــا ســـيــرة أيـــام.. وشـــهـــر   إنـــهـــا قـــصـــة أعـــوام.. ودهـــر

فـــــي ظـــــلال الأبـــــديـــــة!!

إنـــهـــا رحـــلـــة عـــمـــري

خـــطـــهـــا نـــثـــري.. وشـــعـــري.

مـــــرة فـــــي الـــــكـــــو   ن.. جـــئـــنـــاه.. ســـويـــه

يـــــا رفـــــيـــــقـــــي..   وســـنـــمـــضـــي..

مـــثـــلـــمـــا تـــمـــضـــي الـــبـــقـــيـــة..   بـــيـــن أمـــداء.. وقـــاب

بـــيـــن مـــن أثـــنـــى.. وعـــاب!!   عشتـــهـــا.. في الـقـلـب.. خـفـقـا

ومـــن الـــثـــغـــر.. رضـــاب   وبـــيـــومـــي.. بـــعـــد أن ولّـــى

كـــأحـــلامـــي.. الـــشـــبـــاب   عـــــشـــــتـــــهـــــا

.. فـــي الـــبـــحـــر.. أنـــوا   ء.. وفـــي الـــبـــر..

ســـــراب!!

إلى ولدي!

قلتها له.. في حالة حنو وحب.. نابت في ترجمتها عن البصر المدرك.. البصيرة البلهاء..

قلتها.. قشوراً دون لباب . .حيث يبست النفس ساعتها.. فكأنها لحاء شجرة.. تتحات وتتساقط أوراقها.. في سبيل الثمرة!..

لا عشت.. مثل حياتي   ولا درجت خطاها
بين الصخور.. تلظّت..   أصلادها.. بصلاها
وفي الشعاب.. تلوى   مدارها.. في مداها!.
يا من تفدّيه نفسي   وما تحوز يداها
من كل شر.. تبدى   أو كل سوء.. تناهى
إني أعيذك مما   قاسيته.. لا يضاهى!.
أغفو.. وتصحو الليالي   يضمني ساعداها
مدثراً بالأماني   في حلوها.. وحلاها
واستفيق.. وقلبي   قد تاه.. وسط دجاها!.
أمشي.. وتسعى الأفاعي   حولي.. وفوق ثراها
مرنَّحاً.. أتوقى   ناباً.. هناك.. وفاها
والشوك يدمي حياتي   في فجرها.. وضحاها!.

كنا.. وكانت شباباً ... زافته.. وهماً.. رؤاها
طوع الهوى.. ضاق باباً ... وساع.. آهاً.. وآها
نهب الضياع.. سبيلاً ... ومدرجاً.. ومتاها!
واليوم عصرك.. دنيا ... أعيا الأساة أساها
بين المذاهب.. شتى ... تعثرت.. في خطاها
ما بين شرق.. وغرب ... قد استباحا حماها!.
تمضي حياتك.. نُعمى ... ترقرقت.. شفتاها
وأنت منها.. وفيها ... على الزمان.. فتاها
تحيا الصبابة.. معنى ... أغلى هواك.. هواها!.
في لجة.. عشت فيها ... لا ينتهي شاطئاها
تلاقيا.. في ظنون ... تشاكلت غاياتاها
حاشاك.. إن كنت مني ... ألا تجيب نداها!.
هذي بلادك.. مسعى ... نحو المراقي.. اتجاها
صنها.. بقلبك.. حبا ... مكرّسا لهواها
ودع بريقاً مُزافاً ... مُزخرفاً ما عداها!.
الدار مأواك.. بيتاً ... به رفعنا الجباها
والدين معنى.. ومغنى ... مهواك عزًّا.. وجاها
في موطن.. شرفته ... لنا مدارج طاها!!.

الشكوى الخرسَاء!!

ألاّ بـالـلـه مـن يـدري؟؟ ألا بـالـلـه مـن يـعـلـم!!
بـمـا ألـقـاه.. فـي يـومـي وفـي لـيـلـي.. إذا أظـلـم!!
حـبـسـت صـبـابـتـي وحـدي بـقـلـب واجـد.. مـلـهـم!!
وقـلـت لـحـسـرتـي: عـيـشـي هـنـا.. فـي جـوك الأكـرم
فـمـا فـي الـنـاس مـن يـحـنـو ومـا فـي الـنـاس مـن يـرحـم!!

* * *

لـقـد عـشـت الـهـوى.. زمـنـا كـعـمـر الـورد.. رفـرافـا!!
أحـلـق فـوق رابـيـتـي أرود الـدرب.. أكـنـافـا!!
وأسـمـع صـوت شـاديـتـي تـغـنـي الـحـب.. أوصـافـا!!
وامـسـح كـل أجـزائـي بـهـا: روحـاً.. وأطـيـافـا!!
فـأبـقـى.. صـوبـهـا.. أرنـو وأحـيـا.. قـربـهـا.. أحـلـم!!

* * *

فـمـا فـي الـنـاس مـن يـحـنـو ومـا فـي الـنـاس مـن يـرحـم!!

* * *

كـذلـك عـشـتـهـا أمـسـى وسـوف أعـيـشـهـا الـيـومـا!!

حيـاة حـرة الـمـسـعـى حكى الفطر بها الصوما!!
فقل للقلب: لا تأسى وخل العتب.. واللوما!!
دع الشكوى. دع اليأسا دع الآهات.. والهما!!
فتلك طبيعة الدنيا لدى الرامي.. لدى المرمى
وإني سائر.. حتماً وإني صابر.. رغما!!
ولكن إن دعا الوهن شكوت لبعض من يفهم!!
شكاية ذي جوى تعنو له الأسماع.. لا تألم!!
فما في الناس من يحنو وما في الناس:
من يرحم!!

لم أزل بالشعرْ!

قـل لـمـن عـاب عـلـيـنـا　　أنـنـا نـكـتـب شـعـرا!!
يـرسـم الـيـوم.. حـروفـاً　　ويـخـط الـعـام.. سـطـرا!!
هـام بـالإنـسـان كـونـاً　　واجـتـلـى الأكـوان.. سـفـرا!!
فـاجـتـوى الأجـسـاد.. شـطـاً　　واصـطـفـى الأرواح.. بـحـرا!!
قـد مـضـى يـرقـى الـسـمـاوا　　ت.. ومـا فـيـهـا.. مـقـرا!!
بـالـخـيـال الـحـر: نـورا　　يـهـتـك الأطـبـاق: سـتـرا!!

* * *

قـل لـه.. لـلـقـول: ذكـراً　　قـل لـه: لـلـعـلـم: ذكـرى!!
هـل سـألـت الـحـقـل يـومـا　　لـم ينبت هـذا الـحـقـل زهـرا!!
هـل تـرى الـبـلـبـل.. غـنـى　　لـلـغـنـا.. يـسـأل أجـرا؟!!
أم تـرى الـزهـرة فـاحـت　　لـلـمـلا.. تـسـتـام شـعـرا؟!!
هـل جـرى الـجـدول.. فـيـضـاً　　في الـثـرى.. يـطـلـب شـكـرا؟!!
إنـه الـحـب.. تـعـالـى　　ومـشـى بـالـدهـر ـ دهـرا!!
إنـه الإنـسـان.. لـلإنـسـان:　　نـبـضـاً مـسـتـمـرا!!
أنـا بـالـمـصـنـع.. قـد لاقـيـت　　بـالـمـصـنـع خـيـرا!!

وارتضيت العقل.. نوراً　سار بالليل.. وأسرى!!

في مجازات.. توالت　فوق ما نأمل قدرا!!

بيد أني　لم أزل.. بالشعر..

في دنياي.. حرا!!

يوم في طيبة!

المغاني عرفتها بشذاها　　والأماني قطفتها من رباها

والمعاني تهدهدت ملء قلبي　　ناطقات بما ترى شفتاها

عازفات عن الحديث شتيتا　　سارحات عن لغوه في لغاها

ناثرات من الأحاسيس كونا　　شاعرات بها لديه رؤاها

ساطعات دعاءة ما تلاشى　　ما تبدي ما فاتها ما تلاها

حالمات مع الزمان توارى　　وتراءى نهب العيان اتجاها

فتزوّد بالطيبات حنيناً　　وحناناً وفرحة بلقاها

وتظلل بالشامخات أطلت　　من ثنايا "المفرحات" ذراها

وتدفق بالحب طاب وأشهى　　وترفق بالقلب ذاب وتاها

وتمهل في الخطو صوب حماها　　وتعجل في السير قصد رضاها

إنها طيبة وحسبك منها　　إنها طيبة ومهجر طاها

* * *

يا حبيب الرحمن خير التحايا　　ما استقرّت مقرونة بمناها

للعلي القدير جلت مقاما　　في مقام به الوجود تناهى

وامضات خفق الفؤاد التياعاً　　وانبساط الروح الرقيق متاها

كالشرارات بالحنين أضاءت ... مشعلات من القلوب لظاها
من شجي رغم البعاد حفي ... بالصبابات لا يطيق علاها
بالصلاوات والسلام اتقاداً ... لا اعتياداً مخارجاً وشفاها

* * *

يا حبيب المحب عز مقالاً ... في مجال بالصالحات تباهى
المنار الذي رفعت رفيع ... فوق هام الدنيا ذرى وجباها
والمثال الذي أقمت مقيم ... لو أفاءت عن غيها لهداها
والسلام الذي دعوت إليه ... شع شمساً تعم لولا عماها
قل لعين رمداء غامت ظلالاً ... وضلالاً عن نورها ما دهاها
قل لغاد قد أعجلتنا خطاه ... عن مدار معلق بخطاها
إن يوماً قضيته اليوم عمر ... لو عددنا أعمارنا بمداها
أنا في طيبة عتيق نواها ... ولدى غيرها أسير هواها
إن مرعاي في غرامي قديماً ... وحديثاً رغم النوى مرعاها
بارك الله صبحها ومساها ... ورعى الله أرضها وسماها

كهولة!

ماذا كسبت من الدنيا.. وأهليها
وقد شجتك.. زماناً.. بالذي فيها؟
هل الصبابات.. عشنا بعدها أثراً
من ذكريات.. على الأيام.. نرويها؟
خبا الرماد بها.. لا الذكر يبعثها
من بينها.. جمرات.. عز واريها
ولا الأماني معيدات سوالفها
إلا طيوفاً.. سئمنا من مرائيها
وبالجوانح حرى.. لهفة وظما
إلى الحياة.. كما كنا.. نعاطيها!
أم الصداقات.. ما زلنا نلوذ بها
فيئاً.. تقاصر ظلا عن روابيها؟
تناثرت في مماشي الرمل.. ضائعة
بين الشتات.. بقايا من معانيها

فلا القلوب بها خضراء.. يانعة
كالأمس.. تمرح في أحلى مراعيها
ولا النفوس التي يعلو بها صدأ
بيضاء.. تبسم.. كالماضي.. لياليها
توسدت راحة الماضي.. فنام بها
قلب الشباب.. فنامت عن أمانيها!
أم الحياة.. استحالت بيننا عبثاً
بالقلب . بالنفس بالإنسان راعيها؟
تواترت سنناً.. ضقنا به سنناً
نطوي المدى فيه.. ساعات نزجيها
تثاءب اليوم بعد اليوم.. محتبياً
في كهفه.. وتعامى عن مراقيها
جاز الصراط بها من مده بيد
تزيح أسوار ماضيه.. وماضيها
ونحن يا قلب أحلام مطرّزة
لما نزل نتردّى في مهاويها!
سل النسور.. لنا.. يروي محلقها
ما في الجواء.. ويروي الكبر.. والتيها
صاغ الحياة. كما يهوى. وهام بها
مرفرفاً في الأعالي.. من أعاليها

لم يلهه الأمس. فيما صاغ. عن غده
فكل أيامه.. في العزّ. آتيها
حسبي. وحسبك. يا قلبي. متابعة
وعش حياتك.. قد رثَّت دواعيها!!

الطريد!!

ضل في دربه المهول مثلما ضلّ من سبق..
عابر جهده الوصول لا كما كان.. واتفق..
يرتقي الوعر لا السهول تائه الفكر.. والحدق..
حسبه السير ـ لا القفول عن مداه.. لما انطلق..
ما عناه الذي يقول عن سواه.. وما اعتنق..
بعض ما تبصر العقول كاذب الفجر والشفق!..

* * *

الضواحي.. رأيتها ليلة الأمس من بعيد..
والمغاني.. عرفتها رغم أسوارها الحديد..
والأغاريد.. صغتها حالماً باللقا السعيد..
راجف القلب قلتها واجف الخطو.. مستعيد..
بيد أنّي دفنتها في ركام من الجليد..
إن "عينا" قصدتها دونها البيد.. والعبيد!..

* * *

الأعاصير ما ثوت طوّحت بي رياحها..

والكلاب التي غوت ملء سمعي نباحها..
والذئاب التي عوت صوب عيني مراحها..
والأفاعي بما ارتوت من جراحي.. جراحها..
كالعماليق.. ما التوت عن مداري.. رماحها..
ليت نفسي.. بما حوت طال عمراً.. كفاحها!..

* * *

يا رفيقي من الصبا والشباب الذي أفل..
ليس ترجيعنا الصدى واصلاً بعض ما انفصل..
ليس في الزاد مرتجى للقليل الذي فضل..
أين تلك الصّوى اهتدى في مجازاتها.. المثل..
أين نهر الهوى مضى بالخيالات.. بالأمل..
كل ما كان قد غدا ذكريات.. على طلل!..

وداع طالبْ!

مهداة لمعالي وزير المعارف الشيخ حسن آل الشيخ.. تقديراً متواضعاً.. لتقدير كبير.

قلتها ـ مودعاً بها ابني سمير ـ في رحلته إلى أميركا:

سر على اسم الله..

واعبر شاطئيها..

وتعلم!..

واجتل الدنيا..

وما جدّ ـ لديها..

لا تخف!.

فالخوف وهم وضلال

عشته.. لا في الضحى..

مثلك.. رأداً..

بل ظلالا.. من زوال..

عاشه الجيل الذي.. مثلي..

قد ولّى.. وزال..

قـيـدتـه الأم.. حـبـاً لـبـنـيـهـا
واصـطـفـاه الـوالـد الـرا
عـي... لأقـوال ذويـهـا
فـحـنـا الـقـامـة.. هـيَّـاب الـنـضـال
وارتـضـى الـقـيـد..
بـلـيـداً.. وسـفـيـهـا!.

* * *

سـر.. عـلـى اسـم الـلـه..
فـي شـوطـك.. حـرا
واسـع الـخـطـو..
عـلـى الـدرب.. اسـتـمـرا
أزهـر الـجـبـهـة.. مـحـمـود الـخـصـال
عـربـيـاً.. وأبـيـاً..
واثـقـاً بـالـلـه.. بـالـنـفـس.. تـقـيـا..
قـد سـعـى لـلـمـجـد.. صـخـريّ الـمـنـال
واشـتـهـى الـقـمـة..
لا الـسـفـح.. مـجـال
هـكـذا يـفـعـل فـي دنـيـا الـرجـال
كـل مـن كـان ذكـيـاً.. ونـبـيـهـا!.

* * *

سر.. على اسم الله..

واذكر والديك..

وفؤاداً خافقاً..

في صدرنا..

يحنو عليك

وتذكّر موطناً.. يهفو إليك

ساعداً. قد شد زنده

بانياً.. قد شاد مجده

راعياً للعهد عهده..

واغسل الماضي بالحاضر.. نوراً

وتثقف!.

وانشق العلم.. زهوراً.. وعطورا

وأشعه.. نفحات... من جلال

وأبحه للهوى الحالي.. خيال

مد للآمال.. آمالاً تليها!.

* * *

سر.. على اسم الله.. سطراً من حياتي

عشته.. أرقب فيه.. كل ذاتي

شاعراً بالأمس موصول الشكاة

مؤمناً بالله.. باليوم المواتي

لاح لـــي.. فـــي وجـــهـــك الـــغـــالـــي

جـــــــــديـــــــــداً..

وعـــــظـــــيـــــمـــــاً..

ورفـــــيـــــعـــــهـــــا

القافلة.. والدرب!

خل الطيور على الغصو
ن.. فإنها لحن الحياه!!
ودع الزهور.. كما السعو
ن.. كما ابتسامات الشفاه!!
لا تستجب للمارقين من العتاه..
فالليل أبشع ما به.. فيه.. دجاه..
والفجر.. مهما غاب..
يسفر عن سناه..
رغم الدجى..
في حينه..
رغم الظنون!!

* * *

يا حابس الأطيار.. يا صيادها
يا قاطف الأزهار.. حيث أرادها

لا تحرما روح الطبيعة.. زادها
لا تسلباها.. في الوجود.. مرادها
هل حست السكن إحساس الشياه؟!!
ما ذنبها؟!! يدك ارتضتها للمنون!!!

* * *

هيهات تفنى الطَير.. أو تمحو الزهور..
هيهات تحبس آهة بين الصدور..
إن الغرور مطية لذوي الشرور!!
كن للطبيعة: رجعها.. ومعادها..
ومن الحياة.. شعورها.. وفؤادها..
فالركب قافلة.. يطيب بها سراه..
للواسع الآفاق.. أسعده مداه..
والعمر نافلة لمن سارت خطاه..
في كوننا:
درباً:
بمسلكه نكون!!

الحب الكبير!

يحسبون الهوى.. انقضى
بعد أن شاب رأسنا
واجتلى اليوم أمسنا
واعتكفنا.. بلا نديم!.
ما دروا.. أن قلبنا
عاش للحب.. عمره
شاعراً.. صاغ شعره
في جديد.. ومن قديم!.
قل لمن ظنّ ما مضى
فورة الكأس.. في الحباب
ثورة العمر.. في الشباب
لست.. عنا.. بنا.. عليم!.

* * *

نحن! من نحن؟. أننا
دعوة الخيف.. في منى

من شذا طيبة.. لنا

كل يوم.. هوى مقيم!

صوت أجدادنا.. هنا

رددته.. المنائر

واجتلته.. المشاعر

كل قلب به يهيم!.

خل من قام.. بعدنا

موصداً بابه.. عليه

دون أنوارنا.. إليه

غارقاً في الدجى البهيم!.

ما شدا الحقد.. ما بنى

أي كون.. ولا دنى

إن مشى الشوط أو ونى

غير ما تلقف الجحيم!.

* * *

إن حباً.. كحبنا

جاز ساحات داره

لم يزل.. في مداره

نفحة الكرم.. والكريم!

ينشر الورد.. والمنى
والرياحين.. والقبل
بين ريث.. وفي عجل
في رياض.. من النعيم!
رفرف الطير.. والجنى
صوبه.. خافق الجناح
زفه خيرنا السماح
من نسيم.. إلى نسيم!

* * *

الترانيم.. حولنا
والعصافير.. والألق
والدراري.. وما نطق
للهوى.. كوننا العظيم!
زهرة الأمس.. بيننا
لم تزل زهرة.. بنا
ترسل العرف.. والسنا
والسلام الذي نقيم!

في مَكة!

حيِّ أم القرى أتينا إليها خشعنا خشعاً نمد القلوبا
ظامئات إلى الجلال عليا خافقات مع الجمال طروبا
حائمات كالطير للمنهل العذ ب ترامت صوباً ورامت وثوبا
ترتجيه لدى المنازل ريا تستقيه فضل الدلاء صبيبا
بعد نأي أذوى النفوس حنينا بعد لأي أذكى الحنين لهيبا
رب إيماءة أرق من الفجـ ـر نسيماً ومن هواي دبيبا
جمعت بيننا الصباح محباً قد تناهى غرامه وحبيبا
في لقاء قد جمَّع الأمس واليوم ضروباً من عمرنا وضريبا
وأنا العاشق القديم جديداً شفه الوجد غربة وغريبا
في هواك المكنون ما مسه البعد انتقاصاً ما نال منه نضوبا
إنما أنت "مكّة" في مسمَّا ك. بعيداً عن عيننا.. وقريبا
أنتِ منَّا حياتنا صغت منها حبنا البكر صيغ فيك ربيبا
قد ألفنا منك القديم تليدا وعشقنا بك الجديد قشيبا
واعتنقنا التاريخ فيك زماناً ورجالاً وقسمة ونصيبا
فاصطفينا التاريخ خير نسيب واجتلينا بك الزمان حسيبا
وألفنا فيك الحياة هجيراً وغيوماً ونسمة وهبوبا

المحبون في حياتك عاشوا ... للهوى الحلو ذائباً ومذيبا
والمصلون والحمائم تسعى ... بين أعيانهم أطالوا النحيبا
والملبون في رحابك جاؤا ... أبد الدهر يطرحون الذنوبا
منذ عهد الخليل أرسي لنا البيـ ... ـت قلوباً نهفو له وشعوبا
مستطيب المقام لله ما مل ... مقاماً بل طاع لله حوبا
وتولى وأهله بين واديك ... غراس زكي فكان خصيبا
مستحب الأعراق فجَّره الحق ... معيناً من زمزم محبوبا
وتوالي رغم الهجير نداءً ... وحداءً شق الصخور دروبا
منذ عهد الحبيب طه حبيباً ... ونبياً وهادياً ودؤوبا
وأميناً في أهله وأريباً ... وحفياً بقومه وأديبا
وصبورا أصغى له الصخر والز ... رع منيباً لسؤله ومجيبا
ناثراً وحيك المرتل هدياً ... ناشراً حبك العظيم رغيبا
مسلماً للهوى بقلبك قلباً ... عاش ذكراك صبوة ووجيبا
في مغانيك من خطاه أريج ... ملأ الأفق والعوالم طيبا
في معانيك من سناه ضياء ... ظلل الكون جيئة وذهوبا
يا عيون الماضي أطلت مع الفجر ... بقلبي مشرداً منهوبا
بين أجبالنا على السطح بالسـ ... ـفح بواديك مشرقاً وغروبا
ها أنا الآن ذرة بين ذراتك ... حساً موهجًّا مشبوبا
أتملّى فيك الحياة وأُملي ... من حياتي نصيبها المكتوبا

ذبابة وفراشة!

تجافي الناس عن قبحي ... كأن دمامتي ذنب
وإن الحسن صنو القبح ... لم يخلقهما الرب
فلا تقبلني عين ... ولا يرحمني قلب
وينأى الناس عن دربي ... إذا ما ضمنا درب
كأني بينهم رجس ... أو أني دونهم عيب
حبيسة عزلتي.. قد عشت ... لا حب.. ولا صب
أليس بهذه الدنيا ... لذي قبح بها أرب؟
أللحسناء.. والحلوة ... ما في كوننا نهب
أما لدميمة مثلي ... مكان بينهم رحب
فما ذنبي أنا.. أو أنتِ ... يا من صاغنا رب؟

❊ ❊ ❊

ومن عجبي.. وللأقدار ... في ترتيبها عجب
رأيت ذبابة شنعاء ... تغشى غرفتي.. هربا
وكان الظل قد ... مال عن الدوح
ذباب الحي طاردها ... وأمست.. عنده.. طلبا

فجاءت دون معرفة تؤانس وحدتي نسبا
وتطلب أمنها عندي ولا أدري لهذا سببا

فحرك جرحها.. جرحي
وآنس قبحها.. قبحي

تطن بمضجعي الخاوي طنين الخائف الراجي
وتسعى بين أقدامي وتلعب عند أدراجي

بلا خوف.. ولا ملل

* * *

ومن عجبي.. وللأقدا ر في ترتيبها عجب
رأيت فراشة حسناء تأتي.. بعدها عندي

وكأن الفجر قد مهَّد للصبح

ترف رفيف إحساسي وتشرب فضل أنفاسي

على قرب.. وفي مهل

فكانت فرحتي الكبرى بها فرحاً بدنياها

بدنيا الشعر في الحقل

غزير النبع.. والمتح كريماً دونما شح

فعاشت ساعة نشوى

تذيب العطر.. في قلبي وتهدي مخدعي الأمنا
وعادت بعد إيماء رقيق الحس والمعنى
تقود ذبابتي الحيرى إلى الروض.. على الدرب

وتمشي جنبها.. طرباً كصب.. هام في صب
كلحظك ـ رانيا نحوي وصوتك هامساً جنبي
بدنيا الحلم في الدنيا
يعيش بشعره الشعرا ويحيا الحب للحب
كهمسي.. في مداومة جرت بالمدح . لا القدح
كذلك ـ يحتفي الشعراء أهل الحسن بالقبح

بلادي!!

قالوا: سلوتك يا بلادي موطناً.. أو مسكنا
تالله.. قد كذبوا عليك.. وما دروا أنا من أنا
أنا من أقام على هواك.. صباحه.. والموهنا
من سار فيك قصيدة.. فشأى.. وأعيا الألسنا
فالحب جمَّع بيننا.. أبداً.. فوحّد دربنا
أمي.. أبي زرعاه.. ما عرفا لغيرك مُقتنى
والشوق مكَّنه هناك.. هنا.. فكان الأمكنا
أزكي ثراك غراسه.. عمراً.. تفتح أغصنا
والزهر أينع في رباك.. وبات رفاف السنا
والعود أورق من نداك... فماس مياد الفنا
والقلب تدفعه الدماء.. دما.. بحبك.. ساخنا
حرصاً عليك.. ولهفة صنعاه.. صبا أرعنا
ناشته داهية الخطوب.. فما أشاح.. ولا انثنى

واستنفرته رؤوسها.. فسعى.. وصال.. وما ونى
واستعبرته النادبات.. فما استلان.. ولا عنا
حتى أتتك ذميمة.. جرحت فؤادك.. فانحنى
يشكو الحنين إلى رضاك.. تبتلاً.. كي يأمنا
في حب غالية عليه.. لها يمد الأعينا..!
فتسمعي خفقاته.. فلقد عناك.. بما عنى
أنت الحلاوة والغلاوة في هواه.. وفي المنى
لولاك.. ما عرف الصبابة.. في شجاه.. ولا الضنا
فاستتبعي نظراته.. فلما رنوت.. فقد رنا
للبيت مرتفع الذرى.. ولأهله.. للمنحنى
للشط.. أمواجاً تدافع ماؤها.. لن يأسنا
للسفح ـ للهضبات أشرق نورها فوق الدنى
للمجد.. تاريخاً.. كتالدنا.. طريفاً موقنا
للحب.. أطباعاً توثّق بيننا.. حباً بنا..

* * *

فاصف الوداد.. فبين قلبك لا يعيش سوى الهنا
واطو العتاب على أبعاد سجية خلقت لنا
واستذكري.. فلكم ذكرتك من هناك.. ومن هنا..!

قـولـي: لـكـاذبـك الـدنـيء.. لـقـد جـمـعـنـا شـمـلـنـا
مـن قـالـهـا.. كـذبـا.. فـلـيـس بـعـارف مـا بـيـنـنـا
مـا عـاش مـن يـجـد الـسـلـو.. ومـن سـيـنـسـى الـمـوطـنـا..
أنـا إن سـلـوتـك.. يـا بـلادي.. كـافـراً.. لا مـؤمـنـا
فـلـمـن يـكـون مـكـان حـبـك.. ثـائـراً.. أو سـاكـنـا؟.
لا خـيـر فـيَّ لـمـن عـداك.. وإن تـرفّـق.. أو رنـا
لا تـجـزعـي.. فـبـمـا عـداك.. لـقـد عـرفـتـك أحـسـنـا
وبـمـا فـتـنـت بـمـا رأيـت.. فـقـد رأيـتـك أفـتـنـا..
أنـسـاك!؟
يـا بـلـدي الـحـبـيـب..
إذاً
سـأنـسـى مـن أنـا؟!

الشاعر.. والحياة!

رف في كفه القلم   رفة الزهر.. لا العلم

ساري العمر.. في مدى   ملؤه الهم والألم

يعبر النور.. والدجى   واحد اللمٍّ.. واللَّمم

همه الشعر.. والرؤى   ناطقات.. بما كتم

فهو كالطيف.. حالم   حائر الطرف.. والنغم

ذاب في كون نفسه   كالصدى.. شاع في عدم

يرقب الناس جافلاً   عاثر الخطو.. قد جثم

شأن من عاش عصره   لم ير العصر.. عن أمم

حسبه الأمس: ماضياً   لاح كالنور في الظلم

يطرد اليوم: حاضراً   مد للمرتقى.. القدم

أو يرى الغيب: آتياً   زفّ فجراً من العدم!!

عاش ما عاش عصره   في وجود به انفصم

ما برى القوس.. ما رمى   ما خطا الدرب.. ما اقتحم

كلما همَّ.. أو نوى   أو بدا ما ابتدا.. عتم

ويح من لم تعده   العوادي لما رسم

بعض أهل النهى بها   عبرة الحكم.. والحكم!!

دنيا الليل!

قالت: أظنك شاعراً
هيمان..
تحلم أن نكون.. كما تريد
إني رأيتك.. ساهماً
حيران..
في ركن من.. الملهى.. بعيد
والناس ترقص.. أو تعا
نق بعضها.. جيداً.. لجيد..

والليل يضحك عالياً والطبل يطلبه المزيد
وسجا.. وأنت تظنه..
في الكون..
شيطاناً مريد!!
وعلت شفاهك.. قهقهات.. صامته
ومشت لحاظك.. سخريات.. شامته

ولقد عبست.. مقطباً منك الجبين

وأخذت..تنقر بالأصابع.. في حنين

فوق الجوانب.. من حوافي المائدة

نقرا.. يوقعه بآهتك الأنين

وتقول:

وتقول بين السر..

فوق الجهر:

لا!. لا فائدة..

أتظن أنك واحد

يرجو الحياة لواحده

إني أظنك.. واجداً

يبغي.. لدينا ـ واجده!.

فأجبتها:

إني.. كما قد قلت.. ما ذنبي أنا؟!

في الليل..

في دنيا العبيد

ما دمت.. عمري شاعراً

زف القصيد..

إلى القصيد

فلقد ولدت.. وفي دمي

إني وأنت.. على صعيد

عشنا الحياة.. به سوا

ء.. في القديم.. وفي الجديد..

ندين!!

لا ظلم.. يحوق بكائد..

أو كائده

فالليل سوَّى بيننا

إن كنت.. صياداً

وكنت الصائده!.

فمشت.. على أطرافها..

رقصاً..

وقالت.. يا فتى:

إني لشغلي.. عائده..

ما الشعر؟!!

ما الشعر.. خل الشعر..

ينبح..

كالكلاب الشارده!!

فـــعـــذرتـــهـــا . .

ونـــذرتـــهـــا . .

لــــلـــيــــل . .

دنـــيـــا . . فـــي هـــواهـــا . . ســـائـــده

ظـــل الـــذئـــاب بـــســـوقـــهـــا . .

ســـوقـــاً . . بـــغـــيـــرهـــمـــو . .

ســـتـــبـــقـــى . . كـــاســـده!!

الصغيرة التي علّمتني الحب!

قابلتها: حسناء.. تضحك للقريب.. وللبعيد!!
شأن المدل على الزمان بنفسه.. طلب المزيد!!
قد نال من دنيا الحلاوة.. والأماني: ما يريد!!
تشدو بأحلام الصبابة.. والصبا.. لحناً جديد!!
كالعندليب.. بغصنه.. بربيعه الهاني الفريد!!
فسألتها.. عبد الحقائق.. كم تعذبه القيود!!
ماذا رأيت في الحياة.. بناسها؟! ومن الوجود!!
قالت: وقد ضحك الشباب.. بكل حاضره المجيد!!
في قدها المياس.. يرقص بالشفاه.. وبالخدود!!
إني عشقت الحب.. أعرفه: كطبع لن يحيد!!
قد عاش يطلبني.. لأطلبه.. على عمري.. وقود!!
ما لي ودنياكم!! كهولتكم بها أمست: حدود!!
حسبي الهوى في يومها دنيا.. يعيش بها السعيد!!

أما غدي!! فغد حياة لن تحور.. ولن تعود!!
فضربت: كفاً فوق كف.. مثلما قال الجدود!!
وذكرت أيامي: كموج ليس تحبسه السدود!!
فعرفتها!! وألفتها!! وعذرتها.. عذر الشهيد!!
ويل المكابر.. يوم تُفحمه الحقائق.. والشهود!!!

* * *

إني نذرت: بأن أطيعك.. يا صغيرة.. كالوليد!!
لو طاوعتني السن.. أضنتها.. على رغمي.. الجهود!!
لكنَه: حلم الزمان.. ترادفت فيه العهود!!
كم تحلم الأعشاب جفت في الخمائل! أن تعود!!
خضراء!! لينة المقاطف في يد ألحاني الودود!!
لا!!
لن يعودْ العود
أخضر!!
لن تكون به..
ورود!!!

شمعتي.. تكفي!

أشعل المصباح..
فالدنيا ظلام..
وأنا أكرهه..
وأحب النور.. هدياً.. وسلام
ومحبه!.

* * *

أشعل المصباح..
فالشيطان لا يعرف
وسط النور.. دربه
إنه عاف السنا إنه خاف الضياء..
حينما خالف ربه!
منذ أن عاش خفيا..
لا يرى..
منذ أن عاش الظلام..
وأحبه!.

أشعل المصباح.. بين الناس.. كونا

لا تفرق بينهم.. لوناً ولونا..

لا تباعد بينهم.. كوخاً ودارا

كن.. كما الشمس.. وكالبد

ر.. ولا تخش السرارا

عاشق النور.. مساراً.. ومدارا..

لا تكن في الأرض.. إبليساً.. توارى

ومشى يهبط بالإنسا

ن.. في القيعان.. غارا

ومضى يلعب في الأدوار.. دوراً.. هان عارا

زاد بالإنسان في الظلماء..

كربه!

شمعتي تكفي!. فلا تهزأ بها

يا سجين الدار.. سماه كبيرا

يا مدير الزر.. وهاجا منيرا

للذي عاش.. وما زال ضريرا

حينما أوصد.. كالأبواب..

قلبه!.

* * *

شمعتي تكفي.. ولن تخشى الرياح

إن كوخي.. كيفما كان.. ولاح

لم يزل للنور.. مهوى.. ومراح

وللزواري.. بلا إذن.. مباح

إن دنيا الفكر تاريخ الأنام

خط بالإنسان.. للإنسان

دربه!.

* * *

شمعتي دنياي.. في كوني الصغير

في مداها.. في المدى هذا القصير

إنها تخنق فيه.. كل يوم

كل ليله..

أي شيطان صغير.. أو كبير..

شاعراً.. أو كاتباً قد خان..

أو ضلل..

شعبه!.

* * *

فأشعل المصباح.. واترك شمعتي

لا تطفها..

خوفاً عليه..

فكلا النورين.. نور واحد..

في حالتيه

يسبح البدر.. ويبقى النجم

صوبه..

فأشعل المصباح.. واترك شمعتي!

تسطع.. قربه!!

محتويات الفهرس

المقدمة ١١

كلمة الناشر ١٥

اصدارات الاثنينية ٢١

السيرة الذاتية ٢٧

الزّهرَاء ملحمة إسلامية ٤١

القسم الأول فَوَاتِحُ . . وَمَعَابِر ٤٣

المَرَاقِي الْخُضْر ٤٤

أَنْتَ يَا رَبّ ٤٧

يَا أَخَا الدَّرْب ٤٨

أَيُّهَا القَلْب ٤٩

دُنْيَا الْجَزِيرَة ٥٠

وَأْدُ الْبَنَات ٥١

الْحَرْبُ ـ وَالْغَيْب ٥٢

الْمَلْهَاةُ ـ وَالْقَطِيع ٥٣

الْيَومُ ـ وَالْحِلفُ ٥٥

مَآسٍ . . وَظَلامٌ . . وَحِكْمَة ٥٧
الْقِسْمُ الثَّانِي الْفَجْرُ الْجَدِيدْ ٥٩
الْفَجْرُ وَالْفَرْحَةُ وَمَوْلِدُ النُّور ٦٠
صَبَاحٌ . . وَنَبْعٌ . . وَبِطَاحْ ٦٣
إِشْرَاقَةُ الرُّوح ٦٤
الرِّسَالَةُ . . وَالْقُدْوَة ٦٦
حكَايَا التَّارِيخ ٦٦
الأُمَّةُ . . والرُّوَّادْ ٦٨
الإِسْلاَمُ . . وَالسَّيْف ٧٢
أُمَّةُ السَّلاَم ٧٣
سَجَايَا . . وَخِلاَلٌ . . وَعَقِيدَه ٧٥
القسم الثالث المحمدان والدعوة ٧٩
الأُفُــول ٨٠
زَوْرَةُ الطَّيْف ٨١
الْمُحَمَّدَان . . وَالدَّعْوَة ٨٢
الْغَــالِيَــة ٨٤
عَاهِلُ الْجَزِيرَة ٨٥
أَمَانٌ . . وَإِيمَانٌ . . وَتُرَاث ٨٦
القسم الرابع الكيـــان ٨٩
الْكيانُ . . وَالْفَيْصَل ٩٠

التَّضَامُنُ الإِسْلاَمِيّ ٩٢
الشَّرَارَةُ . . وَالجَزِيرَة ٩٥
وَرَاءَ الْحُدُود ٩٧
الْجَزِيرَة: إِسْلاَمٌ . . وَعُرُوبَة ٩٨
الْجَزِيرَةُ . . وَيَهُوَذا ١٠١
أَصْدَاء . . وَمَرَايَا ١٠٣
القسم الْخَامِس الدَّرْبُ الطَّوِيل ١٠٧
الْعَجْفَاءُ . . وَالشَّارِف ١٠٩
الْيَتِيمُ . . وَالشَّأْن ١١٠
طُهْرٌ . . وَيَفَاعَة ١١٠
الـــرَّاعي ١١١
الْحَكَمُ . . الأَمِين ١١٢
اقْــرَأ ١١٤
الطَّــلائِع ١١٦
الْعَمُّ . . وَالْمَبْدأ ١١٦
الأَطْيَــاف ١١٩
الْمَصَابِيح ١٢٠
الإِرْهَابُ . . وَالدَّار ١٢٢
إِلَى الْحَبَشَة ١٢٣
الْمَدْرَسَةُ الأُولى ١٢٥

الْعَائِدُ مِنَ الصَّيْدِ ١٢٥
وَمَشَى الصَّفّ ١٢٧
الأذَى الْمُرّ ١٢٩
الْمَيَامِين ١٣١
مُؤَامَرَةٌ . . تَفْشَلْ ١٣٣
الْهِجْرَةُ . . وَالصُّحْبَة ١٣٦
الْقِسْمُ السَّادِسُ . . وَتَكَلَّمَ التَّارِيخ ١٣٩
من هنا يبدأ: ١٤٠
الْبَيْتُ الْكَرِيم ١٤١
الثَّنِيَّاتُ . . وَأَلْبَدْر ١٤٣
الزَّهْرَة . . وَالْفَرْحَة ١٤٤
بَدْرُ الْكُبْرَى ١٤٥
مَوْكِبُ النَّصْر ١٤٨
الْبَرَاقِعُ السُّود ١٥٥
الطَّعْـنَة ١٥٦
الدَّمْ الْغَالي ١٥٧
ذُو الْعِصَابَةِ الْحِمْرَاء ١٥٨
الْجَمَلُ الأَوْرَق ١٦٠
سَيِّدَةُ الْفِدَاءُ ١٦١
نَقْرُ الْعَصَافِير ١٦٣

الْقِسْمُ السَّابع . . أَصْدَافٌ . . وَشَوَاطِئ ١٦٥
مَنَاهِجُ . . وَرِسَالَة ١٦٧
الْجَزِيرَةُ . . تَقْرأ ١٧٠
جُمْلَةٌ . . وَجَمَالْ ١٧١
رَجْعُ الصَّدَى ١٧٢
أوْبَةُ الشِّعْر ١٧٤
الرَّكْبُ . . وَالْموكِب ١٧٦
أمَةُ الشِّعْر ١٧٨
الْغَرِيبُ . . يَعوُد ١٨١
اسْتِغْراقٌ . . وَتَحايَا ١٨٣
ابْتِهَـال ١٨٤
الْفِكْرُ . . وَالْعَصْر ١٨٦
الْبَحْرُ . . وَالْقَطْرَة ١٨٨
دُنْيَا الشَّاعِر ١٨٩
مَوْطِنُ الرُّوح ١٩٠
لِلْجَامِعَاتِ . . تَحِيَّة ١٩٢
الْجَزِيرَةُ . . والزَّهْرَاء ١٩٤
الغَـزَّاوِيَـة !! ١٩٦
مشاعرٌ . . وَمَشاعِر ٢٠٥
مشَاعرٌ ومشَاعر ٢١٣

يـا قلـب ٢٢٤
الأَبـــــراج ٢٣١
إلى أخي الصديق الأستاذ حمزة شحاته ٢٣٣
هذا سَبيلي ٢٣٥
الشِعر والشاعِر ٢٣٨
رقصَة المـوتِ ٢٤١
إلـى الشعـبْ ٢٤٥
الـورَدة الحمـراء ٢٤٨
سَـوْداء ٢٥٢
جهَــاد ٢٥٦
أحـاسِيـس ٢٦٠
جـدَة ٢٦٤
ذكـرى ٢٦٨
مـوت وحيـاة ٢٧١
صِـرَاع ٢٧٥
لبنانُ وَالبلد المعظم ٢٨٢
يا كأس ٢٨٥
بلد الهَـوى ٢٩٢
أضْـــداء مِنَ الحَياة . . وَإليهَا ٢٩٩
إلى من أحببت. ٣٠١

البُلْبُل ٣٠٢
الشَاعِرُ الحَزين ٣٠٥
الجُنْدِي في ميدان القتال ٣٠٨
عُـزُوبَـة ٣١٠
مُشـارَكة ٣١٢
حَـنِين ٣١٥
العَظِيْم ٣١٨
لَيْلٌ .. وفَجْر ٣٢٠
مـذْهَبْ ٣٢٢
مُنَاجَاة الحَيَاة ٣٢٣
نَشِيدُ النَصْر ٣٢٥
صَوْت الحِجَاز ٣٢٧
تَحِيَّة ٣٢٩
خَيْبَة ٣٣١
سَجِيْن ٣٣٣
بِـلادي ٣٣٤
غُربَة ٣٣٦
بَين الكمنجَة والعُود ٣٣٨
يَـومِي السَعيـد ٣٤٠
دَار الأيْتَـام ٣٤٢

مِثَـال ٣٤٤
جَامِعَة الدُّول ٣٤٧
الشَبَـاب ٣٤٩
بـاقَـة ٣٥١
أيـا بَحْـر ٣٥٣
يـا صَـدِيـقي ٣٥٥
أمـانٍ تتحقّق ٣٥٨
حَذارِ يَا نَفْسُ ٣٦٠
جَـوَاب ٣٦١
بُلبُلَي مِصر ٣٦٢
خَـواطِـر مُتقـارِبـة ٣٦٥
وَفَـــاء ٣٦٧
إفْـرَح ٣٦٩
غَضْبـة الفَـنّ ٣٧٠
صَرخَة الفَلاحِ ٣٧١
نقَـائِـض ٣٧٤
يـا مَـوْطِـني ٣٧٥
أنــا وَالـدَهْـر ٣٧٦
أغنية الحَزين ٣٧٨
الشَادِي الرقيق ٣٨٠

دُنْيا الغَـد ٣٨٢

اَمْطِري ٣٨٤

أغَـاريـد ٣٨٧

أملي ٣٨٩

الحـب ٣٩١

ما كنت أحسب ٣٩٥

غيـره ٣٩٧

وصـال ٣٩٩

نجـوى ٤٠٠

حـرمـان ٤٠١

بـدران ٤٠٣

مساجـلة ٤٠٤

دنيا الحـب ٤٠٧

رضـاء ٤٠٨

اعتـراف ٤٠٩

بـراءة ٤١١

استسـلام ٤١٤

يا ملاك الحب ٤١٦

ثـورة ٤١٨

إليـه ٤٢١

ذكــرى ٤٢٢
دلال ٤٢٣
تشطيــر ٤٢٤
القيد الحبيب ٤٢٥
نحـــن ٤٢٦
ما الذي فيك ٤٢٧
بعـد الجفـاء ٤٣٠
للحـب والفـن ٤٣٢
احتيـــال في قصة حب صادق ٤٣٤
هل تجيئين ٤٣٧
كيف أسلوك ٤٣٩
طفـولـة ٤٤٠
الحبيب العاشق ٤٤١
محـاكـاة ٤٤٥
سكر الحب ٤٤٧
الاستعمار في الحب ٤٤٩
طاب ليلي ٤٥١
سعـــادة ٤٥٣
ما وراء الغيوم ٤٥٤
بلبلي الصغير ٤٥٨

الجـواب الضائـع ٤٥٩
شـكـر ٤٦٠
شمعَتِي تكفي **٤٦١**
إفتح الأبواب ٤٦٣
سل الشعر ٤٦٧
الغَريب. . وَالدّار ٤٦٩
عشتها!! ٤٧٢
إلى ولدي! ٤٧٤
الشكوى الخرسَاء!! ٤٧٦
لم أزل بالشعرْ! ٤٧٨
يوم في طيبة! ٤٨٠
كهولة! ٤٨٢
الطريد!! ٤٨٥
وداع طالبْ! ٤٨٧
القافلة. . والدرب! ٤٩١
الحب الكبير! ٤٩٣
في مَكة! ٤٩٦
ذبابة وفراشة! ٤٩٨
بلادي!! ٥٠١
الشاعر. . والحياة! ٥٠٤

دنيا الليل! ٥٠٥
الصغيرة التي علّمتني الحب! ٥٠٩
شمعتي.. تكفي! ٥١١
محتويات الفهرس ٥١٥

